الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص. ب ٤١٢٣ بيروت – تلفون ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - LIBAN

B.P. 4123 - Tel. 232832

الادارة : شارع سوريا – بناية درويش

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل ادريس

Propriétaire - Rédacteur

SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير

عايدة مطرجي ادريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRISS

العدد الرابع

نيسان (ابريل) ١٩٦٧

السنة الخامسة عشرة

* *

No. 4 - Avril 1967

15 ème année

المؤتمر العظيم

بقلم الدكتور سهيل ادريس

بوسع كل منصف حضر جلسات المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين الذي انعقد في بيروت بين ٢٥ و ٣٠ اذار الماضي ، وطالع مقرراته وتوصياته ، ان يصف هذا المؤتمر بأنه كان مؤتمرا عظيما .

كان عظيما بروح التضامن التي كانت تحرك قلوب اعضاء الوفود ، وكان عظيما بالايمان الذي كان يشدهم ، ايمانهم برسالة الاديب النبيلة في دعم نضال الشعوب الاسيوية والافريقية من اجل حريتها واستقلالها ، وكان عظيما بالمقررات والتوصيات التي اتخذها في شجب اساليب الاستعمار والامبريالية والرجعية والصهيونية ، وتأييد حق الشعوب في تقرير مصيرها وسلوك الدرب الذي تراه محققا لآمالها وأهدافها .

ولا ريب في ان انعقاد المؤتمر في بيروت أتاح للبنان أن يظهر بوجهه التقدمي المتحرر ، المنفتح على الدنيا كلها ، شرقية وغربية ، هذا الوجه الذي يطلبه المخلصون الحقيقيون للبنان .

وقد استطاع المؤتمر ، بعد ذلك ، ان يتجنب الانقسام والشقاق القائمين بين بعض البلدان الافريقية والاسيوية ، بل هو قد عمل على قدر طاقته لاعادة روح التضامن وتضييق شقة الخلاف والتمهيد لرأب الصدع القائم في المنظمة الافريقية الاسيوية .

على أن أهم ما حققه المؤتمر بالنسبة لقضية العرب الكبرى ، قضية تحرير فلسطين ، هو هذا القرار الذي اجمعت عليه الوفود ، ضمن قرارات كثيرة هامة ، باعتبار اسرائيل قاعدة استعمارية ، واعتبار تصفية الوجود الاسرائيلي ضرورة تحررية ملحة ، وشجب الوجود الاستعماري الاغتصابي والاحتلال الاسكاني والبنيان العنصري الذي تمثله اسرائيل ، واعتبار هذه الدولة « عدوانية في طبيعتها ، توسعية في اهدافها ، عنصرية في بنيانها ، فاشستية في وسائلها » ، وهو قرار لم يتوصل اي مؤتمر سابق الى مثل ما يتميز به من حسم ووضوح ، وكان موقف الاتحاد السوفياتي من هذه القضية لا يقل تأييدا ودعما من موقف اية دولة عربية في المؤتمر ، وهذا كسب اعظم يسجله مؤتمر بيروت بالنسبة لاي مؤتمر سابق .

ومع ذلك ، فقد شنت على المؤتمر حملة مسعورة بدات طلائعها قبل اسابيع من انعقاده ، ولا تزال هذه الحملة قائمة ، وان كانت قد اصبحت فلولا ...

وقد كنا ننتظر هذه الحملة ونتوقعها ، نحن المشرفين على المؤتمر في بيروت ، ولكننا لم نكن نملك ان نتجنبها ، لان الدوائر الاستعمارية والمخابرات الغربية لم تكن راضية اصلا عن عقد المؤتمر في العاصمة اللبنانية ، فاذا بهذه العاصمة تثبت ان لبنان يستطيع بكل حرية ان يشارك في قضايا التحرير في العالم . والواقع ان انعقاد المؤتمر في بيروت انما هو انتصار للفكرة التقدمية على الفكرة الرجعية في لبنان .

ولقد دفعت الدوائر الاستعمارية والرجعية العربية عددا من الصحف اللبنانية الى تأليف جوقة تشن الهجوم على المؤتمر ، ولم يكن ثمة سبيل الى اسكات هذه الجوقة الا بدفع المال ، ونحن لم نكن نملك المال ، ولو كنا نملكه لربأنا بأنفسنا ان نستخدمه لمثل هذه الغاية ، لاننا نستنكر استغلال حرية

هذا العدد

يسر « الاداب » ان تخصص هذا العدد الممتاز للمؤتمر الثالث للكتاب الاسيويين الافريقيين الذي انعقد في بيروت اواخر الشهر الماضي ، فتنشر فيه اهم الابحاث والتقارير والاعمال التي شهدها المؤتمر ، بحيث يكون هذا العدد وثيقة ومرجعا لكل باحث واديب .

ومن الطبيعي ، ومادة المؤتمر وافرة ، ان يخلو العدد من معظم المادة المعتادة من قصص وقصائد وابحاث وابواب، فالى العدد القادم.

الفكر في لبنان لتعهين الفكر ، واستخدام الكلمة والحرف في سوق البغاء العلني !

وكان واضحا لدى الجميع ان الصحف اليومية والاسبوعية التي شاركت في هذه الحملة ، باطلاق الاكاذيب وتشويه اهداف المؤتمر ، وتحريف نصوصه وبياناته ، انما تقف كلها في الصف المقابل لصف التحرر والتقدم ، وتنتمي الى طرف التبعية والرجعية ، وان الذين اسهموا في الكتابة فيها هم من الطفيليين الذين لا يمتون الى الادب بصلة ، او من الرجعيين الذين يتعيشون من هبات بعض الحكام الذين نكبت بهم الامة العربية في هذا الجزء من العالم .

والواقع ان هذه الصحف كانت قد مهدت للحملة التي تنوي شنها بأن اتهمت القائمين على التنظيم بتهمتين: الاولى انهم تعمدوا عدم دعوة الادباء اللبنانيين على اختلاف ميولهم الى حضور جلسات المؤتمر ، والثانية ان تأليف الوفد اللبناني في المؤتمر قد تم بطريقة كيفية . والحق ان اللجنة اللبنانية قد وجهت الدعوة الى جميع الادباء اللبنانيين دون ما استثناء ، واعلنت انا شخصيا في مؤتمر صحفي عقده الاستاذ كمال جنبلاط رئيس اللجنة أن جميع ادباء لبنان مدعوون لحضور المؤتمر ، سواء وصلتهم دعوة ام لم تصلهم . واما الوفد اللبناني فقد اختارت اعضاءه لجنة الاتصال اللبنانية التي تملك وحدها الحق في ذلك، وهي قد اختارتهم من الذين سبق ان شاركوا في المؤتمرات الاسيوية والافريقية ، ومن الذين يتعاطفون اصلا مع قضايا التحرر في أسيا وافريقيا ، وكان من الطبيعي استبعاد العناصر المخربه او المشبوهه ، وهي التي ثارت فعلا لعدم اختيارها في الوفد ...

ووجهت الى المؤتمر كذلك تهمة عدم التنظيم والفوضى ، ومن نتيجه ذلك ، في رأي اصحاب التهمه ، ان ثلاثه من اعضاء الوفد اللبناني قد احتجوا وانسحبوا في الجلسه الاولى . وقيل انهم احتجوا وانسحبوا لان الكلمه اعطيت لمندوب فلسطين في هذه الجلسة ، خلافا لما كان ينص عليه جدول الاعمال ، ولان الكلمة في ذاتها ، بزعمهم ، كانت دون المستوى المطلوب . فلئن صح هذا ، فلا نعتقد انه سبب مشرف لاصحابه ، لان قضيه تحرير فلسطين هي فوق مستوى هذه الشكليات ، ثم انها ليست بالحجه المقنعه التي تبرر انسحابهم من الوفد...

وطوال ايام المؤتمر ظلت هذه الصحف ، وكلها معروفه بميولها العدائيه للفكره التحرريه عامة ، وللتحرر العربي خاصه ، تخترع القصص والحكايات لتسويه سمعة المؤتمر ، فتزعم ان الوفد السنغالي قد انسحب ، وان الوفدين السوفياتي والهندي لم يؤيدا قرار فلسطين ، وان المؤتمر اكتفى باعتبار اسرائيل قاعدة استعمارية ، وان سارتر ودوبوفوار قد ارسلا برقية برفض حضور المؤتمر ولكن البرقيه قد طويت الخ... وكل هذه اكاذيب رخيصه صفعت الوفود بها وجوه اصحابها ببيانات صريحة لا تدع مجالا لاي شك .

وحين رأت هذه الصحف ، وما وراءها من اجهزة مخابرات ووكالات ، انهيار القلاع الكرتونية التي اقامتها في وجه المؤتمر ، راحت تعزف على وتر ابعاد الادب عن السياسة ، وتتساءل في ضجيج سطحي مفتعل : ما دخل الادب في السياسة ولماذا « يخلط » المؤتمرون بينهما ؟ ولا نعتقد اننا بحاجة الى الرد على مثل هذا السخف . ولكننا مع ذلك نشير بكل بساطة الى ان الموضوع الرئيسي المطروح على المؤتمر ، والذي عالجه رؤساء الوفود في كلماتهم ، والادباء في مقالاتهم وتقاريرهم ، انما يدرس العلاقه بين الادب والسياسة بصورة واضحة ، وهو : « قضايا التحرر الوطني كما تعكسها اداب اسيا وافريقيا » فاذا طلب الى اديب ان يدرس موضوعات التحرر الوطني، في ابعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما تنعكس في ادب بلاده ، افليس من السخف والصفاقة ان نستنكر عليه ذلك اذا لبى الطلب ؟ ثم اننا نتساءل مع المتسائلين : هل ينكر اولئك المنكرون اهتمام عدد من كبار ادباء العالم بالقضايا السياسية ، امثال سارتر وراسل وشتاينبك وسواهم ؟ وحين اعلن شتاينبك تأييده لحرب العدوان الاميركية في الفييتنام ، هل انكر عليه هؤلاء تدخله في السياسة وشجبوا هذا التدخل ، حتى ينكروا ويشجبوا اليوم تدخل ادباء اسيا وافريقيا باعلان موقفهم من حرب الفييتنام ، وهو في صميم موضوع مؤتمرهم ؟

ان هؤلاء الذين يريدون ان يعزلوا الادب عن السياسة بصورة مبدئية انما يشوهون معنى الادب تشويها كبيرا اذ يعتبرونه غاية للمتعة لا غير فيقلصونه الى دور تافه في حياة الشعوب والأمم ، وهو لم يكن كذلك قط في تاريخ الحضارة البشرية . ان الادب يتناول هموم الانسان برمتها،

واذا كان هم شعب في فترة من تاريخ حياته ان يتحرر من الاستعمار والاستغلال والاقطاع ، فان ادباء هذا الشعب يخونونه ويخونون انفسهم اذا اعتقدوا انه لا يعنيهم ان يدعموا شعبهم ويؤيدوه في نضاله من اجل التحرر . ولا شك في ان كثيرا من بلدان اسيا وافريقيا تعاني اليوم مثل هذه الهموم ، وان معظم كتاب اسيا وافريقيا يعانون هموم شعوبهم ، أفليس مما يدعو الى السخرية والهزء ، بل والاشمئزاز ، ان يطلب اليهم ان ينصرفوا عن معالجة القضايا السياسية المرتبطة بحياة شعوبهم ارتباطا عضويا جذريا !

ان من اهداف الاستعمار الجديد اليوم ان يعمل على صرف الادباء عن معاناة هموم الشعوب المستضعفة المستغلة بأن يغريهم بالمساعدات والهبات والبعثات والزيارات، حتى يكفوا عن ان يكونوا قوة توعية وايقاظ وتنبيه للشعوب التي تنشد الحرية ، فيتمكن الاستعمار من احكام قبضته ويمكن لشركاته الاستثمارية ان تضيق الخناق على الموارد القومية والوطنية . وحين يطالب هؤلاء المنتقدون في لبنان بعزل الادب عن السياسة انما يلعبون لعبة هذا الاستعمار الجديد ويستجيبون لاهدافه المشبوهة ... ولو كان موضوع المؤتمر غير الموضوع المطروح ، لو كان يتعلق بالفنون الادبية وتطورها مثلا ، او لو كان يتعلق بالرواية الجديدة او الرواية ــ الضد ، ثم عالج المؤتمرون قضايا سياسية ، لكان ثمة مجال للاصغاء الى انتقاداتهم ... اما وان موضوعنا يتناول قضايا التحرر في الادب ، فان المؤتمرين كانوا سيخرجون عن موضوع المؤتمر لو لم يتحدثوا في السياسة ...

✶

وبعد ، فقد كان انعقاد المؤتمر الثالث للكتاب الاسيويين الافريقيين في بيروت فرصة ذهبية تتاح للعرب لاكتساب اصوات جميع ادباء القارتين الى جانب القضايا العربية المصيرية ، واذا ذكرنا ان معظم هؤلاء الادباء منتدبون من حكوماتهم لتمثيلها في المؤتمر ادركنا اهمية هذا الكسب في ميزان السياسة الاسيوية الافريقية .

وكان انعقاد المؤتمر في بيروت كسبا للبنان وللفئة المتحررة من ادبائه وكتابه الذين يقع على عاتقهم العمل الدائب لوضع هذا البلد ، ثقافيا ، في موضعه الصحيح : البلد المنفتح على القارتين الاسيوية والافريقية ، انفتاحه على القارتين الاوروبية والاميركية ، المتفاعل مع ثقافة الشرق تفاعله مع ثقافة الغرب ، المشارك في تقرير المصير العربي مشاركة العرب في تقرير مصيره .

سهيل ادريس

قضية الحرية وانعكاسها في أدب آسيا وافريقيا

بقلم كمال جنبلاط

ايها الاخوان ،

أشكر رئيس الدولة ورئيس الحكومة على رعايتهما لهذا المؤتمر ، وباسمي وباسم اخوانكم أبناء شعب لبنـــان ، أحييكم وأرحب بكم ، وأتمنى لكم أطيب التأملات في هذا البلد الذي شاء قـدر تقاطع والتقاء المكان والزمان فيه أن يجعله على مفرق رئيسي من مفارق العالم القديم والحديث ، ومفصلة بين قارتي اسيا وأفريقيا ، على انه امتداد معنوي طبيعي ، على هذا الشاطىء العربي الزاخر بامكانيات الاقتباس والتوليد، لارض « أوليس» (ulysse) وليونان فيثاغورس وتاليس وسقراط الكبرى والصغرى ، ولبلاد الفراعنة في وادي النيل الـذين طفت حضارتهم ، منذ بداية التاريخ أي قبل ستة الاف سنة ، على العالم القديم بأسره.

وفوق ذلك ، فان هذا البلد باب من أبواب الوطن العربي وايران، ومدخل لاسيا القريبة والبعيدة ، فلا عجب ان ولد منا أو نما بيننـــا فلاسفة وكتاب وحقوقيون وادباء امثـــال فورفوريوس ، ويامبلخوس ، وزينون ، والمتشرعون ، وبولص وبابينيانوس واولبيانوس ، كما انطلق أرباب التجارة والاكتشاف في مجاهل افريقيا واوروبا انذاك وأصحاب القوافل تجوب متقدمة علـــى طرق الحرير والشاي والتوابل فـــي الاقدمين ، وكأن هذا البلد فيما بعد موطن الامام الاوزاعي والسيـــد عبد الله التنوخي والبستاني الكبير وصاحب نفيـــر العرب اليازجي ، وشكيب أرسلان ، والمطران ، وجبران ، والريحاني ، وعمر فاخوري . ولا اذكر في الاحياء الا صديقنا ميخائيل نعيمة وشحادة .

فأهلا بكم وسهلا ، في هذا البلد الفاصل والرابط بين القمم والبحار وبين عالم الانهار والبوادي وانفراج فسحة الماء المالح تحت أقدام جباله .

في هذا المنتدى القديم الجديد ، نمت وتطورت وتعاقبت ألوان من نظم الحريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى لنكاد ، في تاريخ شعوبنا ، نتعرف اليها جميعا ، ولذا لو كان لنا حظ في التنقيب وفي التعمق وفي دراسة التحققات الفكرية والتأسيسية والاجتماعية الغابرة ، التي قامت منذ ضوء العقل في القدم حتى فجـــر النصرانية والاسلام ثم بعـد انتشار الحضارة العربية وقيـام دولـــة الخلافـــة الكبرى ، لواجهنا الحرية بالروح التي تجمع بين الحق الشخصـــي والمسؤولية ، بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد الحقيقية ، بيـــن حرية التأليف والنشر وواجب الالتـزام : اولا بقيم الحـق والخيـــر والجمال الخالدة ، لانها من طبيعة الانسان وفي اس التكوين الاجتماعي، وثانيا بمواجهات النضال والعمل الانساني المباشر في جميع حقـــوله والمرتبطة بتلك القيم . والانسان كل لا يتجزأ في مصيره ونشاطاتـــه وتكوينه ، وعكسه للوجود ، وانعكاسه هو بدوره فيه .

قضية الحرية التي نجتمع لمناقشتها ، وتقدير انعكاسها في ادب كتاب اسيا وافريقيا هي قضية الانسان منذ أن وجد ، تستقطبه ثـــم لا يلبث أن يستولي عليها ثم يرهقها ويقيدها أو يعبث بها أو لا يقدرها حق قدرها ، أو يمارسها على غير هدى ، ودون اطار من النظام المادي والحرمة المعنوية والمسؤولية الاجتماعية ، فترتد لتنتقم منه ، ثم يعود فيندرج في مسالكها وأسبابها ، ثم يؤوب الى استثثاره وعبثه ، ثـــم ترجع هي لتثأر باسم القيم الانسانية الدائمة . وهكذا دواليك ، كأن التاريخ بأسره تناقض جدلي قد صنع من هذا الصراع بين الانسان وواقعه وبين الحرية ، بين الحرية وبين ما ولده الانسان وما سيبدعه حتى نهاية الآباد من أنظمة ومؤسسات ومفاهيم ، يحاول من خلالهـا أن يجلو حقيقته ويكشف عن اكناه ذات الوجود وودائعها في ذاته .

فالادب استثارة لهذه المعرفة الحقيقية الدائمة ، وليس هـــو تفشية للواقع او تخيلا او خلقا من العدم ، أو ابداعا من الخواء الفراغ او تقليدا أجوف للحرف والخط الميت ...

وفي فعل المعرفة هذا ـ وهو نشاط نور العقل ـ يرتبط الانسان بوجوده الكياني وبوجود العالم الذي هو جزء لا يتجزأ منه في المقابلة والمشاركة والانبثاق الحسي .

واذا ما أدركنا ـ وفق بعض النظريات العلمية ، وهي تتلاقـــى وتتوافق مع خبرة وحكمة الاقدمين السابقين ـ أن المادة تكثف للطاقـة تتحول اليها وتنبع منها في دوام الصيرورة ، وان الحياة ترفع وتعقد لهذه الطاقة الكونية ، وان العقل بدوره استعلاء وتحول لطاقة الحياة ، لادركنا الخلود والاستحالة ايضا في كل شيء ، لان الطاقة لا زوال لها البتة ، « وبها أي بنورها صنع كل شيء » ، ولاستوعبنا خاصة مـدى التزامنا بالكينونة وبصور ابداعها ، وبالعقل وبقيمه ومثالاته ، وتحركه الدائب في انشاء وابداع وترقية المؤسسات الاجتماعية والاقتصاديـــة والسياسية ، وفي العلم والفنون والادب .

ثم ، وان نحن أوغلنا قليلا لنشهد منبع الحرية في التكويـــن لرأيناها تلازم الحياة دائما وأبدا ، كالرفيقة الامينة ، وكأنها هي هي.. فلولا حرية التبلور النسبية وحـــرية التنافر والتجاذب والاعتمـــال المحدودة ، والتي أخرجت الجماد من قدر سنن الحتمية الى شرعـــة الارجحية ، منذ النشأة الاولى ، لما تمكن التيار الحي أن يتجمع وينحصر ويتوارد لكي ينطلق من صميم طاقـــة الجماد ، وهكذا نرى الوعي وواجهته الحرية تواكب صعود الحياة في سلم تحقق النبات والحيوان، وتزداد نموا ووضوحا واستيعابا وانعكاسا لذاتها .. الى أن يبلغ هذا الوعي وهذه الحرية اقصى درجات تفتحهما في مستوى العقل وفـــي الانسان ... فالعقل صنو الحرية ونهجـــه فيها ونبعتها ، وهي ، أي الحرية ، بدورها شرط انطلاق المعرفـــة من مهد الامكان وعقـــال محض القـــوة .

وهكذا تكون الحرية أثمن شيء في الوجود التام ، اذا اقترنت في ممارستها وفي ابداعها ، بشرعة العقل وقيم استشفافه ، فالالـــتزام يقوم على مدى كون واسع قبل ان يقوم وينحصر في قضايا المجتمع والجيـــل .

من هذا المدخل الصغير ، يتصوب لبصيرتنا أن تدرك مقام الحريه وقضيتها في الادب الافريقي والاسيوي ، لا بل في أدب العالم أجمع ، وانما نحن نعيش في عالم ينزع اكثر فاكثر الى التجمع البشري والتكور والتوحد ، رغم التنوع الظاهر للطبيعة البشرية وللامزجة وللاقاليـــم ولمستويات العلم والتقنية وتعدد الحضارات ، وذلك انعكاسا وتباينا لوحدة العقل ووحدة استكشافه وطلبته في حقل العلم والعمل ، وفي مجالات الفلسفة والادب والفن على السواء .

واننا لنستوعب اليوم ، اكثر من السابق ، مدى هذا الالتـــزام للعقل ، قبل ان يكون للحرية ، بمجريات الاحداث والتيارات الوطنية

الثقافية والسياسية التحررية ، لاننا أضحينا نعلم تماما ، كما تشير الى ذلك الدراسات الوافية الاجتماعية المتقدمة ، ان تراث الشعوب المتخلفة في افريقيا واسيا ، وبعضها لا يزال في طور البدائية الاولى ، ان هذا التراث ليس هو مجموعة من الصور والاساطير والطقوس الجاهلة المتأخرة كما كان يتصور ذلك بعض البدائين في تلك الابحاث ، بل هو بالحقيقة حضارة قائمة حية غنية ، قد تكون أقرب الى نهج الحياة وروحها واوفق للمجاري النفسية والطبيعية البشرية من مدنيتنا الالية الصناعية على ان هذه الحضارات نسبية ، فيجب ان ننظر الى فنونها وحرفها وأدبها وآدابها وعلومها الدفينة وعاداتها بعين شعوبها ، اي ببصيرة فتوة الانسان الذي هو فينا ، لا بمنظار مدنيتنا الغربية التي هي معظم الاحيان سطحية في نظرتها للغير وغرورة وتبتعد بنا عن الطبيعة .

ومن هذه المواجهة تستبان اهمية العودة ، للاستيحاء والارتواء من آداب وفنون بعض الحضارات الاسيوية والافريقية والشرقية الكبرى التي كانت مدنيات انسانية في المعنى الصحيح للكلمة ، فارتفعت فوق مقاييس زمانها الى حاجات الطبيعة البشرية الدائمة ومطالب العيش وحقوق الانسان الخالدة ، وطلبة استكشاف العقل في انعكاسه على ذاته وعلى الوجود .

وقد تكون تلك الاساطير والقصص الواقعية وروايات الانس والالهة والادغال في الاقدمين والمحدثين ، ولدى جميع الشعوب المتخلفة والبدائية والنامية والمتحضرة ـ وكلنا مزيج من التخلف والنمو ـ أفضل مرقاة لنا وسلما للاستنارة بنهج وقواعد الالتزام المفروض .

وهنالك لون اخر لهذا الالتزام ، هو وجه الالتزام بالشكل وبالصورة الحسية والفكرية وبالكلمة التي تقرأ فتفهم ، وبالانغام التي ترتفع لمواكبتها التصورات والخيالات والعواطف او تستنفر في مقابلتها طبيعة الانسان ذاته على بساطة جوهره وعلى تركيب اعراضه وطلبة الحق والخير والمعرفة والجمال والحب في صفاء مراقيها في العقول وانعكاس أشباحها على مرآة الاذكار الاول القديم والمنطوي في ذهن الاجيال .

فالانسان لا يستطيع أن يفكر او يعرف او يشعر بدون شكل وصورة وكلمة ترافق الفكرة ، ووتيرة وايقاع ينسجم مع ايقاع الوجودية الحياتية ، العميقة جذورها في أغشيتنا وفي تلافيف دماغنا ، والنابضة في دمائنا وفي أعصابنا وفي أفئدة قلوبنا ، والمستبطنة لحافظتنا .

ولا ندري ما هو القصد من هذه الفنون التحليلية الحديثة في أوج لعب الانسان بالحرف والخط الصنم وفي فورة اللهو والعبث سوى وضع كئيب قلق للانسان الحديث يجعله يفتش عن ملجأ الفيل في الجرة ، أو عن نبضة الحياة في تفتيت نواة من النبات ، على حد المثل الهندي الشهير ، أو كمن يريد معرفة تكوين كف من الصلصال بتجزئته على التوالي والى غير حد ليرى سر الجمال فيه ، وهو لا يفطن ان الجمال البادي كان في الصورة المجتمعة وليس في الحبيبات التي تتألف منها هذه الصورة ، أو كمن يريد الكشف عن الروح والتعرف اليها في الانسان الميت بالتقصي عنها في أحشائه وفي دماغه وفي قلبه .

او لعلنا ـ فيما نراه من ازدهار للحرف والخط والهياكل الرمزية ـ فوق ما أشرنا اليه من ولوج الانسان الحديث في مجاري قعر قلقه ـ لعلنا فيما نراه من تصوير تحليلي ـ وفي موازاة العلوم الهندسية والجبرية المعبرة عن لون من الوان الوجود ـ لعلنا نكون في دور تطوير ابجدية عالمية شاملة جديدة .

وقصة الصورة ، كحديث القصة، لا تنضب على لسان ولا تفنى في مخيلة ولا يعدم لها وفاء . بها بدأت الحروف ذاتها صورا معبرة في روعة الجمال في مصر وفي الصين وفي اللغات السامية ذاتها .

وفي هذا المنطلق ، ان الانسان الحديث ـ في شطريه ـ هو اشد حاجة لانسان العالم الثالث اكثر مما نتصور ، لان هذا الاخير ، بالنسبة لبقاء ونمو حسه الاسطوري ، لا يزال اقرب الى استجلاء اهداف التطور واستشمار مقاصده واستقراء مضامينه ، في المراحل المقبلة علينا ، وهو أشد قربا من نبضة الطبيعة المكونة للوجود المتحول المنعكس في النفس .

فلا عجب ان كانت بعض اداب وفنون وعادات البلاد ، التي أسموها خطأ بالشعوب البدائية أو المتخلفة والحضارات الشرقية غزت وأخذت تمعن في غزو المدنية الغربية حتى في أساليب عيشها ، لان هذه الشعوب التي نسميها متقدمة أو تسمي نفسها كذلك تشعر بفراغ طالب وبحاجة لهذه الاداب والفنون بعد ان غمرتها موجة العقائد الاقتصادية والالة . ولكن وجه الخطل يقوم بأن تتقبل شعوب الغرب هذا النتاج المعنوي بروحها هي ، أي أحيانا بذهنية القلق الفاعل والتلهي والتبديل والتيه ، لا بروحية تلك الشعوب المستقرة التي أبدعتها . وهنا يكمن الخطر في عملية التلقي لان هذه الشعوب المتقدمة قد بعدت عن مصادر الرمز والاسطورة والاثارة ، فتضحى تعيش بين ماءين وتسبح بين جدولين ، دون انتظار الملتقى لكليهما ، والذي سيجتمع فيه المجريان للنبع الواحد ذاته .

وهذا الالتزام ببعث أفضل ما في الماضي من تراث لا يحجبنا في أي حال عن واجب اليوم المباشر ، وعن الالتزام بالنهضة التحررية في نضالنا : فلانسان العالم الثالث شيء كثير يجب أن يقوله الى العالم .

بل يكون ذلك حافزا لنا للمجابهة وللتحدي المعنوي الظافر وللدفاع عن حقوق الانسانية المعذبة فينا .. وهذه قضية فلسطين العربية المغتصبة الشهيدة تدق أبواب العالم وتتوجه الى وحي عدالة العقول وتستفوي المحبة في القلوب وتستنفر الشباب والنساء والكهول منا ليوم العودة والفداء . مليون وربع المليون من البشر يطردهم الاستعمار الاميركي البريطاني ليحل مكانهم شعوبا تنتمي الى مختلف الجنسيات والامم . وهذه صيحة شعوب عدن والمحميات العربية ثورة لا تهدأ ولا تتوقف ولا تغلب ..

وهذه الصرخة الداوية لشعب فيتنام البطل يكافح بدمه وبعقله وبأسطورة بطولته أكبر قوة عسكرية وجدت في التاريخ فينتصر ولا يقهر ..

وهذه مواقع الاستعمار والتمييز العنصري في افريقيا واسيا وقواعد الاستعمار الجديد في اميركا اللاتينية تناضل لاجل الحرية والحياة الكريمة والمساواة .

هذه في آدابنا وفي شعرنا وفي فنوننا منطلقات لحكايات وهج

الاساطير وانبعاثها حية في النفوس تروي صراع الانسان مع ابنـاء جبابرة الالة في ملاعب الدنيا والاخرة .

ولكن هذا الكفاح العملي المباشر سيجد له غذاء جوهريا وامدادا معنويا وقوة وطاقة عظيمة فيما يتوجب علينا ان نقوله لانفسنا وللعالـم من وحي حضاراتنا وثقافاتنا المتجددة المتطورة .

ولعل الازمة العابرة التي يعانيها تضامن الشعوب الافريقيـة الاسيوية في علاقاتها مع بعض الدول تجد لها مجالا للعمل في هـذا الاتجاه الوافر في التأثير وتنوع امداد حقوله ، ونعني في توضيـح مفاهيم انسان العالم الثالث على ضـوء تراثه القديم والمتجـدد . واذ ذاك يكون لادباء وشعراء وفناني اسيا وافريقيا الحظ في تلقيح العالم بافضل ما لدينا من نظرة متشعبـة غنية شاملة واصيـلة للانسان .

وفي هذا المنعطف يقع على عاتقنا ان ننبش كنوز حضاراتنا من مخابئها ، وبعضها لا يزال حيا .. متفاعلا متطورا كحضارات الشعوب الكبرى في اسيا ، وثقافات معظم بلدان اسيا وافريقيا . وبعضهـا كحضارتنا العربية يكفي أن نزيل عن سطح غطائها بعض رماد الاجيال المتراكم ، لكي تظهر على اروع ما تقدمت به من عطاء لكل جيل .

وبكلمة ان الانسان الحديث العادي ، لفرط مـا غشت عينيـه فكما انه لا يمكن ولا يجوز القطع والفصل بين الانسان وبين تراثه ، فـلا يمكن ايضا القطع بين الانسان وبين طبيعته .. او علـى شاكلة قـول طاغور بما معناه : « ان الشخصية البشرية هي غير متناهية .. وانـي لارى نفسي في جميع وجوهها » .

هذه هي رسالة العالم الثالث ، المتحـرر بمؤسساتـه واقتصاده وادبه وفنونه من القومية الضيقة على الشاكلة التي عرفتها اوروبا فـي القرن الثامن والتاسع عشر ، المتحرر مـن العنصرية ومـن مركب التفضيل وتمييز الاجناس ، المتحرر من الاستعمار فـي جميع اشكاله والوانه المعلنة والخفية ، والخبيثة والظاهرة والمتجددة .

ان مواكب الغد المأمول ستشهد دور انسان العالم الثالث فـي استنباط افضل ما في القرب ، فـي شطريه واختياريه ، وفـي تلقيح هذا المجتمع المتطور بخير ما لدينا جميعا من تـراث معنوي وانسانـي ونظرة واقعية وشاملة لمواجهات الانسان في تحقيق وجوده ، وذلـك لان رجل افريقيا واسيا لا يزال في عيشه وفي فطرته وفـي حضارته يمازج ويخالط ويعاشر الاسطورة في الحياة .. وهـل حيـاة كل منـا ، اذا ارتضيناها وتقبلها فرح الوجدان ، سوى ابرز واحلى الاساطير المقولة او المكتوبة او التي لم يتعمدها بعد خاطر الفنـان والتـي تنبع جميعها من وعي نفوسنا ورغبتنا في تصور الوجود ؟. وهـل الافكـار وطارقات الوحي والعواطف ذاتها التـي تتوالى وتتوارد ـ بالرغم منـا معظـم الاحيان ، وبارادتنا مرارا قليلة ـ على خاطر الحلم ولوح اليقظة العادية سوى رموز وتعابير مصورة ، ننكب على فراستها واستكشاف جذورهـا وتاويلها وتفكيك احاجيها والغوص في اعماقها ، كمن يرقب ويتابع فـي تنبهه جريان اسطورة دائمة اخرى نشعر ـ في مرتقى الشهود ـ وكأننـا عنها تماما غرباء .

وبعد ، اخذ الله بيدكم لاجل تتميم هذا الاجتماع في عبق نـدى الارز وفي بلـد عربي مستقل يعتـز بمشاركتـه وبنضالـه ، ولاتخاذ التوصيات ، التي يقتضيها واجب المواجهة والعدالة في عالم تحف بنـا اخطاره وتقلقنا هواجسه ، ويشوبنا سوء طالعـه فـي التسلح الدائب وفي ارادة التسلط والاستعمار وفي الانقسام ، وهم يبذرون علـى لعب ودمى اسلحتهم العادية والذرية ما يقرب من ماية وخمسين مليارا مـن الدولارات سنويا ، هذا بينما نصف لا بـل ثلث شعوب اسيا وافريقيا يتضورون من انعدام الغذاء ومن الحرمان ومـن التخلف الاقتصادي الشامـل .

طابت نزلتكم بيننا ووفادتكم على الرحب والسعة وفـق التقاليـد اللبنانية العربية والسلام عليكم ..

كمال جنبلاط

حركة التحرر الوطني
كما تنعكس في الأدب العربي اللبناني

بقلم حسين مروة
عضو وفد لبنان

- ١ -

في مقدمة هذا التقرير لا بد من ايضاح حقيقتين متلازمتين تكمل احداهما الاخرى بحيث تؤلفان — بالنهاية — حقيقة واحدة :

أولا : ان الكلام على حركة التحرر الوطني بالنسبة للبنان ، مرتبط ارتباطا عضويا وتاريخيا بالكلام على حركة التحرر الوطني بالنسبة للبلدان العربية جمعاء . فلبنان بلد عربي لغة وثقافة وتاريخا وجغرافية وتكاملا اقتصاديا ومصيرا . وهو — لذلك — لم يتفرد بدور مستقل تماما في تاريخ الحركة الوطنية التحررية منذ أبعد مراحلها حتى المرحلة الحاضرة ، بل كان دوره دائما متصلا بدور كل بلد عربي آخر ، رغم التفاوت في مستوى هذا البلد العربي وذاك ، وفي هذه المرحلة التاريخية وتلك ، من حيث حجم المشاركة الفعالة ونوعيتها وآثارها في الكفاح التحرري .

ثانيا : انه — بطبيعة ما تقتضيه الحقيقة الاولى — كان الادب اللبناني ، في مختلف مراحل الحركة التحررية ، جزءا من الادب العربي كله ، من حيث انعكاسات هذه الحركة في نتاجه ، شعرا كان أم قصة أم رواية أم مقالة أم مسرحية أم خطابة ، ومن حيث فاعليته في حركة النضال الوطني التحرري اجمالا .

- ٢ -

بعد هذه المقدمة الضرورية ، نشرع في النظر الى تاريخ الكفاح العربي في سبيل الاستقلال والتحرر ، والى تاريخ العلاقة بين حركة التحرر العربية والحركات التحررية في سائر بلدان القارتين : آسية وافريقية ، بل العلاقة بينها وبين حركة التحرر العالمية اطلاقا ، لنخلص من ذلك الى رؤية الادب العربي ، واللبناني بخاصة ، في تجاوبه مع حركة هذا التاريخ الكفاحي الطويل .

معارك الحرية في بلادنا العربية متعددة المراحل ، متعددة الاشكال والصيغ والمضامين ، وفقا لتعدد ظروف العدوان في التاريخ ، منذ القرون الوسطى الى هذه السنوات من القرن العشرين . ولكن رغم هذا التعدد ، كان الهدف دائما واحدا ، هو مقاومة العدوان ، وبالنهاية : امتلاك المصير الوطني بحرية لا يخالطها استعباد ولا اذلال. كان ذلك منذ غارة المغول البربرية التي اجتاحت رقعة وسيعة من الارض العربية ، واجتاحت مع ذلك جزءا عظيما من كنوز التراث الثقافي والحضاري الانساني الذي تعهده العرب ، ابان نهضتهم الكبرى بعد الاسلام ، بالاحياء والتطوير والتوسيع ، وطبع جانب منه بطابعهم الفكري والروحي .

على ان مقاومة العرب لهذه الغارة العاصفة ، لم تكن شيئا كبيرا بالقياس الى تلك المقاومة البطولية الضاريه التي وقفت نحوا من مئتي سنة بوجه الحملة الصليبية الآتية من الغرب تحت ستار الدين ، ولم يكن للدين منها نصيب سوى اتخاذه وسيلة الى أغراض كانت هي البذور الاولى للاستعمار الغربي في بلاد الشرق ، وكانت هذه الاغراض اقتصادية في جوهرها ، وسياسية وعسكرية في وسائلها .

وجاء الاستعمار التركي العثماني لبلاد العرب ، تحت ستار الدين كذلك ، ورغم اقامته فيها أجيالا طوالا ، لقي أشكالا من المقاومة في بلداننا ولا سيما لبنان واليمن في بعض العهود ، ثم اتسعت مسافة المعركة ضد الامبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى ، بحيث شملت المعركة اكثر أجزاء الارض العربية الاسيوية والافريقية ، الى أن انتهى الاستعمار العثماني ، وحل محله الاستعمار الغربي من جديد ، وافتتحت في بلاد العرب ، ومنها لبنان ، معركة تحررية جديدة ، وتحولت المقاومة ضد الفرنسيين المحتلين في لبنان وسورية بالاضافة الى بلدان المغرب العربي (تونس ، الجزائر ، المغرب) ، وضد المستعمرين الانكليز في مصر وفلسطين والعراق وأقطار الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية ، وضد المستعمرين الايطاليين في ليبيا — تحولت المقاومة هذه ، في معظم البلدان العربية ، الى ثورات مسلحة أو انتفاضات دموية ، حتى أحرز لبنان وشقيقته سوريا استقلالهما الوطني ، في مطالع الاربعينات، قبل أن تخمد نهائيا نار الحرب العالمية الاولى . وبقيت بلدان عربية كثيرة تكافح الاستعمار القديم بمختلف أشكاله، حتى أوائل الخمسينات ، اذ قامت الثورة المصرية (٢٣ يوليو ١٩٥٢) ، وما استقرت هذه الثورة ، وتمكنت جذورها من الثبات والتطور حتى اخذ يتحول مجراها الى الكفاح ضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد معا ، وبذلك أخذت الثورة العربية ، بمختلف جبهاتها ، تتحول الى هذا المجرى نفسه : في لبنان ، وسورية ، والعراق أولا . وكانت اواخر الاربعينات قد أحدثت ثغرة هائلة في الثورة العربية ، حين تمكنت الصهيونية العالمية ، بمعونة دول الاستعمار العالمي

الكبرى والفئات الرجعية العربية الحاكمة ، من تشريد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ووطنه واقامة اسرائيل في فلسطين قاعدة للاستعمار بشكليه القديم والجديد ، وانفتحت بهذه الثغرة جبهة جديدة في الثورة العربية . ثم ما كادت تنتهي الخمسينات حتى اتخذت الثورة العربية مضمونين متداخلين : مضمونا تحرريا وطنيا ، ومضمونا تحرريا اجتماعيا . بدأ هذا التحول في مضمون الثورة العربية منذ أعلن جمال عبد الناصر ، تأميم قناة السويس ، وما تلاه من احداث العدوان الاستعماري الصهيوني على مصر عام ١٩٥٦ ، وانتفاضة الشعب اللبناني ضد مبدأ أيزنهاور عام ١٩٥٨ ، وثورة ١٤ تموز العراقية في العام نفسه .

هكذا اتصل تاريخ الكفاح التحرري العربي قديمه وحديثه ، وهكذا كانت تتعدد جبهاته ، مرحلة فمرحلة ، ولكن معركة الحرية بقيت ، في بلاد العرب كلها ، معركة واحدة ، مترابطة ، متواصلة ، متعاونة ، لا تنفصل منها جبهة عن جبهة ، ولا يكافح خلالها شعب عربي منفصلا عن سائر الشعوب العربية .

- ٣ -

لم تكن الثورة العربية هذه ، يوما قط ، في معزل عن الثورة التحررية العالمية ، ولا سيما الثورة الافريقية الاسيوية التي لا تزال في امتدادها وتطورها العاصفين .

لقد كانت حركة التحرر العربية ، بمختلف مراحلها وتطوراتها ، على صلة بتيارات التحرر العالمية ، منذ بدأت تهب هنا وهناك ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى هذه السنوات من النصف الثاني للقرن العشرين . أما الثورة التحررية في القارتين الافريقية والاسيوية اللتين تدخل البلاد العربية في خارطتيهما معا ، فكان التفاعل بينها وبين الثورة التحررية العربية قائما وناميا باستمرار حتى أيامنا هذه .

ومن المصادفات التاريخية ذات المغزى الواقعي ان اول تعبير عن هذه الصلة الطبيعية بين حركة التحرر العربية من جهة وحركة التحرر الافريقية الاسيوية من جهة ، انما ظهر في الادب العربي ذاته قبل أن يظهر بأي شكل اخر من أشكال التضامن بين الحركتين . مثلا : حين كانت حرب البوير دائرة بين شعب افريقي يدافع عن حريته في أرضه وبين أوروبيين مستعمرين يشهرون السلاح في وجه هذا الشعب الافريقي المناضل ، كان هناك في القاهرة كاتب لبناني ، هو فرح أنطون ، يكتب في مجلته « الجامعة » الصادرة في القاهرة يومئذ ، سلسلة مقالات ينتصر فيها لشعب البوير ضد المستعمرين الاوروبيين . كان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر . وحين نشبت الحرب بين اليابان وروسيا القيصرية عام ١٩٠٥ ، وكانت اليابان الاسيوية تقاوم الجيش القيصري ببسالة وتنتصر عليه ، بادر الادباء العرب الى التعبير عن موقف التضامن مع الشعب الاسيوي الناهض ، وكتب « شاعر النيل » ، حافظ ابراهيم ، قصيدته المشهورة بعنوان « فتاة اليابان » التي عبر بها عن ابتهاجه بانتصار اليابانيين يومئذ ، مشيدا بنهضة هذا الشعب الاسيوي .

كان ذلك في الوقت الذي لم تشتعل ، بعد ، فيه ثورة التحرر الافريقية الاسيوية الشاملة المعاصرة . ولكن هذه الثورة ما كادت تظهر في القارتين ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى أخذت مبادرات التواصل والتفاعل بينها وبين حركة التحرر العربية ، تبرز بصورة متنوعة كان أبرزها تلك الصورة التي تبدو ملامحها واضحة في أدبنا العربي الذي كان يتأثر بكل انتفاضة وطنية تحررية في بلدان القارتين . فقد تغنى الادباء العرب ، مثلا ، بانتفاضة الشعب الهندي ضد الاستعمار البريطاني ، أيام زعامة غاندي ، اذ ظهر الكثير من قصائد الشعر العربي ، في لبنان والعراق ومصر وسورية ، وظهر الكثير من المقالات والقصص في تمجيد هذه الانتفاضة . وكذلك تأثر الادب العربي ، ومنه اللبناني ، بحروب التحرير الاسيوية الافريقية كلها ، ولا سيما حرب فيتنام البطلة في الوقت الحاضر .

وحين ظهرت أولى مبادرات التضامن بين شعوب القارتين في مؤتمر « نيودلهي » عام ١٩٥٤ ، كان الشعب العربي ممثلا في هذا المؤتمر الاول بمصر الثورة (ثورة ٢٣ يوليو) ، ثم جاء مؤتمر « باندونغ » عام ١٩٥٥ ، فاذا الشعب العربي يتمثل فيه بشكل أوسع فأوسع ، وكان وطننا لبنان بين البلدان العربية التي شاركت في هذا المؤتمر الذي كان الانطلاقة الكبرى لحركة تضامن شعوب القارتين الثائرتين ، ومن ذلك الحين اندمجت حركة التحرر العربية اندماجا عضويا في حركة التحرر الافريقية الاسيوية ، اذ أصبحت عضوا دائما وفاعلا في مختلف المؤتمرات والاجتماعات التي عقدتها حركة التضامن الافرو أسيوية ، من المؤتمر الاول للقانونيين الافريقيين الاسيويين عام ١٩٥٧ ، الى المؤتمر الاول لتضامن شعوب القارتين في ديسمبر من العام نفسه ، والى المؤتمر الاول للكتاب الافريقيين الاسيويين في طشقند عام ١٩٥٨ ، ثم المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٩٦٢ ، والمؤتمر الاول للشباب الافرو أسيوي عام ١٩٥٩ الخ ...

- ٤ -

هذا عرض تاريخي سريع لمراحل الكفاح الوطني العربي في العصر الوسيط وفي العصر الحديث ، ولمراحل التلاقي والاندماج العضوي بين كفاح العرب وكفاح شعوب القارتين الثائرتين ، فكيف كان انعكاس هذا الكفاح في الادب العربي بعامة ، وفي الادب اللبناني بخاصة ؟

اذا نحن رجعنا ، من جديد ، الى تاريخ النضال العربي في سبيل الحرية ، لنقف عند كل مرحلة من مراحله ، وعند كل جبهة من جبهاته ، وجدنا مكان الادب العربي والادباء

العرب، ومنهم أدباء لبنان، يبرز في قلب المعركة وعلى جناحيها دائما، ولو ان مجال هذا التقرير يتسع للسرد والتفصيل لرأينا مع كل مرحلة ومع كل جبهة وكل حدث نضالي أدبا عربيا يحمل طابع النضال في هذه المرحلة وهذه الجبهة وهذا الحدث، ولرأينا أيضا تضامنا عفويا بين أدباء البلاد العربية في التعبير المشترك عن كل نضال وطني يبرز في هذا البلد العربي أو ذاك، تدل هذه الظاهرة على شعور تلقائي عفوي عند هؤلاء الادباء، من أي بلد عربي كانوا، بأن انتماءاتهم الاقليمية ليست الا انتماءات جزئية بالنسبة الى الانتماء الكلي العربي المشترك بينهم جميعا.

لن نرجع الى تاريخ بعيد. يكفي أن نبدأ من النقطة التي انطلقت منها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حركة النهضة الفكرية العربية التي كانت هي، بدورها، منطلق الكفاح العربي التحرري في العصر الحديث.

ان لهذه النهضة الفكرية قصة تبدأ منذ بدات السلطات الحاكمة، وهي سلطات استعمارية أجنبية في أكثر الاحيان، تصب نار حقدها الاسود على أول مفكر عربي هتف باسم الحق والحرية. كان تلامذة جمال الدين الافغاني المنتشرون في معظم الاقطار العربية، حينذاك، من أكبر حلقات هذه القصة وأبرزها، وفيهم المسلم والمسيحي، وفيهم المصري والسوري واللبناني والعراقي.. ومن هذه القافلة الفكرية والادبية المناضلة: الشيخ محمد عبده، قاسم أمين (مصر)، عبد الرحمن الكواكبي (سورية)، فرح انطون، أديب اسحق (لبنان).

ويستمر الموكب الطويل في مسيرته الكفاحية، وتلمع في سجل النضال التحرري أسماء جديدة من أهل الفكر والادب في كل مرحلة، فهذا الشاعر محمود سامي البارودي يظهر مع ثورة عرابي في مصر، والشاعر حافظ ابراهيم مع ثورة مصر أيضا سنة ١٩١٩، وأحمد شوقي مع أحداث الكفاح العربي أينما حدثت، والزهاوي والرصافي والشبيبي (العراق) مع كل انتفاضة عربية أينما كانت، وخليل مطران (لبنان) مع مطامح التحرر في أي مظهر عربي ظهرت.

وفي الفترة الاولى من هذه النهضة الفكرية التحررية، سطع في أرض لبنان أسماء مفكرين مكافحين أحرار، أمثال المعلم بطرس البستاني الذي كافح الفتنة الاستعمارية الطائفية عام ١٨٦٠، وأحمد فارس الشدياق الذي أنار طريقا واضحا للنضال بوجه المستبدين، والى جانبهما طليعة فكرية وادبية وضعت للثقافة العربية الحديثة أسسها الوطنية المتحررة من العقد الاجنبية.

واثناء الحرب العالمية الاولى ترتفع على أعواد المشانق، في ساحات بيروت ودمشق، أعناق شهداء العرب من اللبنانيين والسوريين المناضلين في سبيل استقلال البلاد العربية عن الامبراطورية العثمانية، ومعظم هؤلاء الشهداء من المفكرين والكتاب والشعراء، أمثال الشيخ أحمد طبارة، وسعيد عقل، وعبد الكريم الخليل، وعمر حمد الخ..

قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها نبغ في لبنان أدباء يحملون راية التحرر من الاقطاعية السياسية والطائفية والاجتماعية ومن الاستبداد والظلم بمختلف أشكالهما، أمثال جبران خليل جبران، وأمين الريحاني الذي هتف بالجماهير العربية قائلا:

« ان أنوار العالم القديم على وشك الانطفاء كلها، فتيقظوا وراقبوا المصابيح الجديدة، وسيروا في مقدمة المستنيرين بأنوارها »، وهو امين الريحاني — الذي فضح عيوب الديمقراطية الاميركية المزيفة بوضوح وجرأة ومنطق. ثم يأتي من أصوات الادباء اللبنانيين المهاجرين في اميركا الشمالية صوت ميخائيل نعيمة الذي اكتوى بنار الحرب وعرف فجائعها بنفسه، حاملا أناشيد السلام والحرية.

وعرف لبنان في تلك المرحلة ذاتها شعراء تغنوا، في شعرهم، بمطامح شعبنا التحررية أمثال امين ناصر الدين، وأمين تقي الدين، وعادل أرسلان، وأديب مظهر، وبشارة عبد الله الخوري، والشيخ سليمان ظاهر الى جانب جماعة من المفكرين العاملين في حقل النهضة السياسية والاجتماعية والفكرية أمثال عبد الحميد الرافعي، والشيخ أحمد رضا، والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان »، وعارف النكدي، والشيخ حسن الاسير، والشيخ مصطفى الغلاييني، ونقولا فياض، والشيخ أحمد عباس الازهري وغيرهم..

— ٥ —

في سياق تاريخ النهضة العربية الحديثة، قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها، عرفنا الحركة الادبية والثقافية تنطلق من واقع الحركة الوطنية التحررية. بل يصح القول، بكثير من اليقين، ان النهضة الادبية كانت فاعلة في الحركة الوطنية أكثر منها منفعلة بها، وقد لا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا أن أهل الادب والفكر كانوا هم قادة تلك الحركة وروادها الاوائل. فان معظم الذين أسهموا في الحركة السياسية وفي الجمعيات السرية العاملة في سبيل تحرير البلاد العربية من الاستعمار التركي العثماني، كانوا من قادة النهضة الفكرية والادبية. وبالرغم من ان هؤلاء القادة الاحرار كانوا ينتمون الى عدة بلدان عربية، فان اللبنانيين منهم كانوا كثيرين بنسبة عالية.

والملاحظ ان حركة الادب العربي بصورة عامة واللبناني بصورة خاصة، كانت في تلك المرحلة وما سبقها، تعبر عن مطامح الحرية لدى الشعب العربي بطريقة عضوية وعاطفية، يغلب على بعض اقطابها طابع رومانطيقي، ولكنه منبثق من احساس هؤلاء الاقطاب بما يتحرك في أعماق النفس العربية الجماهيرية من تطلعات الى الخلاص من الكابوس الاستعماري الطويل الامد، والى الانتفاضات

الفجائية التي ينتظر منها أن تحقق الخلاص ذات حين .
وحين ظهرت الحركات العربية المسلحة ضد السلطة العثمانية ، أثناء الحرب الكبرى الاولى ، في الحجاز ثم العراق ، ثم سورية ، شارك فيها أدباء ومثقفون أخذت تبرز في أعمالهم الادبية روح الثورة بصورة جديدة ، وكان منهم في لبنان شعراء وكتاب ورجال صحافة شاركوا في أعمال مادية ملموسة ، وقد أشرنا الى بعضهم في ما سبق.

- ٦ -

في فترة ما بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، تغيرت صورة الكفاح التحرري العربي الى كفاح المستعمر الجديد ، الفرنسي والبريطاني والايطالي ، فنبت في الارض العربية أدب جديد خلقته المعركة الجديدة التي قابلت الغرب الاستعماري وجها لوجه ، اذ نشأ في لبنان مثلا أدباء من الشبان تحركت مواهبهم الادبية على صدى النضالات العربية هنا وهناك ، وهزت مشاعرهم الوطنية أصداء الثورة السورية المسلحة ضد الفرنسيين عام ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ . ولكن اشتداد الارهاب الاستعماري الفرنسي في لبنان ، بعد الفشل الذي أصيبت به تلك الثورة الباسلة ، جعل أدب هؤلاء الشبان يعاني الكبت والتمزق الداخلي ، ويستخدم أحيانا أساليب الرمز والايماء للتحايل على السلطات الاستعمارية .

في هذه المرحلة برز كاتبان لبنانيان من طراز خاص ، كلاهما ساخر ، وكلاهما مشبع الفكر والذوق بثقافة عربية وثقافة غربية فرنسية أدبية ، وكلاهما متصل بجذور شعبية عميقة ، أحدهما مارون عبود ابن القرية الجبلية ، وثانيهما عمر فاخوري ابن أحد الاحياء الشعبية المعارضة للاحتلال الفرنسي في العاصمة بيروت . مارون عبود كاتب مجد روح الاستقلال في شعب الريف اللبناني . وعمر فاخوري بدأ عهده الادبي في عزلة عن حركة الجماهير الشعبية ، ثم ارتبط بهذه الحركة أثناء الحرب العالمية الثانية ، والتزم الادب الكفاحي بوعي وحرارة وصدق حتى صار صاحب مدرسة في الادب السياسي التحرري الرفيع المستوى من الوجهة الفنية . وظهر بين الكاتبين نشاط أدبي متجدد الفكر والروح والاسلوب على أيدي جماعة سموا أنفسهم بـ « عصبة العشرة » كان بينهم الشاعر المبدع الياس أبو شبكة الذي لم تستطع نزعته الرومانطيقية أن تقضي على توثبه الوطني ، فكتب الى جانب أشعاره الذاتية أشعارا تتغنى بالحرية ، وترمز الى مطامح الشعب في التحرر والكرامة الوطنية .

أثناء هذه المرحلة بين الحربين ، كانت تعبر من وراء المحيط الاطلسي ، من بعض بلدان اميركا اللاتينية ، الى بلاد العرب ، والى لبنان بالخصوص ، قصائد مشحونة بالعواطف الوطنية التحررية ، تمجد الثورة العربية ، وتقذف حمم الغضب والحقد النبيل على المستعمرين وأعوانهم المحليين ، من رجعيين وانتهازيين . كانت قصائد « الشاعر القروي » ، وهو رشيد سليم الخوري ، المهاجر من وطنه لبنان الى البرازيل ، نموذجا حيا لتلك الاناشيد الحارة العابرة من وراء المحيط . وفي الوقت نفسه كان في لبنان فريق من الكتاب والادباء التقدميين أمثال المناضل فرج الله الحلو والشاعر رئيف خوري ، يشاركون في حركة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي في سبيل استقلال لبنان والبلدان العربية الاخرى . في حين كان الشاعر الجواهري في العراق ، وخير الدين الزركلي في سورية ، وابراهيم طوقان في فلسطين ، وأمثالهم في مصر والسودان ، يثيرون بقصائدهم الوطنية حماسة الجماهير العربية في كل قطر من أجل القضية المشتركة .

لا ندعي ان الادب في لبنان كان كله نضاليا يعكس حركة التحرر الوطني الشعبية ، بل كان هناك صراع بين نوعين من الادب ، في هذه المرحلة الهامة : نوع يخوض المعركة الى جانب الشعب ، ونوع يعتزل المعركة بمختلف الاعذار والمبررات . ولكن المعركة ذاتها فجرت أدبا كفاحيا ناشئا في المناطق اللبنانية وفي العاصمة ، اذ ظهر مثلا اسم الشاعر موسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد الله الحوماني في جنوب لبنان ، واسم عمر الرافعي وسابا زريق في شماله ، واسم أديب الزهيري في بيروت ، وأمثالهم .

- ٧ -

في اخريات الحرب العالمية الثانية ، في الاربعينات ، كانت الحركة الوطنية الاستقلالية تنضج وتقوى وتمتد في لبنان ، كما في سائر بلاد العرب . وتعاقبت الاحداث الهامة على هذا الصعيد . ففي ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ انتصر لبنان وسورية على المستعمرين وحلفائهم في معركتي الاستقلال والجلاء العسكري الاجنبي ، وشارك الادب هنا في النضال المنتصر ، وظهر بين الادباء الوطنيين اسم الشيخ عبد الله العلايلي ، والبير أديب صاحب مجلة « الاديب » التي جمعت حولها ، ذلك الحين ، فريقا كبيرا من الادباء الوطنيين ، الى جانب عمر فاخوري ورئيف خوري اللذين تقدم ذكرهما ، وكان قد ظهر اسم الدكتور جورج حنا ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور علي سعد ، وعبد اللطيف شرارة ، ومنير تقي الدين في كتابه « بين الاحتلال والاستقلال » ، ومحمد النقاش .

وفي عام ١٩٤٨ حدثت المؤامرة الاستعمارية التي انشأت اسرائيل قاعدة للاستعمار العالمي في قلب البلاد العربية ، فلسطين . أثارت هذه المؤامرة الرهيبة موجة جديدة من التفجرات الادبية في قلب المعركة الجديدة . فلما جاءت الخمسينات كان في لبنان صف طويل من الادباء الوطنيين القدامى والجدد الذين دخلوا المعركة هذه .
لقد حملت الخمسينات الى العالم العربي احداثا

كبارا هزت مشاعر الكتاب والشعراء اللبنانيين ، كغيرهم من الادباء العرب ، وايقظت فيهم وعيا جديدا لابعاد المعركة وآفاقها . وكان من نتاج ذلك أن تنادى الكتاب العرب ، من كل اقطارهم ، الى التجمع والتكتل في مؤتمرات واسعة النطاق . حدث ذلك لاول مرة في تاريخ الادب العربي المناضل . كان التلاقي بينهم قبل هذه المرحلة يتخذ صورته العفوية وحدها . أما في الخمسينات فقد اتخذ صورة واعية تقصد الى التنظيم الواعي . بدأ التجمع على هذه الصورة عام ١٩٥٤ ، اذ انعقد مؤتمران اثنان في هذا العام نفسه : أحدهما « مؤتمر الادباء العرب الاول » الذي انعقد في المصيف اللبناني « بيت مري » ، وكانت قضية « الحرية » الموضوع الاول والاهم الذي عالجه هذا المؤتمر ، ولكن المعالجة كانت متناقضة الاتجاهات ، بين ليبرالية ذات نزعة أكاديمية خالصة تتعمد الابتعاد عن أحداث الواقع العربي وتطوراته السياسية والاجتماعية ، وبين اتجاه وطني تحرري . ولكن برغم هذا التناقض بين الاتجاهين ، استطاع فريق من الكتاب الوطنيين اللبنانيين والسوريين وغيرهم ، ومنهم الدكتور سهيل ادريس الكاتب الروائي اللبناني ، والدكتور كامل عياد المفكر التقدمي السوري ، ان يوجهوا روح المؤتمر ، وسط الصراع العنيف ، وجهته الوطنية الى الحد الممكن ، واصدرت مجلة « الاداب » اللبنانية التي كان الدكتور ادريس أحد أصحابها يومئذ (استقل بها منذ عام ١٩٥٥) — أصدرت عددا خاصا بأعمال المؤتمر أبرز الجانب الوطني الايجابي منه .

أما المؤتمر الاخر الذي انعقد في العام نفسه (١٩٥٤) بمبادرة من « رابطة الكتاب السوريين » ، فقد انعقد باسم « مؤتمر الكتاب العرب » في دمشق ، وحضره نحو أربعة وعشرين كاتبا ومفكرا واديبا من لبنان ، في مقدمتهم المفكر الاديب الكبير الشيخ عبد الله العلايلي ، والكاتب القاص الناقد مارون عبود ، والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان » اللبنانية الوطنية ، والدكتور علي سعد الشاعر الناقد ، وبينهم الشاعر الفنان رضوان الشهال ، والدكتور علي شلق ، والكاتب أحمد سويد ، والشاعر حبيب صادق ، والقاص محمد عيتاني ، والقاص محمد دكروب ، وكاتب هذا التقرير وغيرهم .

تضمن جدول اعمال هذا المؤتمر ثلاثة اقسام : أدبي ، وسياسي ، وتنظيمي . تناول القسم الادبي : قضية الادب الجديد وتحديد معنى الجمالية والواقعية فيه ، وموقف الادباء من التيارات الفكرية المختلفة ، وتحقيق التاريخ العربي وفق المنهج العلمي ، والدفاع عن الثقافة الوطنية ضد الثقافة الاستعمارية وغير ذلك. وتناول القسم السياسي : قضية الحرية وعلاقتها بالفكر ، حرية الراي والنشر والاجتماع ، والدفاع عن الكتاب العرب ضد الاضطهاد ، وموقف الادباء من القضايا الوطنية والعالمية ،وقضية السلام العالمي .

لقد تطورت فكرة مؤتمرات الادباء العرب ، اذ تخلصت من الترددات الليبرالية والانعزالية ، وانصهرت في حركة التطور الوطني العربي والعالمي معا ، بفضل تطور الاحداث الوطنية والعربية ، لا سيما تطور الثورة المصرية (ثورة ٢٣ يوليو) بمواقفها الحازمة الحاسمة تجاه الاستعمار والاستعمار الجديد ، وبفضل نهوض الحركة الديمقراطية الوطنية في سورية بعد عام ١٩٥٤ .

في ضوء هذه الاحداث انعقد المؤتمر الثاني للادباء العرب في مصيف « بلودان » بسورية (سبتمبر ١٩٥٦). فكانت طبيعة القضايا التي عالجها انعكاسا حقيقيا للتطورات العربية بعد عامين أثنين من انعقاد المؤتمر الاول. لكأنما الزمن مشى جيلين كاملين بين مؤتمر بيت مري في لبنان ومؤتمر بلودان في سورية . فقد جاء المؤتمر الادبي الثاني ليؤكد ان التلاحم بين حرية الاديب وحرية شعبه أصبح قضية بدهية لا جدال فيها ، وليؤكد أيضا أن قضية العرب ووحدة النضال التحرري العربي قد تجمعت لها اسباب الوضوح والتكامل . ذلك ان هذا المؤتمر جاء في الوقت الذي تعاقبت فيه الاحداث العربية ، في مصر والسودان ، وفي الاردن وسورية ولبنان ، وفي معارك النضال البطولي في المغرب العربي ، وفي الجزائر بالاخص ، ثم في جنوب الجزيرة العربية وشرقها . جاء هذا المؤتمر وقد تكاملت الوحدة الشعورية النضالية بين الشعوب العربية ، فانصهرت فيها الخلافات والاتجاهات والمذاهب الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية ، عدا بعض الانحرافات الرجعية والانتهازية .. كان التمثيل واسعا وشاملا في هذا المؤتمر ، وكان الكتاب الوطنيون والتقدميون مشاركين فيه بفعالية بارزة ، واصدرت مجلتان لبنانيتان هما « الآداب » و « الثقافة الوطنية » عددين خاصين بالمؤتمر . وقد نوه وزير المعارف السورية يومئذ بكلمته أثناء افتتاح المؤتمر بمواقف لبنان الوطنية ، قائلا : « فمن لبنان العربي انبعثت انوار النهضة العربية الاولى ، وسيظل لبنان العربي مصباحا من مصابيح الفكر » .

عالج المؤتمر قضايا شاملة منسجمة مع قضايا التحرر الوطني الشامل يومئذ في حياة العرب ، واصدر توصيات هامة تؤكد هذا الانسجام ، ووجه نداء عاما الى الادباء والمفكرين في العالم يهيب بهم أن يقفوا مع أدباء العرب في نضال أمتهم العادل من أجل اعادة الارض المغتصبة الى الشعب العربي المشرد عن فلسطين ، ومن أجل وقف حرب الابادة الاستعمارية في الجزائر (قبل استقلال الجزائر) ، ومن أجل تحرير بقية أجزاء البلاد العربية ، ومن أجل أن تواصل الامة العربية العريقة مساهمتها الفعالة والمثمرة في اثراء الحضارة والمعرفة الانسانية .

وانعقد المؤتمر الثالث للادباء العرب (ديسمبر ١٩٥٧) في القاهرة ، اذ جدت ظروف جديدة مشحونة

— التتمة على الصفحة ١١١ —

رؤيا هنري

مستلهمة من لوحة « هنري »
للفنان الاميركي وليم فولكنر (*)

– ١ –

يا هذه العيون
مرآة أي عالم تراك
أي مشعل يضيء في قرارك
مدي لنا خيوط ضوئك الفريد
ننسج لنا من الخيوط سلما
يفضي الى
رحاب هذا المرفأ الامين
نحن الحيارى التائهون
نحن اليتامى الخائفون
تقوضت اركان ارضنا ولوثت
براءة الارض الوحول ، لا نقاء
لا حب ، لا صفاء
يعمر قلب ارضنا يا هذه العيون

*

ام أي نبع حب
يدفق تحت هذه العيون
نحن العطاش جف فينا النسغ
ماتت الجذور
تربتنا العقيم لا تغل ، لا تهب
أتى عليها الملح ، تحت الملح مات
كل خصب
لو قطرة من نبعك الحنون
لو قطرة تعيد خفقة الحياة
في البذور

*

ام أي رؤيا في قرار هذه العيون
رؤياك عالم معافى الروح مثل طفل
لم يلق فوقه التشوش المقيت
فضل ظل
رؤياك عالم صفت افاقه من الغيوم
وغسلت اعماقه بضوئها النجوم
انتصر الانسان فيه ، حطم السدود
ودمر الحواجز الصماء والحدود

– ٢ –

كدوحة راسخة بعيدة الجذور
تستشرف الافق
وقفت في وجه التشوش الغبي
لف عالما نزق
يغط في الضباب
يحوم فيه طائر الخراب
محملا بالرعب ، بالردى الكريه
كدوحة راسخة بعيدة الجذور
اطللت فوق عالم مزعزع نزق
مرتعد انسانه بالخوف بالقلق
النور في اغواره اختنق
ومرح الاعماق مات فيه

*

لكنما رؤياك في عينك لا تغيض
لا تنهزم ..
لا شيء يسحق الحلم ..
رؤياك نور خالد يفيض ، لا يغيض :
النصر للانسان ، للجلد
النصر للانسان ، للجلد

فدوى طوقان

من مجموعة « امام الباب المغلق » التي تصدر قريبا

(*) وليم فولكنر هذا هو غير الكاتب الاميركي المعروف .

قضايا التحرر الاجتماعي في الأدب اللبناني

بقلم رئيف خوري

بدأت قضايا التحرر الاجتماعي تبرز في الادب اللبناني مع تباشير عصر الاحياء والنهضة في القرن التاسع عشر .

ومعلوم ان الادب العربي جملة كان قبل هذا القرن أشبه بسفينة قديمة جمدت في خليج راكد المياه لا يطل الا على أفق محدود عليل الضوء . فلما كان هذا القرن أتيح لسفينة الادب العربي أن تتحرك لتنطلق في بحر متسع خفق موجه وانفتح على آفاق تومض بالانوار .

فان مظالم الامبراطورية العثمانية وسيرها نحو الضعف والانحلال وضغط الاستعمار الزاحف من دول أوروبا ويقظة الشعور بالحقوق القومية والوطنية في البلاد العربية ، وتفتح مسالك الثقافة بين شرق المتوسط وأوروبا كل ذلك قد أدى بفعل أو برد فعل في هذا القرن (أي التاسع عشر) الى دبيب حياة جديدة في عروق الادب العربي جملة والادب اللبناني خاصة ، اذ كان الادب اللبناني طليعة في موكب الادب العربي لاسباب منها موقع لبنان الجغرافي وطبيعة تركيب سكانه وجذوره التاريخية وأصالته في المشاركة الحضارية .

وكان من الطبيعي مع هذه الانطلاقة الجديدة ان لا تتراخى المدة حتى تصبح قضايا التحرر الاجتماعي هما مباشرا من هموم الكتاب والشعراء .

وهنا لا بد من تمهل لنلقي نظرة على المجتمع اللبناني في ذلك الزمن .

ان أوضح خصائص هذا المجتمع انه كان يستند الى الزراعة أولا ثم التجارة والحرف . وكانت أجود الارض اللبنانية (وهي ضيقة أصلا) ملكا للامراء والمشايخ ومختلف المؤسسات الدينية . وكانت الطبقات الوسطى من الاسر الفلاحة التي تملك أرضها المحدودة أو الاسر المتاجرة أو الحرفية التي تملك متاجرها ومشاغلها الصغيرة ضعيفة الثقل في ميزان النفوذ والتأثير في المصير .

وكثيرا ما اضطر اللبنانيون الى المهاجرة فرارا من الضيق الاقتصادي أو العسف السياسي .

ولم تكن أيدي المستعمرين العثمانيين او المستعمرين الاوروبيين أو حتى الهيئات ذات النفوذ المحلي لتتورع عن استغلال المذاهب الدينية المتعددة عند اللبنانيين ابتغاء تسعير الفتن الطائفية بينهم وقصدا الى مكاسب ومطامع سياسية .

وبعد ، فهل نحتاج الى القول ان الثقافة وما نسميه الخدمات الاجتماعية كانت مع هذه الاحوال بعيدة عن الانتشار والازدهار ، وان كل نصيب من الحرمان والاضطهاد يقع على الرجل كان يصيب منه المرأة قسمة أشد وأدهى ؟

ومن ثم وجدنا الادب اللبناني يتأثر بأحوال بيئته هذه تأثرا مباشرا قويا فيؤكد من قضايا التحرر الاجتماعي (والفكري بوجه عام) على تلك القضايا التي تعنيه بالحاح واصرار .

وطبيعي ان الادب اللبناني في تناوله هذه القضايا انفعل كذلك بالاحوال والاحداث في البلاد العربية وهي التي تربطها بلبنان أواصر من القربى لا انفصام لها ، كما انه انفعل بالاحوال والاحداث في العالم واستمد منها الكثير من النزعات والمثل .

قضية الارض

فمن أبرز قضايا التحرر الاجتماعي التي سبقت الى الظهور في الادب اللبناني قضية الارض التي اقترنت بمشادة عنيفة بين الفلاحين من جهة والمشيخة الاقطاعية الدينية من جهة أخرى ، وما العاميات المعروفة في التاريخ اللبناني ، ومنها عامية طانيوس شاهين سنة ١٨٤٨ ، الا مظهر من مظاهر هذه القضية الحيوية . ومن يقرأ قصص جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) : « يوحنا المجنون » و « خليل الكافر » وغيرهما يجد أصداء قوية ابتعثتها هذه المشادة الحادة حول الارض .

قضية التفرقة الطائفية

ومذ كان المجتمع اللبناني مؤلفا من طوائف متعددة ، وكانت أنظمة الحكم القديمة وآخرها الاستعمار العثماني وأنظمة الحكم التالية (الاستعمار الغربي) قد أورثت تركة قبيحة من التفرقة بين الطوائف تشجعها في أحيان الهيئات ذات النفوذ المحلي ، فقد دعت دواعي التحرر الاجتماعي الى أدب يكافح هذه الآفة السامة فيبشر بالتسامح ويسير على ضوء العقلانية في فهم الدين ويعري جذور التعصب من أغلفتها التي تلفف بها ، وما الشعار « الدين لله والوطن للجميع » الا صدى يلخص هذا النضال الادبي بوجه التفرقة الطائفية . والادب

اللبناني غني بالمفكرين الذين رفعوا عاليا راية هذا النضال وفي مقدمتهم المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ — ١٨٨٣) والدكتور شبلي الشميل (١٨٦٠ — ١٩١٧) وأمين الريحاني (١٨٧٦ — ١٩٤٠) وجبران خليل جبران .

قضية المرأة

وتبرز قضية المرأة كاحدى قضايا التحرر الاجتماعي الخطيرة في الادب اللبناني تناولها المعلم بطرس البستاني في محاضرة مشهورة سنة ١٨٤٨ دافع فيها عن وجوب تعليم المرأة ورسم منهجا بالمواد التي يستحسن أن تدرسها المرأة .

وشغلت قضية الظلم الذي تعانيه المرأة في عاطفتها وحياتها ثمرة الزواج القسري والمصلحي جانبا خالدا من قصص جبران خليل جبران : « الاجنحة المتكسرة » و « وردة الهاني » و « مرتا البانية » وغيرها .

ولم يلبث أن ظهر أدب يدعو الى مساواة المرأة بالرجل في جميع ميادين الحياة والاعمال على أساس حقوق متساوية لواجبات وتبعات متساوية ، الا ان هذا الادب ما زال يغلب فيه طابع التقرير والسرعة الصحفية على الخلق الفني .

ولما كان للمرأة اللبنانية المسلمة أوضاع خاصة فقد نشأ أدب اجتماعي خاص بها مثاله الادب الذي تعرض (في آونة) لقضية السفور والحجاب .

ومن الظاهرات التي يجب أن ينوه بها باعتزاز ان الحركة الادبية في لبنان بدأت تعرف في المدة الاخيرة أقلاما نسوية تكتب معالجة القضايا الاجتماعية ، وفي مقدمتها طبعا قضية المرأة . على ان الرؤية الاجتماعية الواضحة ما لبثت مرتبكة في هذا الادب الذي يثور بالقيود ويشكو القلق وينزع الى التفلت الا انه لا يهتدي الى الطريق .

قضية التعليم الالزامي المجاني

ظفرت قضية التعليم الالزامي المجاني باهتمام نخبة من الادباء في لبنان ، طليعتهم الاديب الارمني الاصل أديب اسحق (١٨٥٦ — ١٨٨٥) . ففي سنة ١٨٨١ أنشأ في جريدة التقدم البيروتية فصلا مطولا (لم يتمه ، نشر في مجموعة الدرز) نادى فيه بالزامية التعليم ومجانيته وانتقد الدولة (وهي يومئذ الدولة العثمانية) لانفاقها نفقات لا يوجبها العقل والمصلحة بما في ذلك الميزانيات الحربية الضخمة .

القضاء والسجون

واتسع اهتمام الكتاب اللبنانيين بقضايا التحرر الاجتماعي فشمل قضايا دقيقة كالقضاء والسجون . وأتوا في هذا المجال باجتهادات تسترعي الانظار لما اشتملت عليه من نزعة حديثة جدا ، فهذا الدكتور شبلي الشميل يكتب في سنة ١٨٩٨ في جريدة « البصير » المصرية فصلا بعنوان « القضاء على القضاء » (مجموعة الشميل) يبين فيه ان قصد الانتقام لا يصح أساسا للقضاء بل يجب أن يكون الاصلاح هو القصد . ويشبه اسراع القضاء الى الحكم بالاعدام باسراع الطبيب الى البتر في المعالجة مع ان البتر لا يجوز الا مع اليأس من شفاء العضو المريض . ويتعرض للسجون فيحمل على ما تمارسه السلطات فيها من تعذيب المسجونين وينتقد ما يسود الحياة فيها من شروط بعيدة كل البعد عن الصحة ، ويطالب بتحويل السجون الى شبه مدارس رعاية لمصلحة الاشخاص الذين كثيرا ما يجرمون بدافع اوضاع اجتماعية وصيانة لمصلحة المجتمع نفسه بمساعدة جميع أعضائه على أن يصبحوا نافعين .

قضية الحرية

وهذا الياس صالح (١٨٧٠ — ١٨٩٥) الشاعر اللبناني الذي اخترمته المنية في زهرة العمر ينظم أول قصيدة عربية يتغنى فيها بالحرية في وجه السلطة العثمانية ويقدسها من حيث هي حق انساني وحاجة لا يستغني عنها البشر . ومن دقيق ما في معاني هذه القصيدة التفريق بين النظام والحرية ، فما كل نظام هو الحرية ، واذا تعارضت الحرية والنظام فالحرية فوق النظام .

ولم يلبث هذا التناول العام لموضوع الحرية أن أدى الى التفصيل فتناول الكتاب والشعراء الحرية بجوانبها المتعددة ولا سيما حرية الفكر والرأي بحثا وقولا وخطابة ونشرا وكتابة وسددوا أسنة أقلامهم الى السلطات العابثة بهذه الحرية وبوجه خاص السلطات الاستعمارية التي تجد افضل مناخ مريح لها المناخ الخانق للاقلام .

قضية العدالة الاجتماعية

وتظهر في الادب اللبناني الحديث بوادر وعي حاد لحقيقة أساسية هي أن كثيرا من القضايا التفصيلية مع ما فيها قضية الارض والمرأة والتفرقة الطائفية والقضاء والسجون والحرية والزامية التعليم ومجانيته ، كلها تنطلق وتؤول الى القضية الكبرى : العدالة الاجتماعية الشاملة التي تضمن معها حقوق الفئات المظلومة في المجتمع وتحترم الانسان وتوفر له الوسائل والمجالات لتنمية طاقاته وبناء حياة مطمئنة سعيدة لا يفسدها الاحتكار وكوارث الحروب .

ولعل الدكتور شبلي الشميل هو بين المفكرين اللبنانيين الحديثين طليعة من يمثل هذه النزعة بوضوحها وجمالها .

فما كان يذيعه الشميل أن المجتمع سواء منه الشرقي أو الغربي يتخلله كثير من النقص واللاعقلانية في نظامه السياسي والاقتصادي ، وفي قيمة معتقداته . فلا بد فيه من تغيير . بل هو في الواقع يتغير لان ناموس التطور يسود المجتمع البشري أيضا . وسيقضي فيه على حكم الفرد المطلق ، وعلى سيطرة الاحتكار والمحتكرين ، لينشأ مجتمع أوفر حظا من العدالة والحرية والعقلانية ، يكون فيه الفرد مسؤولا عن الجماعة والجماعة عن الفرد .

وكان الشميل يرجع في كل تفسير الى العلم والمادة، والاحوال المادية ، والشروط الطبيعية ، والظروف الموضوعية واثرها .. حتى وقع احيانا في الاسراف ولم يسلم من نوع فج من المادية . الا انه على اي حال ساعد الفكر العربي المعاصر على الخروج من خبط لا طائل تحته في سراديب الغيبيات . وخدم الاسلوب العامي والجرأة والحرية في البحث خدمة جلى ، حتى ليصح القول ان كل مفكر حر في البلاد العربية مدين لهذا الطبيب اللبناني، النابغة الذي كان يكتب بعبارة سواء اكانت نثرية مرسلة او مسجوعة متأنقة فان فيها اثرا قويا من حيوية الاسلوب الادبي ومن حرارة النزعة الجدلية عند الكتاب الدعاة لمذهب يوقنون بصحته ويؤيدونه متحمسين .

ومن اللمحات التي أشرق بها ذهنه الوقاد ، وهو ينقض القول بأن الحرب ضرورية لتلافي الجموع وتكاثر السكان ، هذه الاسطر التي كتبها سنة ١٩٠٨ في فصل « الامم والحروب » ونشرتها جريدة «البصير» المصرية : « ان الارض لا تزال واسعة جدا على الانسان رغما عن تشاؤم المتشائمين واحصاء الاحصائيين ، تقوم بأوده مهما زاد في عدده الى أن يتاح له ركوب متن الهواء لافتتاح السماء والمهاجرة الى الاجرام السماوية والسفر اليها بمراكب الحقيقة بعد مطايا الاحلام » .

بعد الحرب العالمية الاولى

وبعد ، ان من الاسراف أن نقول ان قضايا التحرر الاجتماعي التي أسلفنا ذكرها وما أوردنا من تعليق عليها وما أثبتنا من أسماء الادباء يستنفد الموضوع . بل لا بد من الملاحظة ان اكثر بحثنا حتى الان ، اذا استثنينا بعض الاطلالات ، لم يخرج عن مواكبة الادب اللبناني في المدة بين القرن التاسع عشر وما بعد الحرب العالمية الاولى .

وبديهي ان الادب اللبناني بعد الحرب العالمية الاولى الى غمرة الحرب العالمية الثانية واصل تمرسه بقضايا التحرر الاجتماعي فظهرت في أفقه أسماء مضيئة كاسم الاديب التقدمي الكبير عمر فاخوري (١٨٩٦ — ١٩٤٦) .

وثمة حقيقة يجب التنبه لها في هذا الصدد ، وهي ان ملامح المجتمع اللبناني التي أشرنا اليها في القرن التاسع عشر قد تبدلت تبدلا عميقا تجلى في حلول الاستعمار الغربي محل السيطرة العثمانية وفي بروز الطبقة المالية على مسرح الحياة . ومن ثم قد تكون قضايا التحرر الاجتماعي في الادب اللبناني الحديث احتفظت بأسمائها السابقة ولكنها اكتسبت معاني أخرى من المرحلة التي واجهتها ، وباتت الى حد بعيد متوقفة على مصير المعركة مع الاستعمار . فلما كان الاستقلال أصبح المنطلق الاساسي لقضايا التحرر الاجتماعي يعني المكاسب الاجتماعية التي يرجوها الشعب من زوال نير الاستعمار وارساء دعائم الاستقلال . وفي أدب عمر فاخوري صدى قوي لتلك المكاسب الاجتماعية التي رجا الشعب تحقيقها ثمرة الاستقلال ، وقد لخص ذلك بكلمة مشهورة مؤداها بان الاستقلال اللبناني لا ينبغي له أن يكون استقلالا للدولة اللبنانية فقط بل للشعب اللبناني أيضا .

وبعبارة أخرى ، طرحت قضية العدالة الاجتماعية على صورة اكثر حدة وعمقا .

وظهر معها ان التفكير اللبناني سياسيا واجتماعيا لا يكفي فيه أن يكون لبنانيا فقط أو عربيا فقط كما يقول عمر فاخوري ، بل ينبغي فيه أن يكون عالميا أيضا . وذلك بمعنى تضامن قوى التقدم في العالم كله ضد قوى قائما على المصارحة والاستنارة المتبادلتين . ولنا ثقة بأن تجمعنا هذا ، تجمع الكتاب الاسيويين الافريقيين ، سيكون نموذجا مثاليا لهذا التضامن في حقل الادب والفكر .

خاتمة

يلاحظ في تاريخ الادب عامة ان الادب حين يتصدى عمدا ومباشرة للقضايا الاجتماعية لا يأمن ان يصبح مجرد أدب شعارات تردد أو أدب مقالات تقريرية فيفقد غناه وتنوعه في القوالب والاساليب الفنية ، كما يضعف فيه عنصر الطبيعة والتلقائية والعفوية وتتسطح فيه التجربة الانسانية .

وفي رأيي ان تجمع الكتاب الاسيويين والافريقيين يدعو لاجتناب هذا النقص بجهدين دائبين متسقين متكاملين يبذلهما في مؤتمراته : جهد في سبيل رؤية واضحة للقيم والمثل والمواقف التي يلتزمها الكتاب الاسيويون والافريقيون التزام اختيار ، وجهد في سبيل خلق أدبي غني بالقوالب والاساليب لتأكيد هذه القيم والمثل ونصرتها . وبعبارة أوضح ، أن القضايا والموضوعات ليست هي العنصر الاوحد في الخلق الادبي بل ان التفنن الذي به تجسد هذه القضايا والموضوعات عنصر لا يقل — ان لم يزد — أهمية . وذلك كي نتلافى مثل هذه الظاهرة الملحوظة في أدبنا اللبناني الحديث في الاونة الاخيرة ، وهي ان الادب المنطلق من رؤية واضحة أقل اثارة في جماليته الفنية من أدب التعبير عن القلق الضائع او عن المواضيع الحائدة المنقطعة .

رئيف خوري

الشاعر العربي المعاصر
وثلاثة مواقف إزاء الحرية

بقلم أدونيس

— ١ —

كيف أتحرر من سيادة الاجنبي ؟ كيف اوفق بين التراث والتجاوز ؟ كيف أوحد بين الحلاج ولينين ؟

هذه ، فيما يخيل الي ، أهم الاسئلة التي تشغل الشاعر العربي المعاصر . السؤال الاول يطرح مشكلة الاستعمار . والسؤال الثاني يكشف عن مشكلة العلاقة بين الابداع والتراث ، ويكشف السؤال الثالث عن كيفية التوحيد بين الثورة كفكر يغير ، والثورة كنظام يبني .

— ٢ —

يعاني العربي مشكلة الاستعمار منذ حوالى خمسة قرون . في الحقبة الطويلة سلب كل شيء ، الا جوهره الذي بقي نارا تشتعل تحت رماد الايام . وعاش العربي طوال هذه الحقبة ، بلا أرض ولا ثقافة : غريبا عن ملكه ، وغريبا عن ذاته . وفي بدايات هذا القرن أخذت النار الكامنة تظهر وتنمو وتنتشر كالعشب . ومن حظ الشعراء العرب الذين ولدوا في هذا القرن انهم نشأوا مع النار وكانوا جزءا منها . فالنصف الاول من هذا القرن ، بل هذا القرن كله ، ليس بالنسبة الى الشاعر العربي المعاصر، تطلعا الى الحياة بحد ذاتها ، بقدر ما هو تطلع الى الحرية. كان عليه أن يبدأ كل شيء . أن يتحرر من الخارج وان يستعيد شخصيته في الداخل . كانت الحرية كلا وكانت تعني له الانعتاق ، على مستويات الانسان والحضارة جميعا . وغلب عليها بادىء بدء طابع التحرر من سيادة الاجنبي ، والاستقلال ، والسيادة القومية ، وكان الشاعر العربي جزءا حيا في نسيج القوى التي تفجر حركة التحرر أو تغنيها أو تصفها . وكان ، فيما يرسم الحرية السياسية والقومية ، يرسم الحرية الاجتماعية والفكرية . وكانت الكلمة ذاتها تتوتر تحت ريشته وتنعتق تماما كما تتوتر حياته وتنعتق . كان يحطم القيود في الموضوع والتعبير معا . وهكذا رافقت الثورة على سيادة الاجنبي الثورة على سيادة التقاليد والاوضاع الفاسدة ، سواء في الحياة أو الثقافة .

وقد ورثنا ، نحن هذا الجيل الحاضر من الشعراء، عبئا كبيرا مزدوجا : ايصال التحرر من الخارج وهو لما ينته ، الى تمامه بالتحرر في الداخل ، وابتكار أشكال وصيغ نامية جديدة لحياة آخذة بالنمو والتجدد . وجاءنا هذا العبء لحظة يتعمق الصراع مع السيادة الاجنبية ، ويتعقد ، اذ ينقلب الى صراع خفي ، بوجوه متعددة وأقنعة متعددة . ويرى جيلنا الشعري الى حياته كيف تنشق من جديد ، وكيف انه يخوض معركة يحارب فيها أجنبيا يتقنع هذه المرة بقوى عربية ، محميات أو محظيات، يزركشها الاستعمار العشيق بالمال والسلطان كالدمى . ويكتشف جيلنا ان خياره هو بين أن يتحول الى دمية أو يكون انسانا .

— ٣ —

فيما يخوض الشاعر العربي هذه المعركة مع السيادة الاجنبية ، يخوض معركة التحرر من القوالب السلفية التي تحاول بدورها ، أن تشله وتعزله عن حركة التاريخ، وعن التغير ، وتبقيه في أبدية الثبات . هذه القوالب السلفية في الفكر والحياة معا ، تتحول الى دعائم تشارك، بشكل أو آخر ، في الحيلولة دون تحقيق التحرر الكامل، أي تشارك في تمكين السيادة الاجنبية من الاستمرار ، بشكل أو آخر .

تتجسد هذه القوالب السلفية في قوى الرجعة والتقليد ، وهي ما تزال تسيطر الى حد كبير على الحياة العربية . هذه القوى لا ترى كمالا الا في الماضي . فليس التقدم عندها في السير نحو المستقبل ، وانما هو في العودة الى الماضي . مثلها الاعلى نظريا هو الايمان المطلق بكمال الماضي . وهو ، عمليا ، الخضوع للمؤسسات السياسية أو الدينية أو الاجتماعية التي تمثله .

ولئن كان الابداع كشفا ، فان المبدع اذ يرفض حياة الرجعة والتقليد ، ينقدها ويعريها ، بحيث تبدو على حقيقتها . لكن هذا يزعزعها ، لانه يكشف أبعادا تريد أن تبقى مطموسة ، لئلا تفقد طمأنينتها وتوازنها . هكذا تؤثر الجهل والكذب والرياء ، وتفضل الثبات . كل ابداع تغيير ، أو دعوة اليه . وهو ، جوهريا ، صدق . ومن هنا تنفر قوى الرجعة والتقليد من المبدعين ، وترى فيهم هدامين وفوضويين وتعمل على عزلهم .

هكذا تكافح ، بمختلف الوسائل ، لكي تفرض عالم القبول : يتعطل الحس النقدي ، ويبطل التمييز بين القديم

والجديد ، الماضي والحاضر ، الثبات والتغير . ويسيطر كمال الماضي وقيمه . ويذوب كل ابداع فيها ، لكي يتم القضاء على كل بدعة أو خروج على السلف . ولا تعود هناك حاجة الى الكشف ، أو الى آفاق فكرية جديدة . وتنعدم التجارب الشخصية ، وتنعدم الحرية .

وتجد قوى الرجعة والتقليد في نظرية الشعر لذاته ، ما يفيدها لانها تجد في كثير من الشعر الذي يصدر عنها ما يوفر المتعة والتسلية ، وما يلهي . فالشعر، بحسب هذه النزعة ، لا يكتب لكي يقدم رؤيا جديدة ، أو يفتح أفقا جديدا ، أو يعبر عن تجربة اسانية جديدة . وانما يصنع خصيصا لكي يقدم طرفا ومصوغات . وهو ، لذلك ، يدور في اطار ذهني تجريدي ، خارج الحياة والتاريخ . الشعر هنا لا يعبر أو يشارك أو يرى ، بل يمنطق ويصف ويصطنع . وقوام الشعر هنا هو اللعب لا الواقع ، والكلمة لا الانسان . واذ تنعزل الحركة عن الواقع ، تصير تكرارا فارغا . واذ تنعزل الكلمة عن الانسان تبطل أن تكون وسيلة ابداع وتفجر لتتحول الى وسيلة صنع وزخرفة .

هكذا يبدو ان جوهر هذه النزعة هو القالبية والثبات . وهي تؤدي الى أن يصبح العالم لعبة ، والى أن تمتزج الحرية بالاعتباط . ومن هنا تؤدي بمن يصدر عنها ، الى أن يحيا هامشيا ، بلا مسؤولية ، في معزل عن عصره وأحداثه ، وعن الانسان نفسه . وهي ، بالتالي ، تولد الشك في معنى الشعر ذاته ، أي في الحرية ذاتها . فهي تصبح شكلية : دمية ، ليس لها أي بعد أو انغراس في الحياة . تصير حرية استمتاع واستسلام . وتلتقي الشكلية الجمالية هنا مع التقليدية القالبية في التشكيك بالتغير والثورة ، وفي فصل الشعر والشاعر عن الحياة والانسان ، وابقائهما في اطار زخرفي تزييني ، خالص . ذلك ان الشكلية الخارجية لا تعني في التحليل الاخير شيئا غير التكرار ، أي غير حالة من الثبات – النظام تأسر الشاعر في أقفاصها البراقة . وفي هذا الاسر لا يعود الشاعر الا صدى أو رجعا لآلية هذه الحالة .

– ٤ –

التاريخ هو التغير . تاريخ الشعر هو أشكاله الجديدة . تاريخ الحساسية الشعرية العربية هو تغيراتها . حيث لا يكون تغير ، يكون الانسان واقفا والزمن واقفا : يكون الانحطاط . والتغير هنا كلي : أفقي وعمقي في آن . تغير في البناء والعبارة والتركيب الخارجي . وتغير في النظر والرؤيا . ويبدو لي ان البعد الاساسي الذي يتخذه هذا التغير في الشعر العربي المعاصر ، هو ما يمكن أن أسميه **التخييل** . وأعني بالتخييل القوة الرؤياوية التي تستشف ما وراء الواقع ، فيما تحتضن الواقع . أي التي تطل على الغيب وتعانقه وتتمازج معه فيما تنغرس في الحضور . الشعر هنا رباط خلاق بين الحاضر والمستقبل ، الحضور والغيب ، الزمن والابدية ، الواقع وما وراء الواقع .

على ان هذا البعد سيغير المقاييس والقيم لانه يفتح فيما وراء الاشكال والصيغ عهدا جديدا من التجربة الابداعية في الشعر العربي . أعني ان الابداع لن يمكن تقييمه بمقاييس الماضي ، وان الطريقة النقدية التقليدية في فهم الشعر الجديد وتقييمه ستكون باطلة لا تجدي . فلكل ابداع جديد تقييم جديد . لكل رؤيا جديدة فهم نقدي جديد . ستكون قيمة النقد متعلقة بقدرة الناقد على الغوص في التجربة الجديدة بحد ذاتها ، وضمن حدودها ، وفهمها واستخلاص مغناها ، وتقييمها . وهذا يعني ان الناقد الجديد مسوق الى أن يلغي من ذهنه الشعر من أجل أن يثبت الشاعر : ليس هناك شعر وانما هناك شعراء . وبقدر ما تكون تجربة الشاعر فريدة أي بعيدة عن الماضي ، ستكون علامة على الاصالة والتغير ، أي قريبة الى الماضي في الوقت ذاته . فبين الشعر العربي الجديد والشعر العربي القديم صلات أعمق وأغنى مما بينه وبين الشعر العربي المعاصر الذي ينسخ القديم ويكرره . فالتاريخ هناك حي ، وكذلك الزمن والانسان . والتاريخ هنا واقف ميت ، وكذلك الزمن والانسان .

واذا كان هذا يؤكد حرية الشاعر ازاء الماضي ، فهو يؤكدها ، بالاحرى ، ازاء الحاضر . والسؤال الذي يشغل الشاعر على هذا المستوى مزدوج : كيف يحدد علاقته بالماضي ونظامه ، وبالحاضر ونظامه . او بعبارة ثانية : كيف يفسر الشاعر تجاوز الماضي من جهة ، وكيف يحدد علاقته بالثورة – التغير ، وبالثورة – النظام من جهة ثانية ؟

ان تجاوز الماضي لا يعني تجاوزه على الاطلاق ، وانما يعني تجاوزا لاشكاله ومواقفه ومفاهيمه وقيمه التي نشأت كتعبير تاريخي عن الحالات والاوضاع الروحية والثقافية والانسانية الماضية ، والتي يتوجب اليوم أن يزول فعلها لزوال الظروف التي كانت سببا في نشوئها . فلم يعد الشاعر العربي ينظر الى الماضي كنموذج للكمال ، أو كقدسية مطلقة . صار يهمه بقدر ما يدعوه الى الحوار معه ، وبقدر ما تبدو الطريق التي فتحها طريقنا ، نحن اليوم كذلك ، وبقدر ما يضيئنا ونحن نسير في عتمات الحاضر ، صوب المستقبل . هكذا يؤخذ الشاعر العربي الجديد ، من أصوات الماضي ، بتلك التي تعانق المستقبل فيما كانت تعانق حاضرها وتعبر عنه . فمثل هذه الاصوات مفتوحة أبدا للحوار والنمو والفعل ، بحيث اننا لا نقدر في تفكيرنا اليوم الا أن نتلاقى بها ، ونفيد منها ، ونتفاعل معها . وفي هذا لا نعاكس المجرى الذي يحفره نهر الابداع في اتجاه المستقبل ، وانما نصبح كمن يسير في هذا المجرى بفتوة أبدية .

أما من ناحية العلاقة بين الشعر والثورة ، فان علينا

أن نميز بين الشعر من أجل الثورة ، والشعر الثوري ، أو الشعر ــ الثورة .

ان الشعر الذي لا يطمح الى أكثر من أن يخدم الثورة ويفيدها ويقلدها ، واصفا منجزاتها وأهدافها بتفاؤل يصل أحيانا الى درجة السذاجة ، شعر يخون في النهاية روح الثورة ومعناها ، ويخون روح الحرية ومعناها . يخون الثورة لانها بطبيعتها في حاجة دائمة الى اعادة النظر في خطواتها ، الى التجدد لكي لا تجمد في المؤسسات والمنجزات **وتصير ماضيا** . والثورة لا تتجدد الا بقوة نقدية خلاقة ، تمنحها بعدا جديدا أو تدخل اليها دفعة جديدة . فهي لا تتجدد الا بالابداع والحرية ، بروح التساؤل والبحث والتخطي : بالشعر الذي يبدأ دائما ــ يحرك ، يثير ، يوحي . فالشاعر ثائر بالطبيعة ، وليس شاعرا من ليس ثائرا . فلا يقدر الشاعر أن يكون الا مع التغير . والخطر الذي يواجه الثورة هو انها منذ أن تصبح نظاما تصبح سياسة . والسياسة قد تقبل كل شيء كل لحظة . بينما الشعر يعيد النظر ، كل لحظة ، في كل شيء . والسياسة تعنى بالعمل ، في حين يعنى الشعر ، بالكشف . وتهتم السياسة بالتنظيم والدعاوة ، ويهتم الشعر بتهديم الاطر الجامدة والتطلع الى مجال أرحب . وللشاعر الحلم والرؤيا ، وللسياسي التخطيط والتطبيق . والحرية للشاعر مطلقة ، وهي للسياسي صيغة أو معادلة أو وعد .

ومما يجب ان نذكره في هذا الصدد ان انعدام هذا التمييز لا يؤدي الى تشويه الشعر وحسب وانما يؤدي كذلك الى تشويه الحرية . فثمة شعراء يشردون أو يضطهدون ، بشكل او آخر ، وثمة شعراء يسكتون ، بشكل أو آخر ، على هذا التشريد وهذا الاضطهاد . وفي ذلك ما يوحي بأن الثورة التي قامت على الحرية لا تقدر أن تستمر الا بخنق الحرية . وكما ان الثورة هي ثورة بالحرية أولا ، فان الشاعر شاعر بالحرية أولا . لست شاعرا حرا ان كنت وحدي ، في وطني ، أتمتع بالحرية. فلئن كان وجود الانسان يقاس بمدى حريته ، فان حريته تقاس بمدى حرية الاخرين . فالشاعر الذي يستمر في كتابة الشعر صامتا على الطغيان حوله ، يكون مشاركا في هذا الطغيان . والحرية **كل** : فلا تكتمل انسانية الانسان ما لم تكتمل حريته . والحرية كالابداع تبدأ دائما . اذ يبدع الشاعر قصيدة لا يخلق لغته من جديد وحسب ، وانما يخلق الى ذلك ، شخصيته من جديد . وحين تعلق هذه البداية الدائمة أو ترجأ أو تعرقل ، فان ذلك يعني تعليقا لوجود الشاعر نفسه ، او ارجاء ، أو عرقلة . وكيف ننشىء وجودا صحيحا حرا ، بوجود معرقل مقيد ، بوجود لم يبدأ ؟

ــ ٥ ــ

فيما يعاني الشاعر العربي المعاصر هذه المشاكل التي تكشف عنها تلك الاسئلة الثلاثة ، يتوحد بالثورة والحرية ، بالثورة ــ الحرية التي تحرك الواقع وتغيره ، والتي تتخطى عناصرها ذاتها : البروليتاريا والدولة وقيم التاريخ والطبقة والثقافة ، الى رؤيا حياة بلا طبقات ولا دولة ، حيث تنتهي سيطرة الانسان على الانسان وتسود أخلاق الحرية والمسؤولية الشخصية ، بديل أخلاق السلطة والعقاب ، ويصير الشعر عملا آخر ، والعمل شعرا آخر .

وكما ان الشاعر والثائر واحد ، كذلك الشعر والثورة واحد . الثورة فعل برؤيا ، والشعر رؤيا بفعل . معا يوقظان الحاضر ويقودانه الى عناق ما يأتي .

وما يأتي انسانية عادلة مبدعة حرة . انسان يعيد ابتكار كل شيء فيما يمد جذوره في الآتي بلا نهاية. وفي هذه البقعة العربية كثير مما يغذي فينا هذه اللانهائية . هكذا يتحد الشاعر بدفعة الحياة، فيما وراء المنطق والعقل، حيث تصبح الطبيعة كائنا لينا ، يسمعه ويستجيب له . فهي أرض ولادة ونبوة . والانسان فيها مسكون فطريا بالغيب أي بالمستقبل وما وراء الواقع . المعلوم عنده عتبة لغير المعلوم . النهاية مدخل الى اللانهاية . هكذا يتحدث مع الحجر ، يمتطي الهواء ، ويسير على الموج . يوقظ الاسرار النائمة في الاشياء ، ويحركها لكي تتفتح وتقبل الينا . يغير نظام العالم ، ونظام الكلمة . فليس شاعرا من لا يكون تغيير العالم في أساس حدسه ورؤياه : من لا يكون ثائرا .

هذا الشعر الثورة ، هو شعر الحركة والتغير والتخطي ، شعر الواقع الشامل الذي يفتت عصرنا الميت لغاية واحدة : أن يولد عصر جديد آخر .

أدونيس

قضايا التحرر الوطني في الأدب العربي

بقلم الدكتور زكي نجيب محمود

— ١ —

لم يكد المستعمر البريطاني يمس الارض العربية في مصر (١٨٨٢) حتى انعكس حضوره على الادب في صور شتى من المقاومة ، يمكن تقسيمها من حيث الصفة الغالبة عليها مراحل ثلاثا ، كان للمقاومة في كل مرحلة منها خاصة مميزة ، اما المرحلة الاولى فقد امتدت من لحظة الاحتلال الى نهاية الحرب العالمية الاولى ، جاءت المقاومة خلالها تنبيها مباشرا للناس أن يستيقظوا للخطر الداهم ، الذي أحاق بالوطن والعقيدة ، واما المرحلة الثانية فقد امتدت خلال فترة ما بين الحربين ، وفيها أضيفت الى الادب السياسي المباشر ، الذي اشتعل بالدعوة الى الحرية والاستقلال عقب الثورة الوطنية عام ١٩١٩ ، أقول انه قد أضيفت الى هذا الادب السياسي المباشر خلال المرحلة الثانية بحوث في الحرية من حيث هي كذلك ، كائنة ما كانت جوانبها وميادينها ، وسرعان ما ألحقت بهذه البحوث النظرية ، سير لابطال الحرية تجسدت للناس معانيها في رجال عاشوها ، وقد اختير هؤلاء الابطال من الغرب تارة ومن التاريخ العربي تارة ، ثم جاءت المرحلة الثالثة لتمتد من الحرب العالمية الثانية الى يومنا هذا ، منقسمة شطرين : في أولهما كان الاستعمار عسكريا سافرا ، وفي ثانيهما أخذ يتسلل في خفاء الى حياتنا الفكرية بغير جند ولا سلاح ، على ان المقاومة — كما انعكست في الادب — خلال هذه الفترة الثالثة بشطريها، قد اتسمت بطابع واحد متصل ، هو طابع ايجابي بالقياس الى الطابع السلبي الذي ميز المرحلتين الاوليين ، اذ اتخذت المقاومة هذه المرة طريق البناء لثقافة جديدة ، تحمل خصائصنا القومية الاصيلة ، وتفتح ابوابها — في الوقت نفسه — لعوامل التطور الحضاري الحديث ، وذلك رغبة منا في تقرير ذواتنا ، وتحصين وجودنا الشخصي المتميز الفريد .

ولم يكن الادب العربي في مصر ، خلال هذه المراحل الثلاث جميعا، ليقصر مقاومته على أرض مصر وحدها ، منزوعة من الوطن العربي الكبير ، أو معزولة عن حركات التحرر التي أخذ مداها يتسع في أرجاء مختلفة من اسيا وافريقيا ، بل كانت الامة العربية بأسرها هي مجال الكتابة عند الكاتبين ، كما كانت البلاد الاسلامية ، وكل بلاد اخرى تطالب بحريتها من مستعمر غاصب ، موضوعا لا يغيب عن سياق الحديث ، كلما مس الحديث قضية من قضايا التحرر الوطني .

— ٢ —

احتل الانكليز أرض مصر ، فرحل عنها جمال الدين الافغاني ، ونفي الشيخ محمد عبده ، ثم ما لبث القلبان ان التقيا معا في باريس ليصدرا جريدة العروة الوثقى ، ناطقة بالدعوة الى مقاومة الموجة الاستعمارية العارمة التي أخذت تطغى على أقطار الشرق بعامة ، والى تحرير مصر من الاحتلال البريطاني بصفة خاصة ، وان القارىء ليطالع على صفحات الاعداد الثمانية عشر التي صدرت من العروة الوثقى — وقد صدر العدد الاول قبل أن ينقضي على الاحتلال البريطاني عامان — صيحات قوية تنبه من غفا وتوقظ من استنام : « انا لو نادينا الغافلين ان انتبهوا ، والنائمين ان استيقظوا ، واللاهين بحظوظهم أو أمانيهم وأوهامهم أن التفتوا ، ولو أنذرنا أهل مصر بأن الانكليز لو ثبتت اقدامهم في ديارهم ، تحاسبوا الناس على هواجس أنفسهم ، وخطرات قلوبهم ، بل على أستعداد عقولهم لما عساه يخطر ببالهم ، لقال الناس اننا نبالغ في الانذار ونفرق في التحذير » (العدد الخامس من العروة الوثقى) .

وحسب القارىء أن يقرأ المقالة الاولى من العدد الاول — وكان عنوانها « مصر » — ليرى بأي بلاغة عربية مبينة ، وصفت حالة البلاد عندما أخذت أصابع المستعمر تعبث بأمورها : « وأسفاه على حالة الاهالي بعد هذا . حكم من لا دافع لحكمه بطرد الاف من الوطنيين الموظفين في دوائر الحكومة ، وما منهم أحد الا ويتبعه عائلة وأولاد ، ولا قوت لهم الا من مرتب عائلهم ... ان صدى أنينهم يتلى في صفحات الجرائد الوطنية العربية والافرنجية ، وسيتبع السابقين منهم اللاحقون، حتى لا يجد وطني منهم في البلاد من المهن ، الا ما يليق بالانكليزي تعاطيه من سفاسف الامور ، كما هو في البلاد الهندية . وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية ، والاخذ بالشبه — وان ضعف — واتباع بواطل التهم — وان بعدت او استحالت — حتى أخذ الفزع من القلوب مأخذه ، وبلغ منها مبلغه ، فلا يرى مارا بطريق الا وهو يلتفت وراءه لينظر هل تعلق بأثوابه شرطي يقوده للسجن ، أو يقتضي منه فداء ، وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر في كل خطوة عثرة ، وفي كل نهضة سقطة ... أي شقاء ينتظره في حياته أشنع من هذا » .

بمثل هذه النذر المفزعة الصريحة ، أخذ الافغاني ومحمد عبده يتعاونان على اطلاق الصيحة الاولى من خارج البلاد ، لتجاوبها في داخل البلاد اصداء تبلغ رسالتها وتزيد من قوتها ، فها هوذا عبد الله النديم (١٨٤٥ — ١٨٩٦) الذي أطلقت عليه صفات تدل على الدور الذي أداه في اليقظة الوطنية اذ أطلق عليه « خطيب الشرق » — وقد كان اول خطيب مصري يخطب قومه في شؤون السياسة — كما اطلق عليه « محامي الوطن » . لقد استخدم النديم في اداء رسالته كل فنون الادب من زجل وشعر الى مسرحية وقصة ، ثم الى المقالة والخطابة ، وفي نسبة هذه الفنون عنده بعضها الى بعض يقول احمد تيمور : « أما شعره فأفل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا » ، على ان ما يهمنا هنا من اثار النديم أدبه المكتوب ، ومقالاته الصحفية اللاذعة ، خصوصا ما ورد منها في مجلة « الاستاذ » ، التي صدرت في عهد الاحتلال الانكليزي ، والتي لم يلبث الانكليز ان طالبوا باغلاقها ، لشدة ما جاء فيها من هجمات النديم على خصوم الوطنية والعروبة والاسلام ، فكان مما قاله عن الدولة الغاصبة انها وضعت معظم الادارات في أيدي الاجانب ، حتى لا تمكن المصريين من اصلاح بلادهم ، فاختلت البلاد ، « فان كان مرادها افساد البلاد فقد أفلحت ، أما اذا كانت تريد صلاحها ، وتسليمها لابنائها ، فكيف يحدث ذلك ، وهي لا تستعمل أبناءها في الحكم ، وتبعدهم عن الادارات ؟ » وفي مقال له بعنوان « هذه يدي في يد من أضعها » يقول انه اذا لم يضع يده في أيدي مواطنيه المخلصين ، « فقطعها خير من وضعها في يد أجنبي يستميلك اليه بوعود كاذبة ، وحيل واهية ، يظهر لك سعيه في صالحك ، وحبه لتقدمك .. ويصور لك الاباطيل في صورة حقائق ، حتى يخدعك بها ، ويحول افكارك الشرقية الى افكار

غربية تأخذها ، وتقول بها ، فتكون يده القوية وعونه الاكبر على ضياع حقوقك ، واذلال اخوانك واحتلال بلادك » .

وكان من اللمحات النافذة عند النديم اشاراته المتكررة الى ضرورة التعليم وضرورة قيام الصناعة ، لانه ما اغتصب غاصب ارضنا الا بسبب جهالة ابنائها او بسبب انصرافهم عن الصناعة « لان الانصراف عن الصناعة هو انصراف عن العلم » ، « ان التهور والثورة مع الجهل والفراغ من المعدات ، لا يفيدان الا الخذلان » ، ولا نجاح لثورة على استعمار الا اذا كان أساسها التعليم والصناعة : « وما نجحت ثورة تجردت جماهيرها من المعارف وبعدت عن المصانع والتفنن في الالات ، واندفعت خلف الاهواء » (مجلة الاستاذ في ٣٠ - ٨ - ١٨٩٢) .

ولا نترك الحديث عن اواخر القرن الماضي ، قبل ان نذكر اثرا شامخا من اثار المقاومة الوطنية لكل مستعمر او دخيل ، لكنه - هذه المرة - اثر ايجابي بناء ، وضع البذور الاولى للنهضة العربية الشاملة، التي ستزداد مع السنين ، حتى تصبح في سنواتنا الراهنة حركة ثورية لتحقيق الوحدة العربية ، وانما عنيت بذلك الاثر ، نهضة الشعر على يدي محمود سامي البارودي (١٨٣٩ - ١٩٠٤) اذ الامر فيها لا يقتصر على الشعر وحده بل يجاوز ذلك ليكون اقامة لاهم دعائم القومية العربية السليمة ، الا وهي دعامة اللغة القومية الرصينة .

فبعد ان ضعفت العربية مع الضعف السياسي والاجتماعي خلال قرون امتدت ما امتد الحكم العثماني ، اراد البارودي الشاعر ان تعود لنا القوة السياسية والاجتماعية بادئة من بدايتها الصحيحة ، الا وهي اللغة ، واسعفته الموهبة ، فربط بين قديم شامخ وجديد متطلع الى الشموخ ، ونسج نسجا لا يتخاصم فيه الحاضر والماضي ، ولا يتعارض فيه التجديد مع التقليد ، بل هو نسج : لحمته الحاضر ، والماضي سداه ، فجاء شعر البارودي في ادبنا الحديث - خصوصا وقد أخفقت الثورة العرابية التي كان الشاعر احد رجالها ، واحتل المستعمر البريطاني بلادنا - جاء هذا الشعر القوي في ادبنا الحديث بمثابة الخطوة الاولى في طريق طويل ما نزال نواصل السير فيه على هداية مبدأ عام ، هو ان نجيء النهضة العربية على أساس يجمع بين الطابع القومي المتميز ، وظروف العصر الذي نعيش فيه .

- ٣ -

وتمضي السنون ، ويستدير القرن التاسع عشر ليبدأ العشرون ، فتزداد المقاومة شدة وظهورا فيما تجري به اقلام المفكرين والادباء ، وحسبنا ان نجد في السنوات الاخيرة من القرن الماضي وفي العشرة الاعوام الاولى من هذا القرن قاسم امين ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد، ولطفي السيد ، وعبد العزيز جاويش ، ومن الشعراء شوقي وحافظ ، كانت حالة الضعف السياسي قد انتهت بالبلاد الى قبضة المستعمر ، وخدعت طائفة من مفكري الغرب عن حقيقة الامر ، فنقلوا باوهامهم ذلك الضعف من السياسة الى العروبة من حيث هي جنس ، والى الاسلام من حيث هو دين ، فكان لا بد للفكر والادب عندنا ان يتصديا لذلك ، لان التهمة اذا صدقت انفسح الامل امام المستعمر الفرنسي في تونس والجزائر ولبنان وسوريا ، وامام المستعمر الانكليزي في مصر والعراق، واما اذا ردت التهمة وظهر بطلانها ، فقد انفسح الامل امام الامة العربية أن تزيل عنها الكابوس الطارىء ، لتسترد مجدها ، وتمضي قدما في طريقها ، ومن هذا القبيل ما حدث بين دعوى هانوتو فيما يتصل بخصائص الجنس الآري والجنس السامي ، ورد الشيخ محمد عبده عليه لتفنيد دعواه ، وكذلك ما حدث بين دعوى رينان عن موقف الاسلام من العلم ، وزعمه بأن الاسلام مضاد للعلم ، ورد الافغاني عليه لتفنيد دعواه ، وها هي ذي دعوى ثالثة لمتهجم اخر ، يتصدى للرد عليها قاسم امين .

ذلك ان داركور قد أصدر كتابا سنة ١٨٩٢ عن المصريين ، يصفهم فيه بالتاخر ، ويأخذ عليهم حجبهم للنساء عن موارد العلم وميادين الحياة ، ثم لا يكتفي بذلك ، بل يربط هذا كله بالعقيدة الاسلامية ، فرد عليه قاسم امين سنة ١٨٩٤ في كتاب عنوانه « المصريون » مدافعا عن وطنه وأهله ، معترفا بما قد شاب ذلك الوطن واهله من عيوب محال ان ترد الى الاسلام ، وانما هي اثر مباشر للحكم الفاسد الذي نكبت به البلاد أمدا طويلا من الدهر ، وقد كتب قاسم امين كتابه هذا بالفرنسية ، ليتاح لمن قرأ داركور ، من الفرنسيين، أن يطالعوا الرد عليه ، اقرأ هذه العبارة - مثلا - من رده على الدوق داركور ، لترى كيف رد التهمة عن اهله ردا يوقع خصمه فيما هو اشنع منها : « يظهر ان مسيو داركور ينعي علينا عدم وجود الفوارق الاجتماعية عندنا ، ويعيبنا لانه ليس من طوائفنا طائفة الاشراف بالمولد أو بغير المولد ، وكل السكان الذين يقيمون في بلد اسلامي هم مساوون امام القانون بلا تفرقة بين اجناسهم ودياناتهم » .

على ان هذه المعركة القلمية بين الدعوى ونقيضها ، قد حركت الكاتب العربي الى النهوض بعبء الاصلاح في ميدانه ، حتى لا نغمض العين على نقص واضح ، فكتب كتابه العظيم « تحرير المرأة » (١٨٩٩) وأعقبه باخر « المرأة الجديدة » (١٩٠٠) ليرد به على ما قد وجه الى كتابه الاول من نقد .

وان ذكرنا لكتاب تحرير المرأة ، ليستدعي ذكر جريدة « المؤيد » التي أنشأها الشيخ علي يوسف (١٨٦٣ - ١٩١٣) ، والتي ظهر فيها الكتاب فصولا امتدت على شهرين وهي نفسها الجريدة التي نشر فيها عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٢) كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » الذي هو من ابرز الكتب التي عرفها الادب العربي في العصر الحديث عن الحرية ، يقول فيه الكاتب عن الحاكم المستبد انه « يتحكم في شؤون الناس بارادته لا بارادتهم ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم » . « والمستبد عدو الحق ، عدو الحرية وقاتلهما ، والحق ابو البشر ، والحرية امهم ، والعوام صبية ايتام نيام لا يعلمون شيئا » . « ان الاستبداد يضغط على العقل فيفسده ، ويلعب بالدين فيفسده ، ويحارب العلم فيفسده » . « الحكومة المستبدة تكون طبعا مستبدة في كل فروعها من المستبد الاعظم الى الشرطي ، الى الفراش، الى كناس الشوارع » . « أقل ما يؤثر الاستبداد في اخلاق الناس انه يرغم الاخيار منهم على الفة الرياء والنفاق - ولبئس السيئتان - ويعين الاشرار على اجراء غي نفوسهم آمنين ، حتى عن الانتقاد والفضيحة ، لان اكثر اعمالهم تبقى مستورة ، يلقي عليها الاستبداد رداء خوف الناس من تبعة الشهادة » .

لم تكن هذه الدعوة الاجتماعية التي وجهها قاسم امين لتحرير المرأة العربية ببعيدة الصلة بالدعوات السياسية التي اخذت منذ اوائل هذا القرن تشغل أصحاب الاقلام ، فصاحب « تحرير المرأة » هو نفسه الذي كتب عن جنازة مصطفى كامل يقول : « ١١ فبرير سنة ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل ، هي المرة الثانية التي رأيت فيها قلب مصر يخفق ، المرة الاولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواي : رأيت كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا ، وزورا مخنوقا ، ودهشة عصبية بادية في الايدي وفي الاصوات ، كان الحزن على جميع الوجوه » .

وان هذا لينقلنا الى ادب سياسي جياش بالعاطفة ، أنشأه قادة الحزب الوطني في جريدتهم اللواء : مصطفى كامل ، محمد فريد ، عبد العزيز جاويش .

اما مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨) فهو - كما قال عنه لطفي السيد ، برغم ما كان بين الرجلين من اختلاف بعيد في وجهة النظر - « كان شعاره الوطنية ، ووسيلته الوطنية ، وكتابته الوطنية ، وحياته الوطنية ، حتى لبسها ولبسته ، فصار بينهما التلازم الذهني والعرفي، فاذا ذكرت مصطفى كامل بخير ، فانما تطري الوطنية ، واذا قلت الوطنية فان أول ما يتمثل في خيالك شخص مصطفى كامل .. كأنما هو والوطنية شيء واحد » . يكفينا منه هنا مثل واحد ، نقتبسه من خطبته الكبرى في الاسكندرية (١٩١٧) :

« تقولون يا أعداء مصر اننا لو أفلحنا لما نلنا هذا الاستقلال الا

بعد حين طويل ، فنجيبكم انا لو سلمنا بقولكم جاز لنا ان نتأخر لحظة واحدة عن العمل ، لاننا لا نعمل لانفسنا ، بل نعمل لوطننا ، وهو باق ونحن زائلون ، وما قيمة السنين ، والايام في حياة مصر ، وهي التي شهدت مولد الامم كلها ، وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الانساني كله ؟ ان العامل الواثق من النجاح يرى النجاح امامه كأنه أمر واقع ، ونحن نرى من الان هذا الاستقلال المصري ونبتهج به وندعو له كأنه حقيقة ثابتة ، وسيكون كذلك لا محالة ...

اننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمارنا الى اشرف غاية اتجهت اليها الامم في ماضي البلاد وحاضرها ، وأعلى مطلب نرمي اليه في مستقبلنا ، فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات تقفنا في طريقنا ، ولا الشتائم تؤثر فينا ، ولا الخيانات تزعجنا ، ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التي تصغر بجانبها كل غاية ...

بلادي .. بلادي .. لك حبي وفؤادي ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فانت أنت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصر ...

هل خلق الله وطنا أعلى مقاما ، وأسمى شأنا ، واجمل طبيعة ، وأجل اثارا ، وأغنى تربة ، واصفى سماء ، وأعذب ماء ، وأدعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز ؟ اني لو لم اولد مصريا لوددت أن أكون مصريا » .

ذلك قبس من تلك الخطبة السياسية الوطنية الرائعة ، وهي التي نظم بعدها علي الفاياتي (صاحب ديوان « وطنيتي » الصادر سنة ١٩١٠) قصيدة وجهها الى مصطفى كامل يقول فيها :

أصدع بقولك أن اردت مقالا	فالقوم جندك ان دعوت رجالا
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه	فترى به الامها امالا

وفي ١٩٠٨ تولى عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ – ١٩٢٩) رئاسة تحرير اللواء ، وكان للواء طابعه الواضح في مهاجمة الاستعمار البريطاني ، وفي ايقاظ الروح الوطنية ، فكانت لجاويش في مهاجمة الانكليز مقالات حامية ، وكلمات من نار ، حتى قبل ان يتولى تحرير اللواء : « ان البلاد المصرية أخذت منذ بدء الاحتلال المشؤوم تتدلى في مهاوي الضعف والاضمحلال وانه لا منفذ لها سوى ان يرفع الاحتلال يده الثقيلة المفسدة عنها » . ولكي تعلم ماذا اراد الكاتب ان يصنع بقلمه في مقاتلة العدو ، فاسمع ما يخاطبه به : « ايها القلم .. لو كنت سيفا لاغمدتك في صدور من يحاربونك ، او سهما لانفذتك في اعماق قلوبهم ، ولو كنت جوادا لوجدت لك في ميادين النزال مجالا للكر والفر » .

وكان يقابل هذه الجذوة المشتعلة من الوطنية في جريدة «اللواء» فكر منطقي هادىء في جريدة « الجريدة » التي كان يحررها احمد لطفي السيد (١٨٧٢ – ١٩٦٣) اذ كان لطفي السيد – كما يقول عنه العقاد – « ينظر الى المسائل الفكرية والاجتماعية نظرة محيطة شاملة ، توشك أن تتعادل فيها جميع الجوانب والاطراف ، ولكنه كان من أشد المفكرين اهتماما بما يعتقد فيه الخير والصلاح » .

– ٤ –

وحسب العشرة الاعوام الاولى من هذا القرن ان تكون قد شهدت فاجعة دنشواي (يوم الاربعاء ١٣ من يونيو سنة ١٩٠٦) ، فليس كمثل الكوارث الكبرى شيء يوحد قلوب الامة في قلب واحد نابض ، ودنشواي قرية في محافظة المنوفية ، قدم اليها خمسة من الضباط الانكليز لصيد الحمام ، فاصيب برصاصهم بعض الاهلين ، فهاجم الناس اولئك المعتدين ، فاصيب بعضهم ومات أحدهم ، فثار العميد البريطاني في مصر ، لورد كرومر ، وعقدت محكمة خاصة لمحاكمة المصريين ، فقضت باعدام اربعة من الاهالي ، وبالجلد والحبس على ثمانية ، ونفذ الجلد والاعدام في دنشواي علنا ، فكان لذلك رد فعل عنيف في طول البلاد وعرضها ، وانطلق الشعراء والكتاب ينظمون وينشئون بكاء ورثاء ووطنية واخاء .

قال اسماعيل صبري :

وأقلت عشرة قرية حكم الهوى	في أهلها وقضى قضاء أخرق
ان أن فيها بائس مما به ،	او رن ، جاوبه هناك مطوق
وارحمتاه لجناتهم ماذا جنوا ؟	وقضاتهم ما عاقهم ان يتقوا ؟

وقال احمد شوقي :

يا دنشواي على رباك سلام	ذهبت بأنس ربوعك الايام
شهداء حكمك في البلاد تفرقوا	هيهات للشمل الشتيت نظام
مرت عليهم في اللحود أهلة	ومضى عليهم في القيود العام
كيف الارامل فيك بعد رجالها ؟	وبأي حال أصبح الايتام
عشرون بيتا أقفرت وانتابها	بعد البشاشة وحشة وظلام
يا ليت شعري في البروج حمائم	أم في البروج منية وحمام ؟
نيرون .. لو ادركت عهد كرومر	لعرفت كيف تنفذ الاحكام

وقال حافظ ابراهيم :

جاء جهالنا بأمر ، وجئتم	ضعف ضعفيه قسوة واشتدادا
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو	أقصاصا أردتم أم كيادا ؟
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو	أنفوسا أصبتم أم جمادا ؟
ليت شعري أتلك محكمة التفتيش	عادت أم عهد نيرون عادا ؟
كيف يحلو من القوي التشفي	من ضعيف ألقى اليه القيادا ؟

– ٥ –

تلك كانت المرحلة الاولى ، وهكذا جاءت خلالها صورة المقاومة في الادب ، ثم جاءت المرحلة الثانية التي امتدت فيما بين الحربين ، وقد اتخذت المقاومة صورة اخرى ، وهي الاشادة بالحرية والدعوة اليها ، حتى ولو لم يذكر المستعمر في سياق الدعوة ذكرا صريحا .

وقد ظهرت بدايات هذه المرحلة الثانية ، حتى قبل ان تنتهي الحرب العالمية الاولى ، كأنما كانت بدايات تمهد النفوس تمهيدا مباشرا لثورة ١٩١٩ ، وهي بدايات ظهرت اوضح ما تكون في الشعر ، ففي العشرة الاعوام الثانية من هذا القرن ، ظهرت دواوين ثلاثة ، عزفت كلها على وتر واحد ، اذ عزفت نشيد الفرد الانساني وما يجب له من حرية وما يجب عليه من مسؤولية ازاء نفسه ، وتلك الدواوين الثلاثة كانت هي الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري (١٩١٣) والجزء الاول من ديوان المازني (١٩١٤) وقد قدم العقاد لهما ، والجزء الاول من ديوان العقاد (١٩١٦) وقد قدم له المازني ، فجاءت هذه الدواوين الثلاثة بمثابة اعلان لحقوق الانسان الجديد ، وانهم – هؤلاء الثلاثة الشعراء – ليؤمنون ان نهوض الادب شرط لازم للنهضة القومية وللحرية الوطنية ، وانه لا حرية ولا استقلال لانسان هانت عليه نفسه حتى ليعجز عن الشعور بها ، يقول العقاد في مقدمته للجزء الاول من ديوانه : « ومن كان يماري في هذا القول فليراجع التاريخ ، وليذكر أمة واحدة نهضت نهضة اجتماعية فلم تكن نهضتها هذه مسبوقة أو مقرونة بنهضة عالية في ادابها » . كما ظهرت بدايات شبيهة بذلك في ميدان الرواية متمثلة في رواية زينب للدكتور هيكل (١٩١٤) التي هي من اولى بشائر الشعور بالمصرية الصميمة وحياة الطبقة العاملة في الريف . وهو الشعور نفسه الذي جاءت رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم لتؤكده (١٩٢٩) .

ويثور الشعب ثورته عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، مطالبا بحقه في الحرية من المستعمر البريطاني ، وتجري أنهر الصحف اليومية بأنهر من الادب السياسي المشتعل بحرارة الثائرين ، ثم سرعان ما يصاحب هذا الادب السياسي مقالات وكتب في ضروب الحرية وفي مراميها وأبعادها ، فيكتب العقاد في فلسفة الحرية وفي علاقتها بألوان الفنون جميعا ، ويقول ان حب الامم للحرية انما يقاس بحبها للفنون الجميلة « لان الصناعات والعلوم النفعية مطلب من مطالب العيش تساق اليه الامم مرغمة مجبرة ، وضرورة من ضرورات الذود عن الحياة تدفع اليها مغلوبة مسخرة .. وانما تعرف الامم الحرية حين تأخذ في

التفضيل بين شيء جميل وشيء أجمل منه ، وتتوق الى التمييز بين مطلب محبوب ومطلب أحب وأوقع في القلب وادنى الى ارضاء الذوق واعجاب الحس ، ولا يكون ذلك منها الا حين تحب الجمال ، منظورا أو مسموعا » (مطالعات في الكتب والحياة ، ص ٥٤) .

ويخرج سلامة موسى (١٨٨٨ — ١٩٥٨) سنة ١٩٢٧ كتابا عن « حرية الفكر وابطالها في التاريخ » يقول عنه في صفحة الغلاف انه « قصة الحرية الفكرية وانطلاق العقل البشري من قيود التقاليد وفوز التسامح على التعصب ، مع ذكرها ما لقيه الاحرار من ضروب الاضطهاد من أقدم العصور للآن » . ثم يتلو على قارئه صفحات من استشهاد الابطال في سبيل الحرية على اختلاف انواعها : سياسية ودينية وعلمية وغير ذلك ، وهو يسوق أمثلة من اليونان القديمة ومن المسيحية ومن الاسلام ومن العصور الحديثة في الغرب وفي الشرق على السواء .

وكان محمد حسين هيكل (١٨٨٨ — ١٩٥٦) من الداعين الى الحرية في كثير من معانيها ، فألف كتابا عن جان جاك روسو ليستمد من دعوة هذا الفيلسوف الى الحرية دعوة يوجهها الى العرب في ثورتهم في سبيل الحرية ، ويخرج صحيفة السياسة الاسبوعية (١٩٢٦) لتكون ملحقا ادبيا اسبوعيا لصحيفة السياسة التي كان يشرف على تحريرها ، وليتخذ منها أقوى أداة لنشر الثقافة الجديدة التي اراد هو ومعاصروه ان يبذروا بذورها ارهاصا لعصر جديد ، وكانت تلك البذور — في رأي هيكل اول الامر — بذورا غربية صرفا ، ثم سرعان ما افاق الى خطئه ، وصمم على ان يكون للنهضة العربية اصولها الخاصة التي تستعير من الغرب ما تستعيره لكنها لا بد الى جانب ذلك ان تستمد من ماضيها التربة الخصبة التي تستنبتها ، يقول هيكل في ذلك : « حاولت ان انقل لابناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية ، وحياته الروحية لنتخذها جميعا هدى ونبراسا ، ولكني أدركت بعد لأي انني اضع البذر في غير منبته ، فاذا الارض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة فيه ، وانقلبت التمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعنة موئلا لوحي هذا العصر ينشأ فيه نشأة جديدة ، فاذا الزمن واذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب يصلح بذارا لنهضة جديدة ، ثم رأيت ان تاريخنا الاسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر ، ففيه حياة النفوس ، يجعلها تهتز وتربو ، ولابناء هذا الجيل في الشرق نفوس قوية تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين » (من مقدمة « منزل الوحي ») .

الحق اننا لا نجد صفة نصف بها الحياة الفكرية في عشرينات هذا القرن ، أصدق من انها كانت حياة تمهد الارض لبناء جديد يقام عليها حين تحين الفرصة المناسبة ، ولذلك شغل الكتاب جميعا في تلك الحقبة بالتنوير عامة ، وبالتنوير فيما يمس الحرية العقلية والفنية والسياسية بصفة خاصة ، وفي هذا النشاط التمهيدي لذلك العصر يقول ابراهيم عبد القادر المازني : « قضى الحظ ان يكون عصرنا عصر تمهيد ، وان يشتغل ابناؤه بقطع هذه الجبال التي تسد الطريق ، وبتسوية الارض لمن يأتون بعدهم ، ومن الذي يذكر العمال الذين سووا الارض ، ومهدوها ورصفوها ، من الذي يعنى بالبحث عن اسماء هؤلاء المجاهدين الذين أدموا ايديهم في هذه الجلاميد ، وبعد ان تمهد الارض وينتظم الطريق يأتي نفر من بعدنا ويسيرون فيه الى اخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ، ويذكرون بقصورهم وننسى نحن الذين أتاحوا لهم ان يرفعوها شاهقة رائعة ، والذين شغلوا بالتمهيد عن التشييد ، فلندع الخلود اذن ولنسأل كم شبرا مهدنا من الطريق » (من مقدمة « حصاد الهشيم ») .

لقد كان لسان الحال في مجال الفكر والادب ابان فترة التنوير والتمهيد التي اشرنا اليها — منذ ما قبل نهاية الحرب العالمية الاولى بقليل والى نهاية الحرب العالمية الثانية ناطقا بانه اذا كان الغرب قد استبد بارضنا فطريق الخلاص له شعاب كثيرة ، منها ان نتزود بعلمه وثقافته لنفل الحديد بالحديد ، ولذلك كان ابرز طابع يميز تلك الفترة هو نقل الفكر الغربي من اليونان القديمة ومن بريطانيا وفرنسا الحديثتين ، وكانت اداة النقل الاساسية — هي المجلات اكثر مما كانت هي الكتب : المجلات التي تصدر كل اسبوع مثقلة بحصيلتها المنقولة ترجمة وتلخيصا وتعليقا ونقدا ، فاذا كانت الصحف اليومية في المرحلة الاولى — كالمؤيد واللواء والجريدة — قد حملت هذا العبء نفسه ، ففي المرحلة الثانية تخصصت لها مجلات اسبوعية وشعرية ، اول ما نذكره منها مجلة السفور التي صدر عددها الاول سنة ١٩١٥ ، وفيه اعلن صاحبها عبد الحميد حمدي منهاجها ، شارحا المراد بعنوانها ، فقال في ذلك :

« ليست المرأة وحدها هي المحجبة في مصر ، ولكنها محجبة نزعاتنا وفضائلنا وكفاءاتنا ومعارفنا وامانينا ، وكل شيء يبدو على غير حقيقته ، فنحن امة محجبة حقيقتها ، بادية منها ظواهر كاذبة ، وقد تبين للباحث ان هذه العلل ليست طبيعية في نفس الامة ، وانما هي عوارض تزول بزوال اسبابها ... »

واشتركت في تحرير « السفور » مجموعة من الكتاب ، هي نفسها المجموعة التي سيشتد بأسها في عشرينات القرن وثلاثيناته ، والتي ستكون هي الداعية الى الاخذ باسباب الفكر الغربي والثقافة الغربية ليكون ذلك هو نفسه افعل سلاح في استرداد حرياتنا المغتصبة من الغرب المغتصب ، ففيها كتب هيكل ، وطه حسين ، وعلي عبد الرازق ، وغيرهم وكأنما جاءت مجلة السفور حلقة وسطى في سلسلة ثقافية واحدة ، اولها « الجريدة » برئاسة لطفي السيد ، واخرها « السياسة الاسبوعية » برئاسة هيكل ، وهي مدرسة فكرية يغلب عليها الطابع الفرنسي .

ولذلك قام خط يوازي ذلك الخط ويوازنه وتمثل في مجلة البلاغ الاسبوعي واجتمع حوله من الكتاب من كان يؤثر النهل من معين الثقافة الانجليزية ، واشهرهم العقاد والمازني كما تمثل في مجلة العصور لاسماعيل مظهر والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، ثم نشأت في الثلاثينات مجلتان اخريان هما « الرسالة » اولا ، و (الثقافة) ثانيا لتحدثا شيئا من الجمع بين الثقافتين الغربية والعربية ، تمهيدا لقيام شخصيتنا الثقافية الجديدة ، التي سنتحدث عنها بعد قليل ، وفيهما ظهر احمد حسن الزيات واحمد امين ، الاول باسلوبه العربي الرصين ، الذي يعد في ذاته علامة اعتزاز بالقومية العربية في اصولها وفروعها ، والثاني باسلوبه العلمي الواضح الذي يعد علامة من علامات التبشير بعصر جديد ، يرتكز على القديم ويفتح صدره للحديث .

— ٦ —

وانه لما يميز هذه المرحلة الثانية كذلك ، تلك النزعة الرومانسية التي غمرت الشعر ، بل وشطرا كبيرا من الكتابة النثرية ، وتجلت بصفة خاصة في جماعة ابولو التي نشأت سنة ١٩٣٢ (واخرجت مجلة باسمها سنة ١٩٣٥) وكان من اهم شعرائها احمد زكي ابو شادي ، وابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، فاذا تذكرنا ان كل حركة ثورية كبرى تصاحبها حركة رومانسية في الادب بصورة او باخرى ، تفك القيود بكل انواعها : قيود الصياغة الشعرية ، وقيود العاطفة الباطنية ، عرفنا كم كانت الحركة الرومانسية في الادب العربي ابان عشرينات القرن وثلاثيناته دالة على تيار المقاومة العنيف ، ومدى سريانه في نفوس الناس على طول البلاد العربية وعرضها كانما هي صيحة واحدة متعددة الاوتار والانغام ، صدح بها شعراء العروبة جميعا .

فهذا احمد زكي ابو شادي (١٨٩٢ — ١٩٥٥) في قصيدته « الضحايا » يعلن ان نداء الوطن يستوجب الا نفرط في مواطنيه ، والا نجامل الذين نهبوا المواطنين نهبا ، عن جشع لا يشبع وظلم لا يرتدع :

وكل يوم ضحايا لا عداد لها — من غدرهم في جحيم البؤس والهون

أبعد هذا نصوغ الشعر زخرفة ؟

وبلغت الانفعالية الرومانسية اوجها في الشاعر التونسي ابو القاسم الشابي (١٩٠٦ — ١٩٣٤) خذ قصيدته « نشيد الجبار » مثلا

لهذه اللوعة التي تأكل صاحبها كمدا على ما قد حل به ، وتطمح به الى السماء في دنيا الامل والرجاء :

سأعيش رغم الـداء والاعداء كالنسر فـوق القمـة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئا بالسحب ، والامطار والانـواء
... ...
النور فـي قلمي وبين جوانحي فعلام اخشى السير في الظلماء ؟

وان القول ليطول بنا لو استطردنا نذكر امثال هــذه الجذوات المشتعلة بوطنيتها خلال المرحلة الوسطى ـ فترة ما بين الحربين ـ التي هي الان موضع الحديث .

وانه لمن ابرز الملامح في الحركات الرومانسية كلها ـ وهي دائمـا حركات للتحرر تعقب الثورات السياسية او تصاحبها ـ العودة بالذكرى الى مجد الاباء ، وهكذا كان الامر في الادب العربي ، لانــه اذا كانت الدعوة الى الحرية تتحقق بشرح المبدأ من جهة ، وبضرب المثال مـن جهة اخرى ، فأين يوجد المثال في اسمى صورة اذا لـم يكن في ابطال العروبة والاسلام وهما في ذروة المجد ؟ من هنا رأينـا ادباءنا جميعا يتجهون هذه الوجهة ، فبدأوا بالحديث عـن اعلام الشعراء الاقدمين ـ وكان ذلك في العشرينات ـ ثم انتقلوا الى ميدان اوسع ، فترجمـوا سيرة الرسول والخلفاء الراشدين وعدد كبير من قادة المسلمين واعلامهم، فكان ذلك ابلغ ما يقال في وجه عدو البلاد ، الذي جعل مـن اسلحة هجومه ان يستخف بالحضارة العربية وبالثقافة العربية جميعـا ، وان يدعى لنفسه الاصالة في مبادىء الحرية والديمقراطية والاخوة الانسانية بين افراد البشر .

ـ ٧ ـ

وتنتهي الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، فتدخل حركة المقاومة ـ كما انعكست في الادب ـ مرحلة ثالثة ، فلئن كان قوام المرحلة الاولى كتابة هي اقرب الى الخطابة السياسية ، قصد بهـا استثارة الشعور الوطني ، ثم كان قوام المرحلة الثانية رومانسية تنادي بالتحرر وفـك القيود ، وتضرب امثالها من ابطال التاريخ ، فقد جاءت المرحلة الثالثة لتقيم البناء الثقافي الجديد على نحو يبرز الخصائص القومية الـى جانب العناصر الحديثة ، وها هنا تغيرت الاداة الادبيـة الاساسية ، فبعد ان كانت الاداة هي المقالة ، اصبحت القصة والمسرحية ، وذلـك لانهما الوسيلتان المؤاتيتان لتصوير المواقف والاشخاص ، على اي نحو لا نريدها ، وعلى اية صورة نريدها ، وان في اختيـار الاداة الادبيـة الجديدة لدليلا واضحا على توحيد العنصرين في حياة واحدة : ما نأخذه من الغرب وما نضيفه من انفسنا ، فلئن كنا قـد اخذنا قالب القصة وقالب المسرحية من حيث هما طريقتان للتعبير ، فقد عرفنا كيف نمـلأ القالبين بمضمون محلي اصيل غلب عليه ـ فيما بيـن ١٩٤٥ و ١٩٥٢ (سنة الثورة الاجتماعية الكبرى) ـ تصويـر البؤس الـذي احاط بالناس ، ثم شيء من الكفر بالحضارة الغربية في ماديتها ، لان هـذه المادية فيها كانت هي الدافع الاول نحـو حركات الاستعمار الاوروبي لشعوب الشرق ، ولما كانت الحضارة الغربية المادية الحديثة قرينـة العقل وما ينتجه من علوم وتقنيات والات ، فقـد انقلب هذا الكفـر بالحضارة المادية كفرا بالعقل وما يؤدي اليه ، ودعوة الى عودة الشرق الى روحانيته التي ميزته ابان ازدهاره .

اما تصوير البؤس فقد كان في طليعة من اضطلع به الدكتور طـه حسين في قصصه التي كتبها في تلـك الفترة : ((شجرة البؤس)) (١٩٤٤) و ((جنة الشوك)) (سنة ١٩٤٥) و ((المعذبون في الارض)) (سنة ١٩٤٩) ، وكان قبل ذلك قد نشر قصته الاولى ((دعاء الكروان)) التي تسير في الاتجاه نفسه ، فهذه القصص كلها تستفز الاريحية لمـا يصيب الانسان الحر في كرامته على ايدي طغاة ملأوا دروب الحيـاة ومنعطفاتها ، على ان هذا الانتاج الادبي الخاص ، لم يحل دون ان يمضي عميد الادب العربي في دراساته التي قصد بمعظمها اقامة النماذج المثلى لتكون المقارنة صارخة بين ما هو كائن وما يمكن ان يكون ، فقـد كتب ((الوعد الحق)) (١٩٥٠) و ((عثمان)) (١٩٤٧) و ((علـي وبنوه)) (١٩٥٣) و ((الشيخان)) (ابو بكر وعمر الخطاب) ١٩٦٠ ، فضلا عـن دعوته القوية نحو تكافؤ الفرص بين المواطنين في التعليم .

واما الثورة على العقل ـ ما دام العقل هو ينبوع الحضارة المادية بكل تفريعاتها السياسية ـ فقد اضطلع بها توفيق الحكيم في مسرحياته التي صدرت ابان الفترة التي نشير اليها فاصدر ((سليمان الحكيم)) (١٩٤٣ و ((الملك اوديب)) (١٩٤٩) وكلتاهما تبين أن العقل وحده لا يغني الانسان عن الحق شيئا (وكان من اهم مـا اصدره بعـد ذلـك تعميقا لروح الثورة الاشتراكية ((الصفقـة)) (١٩٥٧) و ((الايـدي الناعمة)) (١٩٥٨) و ((الطعام لكل فم)) (١٩٦٣) .

وكان من ابرز معالم هذه الفترة ـ واعني الفترة التي توسطت بين الحرب العالمية الثانية وقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ـ مـا اصدره العقاد من كتب سياسية يقاوم بها استبداد الحكم ، واخرى يصور بهـا النماذج الاسلامية الرفيعة ، فمن المجموعة الاولى ((هتلر فـي الميزان)) (١٩٤٠) و ((فلاسفة الحكم في العصر الحديث)) (١٩٥٠) ، ومـن المجموعة الثانية ، وهي من اهم ما كتب الكاتب فـي حياته الادبية ، عبقريات محمد (١٩٤٢) والصديق (١٩٤٣) وعمـر (١٩٤٢) والامـام علي (١٩٤٣) ... الى اخر هذه السلسلة الطويلة التي شملت نحـو خمسة عشر كتابا ، اما طوال الخمسينات ، فقد اخذ يخرج الكتاب اثـر الكتاب ، دفاعا عن الاسلام ، حتى يبطل ما يدعيه المستعمر في هـذا الميدان ، مما يتخذه ذريعة يبرر بها اعتداءه ، ومن اهـم هذه المجموعة كتب ((الاسلام والاستعمار)) سنـة (١٩٥٧) و ((الديمقراطية فـي الاسلام)) (١٩٥٢) و ((حقائق الاسلام واباطيـل خصومه)) (١٩٥٧) و ((التفكير فريضة اسلامية)) (١٩٥٧) وغيرها .

وفي تلك الفترة نفسها ظهر عدد كبير مـن الادباء الشبان اشتد وعيهم بما كان في الحياة السياسية حينذاك من فساد وبما كان بينهـا وبين الاستعمار من صلات وروابط وهم انفسهم الشبان الذين ظهرت في كتاباتهم بذور المعاني الاشتراكية التي جاءت ثورة ١٩٥٢ لتخرجها الـى عالم الوجود . وقد امتد الوجود الادبي ببعض هؤلاء الشباب الى يومنا هذا فاصبحوا من كتاب الاشتراكية وشعرائها المرموقين .

ومن الكتاب الذين انعكست المقاومة في ادبهـم نجيب محفوظ ، الذي امتد انتاجه في القصة من الثلاثينات الى يومنا الراهن ، ولعـل قمة اعماله ـ من الزاوية التي ننظر منها الان الى الادب ، وهي انعكاس الجهود التحررية على الادب ـ اقول لعل قمة اعماله في هذا الميدان هي ثلاثيته الكبرى : ((بين القصرين)) و ((قصر الشوق)) و ((السكريـة)) ففي هذه الثلاثية صورة كاملة الدقائق والتفصيلات لحيـاة المجتمع المصري كله خلال الفترة التي تقع بين الحربين ، نرى فيها كيف تطـور مفهوم الوطنية عند الاجيال المتعاقبة ، فالوطنية عند الجد الكبير كانت دفعا للتبرعات ودعاء من الله بنصرة الزعماء ، والوطنية عند ابنه الكبير هي توزيع للمنشورات السياسية ومشاركة في المظاهرات حتى لقد لقى حتفه في احداها ، والوطنية عند ابنه الاصغر (كمال عبد الجواد) هي العمل من اجل الشعب بل من اجل الانسانية المكافحة داخـل الوطـن وخارجه على السواء ، ثم ننتقل الى الحفدة فنرى مفهوم الوطنية قـد ارتبط بالميدان الاقتصادي ، فاعداء الوطن هم من يستغلونه في هـذا الميدان ، لا فرق بين اجنبي ومواطن اذا كان كلاهما من المستغلين ، ومن هؤلاء الاشخاص جميعا ، يهتم الكاتب ـ بصفة خاصة ـ بكمال عبـد الجواد ، الذي قال عنه ((انه يعكس ازمتي الفكرية ، وهي ازمة جيـل باسـره)) .

ـ ٨ ـ

وتحدث احداث كبرى تشد حولها الكتاب والشعراء جميعا ، مـن اهمها قيام اسرائيل (١٩٤٨) والعدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) . وثورة الجزائر ، وغيرها من الثورات التي شملت الوطن العربي كله مـن اوله الى اخره ، فتفجرت عيون الادب نثرا وشعرا ، لتنصب على هـذه

المآسي الانسانية الكبرى ، كتبت القصص التي تصور روح الشعب الثائرة ازاء المستعمرين والمستبدين والاقطاعيين، نذكر منها قصة يوسف السباعي « رد قلبي » وقصة احسان عبد القدوس « في بيتنا رجل » وقصة لطيفة الزيات « الباب المفتوح » وكتبت المسرحيات التي تصور القوة الغاشمة حين تنتهك حرمات العدل والحق ، نذكر منها مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي « مأساة جميلة » ومسرحية الفرد فرج « سليمان الحلبي » ومسرحية « اللحظة الحرجة » ليوسف ادريس ونظمت دواوين بأسرها تعبيرا عن الشعور الوطني الفياض ، نذكر منها ديوان « قاب قوسين » للشاعر محمود حسن اسماعيل ، واعيدت ذكريات المآسي الماضية في شعر جديد ، كحادثة دنشواي في قصيدة صلاح عبد الصبور « شنق زهران » وقصيدة أوراس عن ثورة الجزائر لاحمد عبد المعطي حجازي . الحق أن ما كتب ونظم في مأساة فلسطين وفي بطولة بور سعيد وفي معركة الجزائر ومعركة الكونغو وفي شتى حروب المقاومة التي يبديها الوطن العربي بخاصة وأفريقيا بوجه عام لا تكاد تقع تحت الحصر ، فالموضوع حاضر على اسنان الاقلام ايا كانت الصورة الادبية التي تجري بها .

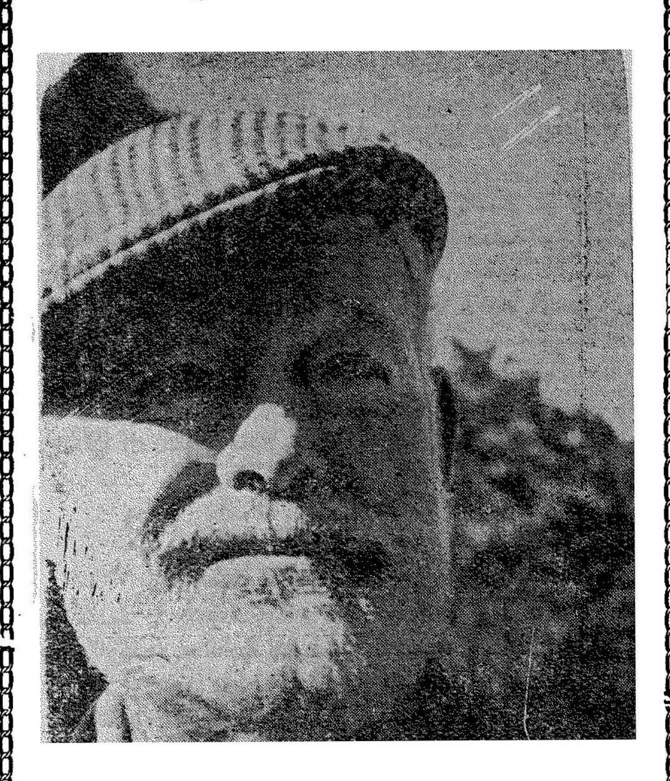
ومن الموضوعات التي تشغل الاقلام كذلك ابان هذه المرحلة الثالثة موضوع الوحدة العربية والقومية العربية ، وهو جانب ايجابي يستهدف اقامة بناء تجديد على أسس سليمة . ولا يقف عند مجرد الثورة الشعورية في مهاجمة الغاصب والمستعمر ، فالدول العربية القائمة الان ــ كما يقول الباحث العربي الكبير ساطع الحصري « لم تتكون ولم تتعدد بمشيئة اهلها ولا بمقتضيات طبيعتها ، وانما تكونت وتعددت من جراء الاتفاقات والمعاهدات المعقودة بين الدول التي تقاسمت البلاد العربية ، وسيطرت عليها » ويوجه ساطع الحصري اللوم الى اولئك الذين ثاروا ليتخلصوا من المستعمرين ، حتى اذا ما ظفروا بشيء مما ارادوا ، اصروا على ان تبقى لبلادهم الحدود التي حددها بها المستعمرون لصالح المستعمرين : « ما اغربنا نحن العرب ، لقد ثرنا على الانجليز والفرنسيين ، ثرنا على من استولى على بلادنا واستعبدنا ، وأثرنا الثورات الحمراء والبيضاء عدة عقود من السنين وقاسينا في سبيل ذلك الوانا من العذاب والتضحيات ، ولكننا عندما تحررنا من نير كل هؤلاء اخذنا نقدس الحدود التي كانوا قد اقاموها في بلادنا بعد ان قطعوا اوصالها ، ونسينا ان تلك الحدود انما كانت هي الحبس الانفرادي والاقامة الجبرية التي فرضوها علينا ، لاضعافنا وعزل قوى بعضنا عن ان تتحد بالقوى الاخرى » ومن اهم كتب الحصري في ذلك كتاب « اراء واحاديث في القومية والوطنية » و « العروبة بين دعاتها وخصومها » .

قلنا ان ادب المرحلة الاخيرة ــ فيما يتصل بمقاومة المستعمر ــ قد اتسم بطابع ايجابي يبرز به خصائصنا الشخصية الفريدة ، لكي نقف على اقدامنا ولا يجرفنا تيار الشمول ، الذي يسود فيه القوى ويضيع بين امواجه الضعيف ، وكان من اهم ما عني به الادباء في هذا الاتجاه الايجابي البناء ، استخراج اصولنا من لفائف التراث الشعبي ، فأخذوا يتقصون الشعبية والاغاني الشعبية والاساطير الشعبية ، حتى لقد صدرت مجلة فصلية بأشراف الدكتور عبد الحميد يونس لتختص في عرض التراث الشعبي وتحليله وتقويمه ، ليفيد منه كتاب القصة والمسرحية كما يفيد منه المصورون والنحاتون والشعراء ، فاذا اضفنا الى هذه الحركة حركة اخرى لبثت قائمة منذ فجر نهضتنا في أول القرن والى يومنا ، واعني بها حركة نشر التراث العربي وتحقيقه ، تبين لنا الاساس العريض المكين الذي نريد ان نقيم على ركائزه المجتمع العربي الجديد ، وعندئذ لا نقول ان الجديد قد جاء ليعارض القديم ويدحضه ، بل نقول ان الجديد قد جاء ليجد رواسبه في عروق الماضي وشرايينه ، وبهذا يتصل بنا تاريخنا ماضيا بحاضر ، فلا تكون فترة الاستعمار في هذا الطريق الطويل الموصول الا بمثابة غشاوة طرأت حينا على الجسم عندما اخذته العلة وسرعان ما اختفت حين استرد العليل عافيته وقوته.

القاهرة — **زكي نجيب محمود**

صدر حديثا

باباهمنغواي



بقلم ا. هوتشنر

ترجمة ماهر البطوطي

هوتشنر صحفي شاب اقبل على همنغواي يطلب منه حديثا ادبيا وهو يقول له : « اذا لم تعطني الحديث ، طردوني من الصحيفة » فاستجاب الروائي الاميركي الكبير للصحفي الذي اصبح صديقا يلازمه كظله طوال اربعة عشر عاما ، حتى موته .

و « بابا همنغواي » هو الكتاب الذي اصدره هوتشنر اخيرا عن حياة همنغواي وكتبه باسلوب روائي شبيه باسلوب همنغواي نفسه ، وكشف فيه النقاب عن ان الكاتب الاميركي انتحر انتحارا ، ولم يقتل خطأ وهو يقلب مسدسه ، كما زعمت زوجته التي اقامت الدعوى الان على هوتشنر بسبب الاسرار الكثيرة التي كشف عنها في كتابه والمتعلقة بحياة همنغواي الخاصة ، ومنها اتهامه باغواء فتاة قاصرة في اسبانيا ومحاولته التهرب من دفع الضرائب الخ ..

كتاب ممتع لا يزال يثير ضجة كبيرة في اوساط العالم الادبية .

منشورات دار الاداب

الاتجاه الملتزم للفكر الفلسطيني في معركة التحرير

بقلم خيري حمّاد

هناك ظاهرة واحدة وبارزة تميز الادب الفلسطيني العربي ، في هذه الايام ، وهي الانصراف عن الندب والبكاء والعويل على الديار والاطلال . والاتجاه الى شحذ الهمم وعقد النوايا والعزائم ، على خوضها معركة لاهبة ، لاستخلاص لوطن السليب من أيدي غاصبيه ، واستعادة الحقوق الضائعة من سارقيها من ممثلي الصهيونية والاستعمار ، بعد أن فشلت جميع الوسائل السلمية ، في تحريك ما يسمونه بالضمير الدولي .

ولقد تجلت هذه الظاهرة في أوضح صورها ، في المؤتمر العام الذي عقده كتاب فلسطين ، في قطاع غزة ، ذلك الجزء الباقي من وطننا السليب في فلسطين ، بين ٢٩ نوفمبر و ٤ ديسمبر من عام ١٩٦٦ ، وما رافق هذا المؤتمر من مهرجانات أدبية وشعرية ، وفكرية ، وندوات ثقافية .

ولقد حدد المؤتمر في قراراته ، وفي النداء الذي وجهه الى كتاب العالم ، وفي النظام الاساسي الذي وضعه لاتحاد كتاب فلسطين الذي انبثق عن المؤتمر ، طريق الفكر الفلسطيني واتجاهاته ، ووجوب التزام الكتاب ، بمعركة التحرير وأهدافها ، وبمنظمة تحرير فلسطين التي تجسد تطلعات الشعب الفلسطيني ، وتقود نضالاته من أجل استعادة وطنه .

واتضح من مناقشات المؤتمر وقراراته ، ومما القي فيه من دراسات ومن شعر ونثر ، ان الفكر الفلسطيني باق ، والى أن تنتهي معركة التحرير ، ويعود الوطن الى اهله وذويه ، ملتزما كل الالتزام ، بالمفاهيم الاساسية لقضية فلسطين ، وهي المفاهيم التي لخصها ميثاق منظمة التحرير ، وأكدتها قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته الاخيرة ، وقرارات مؤتمر الكتاب نفسه .

المفاهيم الاساسية :

وقد يطول بنا الحديث لو رحنا نشرح هذه المفاهيم الاساسية كلها ، ولكنها تتلخص في ان النظرة العامة للقضية ، باتت ذات مضمون تقدمي واضح كل الوضوح ، وان تحرير الجزء المحتل من فلسطين ، الذي اقام الاستعمار عليه اسرائيل ، يؤلف جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر ، على الصعيد العربي والعالمي . ولم تعد قضية فلسطين ، تمثل كما أراد لها الاستعمار أن تمثل ، نزاعا عنصريا ودينيا بين العرب واليهود ، وانما تمثل كما هي في الحقيقة والواقع ، والضروزة ، صراعا بين شعب ينشد التحرر ، ويطالب بحقه في تقرير مصيره ، وبين قوى تآمرت عليه ، وعلى وطنه وحريته ، وهي قوى الاستعمار ، والصهيونية ، والامبريالية العالمية ، والرجعية العربية نفسها .

وبات لزاما على الفكر الفلسطيني الملتزم بالثورية ، وبهدف التحرير ، أن يحسر النقاب عن زيف المنطلقات الفكرية للانظمة التقليدية الرجعية العربية في مواجهة العدو ، وان يرسم الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين ، بعيدا عن التصوير الجانبي المؤقت ، وانطلاقا من الاسباب العميقة الكامنة في أساس الوجود العربي الراهن وعلله السياسية الحضارية .

ومن هنا يكون فرض التزام منطق الفكر العلمي الثوري ، وتكون ضرورة تعميق هذا الفكر الثوري ، واسهامه في رسم استراتيجية العمل العربي الثوري لتحرير فلسطين . ويتطلب هذا أول ما يتطلب ، الاستناد الى منطلقات الفكر القومي العربي التقدمي ، والالتحام مع الفكر الثوري العربي ، في نضال موحد من اجل تحقيق اهداف الامة العربية الواحدة في الحرية والاشتراكية والوحدة واسترداد الوطن السليب .

وفي مقدمة هذه المفاهيم الثورية والاساسية لقضية فلسطين ، ان فلسطين ضاعت على أرض فلسطين نفسها ، لا في الامم المتحدة ، أو عصبة الامم السابقة ، أو غيرهما من المحافل الدولية . ولذا فان استعادتها لا تكون في الامم المتحدة ، أو في المجالات الدولية وانما على أرض فلسطين نفسها . فقد شهدت هذه الارض معارك الضياع الزائفة ويجب أن تشهد معارك الاستعادة الحقيقية . ولكن علينا أن لا تصرفنا هذه الحقيقة الواقعة ، عن الاهتمام بما يدور في المجالات الدولية من مناقشات حول القضية ، ولا بما يمكن أن يتخذ في هذه المجالات من قرارات تتعلق بأصل القضية أو فروعها . فالعمل على الصعيد السياسي وفي المجالات الدولية ، يعتبر بالضرورة والحتمية ، جزءا متمما لا يجب ان يقع على أرض فلسطين نفسها من عمل تحرري .

وإذا كانت فلسطين قد ضاعت مؤقتا ، فلا يمكن أن تضيع أبدا ، طالما ان هناك شعبا عربيا واعيا يؤمن بأهدافه القومية في الحرية والاشتراكية والوحدة ، رافعا شعاراتها ، وعاقدا العزم على تحويل هذه الشعارات الى واقع ، وطالما ان هذا الشعب يتجاوب مع قيادته الثورية العربية الواحدة ، المؤمنة بأهداف أمتها العربية ، والواعية لهذه الاهداف . فلا حرية للعرب في أي جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير طالما ان هناك اسرائيل بأهدافها العدوانية قائمة في قلب هذا الوطن ، تهدد أرجاءه المختلفة بخطر التمرد والتوسع . وطالما ان أسرائيل هذه تمثل القاعدة التي أقامها الاستعمار العالمي في قلب الوطن العربي ، ليعتمد عليها في حماية مصالحه الامبريالية ، وبينها مصالحه البترولية حتما ، وفي تنفيذ مخططاته وأهدافه العدوانية ، وفي حماية عملائه وأجرائه في قلب الوطن العربي ، من ممثلي الرجعية العربية . ولا وحدة للوطن العربي ، طالما ان اسرائيل تمثل الاسفين الذي دقه الاستعمار في قلب الوطن العربي ، ليحول دون وجود الارتباط الجغرافي المباشر ، الذي يعتبر عاملا ضخما من عوامل الوحدة ومقوماتها . ولا يمكن للسير في بناء الاشتراكية في الوطن العربي أن نغير سيره بقوة وسرعة، طالما ان وجود اسرائيل وخطرها العدواني ، يفرض على العرب تكريس الكثير من مواردهم للاغراض الدفاعية ، وهي موارد يحتاج اليها الوطن العربي أشد الحاجة في مراحل تحويله الاشتراكي وبناء مجتمع الكفاية والعدل .

ولما كان أبناء فلسطين ، وبناتها ، هم بحكم الواقع والضرورة ، طليعة القوى في معركة تحرير وطنهم ، وبالتالي طليعة الفداء في خضم هذه المعركة ، وان كانوا لا يمثلون جميع القوى فيها ، اذ يجب أن تشترك فيها جميع القوى المؤمنة بوحدة النضال العربي في سبيل تحقيق أهداف الامة العربية ، ولما كان الكفاح المسلح ، الذي يؤمن به شعب فلسطين ، كما تؤمن به الثورة العربية ، هو السبيل الذي لا سبيل سواه ، لتحرير الارض العربية، وتصفية الاحتلال الصهيوني ، فان هذا يتطلب من الكاتب الفلسطيني أن يلتزم بتعميق الوعي الجماهيري بهذه الحقائق ، وبالعمل على تحقيق متطلبات كثيرة وأساسية. وفي مقدمة هذه المتطلبات ، تحرير ارادة المواطن الفلسطيني ، وتمكينه من اعداد نفسه ، بالتنظيم ، والتدريب والتسلح ، لتحمل مسؤولياته ، وواجباته النضالية التحررية ، وتوفير القوة العربية القادرة على حماية الخطوط الامامية كلها ، لمنع اسرائيل ، الى ان تحين ساعة التحرير ، من ممارسة أي عدوان ، أو القيام بأية غارة انتقامية ، وذلك عن طريق تنفيذ مطالب الشعب الفلسطيني التي تجسدها منظمة التحرير الفلسطينية .

وهناك مفهوم أساسي ثان وهو أن معركة فلسطين ، جزء لا يتجزأ من معركة الامة العربية ، ويجب ان تكون معطياتها ، هي (عين) معطيات معركة الوحدة العربية ومقوماتها . فالوحدة هي طريق العودة ، كما ان العودة هي طريق الوحدة . ومن هنا يبرز التزام الكاتب الفلسطيني بوجوب الربط ، ربطا وثيقا ومحكما ، بين مستقبل تحرير وطنه ، ومستقبل الثورة العربية ، وبأن تحرير فلسطين ، جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العربية ، واقعا ومصيرا .

تحديد موقف :

ومن هنا يتحتم على الكاتب الفلسطيني أن يحدد موقفه من المتناقضات القائمة في الوطن العربي ، بين الثورة العربية ، وكل ما تعنيه الثورة ، من حرية للوطن والانسان العربيين . وبين الرجعية العربية ، وما تعنيه من عبودية للوطن ، وتخلف للانسان العربي . ولا بد للكاتب ، وهو يحدد موقفه هذا ، من أن يكون مع الثورة العربية ، عاطفة ، واحساسا ، ونضالا ، وصمودا ، اذ ان انتصار الثورة العربية ، لا يعني القضاء على الرجعية العربية وتصفية الاستعمار في الوطن العربي بمختلف صوره وأشكاله فحسب ، وانما يعني ايضا ، وبصورة حتمية ، لقضية الاحتلال الصهيوني في فلسطين ولقضية جميع المصالح الاستعمارية والاستغلالية الامبريالية المرتبطة بوجود هذا الاحتلال .

وعلى الكاتب الفلسطيني أن يلتزم بمفهوم اخر ، حد أساسي ، وهو ان الاستعمار عدونا الاول والرئيسي

في مشكلة فلسطين بالذات . فالاستعمار هو الذي خلق اسرائيل ، وأقامها في أرضنا الطيبة ، لتكون قاعدته في هذا الجزء من العالم ، وأداته وعدوانه ، ويستخدمها في مؤامراته ومناوراته .

والاستعمار القديم ، ممثلا في زعيمته السابقة بريطانيا ، هو الذي أصدر وعد بلفور ، فمنح من لا يملك لمن لا يستحق ، وطنا له صحبه وأهله وشعبه ، ثم تعاون من لا يملك ومن لا يستحق ، على حرمان صاحب الحق مما يملكه ويستحقه .

والاستعمار القديم هذا ، هو الذي فرض انتدابه البغيض والجائر على فلسطين تحديا لمشيئة أهلها ، اكثر من ثلاثين عاما ، لم يدع ابانها حيلة ، أو وسيلة ، أو قانونا أو سياسة الا واتبعها ، لتهويد فلسطين ، وتنفيذ مخططه في اقامة اسرائيل على أرضها . فهو الذي فتح ابواب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيها ، فارتفع عدد المستعمرين الصهيونيين من ٥٥ ألفا في عام ١٩١٨ ، أي عندما بدأ عهد الانتداب البريطاني ، الى ٦٥٠ ألفا في عام ١٩٤٨ ، أي عندما انتهى هذا العهد البغيض من البلاد . وهو الذي اتبع سياسات اقتصادية جائرة مع العرب ، انطوت على منح الامتيازات للمؤسسات الصهيونية ، وعلى ارغام العرب عن طريق الضرائب التي تهدف الى افقارهم ، على بيع أراضيهم لليهود ، ومع ذلك فقد صمد شعب فلسطين لكل هذا العنف والجور ، واحتفظ بأرضه . ولم يكن الصهيونيون يملكون في فلسطين عندما قامت اسرائيل في عام ١٩٤٨ سوى ٦،٢٥ في المائة من مجموع أراضيها طبقا لاحصاءات الحكومة البريطانية نفسها . وكانت معظم هذه الاراضي التي حصل عليها الصهيونيون ملكا للعائلات الاقطاعية من خارج فلسطين ، التي لا تشدها الى الارض أية روابط ، ولا تشدها الى شعب الارض أية أحاسيس ، وانما تتأثر بمصالحها الطبقية الاقطاعية التي لا تعرف ولاء لوطن أو شعب .

والاستعمار الجديد ممثلا في زعيمته الولايات المتحدة الاميركية هو الذي فرض على الامم المتحدة التي كانت تخضع في عام ١٩٤٧ للنفوذ الاميركي المسيطر عليها مشروع التقسيم الذي يتعارض مع المبدأ الاساسي لحق كل شعب في تقرير مصيره . وهو ، أي الاستعمار الاميركي ، الذي أشرف على تنفيذ هذا التقسيم ، لتقيم اسرائيل على أرض فلسطين ، وليعزز كيانها ، بعد اقامتها ، بما يضفيه عليها من حماية سافرة ، وفي رعاية وفي عون مادي ضخم ، وفي دعم يتمثل في أنواع الصواريخ الموجهة وغير الموجهة ومليارات الدولارات والماركات الالمانية الغربية ، كما يتمثل في تعزيز قدرات اسرائيل وطاقاتها على انتاج السلاح النووي ، الذي يضاعف في خطرها على الوطن العربي ، بل وعلى العالم الافريقي ــ الاسيوي ، والسلام العالمي كله .

وهدف الاستعمار الجديد من اقامة اسرائيل الى تأمين القاعدة الاستعمارية التي يستطيع ان يستتر وراءها ، للتسلل الى اقتصادات الدول الحديثة النامية في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية عن طريق المعونات الاقتصادية والمالية والفنية التي تقدمها الاحتكارات الامبريالية الغربية الى اسرائيل ، لتتولى ايصالها ، كسمسار ، الى هذه الدول النامية ، فيضمن الاستعمار الجديد بذلك سيطرته المستغلة على اقتصادات هذه الدول ، وابقاء مواردها وأسواقها تحت رحمته واستغلاله .

وهدف الاستعمار الجديد أيضا في اقامة اسرائيل ، واشغال العرب بها ، وبوجودها العدواني ، وصرفهم عن الجهود البناءة التي تستهدف رخاءهم ، وتحسين أحوال العيش في بلادهم ، ومنع المسيرة الاشتراكية من المضي قدما في طريقها لخلق مجتمع الكفاية والعدل ، كما أراد منها أن تكون وسيلته في دعم أعوانه من ممثلي الرجعية العربية ، للحيلولة دون مضي الركب العربي ، في طريقه السريع نحو التحرر الكامل والتقدم الحضاري والوحدة الشاملة .

وضوح المقومات :

ويتضح من هذا ان معركة فلسطين ، باتت واضحة كل الوضوح في مقوماتها ومعطياتها ومفاهيمها واتجاهاتها . فلا دور للعملاء الذين يرتبط وجودهم بالاستعمار في هذة المعركة ولا مكان في صفوفها للرجعية التي ترتبط مصالحها ارتباطا عضويا ومصيريا بمصالح الاستعمار ولا عمل فيها للانتهازية التي تدفعها أنانيتها الى الانحراف والخيانة .

وكان على الفكر الفلسطيني من هذا المنطلق ، الا يلتزم بمحاولات الرجعية العربية المرتبطة بمخططات الاستعمار والصهيونية ، لبعث منطق الاحلاف الاستعمارية تحت ستار الدين ، أي اقامة الحلف الاسلامي المزعوم ، وأن يندد بالجهود التي تبذلها الرجعية العربية لتزوير القيم الحقيقية للدين ، في محاولة يائسة منها لمواجهة المد الثوري العربي ، وانطلاق الجماهير العربية نحو تحقيق أهدافها .

وكان على الفكر الفلسطيني أيضا أن يلتزم بازالة اسرائيل كيانا وواقعا ووجودا ، على اعتبار ان هذه الازالة هي الهدف الوحيد لمعركة التحرير ، ومنها لقضاء على القاعدة التي أقامها الاستعمار في الوطن العربي . ولذا فهو يرفض جميع المؤامرات والمناورات التي تستهدف المساس بحقوق شعب فلسطين غير المجزاة ، ويشجب باصرار منطق التسويات والحلول التوفيقية التي يدعو اليها أمثال الحبيب أبي رقيبة ، رئيس تونس ، ومؤامرات

الصلح والتوطين والاسكان ، على اعتبار ان التسوية لا يمكن أن تقوم بين اللص والضحية ، او بين المستعمر المستغل وبين ضحيته الذي فقد حقه . وهو يستنكر ايضا المناورات التي تهدف الى شل الطاقات الفلسطينية وحصدها ، وتمييع المطالب الحقيقية للشعب العربي في فلسطين .

وكان على الفكر الفلسطيني أيضا أن يقوم بتعميق المفهوم القائل بأن القوى الثورية التقدمية هي التي تؤلف الطلائع في العمل التحرري ، لان هذه القوى تنفع في الجماهير ، وترتبط ارتباطا عضويا ومصيريا ، بالاهداف التحررية ، التي يمثل تحرير فلسطين مقدمتها .

معركة الحرية كل لا يتجزأ :

وهنا يبرز الارتباط الوثيق بين مستقبل القضية الفلسطينية ، وبين معركة الحرية ، لا في الوطن العربي فحسب ، حيث تستقر في عدة أجزاء من ربوعه ، وفي مقدمتها الجنوب اليمني المحتل ، بل وفي العالم كله أيضا . فالقضية الفلسطينية تجسد الصراع بين الامة العربية والتحالف الاستعماري ـ الصهيوني ـ الرجعي . ومن هنا أيضا يتحتم على الفكر الفلسطيني أن يؤيد جميع الشعوب المناضلة في العالم ، وفي مقدمتها شعب فييتنام البطل ، لتصفية الاستعمار والامبريالية وعملائها، كما يؤيد الشعوب المكافحة من أجل السلام العالمي القائم على العدل .

ولا شك في ان الالتزام في الفكر ابان معركة التحرير ، شرط أساسي لكسب هذه المعركة ، لانه يشبه الانضباط لدى القوات العاملة في الميدان ، والذي بدونه يستحيل على هذه القوات أن تكسب وأن تفوز .

ولا يعني هذا الالتزام مطلقا وأد للحرية الفكرية ، كما يزعم البعض . اذ ان الحرية المطلقة ، تعني الفوضى ، وتعني التفسخ ، وتعني الهزيمة في المعركة المصيرية والوجودية التي يخوضها الشعب العربي ، في سبيل تحرير الجزء المغتصب من وطنه . وليس أدل على وجود الحرية ورسوخ أقدامها ، من تبني الكتاب أنفسهم وهم طلائع الحرية ، في كل زمان ومكان ، لمفاهيم المعركة التحررية ، والتزامهم بها ، والعمل في جد ومثابرة واصرار على تعميق الوعي الجماهيري .

لقد عاشت فلسطين ، عبر القرون والاجيال ، عربية وستظل عربية ، طالما ان ارادة الشعب العربي صادقة في وجوب تحريرها من اسرائيل القاعدة التي أقامها الاستعمار في الوطن . وعلى الكتاب أن يؤدوا دورهم كاملا عن طريق الالتزام ، في الوصول بمعركة التحرير الى نهايتها الظافرة المنتصرة .

خيري حماد

الشعر العربي في معركة فلسطين والوحدة العربية

بقلم صابر فلحوط

أيها الاصدقاء ...

يا حملة الاقلام الثائرة ، التي تضيء للشعوب طريقها نحو العزة والتحرر والكرامة ... يسعدني أن ألتقي بكم ، وأتحدث اليكم من خلال هذه السطور التي تحكي دور الشعر العربي في معركة تحرير فلسطين والوحدة العربية .. مؤكداً ان على عاتق الكتاب الثوريين في اسيا وافريقيا مسؤولية نضالية كبرى ، وواجبا عظيما يحتاج الى الاخلاص للعقيدة والتفاني في سبيل الحرية والتضحية من أجل تحقيق المجد للجماهير الكادحة والقوى التقدمية المناضلة ...

وجدير بنا أيها الاعزاء أن ندرك ، أن تاريخا بطوليا جديدا يكتب هذه الايام لقارتي اسيا وافريقيا وجميع القوى التقدمية الثورية في العالم ...

فلتكن اقلام الكتاب ، وهج الضياء ، وحداء القافلة ، وطليعة الموكب الزاحف نحو الفجر ...

وليكن نضال الكتاب ، قدوة في التضحية ، ومثالا في الاخلاص للكلمة المسؤولة ، ومنارة تتجه صوبها الاجيال وهي تحرق المراحل في طريقها الى النصر العظيم على أشلاء الاستعمار والامبريالية العالمية .

أيها الاخوة ...

كان الشعر ، وما يزال ، عطاء النفوس الخيرة ، وفيض العواطف النبيلة ، ومرآة الحياة المتفتحة ... وهو خالق يعطي ، ومستجد يأخذ ، وعدسة تصور ، وصدى يحكي ... كما انه انفعال مع الاحداث، وابداع وتخطيط لقيم الجمال ، وجمال الطبيعة ، وروعة الحياة ...

وربما قال قائل ، وله بعض الحق ، ما بالنا نتحدث عن الشعر في عصر العلم والمنطق والصناعة ؟

أيصعد القوم الى القمر ، يفلحون أرضه ، ويفجرون صخره ، ونحن ما نزال نغني للقمر ، هائمين به ، مصلين له ، معجبين بروعته وبهائه ؟..

أوما برحنا نتحدث عن الشعر وغيره من صنوف الكلام ، وقد بات ثابتا ان اختراع مسمار واحد يدق صدر الاعداء ، واستنبات بذرة تمنع جوع محروم ، ونسج كنزة تقي من البرد جلد فقير ، كل هذه الامور تسوى ألف بيت من الشعر ، وألف بحر من النثر ...

وهذا الكلام ايها الاخوة فيه من الصحة والصدق بمقدار ما فيه من الخطأ وقصر النظر .. لاننا مهما سمونا في مدارج الحضارة ، ورفعنا من شامخات المباني وناطحات السحاب ، وركبنا من الاقمار والكواكب ، نبقى مدينين للكلمة الاولى ، للكلمة الوعد ، للكلمة المرشدة المسؤولة ...

ومهما بلغت حضارة الطين من قوة في الدعائم والاسس ، وتبهرج في الفنون وجمالية الصناعة .. تبقى هذه الحضارة ، او بالاحرى ، تبقى روح انسان حضارة الرماد ، بحاجة الى غوث روحي ، وحنين عاطفي ، تبقى بشغف ولهفة الى بحة الناي ، وهمسة الرباب ، وسراج الكوخ ، وسقسقة العصفور ، ورنين موال البدوية ، وحديث رعيان القرية ...

كما ان السؤال نفسه لا ينتهي ، وفي هذا العصر بالذات ، حول مدى امكانية مساهمة الشعر في بناء الحضارة الحديثة ذات الطوابق المئين ، والصواريخ الذرية ، والطائرات التي تغزو النجوم ...

والحق ان الامر أبسط مما يتصوره المتشائمون ، كما انه أرحب مما يأمل المتفائلون ..

فالشعر يفرض نفسه ، ويحدد موقعه من دائرة الحضارة ... ويخلق وجوده في وجود الصناعة والعلم ... كما انه يزرع أنفاسه الندية الطيبة بين لهاث الحياة المتعبة ...

وهو اذ يؤكد ذاته العظيمة رغم قيود الواقع وأشواكه ومعضلاته ، فيتخطى الحواجز ، ويتجاوز العقبات ، فانه ينسجم مع انسانية الانسان وروحه ووجوده الخلاق وكيانه اللامحدود ... كما انه ينسجم مع العبقرية التي تتجدد مع الزمان ، وتقفز فوق انغام الشك والضعف والصمت ، لتبرز في كل عصر وكأنها منه وله ، وخلقت لتقوده وتكون العلامة الدالة عليه ، والضياء النابع منه ...

فلسطين من خلال التاريخ

فلسطين عربية أرضا وشعبا :

كانت فلسطين منذ الازل جزءا لا يتجزأ من ديار الشام ، وكانت منذ الفتح الاسلامي جندا من أجناد الشام الخمسة وهي : فلسطين ، الاردن ، دمشق ، حمص ، قنسرين ... وكانت مدينة اللد قصبة جند فلسطين حتى جاء سليمان بن عبد الملك أميرا لجند فلسطين من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك فابتنى مدينة الرملة وبنى فيها قصره وجعلها العاصمة الى أن انتقلت الى بيت المقدس فيما بعد .

وفلسطين عربية منذ ما درج التاريخ على التراب العربي ، بل انها قلب الوطن العربي الكبير . وقد أطلق على فلسطين قديما اسم أرض كنعان لانها كانت وطن العرب الكنعانيين الذين نزحوا من جزيرة العرب حوالي (٢٥٠٠) سنة قبل الميلاد ...

أما اسم فلسطين فقد أطلق عليها قبل الميلاد بنحو ألف ومائتي سنة ، نسبة الى احدى القبائل التي نزلت شواطئها بين يافا وغزة ، وبقيت فلسطين مرتبطة بوحدة ديار الشام حتى الحكم العثماني حيث قسمت الى ثلاث متصرفيات ...

وقد هب عرب فلسطين مع اخوتهم أبناء العروبة في كل مكان للثورة على الحكم العثماني وتحقيق الاستقلال والحرية ... وقد اشترك أبناء فلسطين بجميع الجمعيات السرية والعلنية التي تألفت للنضال ضد الحكم العثماني وقد تلاقت دماء مناضلي فلسطين مع دماء ابناء دمشق وبغداد وغيرها من اجل القضاء على المستعمر العثماني ..

وقد أعلنت الثورة العربية الاولى في ١٠ حزيران ١٩١٦ وأخذ الشباب العربي من كل مكان يتسابقون ويلتحقون بالثورة ، حتى تحولت من الحجاز الى الشام ، وزال الحكم العثماني عن البلاد وانتصرت الثورة والتي كانت عربية استقلالية غير اقليمية ، وارتفع العلم العربي ذو الالوان الاربعة التي يمثل كل لون منها شعاراً لعهد من عهود العرب المجيدة .

وقد اشترط القادة العرب على الانكليز وحلفائهم اثناء الحرب العالمية الاولى أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين وأضنه شمالا حتى البحر الهندي جنوبا ، ومن فارس وخليج البصرة شرقا حتى البحر المتوسط والبحر الاحمر غربا ..

وعد بلفور جذور النكبة :

وفي هذه الاثناء كانت تجري بين الانكليز وزعماء الصهيونية في بريطانيا مفاوضات أسفرت عن تصريح بلفور الذي يعتبر فاتحة الكوارث على العرب وهو بصورة كتاب صادر بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ موقعا من بلفور وزير خارجية بريطانيا انذاك وموجها الى اللورد روشيلد ، وهذا نصه :

عزيزي اللورد روتشيلد ...

يسرني أن أبعث اليكم بإسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي، تصريح العطف على الاماني اليهودية الصهيونية الذي رفع الى الوزارة ووافقت عليه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على ان يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يضير الحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا الحقوق او المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها » .

ومن الواضح ان هذا الوعد لم يكن التزاما دوليا في ذاته ، وانما هو مجرد عطف وأمنية وتشجيع من جانب واحد ، وتم نكن فلسطين من أملاك بريطانيا حتى يحق لها التصرف فيها لانها تعد بما لا تملك وتهب ما ليس في يدها ، الا ان هذا الوعد كان وثيقة خطيرة جرت على العرب الشؤم وسببت النكبة الكبرى وتشرد عرب فلسطين .

فمع أن اليهود في فلسطين لم يكونوا حين صدور التصريح يزيدون على الخمسين الف نسمة يقابلهم من العرب ٦٥٠ الف نسمة أي ان عدد العرب يزيد على عدد اليهود أكثر من اثنتي عشرة مرة ، فان التصريح ، تصريح بلفور ، جعل اليهود الاصل وتجاهل وجود شعب عربي ، وتجنب حتى ذكر كلمة « عرب » .

قبيل النكبة :

استلم اليهود وعد بلفور كلمات عاطفية مشجعة تغذي آمالهم في انشاء وطن قومي يقيهم من التشرد والضياع في شتى انحاء الدنيا .

وانطلقت الالة الصهيونية تجمع المال لتستخدمه في انشاء المعامل والمصانع وشراء السلاح ووسائل التدمير وبناء المستعمرات استعدادا للمعارك المقبلة ، كما توالت بعد ذلك ، وبتشجيع وعون من بريطانيا ودول الاستعمار ، وفود المهاجرين الصهاينة الى فلسطين ، وهنا بدأت المعارك والمظاهرات وشتى صنوف النضال والاحتجاج ضد وعد بلفور ، وضد هذا العدو الصهيوني الغاصب الذي أراد من احتلال فلسطين أن تكون رأس حربة للقضاء على القومية العربية .

الخامس عشر من ايار ـ وتشرد اللاجئين :

وما كاد يتم النصر للحلفاء في الحرب الكونية الثانية ، حتى أسهمت الولايات المتحدة مع بريطانيا في البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية ، وتمت اللعبة الناجحة بوضع القضية بين يدي منظمة الامم المتحدة وأعلنت بريطانيا انها ستنهي الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ .

وكان النفوذ الصهيوني والاميركي يجند القوى في المنظمة الدولية الى جانب اليهود ، عندئذ وقف ابناء الامة العربية على باب تجربة عنيفة دامية ، تدعوهم الى اثبات وجودهم وقدرتهم على الاحتفاظ بكيانهم الموروث عن ابائهم . وكانت الجامعة العربية بدولها السبع يومذاك تقف في الميدان ، ولما لم تستطع دولها الاعضاء في المنظمة الدولية اثارة الضمير العالمي ، لان ضميرها هي لم يتحرك للنكبة ، ولان الدول العربية التي يجري البترول من تحتها لم تجرؤ على تهديد مصالح الاستعمار بسلاح النفط ، فقد صدر قرار التقسيم ودوى الرصاص ، وخاضت الجيوش العربية السبعة الحرب التي انتهت بالهدنة على حساب تشرد العرب الفلسطينيين الذين أصبحوا تحت كل نجمة جرحا ينبض بالنضال وجيلا يهتف بالعودة .

أيها الاخوة .

كان لا بد من هذه المقدمة الدولية لتدرك المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ، ونطل من خلالها على دور الشعر في مسؤولياته ومهماته خلال نضال الشعب العربي من أجل تحرير فلسطين العربية .

الشعب العربي في مرحلة النضال الاولى :

لقد واكب الشعر العربي القضية العربية في فلسطين ، ففناها جراحا تمور ، وآمالا تتفتح ، وانتصارات على العدو الغاصب .. كما استطاع أن يكون حداء الثوار المناضلين في المتاريس اللاهبة والميادين الغاضبة ، ونارا محرقة في وجه الساسة الخونة والحكام العملاء .. فقد أشعل الحرب في وجه العدو الحاقد ، كما أثار الرياح في وجه ضعاف النفوس وقصار النظر الذين حسبوا الاحتلال الصهيوني لفلسطين مجرد نزهة طارئة ورحلة عابرة يوم اطمأنوا للوعود الخادعة من كابوسة بريطانيا حتى استمر الداء فاذا به عضال فتال مميت واذا بفلسطين شهيدة حقد الاستعمار وخيانة العملاء ، وذل الاغبياء .. واذا بها كذلك نكسة قومية خطيرة ونكبة عربية لا تعادلها نكبة في تاريخ العالم الحديث ..

وقد تناول الشعر العربي وعد بلفور بشير الشؤم ودليل الجريمة الاول ، فبين للرأي العام مخازيه ، والويلات التي يجرها على الشعب العربي اذا هم تهاونوا امامه وأمنوا شره ..

وها هو الشاعر القروي يتوعد المستعمر الانكليزي مؤكدا له نهاية الظلم ، مبينا ان الانكليز اذا ارادوا اعطاء اليهود الارض والوطن فليكن ذلك من لندن وتوابعها لا من أرض وحقوق العرب ، لان اليهود أحب الى لندن ، ولان بريطانيا أرحب من فلسطين وهم أحق بها من أية بقعة في العالم :

الحق منك ومن وعودك اكبر   فاحسب حساب الحق يا متجبر
تعد الوعود وتقتضي انجازها   مهج العباد خسئت يا مستعمر
لو كنت من اهل المكارم لم تكن   من جيب غيرك محسنا يا بلفر

ثم يهدد :

تطوي دوارعك الخضم وربما   طويت بدمعة ثاكل تتحدر
للسلم نحن كما علمت وللوغى   منا المسيح أتى ومنا عنتر

ويشرح القروي الشؤم الذي جرته وثيقة الوعد الكاذبة من ويلات على العرب ، وكيف أصبحت وكأنها تاريخ حقيقي ، ووعد رسمي ينفي كل ما عداه من حقائق واضحة كالشمس :

من لعرض الحقائق   من أخاديع فاسق
سارق يدري به   نصف مليون سارق
في فلسطين آية   للرسول المنافق
أو تنفي وثيقة   عشرات الوثائق
كلكم جد آفك   كذبونا بصادق

ويتابع الشاعر ابو ماضي رسالة القروي وامثاله في التنديد بوعد بلفور والسخرية منه فيقول :

ألا ليت بلفور أعطاكم   بلادا له لا بلادا لنا
فلندن أرحب من قدسنا   وأنتم أحب الى لندنا

ويتوعد أيضا :

وكانت لاجدادنا قبلنا   وتبقى لاحفادنا بعدنا
وانا سنجعل من ارضها   لنا موطنا ولكم مدفنا

الشعر والهجرة اليهودية :

وقد تناول الشعر العربي الهجرة اليهودية الى فلسطين وأوضح للرأي العام العربي والعالمي خطورة تدفق مئات الالاف من اليهود الى الارض العربية ، كما بين المخازي التي يحصدها الشعب العربي الفلسطيني بسبب هذا الاحتلال الجديد فيخاطب الشاعر طوقان الانكليز ساخراً :

قد شهدنا لعهدكم بالعداله — وختمنا لجندكم بالبساله
وعرفنا بكم صديقا وفيا — كيف ننسى انتدابه واحتلاله

وعندما طغى طوفان اليهود المهاجرين قال طوقان :

منذ احتللتم وشؤم العيش يرهقنا — فقرا وجورا واتعاسا وافسادا
بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم — وكان وعدا تلقيناه ايعادا

وتحدث شعر طوقان بعد ذلك عن سبل تهريب اليهود وتسللهم المشبوه وطرقهم المريبة باسم السياحة حينا والتجارة أحيانا حتى أمكنوا القبضة على الارض العربية والعرب في شبه غفوة من اثر تخدير الوعود البريطانية :

يهاجر ألف ثم ألف مهربا — ويدخل الف سائح غير آيب
وفي البحر الاف كأن عبابه — وأمواجه مشحونة في المراكب
بني وطني هل يقظة بعد رقدة — وهل من شعاع بين تلك الغياهب

وينحي الشعر العربي باللائمة على تجار النفط في الوطن العربي الذين لم يقفوا في وجه الشركات الاحتكارية التي تمد اليهود بالمال والسلاح والعون :

يا بائع النفط صاروخا يهددنا — ومدفعا بلهيب الموت مختضبا
ليس العدو الذي بالنار واجهنا — لكن من وهبوه النار والحطبا

وقد حمل الشعب العربي على سماسرة الوطن ، وتجار الكرامة من العملاء والرجعيين وطلاب الزعامات الذين اشتغلوا بالتناحر والانانيات والمصالح الشخصية متناسين ما يفعله المستعمر الصهيوني الوافد فيقذفهم الشاعر طوقان بهذه السخرية :

أما سماسرة البلاد فعصبة — عار على أهل البلاد بقاؤها
هم أهل نجدتها وان أنكرتهم — وهم ـ وأنف كراغم ـ زعماؤها
وحماتها وبهم يتم خرابها — وعلى يديهم بيعها وشراؤها

الشعر العربي والخامس عشر من ايار :

عندما انطلقت الجيوش العربية الى ساحات الدم والحديد في فلسطين العربية كانت تحمل في قلوبها ايمانا بالنصر وعزيمة جبارة لا تفتر ، كما كانت تحمل في أيديها سلاحا شبه فاسد وعلى ظهورها قيادات وحكومات معظمها مرتبط مع الاستعمار ، ومع ذلك خاضت الجيوش المعركة ، وخرجت منها تجر جراح الالم والخيبة والانكسار تاركة الضحايا الغوالي في تراب فلسطين تنادي ملء سمع الزمان ، هاتفة بالعودة مؤكدة النصر في معركة المصير العربي .

فلينشد الشاعر أحمد حجازي لشهر ايار لحن الالم والحرقة :

نحن ما زلنا نغني
لك يا شهر ايار يا شهر النهار
نحن ما زلنا نغني
لك يا شهر التمني
يومك الخامس عشر
آه يا يوم الضحايا والهزيمه
آه يا يوم الجريمه
نحن لم نبخل عليه بدم — لكنه ضن علينا بانتصار
وبمرأى من دوالينا — بمرأى من هزار
انتهينا عنك يا يافا وتهنا
دون ان نشبع من شم العرار ..

وكلما عاد أيار حمل في جيبه الآف الصور القاتمة والذكريات المريرة :

وعاد ايار والجنبات ما فتئت — مصبوغة بدخان الخزي والعار
واللاجئون جراحات مخضبة — بالحقد بالصمت بالالام بالثار
والساح لما تزل غابا من الالم
معجونة بسياط الجوع والسقم
تاه الرعاة فلا تسأل عن الغنم
ما بين ظفر وناب والتهام فم (1)

ويعاتب الشاعر الناعوري يوم الخامس عشر من ايار عتابا مرا فيه لعنة الزمان ، وأقذع ألوان الشتيمة :

يا لعنة الزمن البغيض — وأسوأ الايام ذكرا
هذي ضحاياك الكثار — تميتها الايام قهرا
يا صورة الجبن الاذل — وأبغض الايام طرا
لا كنت من يوم وبه — صار انتخاء العرب غدرا

وقد اعتبر الشعر العربي ان سبب الخامس عشر من ايار ليس عصابات اسرائيل وحدها وانما المستعمر الغربي بشكل عام لان جميع الايادي الملوثة المتآمرة اشتركت في صنع الجريمة البشعة وتمثيل فصول هذه المأساة الكبرى فليقل الشاعر هارون هاشم رشيد :

لولا خداع الانكليز وغدرهم — ما عاث في أرض الاسود كلاب
والغرب يا للغرب ان قدومه — نحو البلاد مصيبة وخراب
هو أخطبوط فاجر مستعمر — في كل ناحية له أذناب

الشعر العربي بعد النكبة :

لم يستسلم الشعر العربي ، كما لم يستسلم الشعب العربي للامر الواقع في فلسطين بل بقي رغم هزيمة عام ١٩٤٨ يدفع قوافل النضال للمعركة ، ويعد العدة للنصر ، ويطرح الشعارات الثورية ويهيىء القوى ليوم المعركة الفاصلة .

وهنا لم يستطع الشعر بعد النكبة ان يخفي دفقات الالم والحسرة والضياع الذي أصاب اللاجئين فعندما يسأل الشاعر العربي الفلسطيني عن نفسه يجيب بشير قبطي :

أنا من تلال الرملة البيضاء ذهبها الاصيل
من سفح غزة ، من ربوع اللد ، تحضننا السهول
أنا من ضلوع القدس شرحها بمبضعه الدخيل

كما ان الشعر العربي لم يعترف بقرار التقسيم ولم يرض عن قرارات الامم المتحدة لانها كانت منتهى الجور والظلم والتعسف الذي قضى بتشرد العرب الفلسطينيين واستيطان العصابات المهاجرة الى غير ارضها ظلما وعدوانا .

فليغضب الشاعر علي محمود طه ، وليشد العيون صوب الفجر ، وليشحذ الهمم نحو النصر :

أخي جاوز الظالمون المدى — فحق الجهاد وحق الفدا
وليسوا بغير صليل السيوف — يجيبون صوتا لنا او صدى

وليصرخ الشاعر يوسف الخطيب في وجه دعاة التقسيم :

أنا ثورة أنا مارد جبار — لا الريح تخمدني ولا الاعصار
سيأمد في الافاق ألسنة اللظى — حمرا لها في الخافقين أوار
ولاحرقن الليل حتى تنجلي — أسدافه فتوقدي يا نار
للميتين جراحهم ودموعهم — ولجذوتي ساح الوغى والثار
أنا للحياة ولن أظل مشردا — أقسمت لا ارضى ولا اختار
أنا ثورة عربية جبارة — حتى تعاد الى ذويها الدار

وقد اتسم الشعر العربي بطابع الثورة والتمرد والدعوة الى مواصلة الكفاح ، وتقديم الاضاحي من اجل العودة مستلهما الماضي العربي مزينا روعة المستقبل بعد الظفر في معارك التحرير .

---

(1) من شعر « صابر فلحوط » .

الشعر العربي والسلام :

من البديهي ان الامة العربية امة سلام ومحبة تاريخا وعقيدة ومسيرة واخلاقا ، الا انها لا تستطيع ان تغمض عينيها على السهام تفتك بها ، والذئاب تغير عليها ، لهذا كان الشعر العربي منطقيا في دعوته للسلام لانه جعل السلام هدفا وغاية مقدسة بعد تحرير اجزاء وطننا المسلوبة ونوالنا حريتنا وكرامتنا المعتدى عليها من قبل الاستعمار واعوانه ، وقد كان الشعر العربي هدى لهذه المبادىء الواضحة والتي لا تحتاج الى فلسفة او نظريات ..

ومن هذا الميدان انطلق الشاعر سليمان العيسى عندما لا يرى مبررا للهدوء والاستقرار الا بعد النصر والكرامة :

حملت في شقتي النار والالما   هما جناحاي في الزحف العظيم هما
كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي   الا لتلثم ارضا حرة وفما
كفرت بالحب ان مدت جوانحه   على حبيبين حام الذل حولهما

ومن هذا المنطلق يرى الشاعر خليل خوري السلام الذي نحبه ونغنيه بعدما نحقق آمالنا ونحرر ارضنا ونغني روعة فجرنا :

ربما غنيت لحنا للسلام
بعد عام ، بعد عامين ثلاثة
الف عام
غير اني لن اغني الان ما دام السلام
حائلا يمنع عن فجري انبعاثه

الشعر وحرب التحرير الشعبية :

وقد تجاوب الشعر العربي مع آمال الجماهير العربية الكادحة ، ومع الحل الثوري لقضية فلسطين ، وهو حرب التحرير الشعبية التي تتبناها الطلائع العربية المناضلة .. فشرع يحث الاجيال من اجل التمرد والثورة على الواقع الاسود الفاسد ، ويدعو الطلائع للانضمام لكتائب التحرير الشعبية منطلقا من ظلام الواقع ليصنع فجر المستقبل المشرق .. فهو يشهد زخم الملايين ، وتمرد الجماهير ، ولهب الثورة العربية في كل ميدان وساح ، فيشهد خالد وطارق والجراح من خلال بطولات ثوار الجنوب ومغاوير العاصفة وطلائع حرب التحرير الشعبية فينشد للجراح على دروب النصر :

دقي يد القدر
والقي السفين الى الشطآن وانتظري
المنقذ الشعب عاد اليوم فاعتمري
عمامة من دم مهدور نضر
هذي الطلائع غني موكب الظفر
تململي احرقي الاقياد وانتصري
فطارق عاد يا شطآننا انفجري
موجا من اللهب
صواعقا من جحيم الموت والغضب
وغمس راية من جرح امتنا
ونشريها ضحى مخضوضر الشهب
وعمري قلعة التاريخ شامخة
صخورها من جراح الفتية النجب
غدا وليس غدا الا لثورتنا
لنا لامتنا في زحفها العربي (1)

من فلسطين الى فيتنام :

ان الشعر العربي ، وهو يصارع الاستعمار ، ويدعو الجماهير العربية الكادحة للثورة وخوض المعركة ضد العدو الغاصب ، فانه يساهم بشكل جدي وفعال في تحرير الشعوب الصديقة المكافحة من اجل حريتها وعزتها وكرامتها ..

فتحطيم الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، والقضاء على نفوذ شركات النفط الاحتكارية في الوطن العربي ، وتحرير ارض الجنوب العربي من المستعمر البريطاني واذنابه ، واذلال الدوائر الاستعمارية ، وانهاء وجود العملاء والرجعيين من الارض العربية كل هذه الامور مساهمة جدية وفعالة في تحرير فيتنام وغيرها من الدول الصديقة التي تكافح عدوا مشتركا ..

والشعر العربي وهو يكافح من اجل فلسطين فانه يفتح جبهة نار جديدة على اعداء فيتنام الذين يستبيحون الحريات والحرمات ويسرقون اموال الشعوب ويكبلون قدراتها وانطلاقاتها .

والشعر العربي القومي ، بشكل عام ، هو دعوة خيرة للانسانية ، وصوت أصيل في سبيل العدالة والسلام ، وغضبة صادقة اللهيب من اجل القضاء على الاستعمار والامبريالية والرجعية والعملاء فوق كل شبر من العالم ..

ولهذا يلتقي شعراء العروبة في دعوتهم لتحرير فلسطين مع ثوار فيتنام الابطال عندما يساهمون في حفر خنادق جديدة للمستعمر الغاشم الذي يظهر في فلسطين بوجه وفي فيتنام بوجه اخر ..

وهكذا استطاع الشعر العربي ان يعيش القضية الفلسطينية وان يصبغ قوافيه بدم الضحايا وانفاس الشهداء ، وان يعيش مراحل النكبة وفصول المأساة بكل دقائقها ، وقلما خلا ديوان شاعر عربي من هتاف للعودة ، وصرخة من اجل الديار السليبة ..

ولئن قصرنا الشواهد في هذه العجالة على بعض الشعراء فما ذلك الا للاختصار وكسب الوقت .

ولعل استقصاء الشعراء الذين غنوا فلسطين وأغنوا الادب الثوري بشعرهم القومي حول النكبة يحتاج الى دراسة اوسع واشمل ليس هذا المقام مجالها ..

الشعر والوحدة العربية

ايها الاخوة ..

الحق ، ان دراسة دور الشعر في معركة الامة العربية من اجل

(1) من شعر صابر فلحوط

وحدتها وحريتها تحتاج الى مجلدات وكتب ، وذلك لان الشعراء العرب، في فترة اليقظة القومية ، فتحوا ابصارهم على الدنيا ليجدوا امتهم مجزاة مقسمة بفضل الاستعمار والجهل وعقلية الزعامات الموروثة وغيرها من الامراض الاجتماعية الفتاكة ..

وكان لا بد للشعر العربي من ان يكون داعيا للوحدة مبشرا بها ، مناضلا من اجلها ، معتبرا ان سعادة الوجود ورفعة الانسان العربي لا تتحقق الا :

يوم امشي في الاطلسي يميني دون حد وفي الخليج شمالي (١)

ويعتبر الشعر العربي ان الوحدة العربية امر محتوم ، وواقع طبيعي لا بد من ان تعيشه الجماهير المناضلة ... فاذا ما قامت عراقيل الاستعمار وحواجزه ، فتلك امور طارئة على الاصل والذي هو الوحدة :

يا هاتفا بالفرقدين تلاقيا
كلفت نفسك وصل ما لم يفصل
ما الشام وما وهران في البلوى سوى
عيني مولهة وحدي فيصل
ارأيت ويحك مقلة هملت على
فقد الحبيب واختها لم تهمل (٢) ؟

والشعر العربي يصل الماضي العظيم بالحاضر الثائر دليلا على صلة تراثنا وتماسك ترابنا ولقاء ثوارنا في كل زمان ومكان .. فليخاطب الشعر العربي جميع المشككين بقدرتنا وعظمتنا ماضيا وحاضرا ومستقبلا:

سل عهد شامي وبغدادي واندلسي
عن عمق فلسفتي عن عدل احكامي
انا العروبة لي في مملكة
انجيل حب ، ولي قرآن انعام
ما ازهوهر الشرق الا تحت اعلامي
واخضوضر الغرب الا تحت اقدامي (٣)

واذا ما بدا الواقع اسود ، تعبث فيه ذؤبان التجزئة ، وتغير على الحمى أوباش الاستعمار والصهيونية فعلى الشعر العربي ان يطل من عالم الغيب ليبشر بالثورة وبحرب التحرير الشعبية :

قل للمغير على مرابعنا	كالسيل ينفذ من هنا وهنا
حملت نفسك فوق طاقتها	وركبت ويحك مركبا خشنا
فاجعل ضريحك جاهزا ابدا	واعد نفسك واحمل الكفنا
ان لم يكن زمن يوافقنا	للثأر منكم نخلق الزمنا (٤)

ويختصر الشعر العربي المسافات والتخوم والحواجز ، ويذلل العقبات والصعاب ليحقق الوحدة العربية التي تربط ابناءها روابط الدم والشعور والاصالة والقربى ، فيستنكر دعاوى الانفصاليين والقطريين والاقليميين والرجعيين :

لم تنأ لبنان عن مصر ولا بعدت	بغداد والمسجد الاقصى وصنعاء
اي التخوم تناءت بين اربعها	لها من الروح تقريب وادناء
ارض عليها جرى تاريخنا وجرى	دم به كتب التاريخ آباء

فهذه الارض وحدة لا انفصال في اجزائها ، وهذا الشعب امة لا تفريق بين ابنائها شجرة واحدة الاصل عديدة الغصون والفروع تجمعها روابط هي مقومات وجودنا ، وسر خلودنا وأساس قوميتنا ..

والشعر العربي عندما يحدثنا عن هذه الروابط الوحدوية الاصلية فلا يعتمد على خريطة مكتوبة وحدود طبيعية مرسومة فحسب بل يعتمد على روح الثورة في الجيل العربي صاحب الوحدة وحارسها والمناضل لتحقيقها ، وعندما يتكلم الشعر فانه يتكلم باسم الدم العربي الذي يغلي على رحاب فلسطين والجزائر والجنوب العربي ... كما تتكلم الطلائع الثورية الزاحفة نحو النصر العربي الكبير ...

(١) شعر سليمان العيسى
(٢) شعر القروي
(٣) شعر القروي
(٤) شعر الياس فرحات

وقد امتزج الشعر العربي بأرضه وسمائه ، بأهله وذويه ، حتى بات جزءا من سنديانة البيدر ورمانة الكرم ، وعنقود الدالية ، ومجوز الراعي واغنية البدو ، بوحدة فيها من الصدق والجمال بمقدار ما فيها من الجلال والروعة والصفاء ..

وتأخذ الدعوة للوحدة العربية في بيدر الشعر اشكالا متعددة ولكنها تبقى جميعا في المجرى العميق الذي تصب فيه جميع السواقي الشاردة ، وذلك بسبب وحدة المنبع والمصدر ، ووحدة الهدف والمصير.. فالجيل العربي الذي يصنع الوحدة ، قدر العروبة في تاريخها الحديث، هذا الجيل يعرف نفسه ، يعدد ميادينه وساحاته ويذكر سبل نضاله ، ويحدد في النهاية هدفه المصيري العظيم :

أنا في بغداد أمواج الدمنا	احرقت وجه السحاب الغيهب
أنا في صنعاء نار تفتلي	فالعروش السود بعض الحطب
أنا في الاوراس شعب ثائر	صامد عبر صراع النوب
أنا في النيل اسود دربها	وحدة رغم دعاة الكذب
أنا شعب وليمت اعداؤه	عربي عربي عربي (١)

الشعر والدعوة للحرية :

ان الشعر العربي توق دائم للحرية ، وشوق متقد لتحقيقها ونضال مستمر من أجل رفع رايتها واعلاء كلمتها ...

وقد تمكن الشعر العربي من ان يفتح العيون والاذهان على شمس الحرية ، وان يدعو لتشابك الزنود والقلوب في المعركة من اجل الحرية، وان تستثير الهمم ويحفز الجماهير ، ويقود الثوار ، في سبيل النضال الدامي والكفاح المرير فدى للحرية وتأكيدا لوجودها ، وعربونا لانتصارها. فمنذ الجاهلية حتى اليوم ، والشعر العربي سراج الضياء الوهاج وصوت القافلة الحادي ودليل الاجيال الضائعة ، وناقوس الامل الذي يدق ليل نهار من أجل الحرية ... وقد فهم الشعر العربي الحرية على انها ثورة من أجل الوحدة العربية ، ومن أجل انسانية الانسان العربي ، وفسح المجالات امام مواهبه وامكاناته ليفجر طاقاته الكامنة ويخلق مستقبله العظيم .. وقد اتسم طابع الدعوة للحرية بالامر العنيف والالحاح الشديد والايمان الكبير بالشعب ، بالجماهير الكادحة ، وبالملايين الضائعة في توابيت الاسى والعدم والتعب والالم ...

وها هي قد بدأت تتململ من قيدها وتتحرك تحت وطأة الصخور المكدسة على رأسها ، فتزيح الليل الثقيل عن أجفانها ، وتمضي الى مدارج النجوم ، ومعارج النسور لانها الشعب الذي لا يغلب ..

الملايين افاقت من كراها	أتراها ملأ الافق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها	بعد ما تاهت على الارض وتاها
حملت أفؤسها وانحدرت	من روابيها وأغوار قراها
فانظر الاصرار في أعينها	وصباح البعث يجتاح الجباها
يا أخي في كل أرض عريت	من ضياها وتغطت برجاها
قم تحرر من توابيت الاسى	لست أعجوبتها أو موميائها
انطلق فوق ضحاها ومساها	يا اخي قد أصبح الشعب الها (٢)

ولعل تصوير الواقع المأساوي الذي تعيشه الامة العربية من تخلف وضعف وتجزئة وتحكم من قبل الاستعمار يشكل أكبر حافز على الثورة من أجل الوحدة والانقضاض على السادة العبيد الذين يذيقون الشعب مر العذاب والتشرد والالم :

ان في أضلاعنا	مما جنى الدهر سعيرا
نحن املنا كثيرا	فتألمنا كثيرا
ورجونا المجد تاجا	فحملنا الذل نيرا
باعنا القادة أغناما	وساقونا حميرا
اطعمونا الصبر فجا	وسقوناه عصيرا

(١) من شعر صابر فلحوط
(٢) من شعر محمد الفيتوري

فرشوا أوجهنا للغادر العاتـــي حصيـــراً (١)

هذه صورة سوداء قاتمة من صور العبودية عانى منها شعبنا ومـا يزال يعاني في بعض أجزاء الوطن العربي ، ومن يمكن أن يجلو هـذه الصورة الا نضال الثوار وبطولات الطلائع التقدمية والقـوى الثورية ، والجماهير العربية الكادحة ...؟

الشعر وامراض المجتمع العربي :

ان الشعر العربي ينسجم مع المبادىء العربية القومية التي آمنت بها الطلائع الثورية عقيدة وسبيل نضال ... ولهذا نجد الشعر العربي يعلن ثورته على الطائفية ، والاقليمية والاتكالية وشتى الامراض الاجتماعية التي خلفتها عهود الفساد والاستعمار في مجتمعنا ... ولهذا نجد الشعر العربي يحدد العروبة ويعرفها على انها رسالة خير ومحبة وسبيل كرامة وتكافؤ للفرص بين الجميع ، بعيدا عن تعصب الحاقدين وتشكيك المغرضين :

ليست عروبتنا طقوس ديانية ... تذكي الجهالة بالتعصب نارها
ليست تميز احمداً عن بطرس ... فالام ترعى بالسواء صغارها
وتضمهم فكأنها قيثارة ... ضمت الى اضلاعها اوتارها
ما همها من لم يصل ولم يصم ... ما دام يحمي في الحروب ذمارها (٢)

ونرى الشعر العربي يجعل من الدين وسيلة وحدة لا سبيل فرقة، وذلك عندما يلتقي الدين مع أصله ومنبعه وهو القيم العربية الخالدة :

رتـل نشيد عروبتي ترتيـلا ... تسمع به القرآن والانجيلا
رتله تسمع نهر دجلة هادرا ... وخليجنا ومحيطنا والنيـلا (٣)

(١) من شعر الياس فرحات
(٢) من شعر الياس فرحات
(٣) من شعر صابر فلحوط

وقد حارب الشعر العربي الاتكالية والانهزامية وغيرها من أمراض المجتمع العربي التي تجعل المواطنين عالة على الوهم والغيبيات فحدد هذه السياسة بقوله على لسان فرحات :

صلى الجهول الى الباري ليرزقه ... ودعا ونام ، فعاش العمر جوعانا
ولو سعى في سبيل العيش مجتهدا ... لكان من امره غير الذي كانا

أما اولئك الذين همهم المناصب والمراتب ، والمظاهر الفارغة فلهم من الشعر العربي القاب الهزء والفضية القاصمة الظهر لانهم :

لا يبذلون لاجل الخير خردلة ... الا اذا قيل قبل الدفع قد دفعوا
قوم اذا قعدوا في منصب شمخوا ... ناسين كم قرعوا بابا وكم ركعوا
اذا تولوا على أصحابهم ضربوا ... فان تجلت لهم أربابهم ضرعوا
جور على ذا ، وتعفير الجبين لذا ... كنائم السطح مطروح ومرتفع

وخاتمة القول ، ان هذه اللمحات من دور الشعر العربي في معركة فلسطين والوحدة العربية تدل بوضوح على رسالة الشاعر المسؤول والعبارة الهادفة ، والكلمة الملتزمة التي تحكم العالم هذه الايام ..

وقد استطاع الشعر العربي ان يكون نضالا من أجل فلسطين وكفاحا في سبيل الوحدة بالمقدار الذي تسمح له ظروفه كفن انساني ، فخلق ملء جوانحه ، وطاف جميع الميادين والساحات التي تمكن من الطواف بها والعمل فيها ...

فكان ، والحق يقال ، هتاف امة تمضي نحو مطالع فجرها ، وهدير أجيال تنطلق في مواكب بعثها ، ونداء تاريخ ثوري يكتبه ابناؤه من جديد ... وسيبقى الشعر الثوري القومي قبسة في عتمات ليل النضال ، وبسمة تتحدى عبسات الاحداث وقيود المستعمرين ...

ولعمري انه شعر الثورة العربية الرائدة ، الشعر القومي الاصيل الذي يدق أبواب الخلود بكلتا يديه .

والسلام عليكم .

صابر فلحوط — دمشق ـ سوريا

الفكر السياسي وقضية التحرر القومي في العالم الثالث

بقلم الدكتور حسن صعب

يتألف التراث الثوري للانسان الحديث من مبادىء وانجازات الثورات الانكليزية والاميركية والفرنسية والروسية وثورات التحرر القومي في العالم الثالث أي في اميركا اللاتينية واسيا وافريقيا . واذا أمكن تقييم الثورة تقييما كميا ، فان ثورات التحرر في العالم الثالث ، تعتبر بمجموعها أعظم ثورة عرفها الانسان حتى اليوم ، لانها أدت لاول مرة في التاريخ البشري لتحرير مليارين من الناس ، أي ثلثي الجنس البشري من تسلط الاخرين عليهم . فتحقق بذلك حدث فريد لا سابق له في التاريخ ، وهو ان التحرر لم يعد رهيناً بقارة أو جنس أو دين أو ثقافة قومية ، بل أصبح مرادفا لحق كل شعب من حيث هو شعب في **تقرير مصيره .**

ولئن كانت ثورة التحرر القومي في العالم الثالث هي الى حد بعيد نتيجة الثورات الانكليزية والاميركية والفرنسية والروسية ، سواء اكان ذلك من حيث المبدأ أو التطبيق ، الا انها تجاوزتها كلها ببعدها الانساني Human Dimension فقد نشبت الثورات الاربع الاولى في اقليم الكرة الشمالي ، وظل لكل منها طابعها القاري أو القومي أو الطبقي . ولذلك لم تستطع الامم التي قامت بها – بالرغم من كل ما أسهمت به في قضية التحرر الانساني – أن تتحرر من المفارقة التاريخية التي اعترضت عملية تحرير الانسان حتى الان ، **وهي مفارقة ازدواجية الموقف من الثورة ، بحيث تكون الامة القائمة على مبادىء ثورية في وطنها متصدية للقضاء على الثورات في أوطان أخرى .**

ولقد اكتسبت ثورة التحرر القومي في العالم الثالث وما تزال تكتسب بعدها الانساني من مقاومة هذه المفارقة . فأكرهت التحرريين في ديارهم الاستعماريين في ديار غيرهم ، واضطرت الثوريين في أرضهم الرجعيين في اراضي الاخرين ، أن يدركوا بأن ثورة التحرر اما أن تكون ثورة في سبيل تحرر الانسان أو أن لا تكون ، وان الدار الانسانية اما أن تكون كلها دارا للحرية أو أن لا تكون . فعمقت بذلك معنى الحرية لدى المتحررين والمتحرر منهم . وأخذ المفكرون السياسيون الغربيون والشرقيون يعيدون اكتشاف الابعاد الانسانية لثوراتهم القومية أو الطبقية ، واخذ هذا الوعي الجديد يؤثر في الاتجاه الفكري بل وفي السلوك السياسي داخل الحدود الوطنية وخارجها .

ويعني هذا انه اذا صح القول بأن شعوب الاقليم الجنوبي من المعمورة وعت ذاتها وعيا جديدا تحت وطأة ثوريه شعوب الاقليم الشمالي وحضاريتها وتكنولوجيتها واستعمارياتها ، فان شعوب الاقليم الشمالي تعي هي ايضا ذاتها وعيا جديدا تحت ضغط ثورية العالم الثالث . ولا نستطيع ان نستقصي هنا جميع مظاهر هذا التأثير على الصعيدين النظري والعملي . ونكتفي بالاشارة الى ان جميع الايديولوجيات الشمالية وجميع العلوم الاجتماعية وفي مقدمتها العلوم الانمائية هي الان في حالة مراجعة لمسلماتها من قبل المفكرين الجديين على ضوء الحقائق الجديدة التي تتكشف عنها تجارب الحرية في العالم الثالث . ونشير أيضا الى ان بعض بلاد الاقليم الشمالي تجتاز الان فترة نهضة جديدة من حيث الالتفات لاديان العالم الثالث وثقافاته ولغاته .

ثم ان الصراع الايديولوجي والسياسي الداخلي في دول الاقليم الشمالي ينفعل انفعالا بينا بمجرى ثورة التحرر في العالم الثالث . ونكتفي هنا بالتمثيل على ذلك ببعض الاحداث ذات الدلالة على هذا الانفعال كانتصار حزب العمال في بريطانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية ، الذي كان من أسبابه قابلية قادته لتفهم حركات التحرر الاسيوية والافريقية على وجه لم يكن يتوفر للقادة المحافظين ، وتوارى أنطوني ايدن من مسرح السياسة البريطانية كنتيجة لانتصار الثورية العربية في حرب السويس ، وفوز ايزنهاور في انتخابات الرئاسة عام ١٩٥٢ ، الذي كان من أسبابه تقبله للتهادن مع الثورية الصينية والكورية ، وتوطد قيادة الرئيس ديغول في فرنسا بفضل تجاوبه مع الثورية العربية في الجزائر وقدرته على اتخاذ موقف فرنسي جديد تجاه حركات التحرر في العالم الثالث ، والحركة المناوئة للستالينية في الاتحاد السوفياتي التي كان من نتائجها الايجابية الهامة افتتاح الاتحاد السوفياتي صفحة جديدة في علاقاته مع دول العالم الثالث .

ويستطيع الباحث أن يتوسع في ملاحظة اثار ثورة التحرر القومي في العالم الثالث في اقتصاديات الاقليم الشمالي ، فيتأكد له ان البعد الانساني لهذه الثورة كان حتى الان بعدا شاملا ، ويظهر له ان شعوب الاقليم الشمالي ، وان كانت تواصل التطور في ظل ثوراتها العلمية ، والآلية ، والالكترونية ، والفضائية ، الا ان هذا التطور رهين أيضا بمجرى علاقاتها مع العالم الثالث ، بحيث لا يكون من المبالغة القول بأن مصير الانسان من حيث هو انسان يتقرر

اليوم في حقول الاقليم الجنوبي بقدر ما يتقرر في المختبرات العلمية والمصانع الالية وسفن فضاء الاقليم الشمالي .

والفكر السياسي في الجنوب والشمال مدعو لوعي هذا البعد الانساني لثورة التحرر في العالم الثالث وعيا كاملا . وهو مدعو لمعرفة ما اذا كنا هنا تجاه مجرد امتداد مكاني للتحرر ، أي تجاه زيادة في عدد الدول المستقلة التي يتألف منها المجتمع الدولي ، أو اننا تجاه معنى جديد للحرية تجسمه ثورة العالم الثالث ، ويمكن أن يسري منه الى سائر أنحاء العالم . ولا يعني هذا التساهل الاستهانة بأهمية امتداد التحرر السياسي لمليارين من البشر ، ولا يعني في أية حال من الاحوال اعادة النظر في حق جميع البشر في أن يشملهم هذا التحرر ، **ولكنه يعني واجب النظر الايجابي في قدرتنا نحن شعوب العالم الثالث على أن نتخطى التحرر كحق مبدئي الى التحرر كطاقة انسانية خلاقة .**

ونحن لا نتغاضى هنا عن العلاقة الاكيدة بين التحرر كحالة والتحرر كطاقه ، **أو العلاقة بين ما يمكن ان ندعوه بالحرية السياسية والحرية الروحية** . والحرية الاولى هي حرية تصرف بالقدرة أو السلطة السياسية والحرية الثانية هي حرية صيرورة الذات الخلاقة . والطريق الواصلة بين الحريتين هي طريق التحقق الاقتصادي والاجتماعي . وهذه الطريق هي الان طويلة وشاقة في العالم الثالث طول ومشقة هوة التخلف بين المجتمع المتقدم أو الانسان المتقدم والمجتمع او الانسان السائر في طريق النمو . **ومأساة التحرر الداهمة في العالم الثالث هي مأساة اجتياز شعاب هذه الطريق .**

ولربما نجد في انهماكنا باجتياز هذه الطريق ما يبرر صدوفنا عن الانشغال بأي شأن اخر ، أو ما يبرر الكيفية التي نعالج بها أية مشكلة أخرى . فكما كان لنا في ظل الاستعمار ما يبرر انشغالنا بقضية التحرر السياسي عن أي أمر اخر ، فان لنا في ظل الاستقلال ما يبرر انهماكنا بقضية التحرر من التخلف عن أي شأن اخر . واذا تذكرنا جميع أبعاد الهوة بين التخلف والتقدم ، واذا تذكرنا ان الهوة هي الى ازدياد لا الى نقصان ، واذا تذكرنا تضاؤل الجهد الذي يقدمه الاقليم الشمالي في سبيل تحرير الانسانية من هذه الهوة ، بدا لنا عذر المفكرين أو القادة الذين يعلنون التحرر من التخلف أولوية الاولويات الانسانية .

ويأخذ الفكر السياسي هذه الاولوية بعين الاعتبار ولكنه لا يتوقف عندها . ذلك ان الفكر السياسي يتحرك اليوم اكثر مما تحرك في أي وقت مضى في سياق انساني . فالفكر السياسي في الشرق الادنى القديم كان يتحرك في سياق الهي امبراطوري اقليمي ، والفكر السياسي اليوناني كان يتحرك في سياق الدولة — المدينة City - state والفكر السياسي الوسطوي كان يتحرك في سياق دار الاسلام أو دار المسيحية ، والفكر السياسي الاوروبي المعاصر تحرك أكثر ما تحرك في سياق المدينة القومية أو المدينة الايديولوجية . ولكن الاطار الانساني الجديد لحركة التحرر القومي في العالم الثالث أطلق الفكر السياسي في اتجاه مدينة الانسان ، التي كان رواقيو The Stoics الشرق الادنى أول من تاق اليها توقا صادقا .

ولذلك أصبح لزاما على فكرنا السياسي أن يتحمل مسؤولية هذا السياق الجديد الذي وضع فيه الفكر الانساني وأحل فيه المدينة الانسانية . وأصبح لزاما عليه أن يتجاوز الخاص The Particular الى العام The Universal ليسهم في تخطي المفارقات Paradoxes او المتناقضات Contradictions التي يعانيها التنظيم السياسي الانساني . وتخطي الخاص الى العام هو أعسر في حقل التنظيم السياسي او السلطوي منه في أي حقل اخر . ذلك لان النظام السياسي لكل شعب يعكس حاجاته الحياتية كما تعكس لهجته اللغوية حاجاته التعبيرية . وهو وليد التجربة المحسوسة اكثر مما هو وليد الفكر الموجه .

ولكننا هنا أيضا لا نستطيع أن نتوقف تجاه اعتبارات النسبية الاجتماعية او السياسية Social and Political Relativity التي كان ارسطو أول من نبهنا اليها . فعموم ظاهرة التحرر القومي في العالم الثالث يعكس عموم النزعة الانسانية للتحرر . ولا يستقيم هذا التحرر للاميركي اللاتيني او للاسيوي أو للافريقي الذي بلغ الاستقلال ، لانه **ينشد التحرر لذاته أو لشعبه فحسب بل لانه ينشد التحرر لكل انسان ولكل شعب .**

ويعني هذا انه مهما اشتدت الانهمامات الخاصة المداهمة لعماله السياسي في وطنه ، فان المفكر السياسي الاميركي اللاتيني أو الاسيوي أو الافريقي لا يستطيع التخلي عن مسؤولية النظر في مدى تجسيم نظام بلده السياسي ، ومدى تجسيم سياسة بلده الخارجية ، ومدى تجسيم فعالياته السياسية الدولية للنزعة الانسانية للحرية التي عبرت عنها ثورة التحرر في العالم الثالث ، والتي أفصح عنها تحول مليارين من البشر من حال التبعية الى حال الاستقلال .

ونود هنا ان نشير أولا الى ان النظر المسؤول في العلاقة بين التحرر كنزعة والتحرر كتنظيم لا يكفي فيه التباهي بالالتزام بمباديء الامم المتحدة ، او بالمشاركة في وضع أو اعتماد ميثاق حقوق الانسان ، أو بالمطالبة الصارخة بحق تقرير المصير للشعوب التي لم تتحرر بعد ، او بالمناشدة الصاخبة لرفع التمييز عن أية فئة ما تزال ضحية التمييز في أي مكان من العالم ، أو بالمساهمة في ثورة عالمية ما تزال تتابع تدفقها الهادر . فكل هذه التزامات واجبة على كل دولة مستجدة أو عريقة في الاستقلال . وكل هذه التزامات يتوجب على جميع الدول الحديثة أن تتعاون في وضعها موضع التنفيذ . ولا ريب في ان

تضامن دول العالم الثالث في المنظمات والمؤتمرات الدولية والاقليمية أعطى لهذا التعاون دفعا انسانيا جديدا لم يكن له من قبل .

ان النظر المسؤول في العلاقة بين التحرر كنزعة والتحرر كتنظيم يتطلب ما هو أعمق وأعسر من كل هذا . انه يتطلب القدرة على تقييم كل **تنظيم سياسي قديم وجديد لتقدير مدى تجسيمه لمستوى عام للكرامة الانسانية**. فالتحرر القومي هو في معناه الاول انتصار لهذه الكرامة . والثائرون في سبيل هذه الكرامة ، أيا كانوا وحيثما كانوا ، لا يكونون منطقيين مع أنفسهم الا بقدر ما يبلورون هذا المعنى في النظام الذي ينبثق من ثورتهم . ولذلك فاننا نحن أبناء اميركا اللاتينية واسيا وافريقيا ، لا نكون منطقيين مع ثورتنا الا بقدر ما نستطيع التساؤل بصدق وحرية وعلمية عن المدى الذي تجسم فيه أنظمتنا السياسية التي أقمناها بعد الاستقلال الكرامة الانسانية .

ونحن نعرف الاعتراضات المألوفة التي تواجه الاجابة على هذا السؤال الاساسي . وأولها الاعتراض المبدئي على امكان التفاهم على مستوى عام للكرامة الانسانية . ثم هنالك الاعتراضات الاخرى المتعلقة بالفرق بين الحرية الشكلية المفتوحة لمداخلات الاخرين وضغوطهم والحرية الفعلية التي لم تتحقق بعد . ويأتي بعد ذلك الاحتجاج بحداثة العهد بالاستقلال . ويليه التذكير بالعلاقة بين المتطلب التربوي والاجتماعي والاقتصادي للكرامة الانسانية ومستواها السياسي أو القانوني أو الخلقي أو الروحي . ويتبعه الاعتذار بالثورة القومية او الاجتماعية أو الايديولوجية التي ما تزال مستمرة ، والتي يفرض عليها أن تواجه خصومها الداخليين والخارجيين بجميع الاسلحة لانهم هم أيضا يستخدمون جميع أنواع الاسلحة ضدها.

وكل هذه الاعتراضات ذات بال ، ولكنها اعتراضات تدور في حيز الحدود العادية للفكر السياسي او السلوك السياسي ، ولا تتجاوزه لحيز الامكان الخلاق ، الذي يتوجب على فكرنا الثوري المتحرك في سياق انساني أن يفتحه في مدينة الانسان . بل ان فكرنا التحرري لا يكون ثوريا حقا الا بقدر ما يستطيع أن يتحدى الحدود ، التي يريد الكلاسيكيون أن نعتبرها حدودا طبيعية أي حدودا غير قابلة للتغيير للسلوك الانساني ، بينما يراها الفكر الانساني الثوري حدودا اجتماعية او مرحلية تخفي وراءها امكانات جديدة خلاقة لم تنفرج فرص انكشافها بعد .

لقد علمنا افلاطون أن السياسي يبني النظام السياسي كما ينسج الحائك الثوب . والسياسة هي الخيط الواصل بين جميع عري الثوب ، فاذا ما تقطعت عروة في مكان ما فقد يتقطع النسيج كله ، ويذهب الثوب مع الريح . وما لم نتذكر ان حائك النسيج والمحيك له هو انسان ، فاننا قد نغتفر لانفسنا اقتراف أي شيء في سبيل الحؤول دون تمزق النسيج . وما دام الانسان هو منطلقنا وغايتنا في كل تنظيم سياسي ، فاننا لا نستطيع الا أن نكون وجوبيين Normative بقدر ما نكون ذرائعيين Pragmatic ونحن نفكر بالنظام السياسي او نصنعه . ولا بد لنا أن نقوم بعملية التوفيق بين المبادىء والوسائل التي يفرضها احترامنا للكرامة الانسانية .

ويقتضي منا هذا الموقف عملية مراجعة للفكر السياسي الانساني بصورة عامة والفكر السياسي الحديث بصورة خاصة . ولا يكون فكرنا السياسي في العالم الثالث ثوريا حقا الا بقدر ما يتجاسر على مثل هذه المراجعة . وتدلنا هذه المراجعة على ان قضية الحرية والتنظيم قد طرحت في سياقات ايديولوجية رئيسية ثلاثة : السياق الليبرالي او السياق الماركسي او السياق التحرري القومي. والسياق الاول هو سياق التأكيد على ان الاستبداد أو الاستغلال السياسي هو النتيجة الحتمية لتركيز السلطة في فرد او فئة ما ، ولذلك فان الحرية رهينة بفصل السلطات وبتداول السلطة بين الفئات والافراد . والسياق الثاني يؤكد ان الاستبداد السياسي هو نتيجة حتمية لتركيز الثروة ووسائل الانتاج في أيدي فئة ما ، ولذلك فان الحرية رهينة باحلال الملكية العامة لوسائل الانتاج محل الملكية الخاصة . والسياق الثالث يؤكد على خطورة استبداد أمة بأخرى واستغلال شعب لاخر ، ولذلك يجعل الحرية رهينة بتحقيق الاستقلال لجميع الشعوب.

ان الليبرالية تحفل بالقواعد المؤسسية للحرية Institutional ، والماركسية تعنى بقواعدها الاقتصادية ، والتحررية القومية تؤخذ أولا بالضرورة بقواعدها السياسية . ولكن تنظيم الحرية السياسية يفرض على التحررية القومية أن تعاني امكان الاختيار بين القواعد المؤسسية الليبرالية أو القواعد الاقتصادية الماركسية للحرية ، أو امكان التوفيق بينها ، او امكان التوصل لقواعد جديدة . وليس هناك حتى الان ما يدل على حتمية الاختيار الليبرالي او الاختيار الماركسي . فأكثر الدول المستجدة في الاستقلال فقدت مؤسساتها الليبرالية بعد الاستقلال. ولكن اكثر هذه الدول لم تتحول من الليبرالية الى الماركسية بل الى انظمة سياسية لها مزاياها الخاصة ، التي تجعل من العسير على الفكر السياسي أن يصنفها تصنيفا تاما . ولكن هذه التفردات تنطوي على استعارات ليبرالية وماركسية أخذنا نصطلح على وصفها بالاقتباسات التحديثية Modernizing Components . وبذلك اخذ يبدو تحقيق التنظيم السياسي لمستوى الكرامة الانسانية متعلقا بمدى اقترابه من نموذج للعصرية ليس بالليبرالي وليس

بالماركسي ، ولكن فيه منهما معا مقومات مؤسسية واقتصادية لم تتحدد تحديدا كافيا بعد .

ويعني هذا ان التنظيم السياسي لاية دولة من دول العالم الثالث يقترب من المستوى العام للكرامة الانسانية بقدر ما يتحدث Modernize والتحدث هو اعتماد قانون واحد لجميع المواطنين ، واعتماد الانجاز Achievement اساسا للصعود في سلم التنظيم السياسي والاداري ، وتخصيص بنيات التنيظم وتنوعها . Differenciation . ويبدو الاخذ بهذه المعايير تقليدا لتجارب تنظيمية للمجتمعات المتقدمة في اقليم الكرة الشمالي اكثر مما هو افساح لتجارب تنظيمية جديدة في اقليمها الجنوبي . ويبدو من خلاله تجاهل للتراث الحكمي لشعوب العالم الثالث ، الذي قد تكون فيه تجارب يمكن اعتبارها مكتسبات انسانية .

ان التحديث يؤمن لنا الحد الادنى من التنظيم السياسي اللازم للكرامة الانسانية ، ولكنه لا يقيد حده الاقصى . والتحديث يتناول وسائل التنظيم بدون أن يفرض غاياته . والتحديث وان كان من صنع رواد التقدم في العصر الحديث ، اي منذ القرن السادس عشر حتى الان ، الا ان الفكر السياسي الحديث والتنظيم السياسي الحديث لا يمكن ان يفقه على حقيقته لا من خلال التراث الفكري والتنظيمي السياسي الانساني منذ ثلاثة الاف عام حتى اليوم .

ولذلك فاننا لا نجد في التحديث حدا للطاقة الخلاقة للفكر السياسي الثوري في العالم الثالث بل منطلقا لها . ولكنه في الواقع منطلق عسير . وأعسر ما فيه المعيار الاول القديم الجديد ، وهو معيار القانون العام لجميع المواطنين الذي يستوي أمامه الحكام والمحكومون . انه معيار قديم لاننا منذ أيام أرسطو ، ونحن نتعلم أن حكم القانون هو افضل من حكم الاشخاص . والشرائع الالهية تؤكد هذا المعنى نفسه في دعوتها للالتزام بحكم الشريعة بدل حكم البشر . واعطاؤها للشريعة المصدر الالهي هو تقوية لوجوب تطبيق القانون على الجميع بدون تمييز . وتبني الدستورية الحديثة بمختلف اشكالها في الدول المتقدمة الليبرالية والماركسية هو ايضا التعبير الحديث عن علوية القانون. Transcendentalism والقانون كما يقصد هنا هو مجموعة قيم ومبادىء بقدر ما هو مجموعة قواعد . ويكفينا القاء نظرة خاطفة على دول العالم الثالث لملاحظة الصعوبات ، التي ما تزال تعترض اعتماد هذا المعيار الاولي لتحديث التنظيم السياسي ، الذي رأيناه معيارا قديما للتنظيم السياسي . فما تزال تعترض وضع أو تطبيق القانون الواحد ارادة الزعيم الواحد ، أو الحزب الواحد ، او الجيش الواحد ، او الفئة الواحدة ، او التجمعات الطبقية او الطائفية أو القبلية او الاقليمية ، التي ترفض الخضوع لقانون عام ، وتريد أن يكون قانونها الخاص هو قانون المدينة .

وليس المهم في نظرنا هنا القانون أي قانون ، ولكن الاهم منه هو ما يمكن ان ندعوه بالقانونية Legalism ونضع هذا التمييز لدفع اي التباس حول القانون كفرض ارادة الاقوياء على المستضعفين ، او القانون كتكريس لاستثمار المستغلين للمحرومين ، او القانون كتعزيز لنزعة المحافظة ضد نزعة التجدد . فكل هذه حالات ليست من روح او من طبيعة القانون العادل الذي يسن حدود حقوق الجميع وواجباتهم ، والذي تقضي عدالته بقابليته للتغير تغييرا قانونيا . والقانونية هي هذا الالتزام المتكامل بالقانون وبقابليته للتغير القانوني عملا بقاعدة تغير الاحكام بتغير الازمان .

فالقانونية والانجازية والتنوعية البنيوية هي اذن قواعد أساسية ثلاثة للتنظيم السياسي . ولكن صور تحققها تختلف من شعب لاخر ومن دولة لاخرى . ودعوتنا دول العالم الثالث للالتزام بها لا تعني مطلقا دعوتنا لها للاكتفاء بها أو دعوتنا لها للاعتقاد بأن التحرر او الحرية يكتملان بها . ولكننا ندعوها للانطلاق منها لتساؤلات أعمق حول العلاقة بين الحرية والتنظيم السياسي . ولكي تكون هذه التساؤلات حقيقية وجدية ومسؤولة ، فانه لا بد لها أن تنطلق من قواعد منتظمة . تنطلق منها لتعيد النظر في مسلمات الفكر السياسي الحديث ليبراليا كان أو ماركسيا او قوميا ، بل ولتعيد النظر في حاجة الانسان الى التنظيم السياسي .

فالقاعدة الليبرالية المؤسسية وسعت حرية الانسان السياسية في وطنه ، ولكنها لم تجعل منه اكثر تعلقا بحق كل انسان بمثل هذه الحرية . والدليل الناصع على ذلك هو ان الدول الليبرالية تخلت في اكثر الحالات عن حكمها لمستعمراتها مكرهة لا مختارة . وان اشكال الحكم الاجنبي المباشر تحل محلها الان اشكال جديدة للحكم غير المباشر . والقاعدة الماركسية الاقتصادية تزيل احتكارات الافراد الاقتصادية ، ولكنها لا تمنع احتكارات السلطة الاقتصادية والسياسية ، التي يمكن ان تفضي لاستئثار شخص فرد بجميع السلطات الاقتصادية والسياسية ، فتكون له أوسع سلطة عرفها الانسان في التاريخ .

ثم ان الليبرالية اثارت قضية أساس السلطة التعاقدي لتخلص منه الى ان السلطة الاقل هي السلطة الافضل . ولكن تطور سياسة الدول الليبرالية في الداخل والخارج، وتقدم تنظيمها التكنولوجي والاقتصادي اظهرا استحالة تطبيق هذا المبدأ . وأثارت الماركسية قضية أساس الدولة الطبقي لتخلص منه الى حتمية زوال السلطوية بزوال الطبقية . ولكن تطور الدول الماركسية ادى حتى الان الى

ظهور طبقة حاكمة جديدة بدل أن يؤدي الى زوال حكم الانسان للانسان .

ولذلك ما تزال قضية العلاقة الاساسية بين التنظيم السياسي والحرية الانسانية مفتوحة امام اجتهادات الفكر السياسي الثوري في العالم الثالث، وما تزال الاحوال التي يستطيع الانسان ان يستغني فيها عن التنظيم السياسي تتحدى البحث السياسي في اقليمي الكرة الجنوبي والشمالي . وقد يبدو هذا وهميا للذين يعنيهم استخدام السلطة السياسية في سبيل تحقيق المزيد من التحرر الاقتصادي والاجتماعي ، أو للذين ما يزال يهمهم اصطناع السلطة في سبيل السيطرة على الاخرين . ولكنه ليس وهميا بالنسبة للذين يعنيهم مصير الانسان ، والذين يعتبرون أية سلطة أداة لخدمة الانسان لا للهيمنة عليه . ان هؤلاء مهما كانت انهماماتهم السلطوية الراهنة ، فانهم متطلعون دائما للاحوال التي يستطيع فيها الانسان ان يستغني عن أي شكل من أشكال السلطة السياسية .

وينبغي لنا ان لا ننظر الى هذا التطلع كحلم من احلام الفوضويين ، أو كوعد من وعود الله للمتقين في العالم الاخر . ذلك ان تقدم قضية تطور الحرية في ظل أي نظام رهين بمدى تطور الانسان داخل هذا النظام تطورا اقناعيا لا تطورا اكراهيا . ويعني هذا ان يظل امكان استغناء الانسان عن السلطة لسياسية مطمحا حيا من مطامح تربية المواطنين . ويعني أيضا أن نتعمق في فهم بواعث السلطة في نفس الانسان الفرد كما حاولنا حتى الان ان نتعمق فهمها في أحوال المجتمع الاقتصادية .

واذا كنا قد شددنا على المتطلب القانوني للتنظيم السياسي الذي يصون الكرامة الانسانية ، فذلك لاننا نعتبر التنظيم السياسي أداة للقانون لا القانون أداة للتنظيم السياسي أو للدولة . **واذا كانت هذه الاداة ضرورة للقانون ، فان ثقتنا بانسانيتنا تلزمنا بالاعتقاد بأنها ضرورة عابرة لا ضرورة دائمة .** فيصبح التحدي الاكبر لنا هو في توفير الاحوال التي تزول فيها هذه الضرورة . وكما كانت المهمة الاولى للفكر السياسي في العالم الثالث في مرحلة النضال في سبيل التحرر القومي هي مهمة التذكير بالاحوال التي تزول فيها سيطرة شعب على شعب آخر ، فان مهمته الجديدة هي التذكير بالاحوال التي تزول فيها سيطرة الانسان الفرد على انسان اخر ، مع تجسيم هذه الاحوال في التنظيم الجديد لمجتمعات العالم الثالث ، وتعزيزها بالتربية الجديدة لمواطني دول العالم الثالث .

واذا جاز لنا ان نقارن بين النظرة الغالبة الى الانسان من خلال الايديولوجيات الحديثة التي انبثقت في اقليم الكرة الشمالي ، والى النظرة الغالبة اليه من خلال التراثات الروحية للاقليم الجنوبي ، فاننا نجد في النظرة الاولى التأكيد على امكان تغير سلوك الانسان بتغير احواله الاقتصادية والاجتماعية ، بينما نجد في النظرة الثانية التأكيد على العلاقة الضرورية بين تغير ذات الانسان وتغير سلوكه . واذا تناولنا موقف الانسان من السلطة او من القانون من خلال النظرة الثانية ، فانها تذكير لنا بأن تغير احوال الانسان الاقتصادية والاجتماعية ليس وحده كافيا لاتخاذه موقفا اختياريا من القانون أي لاستغنائه عما يدعوه ابن خلدون سلطة القهر . والنظريات العلمية النفسية الحديثة تزكي هذا الاتجاه في دعوتها الى احداث تغيير في بنية الوعي الذاتي لدى الانسان . ولكن فضل النظرة الايديولوجية الشمالية هو انها تذكرنا بأن حدوث هذا التغيير الذاتي رهين بتغير أحوال الانسان الاقتصادية والاجتماعية . ولئن كان الفكر السياسي الكلاسيكي قد ركز اهتمامه بشكل الحكم السياسي ، فان المدارس العلمية السياسية المعاصرة هي أشد تركيزا على سلوك الانسان السياسي . ومهما بالغت هذه المدارس في تقدير الاهمية المنهجية لملاحظة السلوك الاستقرائية ، فانها لا تستطيع ان تنفصل عن نظرة فلسفية أو خلقية او أيديولوجية للانسان. واذا وسعت افق تفكيرها ، فان بامكانها أن ترى النظرة الايديولوجية الشمالية والنظرة الجنوبية التراثية للانسان متكاملتين بدل ان تعتبرهما متناقضتين . **وبذلك تصبح الثورية الحقة هي التي تستهدف تغييرا أساسيا في أحوال الانسان الموضوعية وفي بنية وعيه الذاتية أي التغيير المتكامل في حياته ونفسه .**

ولربما تكون مساهمتنا الجديدة نحن ابناء العالم الثالث في تحرير الانسان هي في التأكيد على هذا التكامل بين الحرية الموضوعية والحرية الذاتية ، أو في تشديدنا على مفهوم جديد للحرية الروحية ، التي شغلتنا دائما اكثر من سواها ، لا على انها حرية تجريدية ، بل على انها جماع للحريات التي يتطلع الانسان اليها ، ليستطيع أن يتوصل لحياة قانونية ، أي لحياة كاملة بدون قهر السلطة .

الدكتور حسن صعب

قضايا التحرر في الأدب السوداني

بقلم أبو بكر خالد

من حول المساجد (*) والخلاوي (الكتاتيب) واضرحة الاولياء كان جنين الشعر السوداني في عهد الفونج (١٥٠٥ - ١٨٢٠) قد اخذ في الاستواء والاكتمال بوجد صوفي وروح بذل وسخاء .

لم تكن هذه الاماكن مؤسسة سلطانية او اقطاعية ، بل عطاء انسانيا يمنح المريد المركزية حينذاك ومن غوائل الدنيا : جوعها وحرها وحزنها ولم يكن شيخ الجماعة سلطانا او طاغية ولكنه بشر كالاخرين من ادم ، وادم من تراب ، يربطه بمريديه وشعرائه وهج الدم والقربى وشجرة نسب لكل انسان موضع فيها ومن ثم التزام وحقوق . وكان الشاعر مزمار الجماعة كلها ، صوت سموقها وعلو شانها .

وانحدر هذا التقليد ببذله وسخائه ، وجده الصوفي حين نشبت في بلادنا ثورة الامام المهدي في وجه الحكم التركي (١٨٢١) وتعالى الشعر بكبرياء وبطر :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في شأن الاله حياة

واتسعت المؤسسة الصوفية القديمة لتشمل البلاد بأسرها وعلى رأسها المهدي - صوفي القسمات والتربية - وانسجم الشعر رواء رائعا مع المنحى التحرري .

وجاء عام ١٨٩٨ ، الذي نسميه في القاموس الشعبي سنة الضربة حيث انتهى السودان الى مستعمرة انجليزية ، وبحت اصداء الثورة المهدية وامتلات بلادنا بالادارة الجديدة بعد القضاء على الهبات الوطنية المتعددة ، امتلات بالمفتشين الاجانب وبالاجهزة الادارية الكثيرة وبالرشوة للضمير والعاطفة ، وبالمحاولة اثر المحاولة لكي ينقطع السودان الى الابد عن ماضيه وتنشأ في افئدة وعقول ابنائه عقد النقص واستصغار الشأن .

وبرهة صغيرة واستعاد الشعر روح وجده وبذله ونفذ الى المناسبات الدينية في الموالد وفي الاحتفاء بالهجرة والاسراء والمعراج. وكان الشعر انذاك يتحسس ويجلو للاذهان مواضع فخر الامة واعتزازها، ماسحا بالكلمة الغبار والصدأ اللذين يفرزهما الوجود الاستعماري عليها . كان الشعر بشكله التقليدي وبالبراح والسعة اللذين فيه يطوف على عهد الراشدين ونبي المسلمين ، ويركب موجات الفتح الاسلامي الى الشام وفارس والروم يحمل الهداية والنور في وقت جهلت فيه اوروبا وانكفات بصيرتها . وكان الشعر ايضا يبث زهو الحضارة الاسلامية ، لكي يملأ رئة الشعب بالفخر والحماسة ويتجاوز احساسا بالضعف ترسب فيه بموقعة (كرري) ، واحساسا بالمذلة يطأه به الوجود الاستعماري .

كان الشعر يعري الصلات المريبة التي اخذت تنتظم الساقطين شرفا ورجولة بالوجود الاستعماري ، وكانت عيون المخابرات وراء الشاعر الشاب - مدثر البوشي - في مولد ١٩٢٣ حين وقف قائلا :

اری شرعة الاسلام رثت حبالها وراحت بامواج الخطوب تلاطم
اری الحق يبدو للانام ويختفي ولم يبق من بين العشار حازم

الى ان يقول :

فما روع الاسلام الا عمائم تساوم فينا وهي فينا سوائم

وكان الجمهور المستمع على تعبير حسن نجيلة في كتابه (ملامح من المجتمع السوداني) يصرخ بصوت يرعد : اعد ، اعد ، ويا لنا من العمائم التي كانت تساوم في امرنا مع المستعمرين .

وكان جماع هذا العمل الدائب من قبل الشعر ان صان وجدان الجمهور والمتعلمين بخاصة ، من التلف والافساد ، وبهذا الذهن والوجدان كانت فئة المتعلمين من خريجي المؤسسات العلمية تتطلع وتحمل ثورة عام ١٩٢٤ تعبيرا عن رغبة في الانعتاق مرتبطة بمصر عودا الى رابطة النيل قدما واصالة .

ومن تحت نير الفظاظة التي ردع بها المستعمرون ثورة ١٩٢٤ ومن القبضة التي خنقوا وازدروا بها بعد الشعب طائفة المتعلمين من كل هذا كان جيل للسخط والغضب عامر الموهبة والقدرة يشق طريقه الى صدارة الحياة الفكرية . كان زخم الفكر والعاطفة يدق بعنف الاشكال المقدسة في التعبير ، وكان ذلك الزخم ايضا يرتاد ضروبا من التعبير حديثة ومبتكرة منذ الكاتب (الامين علي مدني) في ((اعراس ومآتم)) ، وحمزة طمبل في ((النقد الادبي)) ، حتى محمد احمد محجوب في ((اتجاهات الحركة الفكرية في السودان)) ... وبمقالات التيجاني يوسف بشير ومحمد عشري وعبد الله عشري كان المضمون الجديد الحزين ، الاسى والساخط معا يبحث عن مخطط نقدي يستوعب القدرات الشعرية والادبية الجديدة .. كان تيارا رومانسيا ضاربا في الطبيعة او في القوالب الصوفية ومتاثرا بحركة (الديوان) في مصر ينزع الى هدم الهالة القدسية حول القالب الشعري القديم . وبالسخاء القديم في حركة الشعر السوداني لم يصل هذا التيار الى حد الاغراق والعزوف عن المواجهة مع المستعمرين . كان التيجاني يستامن من عبير مصر عنادا وتطلعا في وقت يبذل المجهود الاستعماري ليبني الجدران بينها وبين السودان . في هذا الوقت كان التيجاني يغني ((رعى الله مستودع الثقافة مصر)) كلمة حق وشوق ووطنية حين كانت الصحف والكتب العربية من مصر محرمة على طلبة كلية غردون التذكارية .

وكانت الحياة الجديدة في المكاتب والملابسات الاجتماعية التي تنشأ مع المدن تجد التعبير لدى رواد القصة كعبد الحليم محمد والسيد الفيل وكانت الندوات المغلقة في المنازل حيث الثراء العاطفي والمدارسة والتفاكر ، تشكل بذور حركة اصلاحية نامية واحساسا عميقا بالعودة الصريحة الى المواجهة في حدود الامكانيات المتاحة ، وتبلورت من تلك اللقاءات مدارس فكرية كمدرسة (الفجر) التي اصدرت مجلة ثقافية بنفس الاسم . وتجمعت تلك الروافد جميعها ، روافد السخط والتطلع في مؤتمر الخريجين العام سنة ١٩٣٨ الذي اصطدم فيما بعد - وبفعل تأثيرات الحرب العالمية الثانية - بالوجود الاستعماري في مذكرة تطالب بتقرير المصير في وحدة مع مصر .

وفيما بعد الحرب العالمية الثانية تأججت الحركة السياسية في البلاد ، واقتحمت حلبة الوغى قوى العاملين في المصانع وفي الزراعة، وفتحت نوافذ بلادنا لحركات التحرر الفكري والسياسي وتفتقت محاولات الشباب المصفود الاقدام عن موجات من الهجرة الى مصر طلبا للمعرفة والعلم وعن مزيد من الاحتكاك بالثقافات الجديدة يربط عن

(*) قدم هذا البحث وفد السودان في المؤتمر الثالث لكتاب اسيا وافريقيا ببيروت .

وعي بين التحرر السياسي والمضمون الاجتماعي .

وافادت حركة القصة السودانية كثيرا من هذا الوعي فكسرت دائرة الموضوعات العاطفية الساذجة واغترفت من مناهل القوى الاجتماعية الجديدة التي اصبح لها وزن وابعاد في الحياة السياسية. تنبهت القصة الى ان هناك انسان يسمى (حجر) عامل بمصلحة السكة الحديد يموت ذات شتاء من خواء البطن بينما يزدرد الاستعمار وعملاؤه طيب الطعام والشراب . ورغم الضعف الفني في (مات حجر) لمحمد سعيد معروف (ومذكرات اغبش) لعبد الله رجب ، فقد استطاعت القصة ان تتولى امر التعرية الاجتماعية وتقديم نماذج بشرية مسحوقة اجتماعيا ينبغي أن تنصرف لها همة حركة التحرر الوطني حيث تنجز واجب جلاء الاستعمار . وعاد للشعر صوت الهتاف جنبا الى جنب مع المظاهرة والموكب والاضراب بعد ان كان هذا الصوت قد خفت في الجيل الماضي تحت وطأة الارهاب والخشية من اعين واذان المخابرات.

وعانق الشعر حركات التحرر واذاع مجدها لناس .. :

الماو ماو .. كوريا ، الجزائر ، وتكاملت قبضة الهتاف عن جعفر حامد البشير في (حرية وجمال) وعند غيره من الشعراء فيما تحمل صفحات الادب والسياسة في الصحف المحلية .

وعاد الشعر الى منصدة الخطابة في الحشود الجماهيرية والليالي يقاوم تزييف ارادة الشعب فيما كان يسمى بالجملية التشريعية . وفي الزهو بمقدرات الشعب في المواجهة الصارمة، وفي اشاعة عطر ذكرى الشهداء والسجناء السياسيين وتوج هذا كله ، باعلان استقلال السودان .

ورانت الفجيعة على حركة الادب حين انفصلت حركة التحرر السياسي عن المضمون الاجتماعي واطرح اولو الامر المضمون الاجتماعي بعيدا ، واضطربت الاحوال في صراع مقيت وفوضوي نحو السلطة، ووهنت وحدة الصف الوطني ، وانتهزت قوى الاستعمار ومواقع التخلف في بلادنا هذه البلبلة لتنصبا طغمة من العسكريين في عام ١٩٥٨ على كراسي الحكم . وكان الادب فيما قبل وبعد ذلك يتاهل على صعيد الثقافات والتجارب الانسانية الجديدة خاصة في حقل التحرر الوطني. فالشعر ينفعل بقدرة من التجديد تنفذ الى اشياء اكثر قدسية في هيكل القصيدة العربية . فيهجر القافية والتفعيلات المنضبطة الى التفعيلة الواحدة الحرة ... وفي القصة يتلاشى الهتاف ، وتطرح الشرائح الاجتماعية نفسها بهدوء وبتأثير نابعين من قدرة البناء الفني وتبرز في المقدمة اجيال من الشعراء : صلاح احمد ابراهيم ، كجراي تاج السر الحسن ، جيلي عبد الرحمن ، محمد المكي ابراهيم،الحاردلو، مصطفى سند ، مبارك حسن ، ومحمد عبد الحي . ومن القصاصين : الزبير علي ، الطيب زروق ، ابو بكر خالد ، عبد الله ابراهيم ، احمد الامين ، البشير ، ومصطفى مبارك ، وتنسجم ثورة المضمون والشكل لدى الادباء مع دوافع ثورة التحرر السياسي والاجتماعي .

وفي صمت الحكم العسكري ووحشته تعلم الادب الهمس والرمز. واقتضى هذا سلوكا فنيا يستوعب هذا المنحى ... واخرج كجراي « الصمت والرماد » الذي شهد فيه عن تشرين والرياح . تشرين الثاني الذي شهد مولد الحكم العسكري ، والذي اسماه الزين عباس « الشهر العاطل » وانتشر في السر شعر يتداوله الناس في المناشير:

ولدت سفاحا فما انت حر فواجه مصيرك او فانتحر

وكتب تاج السر « اضواء على الظلام » ، ملحمة ثائرة متفائلة واستوحى الشعر انتفاضات الشعب في الماضي كما عند محمد المكي ابراهيم في قصيدة « عبد الفضيل الماظ » احد الثوار الشهداء سنة ١٩٢٤ .

وحين انفجر الغيظ والسهد والتطلع بثورة الشعب في اكتوبر ١٩٦٤ ، كان الشعر يطبع ويوزع في عين المكان الذي تطبع فيه المنشورات السياسية للجبهة الوطنية للهيئات بجامعة الخرطوم .. منتهى الشرف والتشريف .

حقيقة عنيدة تستوقفنا في هذا اللقاء الافريقي الاسيوي الكريم عند منحى الشعر في بلادنا وقضايا تحرر الشعوب ، فالسودان قنطرة اللقاء العربي الزنجي في افريقيا ، فهو ينسجم بعروبته واسلامه مع كثرة من اقطار اسيا وافريقيا . وبزنجيته مع التحرر الافريقي. ولقد كان الوضع الممتاز لحركة التقدم فيه ، الاثر في اشاعة مفاهيم التضامن القاري . لقد خرج شعراء وادباء السودان في موكب العصر ضد الجريمة البشعة في الكونغو .. كان لوممبا القافية المجنحة للشعر ، والغضب الرصين في النثر وفي (غضبة الهبباي) لصلاح احمد ابراهيم ينفرد جزء باسم « اللوممبيات » .. ولقد وقف الشعر يحمل ارادة الشعب وسخطه ازاء تخاذل الحكومة ورجعيتها حين ولغت مع احد الوالغين في دم الكنغو الطعين .

ونجد شاعرا مثل الفيتوري نذر نفسه خالصة لافريقيا ، وظلت افريقيا أله وصليبه وخلاصه . وطوف تاج السر الحسن على اسيا وافريقيا شوقا شاعريا قطرا قطرا ، وبطلا بطلا .

وظلت مصر تحتل الصدارة في حساسية الادب السوداني لتقدمها وخيرها عليه ، وما يمر يوم حتى يكتشف اهل السودان المزيد من الروابط التي توثق عرى العلاقة بين الشعبين .. ولقد ظل الشعر ابدا صوت هذه العلاقة العريقة الاصيلة ... كما ظل صوت الكفاح المشترك في جانبي وادي النيل وفي كل الوطن العربي الكبير ، وصوت التضامن الاسيوي الافريقي ...

ظاهرة هائلة ، ان يتسع مثل هذا الشعر التضامني في السودان حتى يشكل دواوين كاملة واجزاء منها ولكنها مع ذلك وببساطة مردودة الى تقاليد ظلت حركة التقدم ترسيها في بلادنا والى وضع للسودان يمت بوشائج عميقة الى كل دول اسيا وافريقيا . فينبض بما تنبض، وينفعل بما تضطرم به ، ويرجو مثلما ترجو .

توصيات المؤتمر الثالث لكتاب آسيا وافريقيا

١ ـ البيان العام

ايمانا منا بالروابط العميقة الخالدة التي تشد الادب الى الشعب والحياة .

وايمانا بالواجب المقدس الذي يلتزمه الاديب الحر ، التزام وعي واختيار امام ضميره وشعبه والانسانية ، ان يحمل المشعل ابدا ويضيء طريق النضال الى الحرية والتقدم والسلام .

واقتناعا منا بان الادب والثقافة متصلان بحياة الشعوب ، بما في ذلك السياسة والاجتماع اتصالا صميما جذريا لا انفصام له .

ومعاناة منا لضروب الاستغلال والاضطهاد والوحشية التي انزلتها الامبريالية والاستعمار وآخر صوره الخبيثة ـ الاستعمار الجديد ، بشعوبنا ذات التراث العريق هذه الشعوب المناضلة المنطلقة الى حرياتها المطلقة في تقرير المصير وبناء حياة اوفر طمأنينة وعدالة وسعادة .

ونؤكد نحن كتاب افريقيا واسيا المجتمعين في بيروت عاصمة لبنان المضياف في المؤتمر الثالث من ٢٥ ـ ٣٠ مارس ١٩٦٧ ضرورة مؤتمرنا هذا وجدواه العظيمة لاداب قارتينا وشعوبهما .

ونعلن عزمنا على المضي ابدا في الواجب الذي التزمناه ان نجعل من ادبنا طليعة القوى المناضلة في سبيل الاستقلال والسيادة القومية وسعادة شعوبنا وانماء شخصيتها ومشاركتها الايجابية البناءة في حضارة انسانية اشرق عقلا وعدالة وسلاما .

لقد اسهمنا مع شعوبنا في تحقيق انتصارات كبيرة وها هي شمس جديدة تسطع فوق اوطاننا ويستمر عطاؤنا الادبي شعاعا متوهجا من هذه الشمس الجديدة المتعاظم اشراقها في القارتين .

على ان ما صنع حتى الان لا يزال يتطلب المزيد من الجهد المثمر الدائب ليواجه ما يتطلبه الموقف التاريخي العظيم .

ان من طبيعة المستعمرين ، حين يدركون مدى ما فقدوه ان يضاعفوا محاولاتهم ليديروا بالتاريخ القهقرى ويلجأوا الى الاستفزازات الشائنة ضد شعوب افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية . وفي فيتنام يشنون حربا عدوانية بربرية . وعلى الارض الافريقية يغذون بسمومهم روح العنصرية ونظام التمييز العنصري غير اللائق بالانسان ويطبقون باسنانهم في اصرار على معاقلهم الاخيرة كما هو شأنهم في جمهورية جنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا ، وانجولا وزيمبابوي وموزامبيق وما يسمونه غينيا البرتغالية . وفي عمان وعدن يضطهدون الوطنيين اضطهادا وحشيا .

وفي فلسطين قلب البلاد العربية ، بل الشرق الادنى كله يدعمون اسرائيل التي اقاموها قاعدة للعدوان الاستعماري . فهنا في ملتقى قارتي اسيا وافريقيا شردوا شعبا عن وطنه واسالوا دماءه ونهبوا املاكه وانشأوا بالتحالف مع الصهاينة دولة عنصرية عدوانية وجيشا توسعيا اتخذوهما اداة للاستفزاز والتآمر والتصدي لامال شعوب المنطقة في الحرية والتقدم .

وفي البلاد التي حققت استقلالها السياسي لم تكف الدول الاستعمارية عن تآمرها لاستعادة المواقع المفقودة . فهي تحاول ان تشل اقتصادها الوطني الصاعد او تخنقه وان تستعيد القوى المنتجة بشكل من اشكال الاستعمار الجديد بغية ان يؤدي ذلك الى التبعية السياسية . وتقرن هذا كله بهجوم على ثقافة هذه الشعوب وادابها كما تنفق الاموال الطائلة لافساد المثقفين مستخدمة في جملة الوسائل وكالات مخابراتها التضليلية وتتزيى بزي ايديولوجية جديدة تهدف الى التغرير بالشباب خاصة علما بان افساد ارواح الشباب هو افساد اقوى عنصر في الامة .

كل هذا يحاوله المستعمرون ودولهم ، وكل هذا يضع على عاتقنا نحن كتاب اسيا وافريقيا واجب تسليط أضواء الحقيقة وفضح هذا التآمر كيفما كان سائرا او مقتنعا ولا سيما التآمر الايديولوجي الخبيث الذي يزيد النيل من ثقافتنا وافساد ارواح شبابنا .

ان الاستعمار لن ينجح في اخفاء طبيعته الحقيقية . ونشير بوجه خاص الى الاستعمار الامريكي الذي اثبت في هذا العصر انه الاكثر خبثا وغدرا ووحشية .

اثبت ذلك في فيتنام حيث يحاول تدمير امة وبلاد باكملها ضاربا عرض الحائط بكل اعتبار انساني وباحتجاجات شعوب الارض كلها . متآمرا بارواح الشعب الامريكي نفسه ، متهورا بكل اجرام في خط يهدد بانفجار حرب عالمية لا تستطيع امة او بلاد ان تنتحي منها جانبا .

وفي فلسطين حيث يرضع الاستعمار الامريكي حليبه اللعين للافعى الصهيونية ، الم يثبت انتهاكه ايضا لكل حق وعدالة انسانية ؟

فهل من قلم حر يمكنه السكوت ؟

فيا جميع كتاب اسيا وافريقيا ويا جميع الكتاب في كل مكان :

اننا نحن كتاب القارتين المجتمعين هنا في بيروت في المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين نناشدكم كلكم باسم شرف الكلمة ، ان تنضموا باقلامكم ومواهبكم الى صفوف المناضلين ضد الاستعمار وضد انصار التمييز العنصري والاستعمار الجديد . يجب ان يكون صوتنا مسموعا مدويا في كل مكان . وفي كل قصيدة او قصة او رواية او عمل ادبي يجب الى جانب الاتقان الفني ان يعلو صدى الانذار بالخطر داعيا الشعوب الى الكفاح والنصر .

ان اداب شعوبنا وفنونها وثقافتها تغتذي من تقاليد قومية عريقة هي التي تحدد فهمنا لمكان الكتاب الافريقيين الاسيويين ، هذا المكان الذي يجب ان يكون في غمار معركة الحرية والاستقلال الوطني .

ليس بوسعنا ولو لحظة واحدة ان نفصل انفسنا عن شعوبنا لان الادب والكتاب هم ضمير شعوبهم والمها وغضبها وحزنها وفرحها .

ولن يكون الكاتب مضطلعا بمسؤوليته السامية امام شعبه الا اذا عبر عن افكار مواطنيه واحاسيسهم وآمالهم وامانيهم . ولن يكون جديرا بالعصر الذي يعيش فيه الا اذا وجد القوة والارادة لتكريس موهبته للمبادىء العظيمة ـ مبادىء الحرية والتقدم والسلام .

ما منا الا من يحب ارضه وشعبه ولغته وثقافته . وما منا الا من يحترم ويكرم الامم الاخرى ولغاتها وثقافاتها . فالتضامن الانساني ، ووحدة الصف ، ذلك هو اساسنا وقاعدتنا المتينة ، وسلاحنا وقوتنا العظمى . ومحاولة عزل احدى الثقافات او ابعادها عن الصفوف العامة او حتى التقليل من شان ثقافات اخرى يؤدي في نهاية الشوط الى عنصرية شائنة ، ويفصم الروابط الاخوية التي توثقت في السنوات الاخيرة . ويعمل لمصلحة اقسى اعداء الثقافة والجنس البشري : الامبرياليين والاستعماريين .

يا كتاب اسيا وافريقيا

ان لنا ملء اليقين ونحن نصدر هذا البيان الذي لا هم لنا من ورائه الا مصائر شعوبنا والتطلع الى نصر اسرع على قوى الشر اننا

سنجد اذانا مصغية وسينضم الينا كل اولئك الذين يعنيهم شرف الكلمة ورسالة الثقافة ويوجب عليهم الاقتناع بان هدف حياتهم الامثل هو ان يضعوا مواهبهم وعطاءهم في خدمة القضية العظمى المقدسة قضية تحرير الجنس البشري من كارثة الاستعمار والعنصرية .

وعلى شعوب اسيا وافريقيا ان يعرف بعضها بعضا معرفة افضل واعمق . وما من حاجة الى القول اننا نحن الكتاب يمكننا ان نؤدي الخدمة الجلى في هذا السبيل ؟ فلنكثر اذن من لقاءاتنا ليتاح لنا ان نتناقش بمحبة وتفهم ، ونتبادل وجهات النظر في المشاكل الخاصة بعملنا الادبي . فبذلك يمكننا في ايجابية ومثابرة ان نرفع المستوى الفني لما يبدعه كتاب افريقيا واسيا . ويمكننا ان نوثق الروابط بين الكتاب والمفكرين في قارتينا وبالتالي ان نوثق التعاون المثمر بين شعوبنا .

وفي كفاحنا ضد الاستعمار نؤكد مسئوليتنا العظيمة في خلق وحدة اقوى واكثر فعالية بين الشعوب الافريقية الاسيوية بغية ايجاد روابط اوثق بين حركات التحرير الوطني والحركات المناهضة للحرب والقوى الاشتراكية .

اننا نعلن تضامننا مع شعب فيتنام المناضل ونطالب بان توقف فورا غارات القنابل البربرية وان يكف عن هذا العدوان الذي يهدد المستعمرون الاميركيون دوما بتوسيعه . يا شعب فيتنام نحن في صفك ، نحن ابدا معك . كما نعلن تضامننا مع الشعب الياباني الذي يقاتل ضد القواعد العسكرية الاجنبية في اوكيناوا المحتلة ، التي تستخدم كأكبر قاعدة في حرب فيتنام .

ولكل شعب يناضل من اجل قضيته العادلة ، ضد طغيان المستعمرين ، وفي سبيل تحرره التام ، تأييدنا القلبي الحميم . نؤيد بلا تحفظ جميع الحقوق المقدسة ، حقوق شعب فلسطين العربي في بلاده . نؤيد شعبي عمان وعدن في قضيتهما العادلة . نؤيد كفاح الشعب السوري والشعوب العربية لاستكمال حقوقها في نفطها المستغل المنهوب . نؤيد كفاح شعوب جنوب افريقيا وزيمبابوي وجنوب غرب افريقيا ضد التفرقة العنصرية . نؤيد كفاح اخواننا في انجولا وموزامبيق وغينيا « البرتغالية » وجزر الرأس الاخضر التي تخوض غمار كفاح بطولي بوجه المستعمرين البرتغاليين . ويستطيع الكتاب والمفكرون في جميع البلاد المناضلة ان يؤمنوا دائما بتأييدنا الفعال .

ان ارادتنا ووحدتنا هي الضمانة لنصرنا .

لقد كتبنا على راياتنا : الحرية والاستقلال والاخاء وتضامن جميع شعوب العالم .

والتزمنا بان تضيء هذه الروح : روح الحرية والاستقلال والاخاء كل حرف تخطه اقلامنا .

ان المؤتمر يوجه اصدق ايات التحية والشكر الى الشعب اللبناني الصديق والى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ودولة رئيس الحكومة والى طلائع الكتاب والمثقفين اللبنانيين والى لجنة الكتاب اللبنانية للاتصال بالكتاب الافريقيين الاسيويين ، اللجنة التي يرأسها المناضل الاخ كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، الى كل هؤلاء جميعا تحيتنا وشكرنا على ما بذلوه من كرم الضيافة وحسن الوفادة ، الامر الذي مكن هذا المؤتمر من تحقيق نجاح رائع ، وارسى اسس منظمة للكتاب الافريقيين الاسيويين وطيدة الاركان .

عاش تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية .

عاش نضال الكتاب الافريقي الاسيوي .

عاشت حرية الكلمة وشرفها والتزامها .

٢ ـ قرارات المؤتمر

قرار بشأن فيتنام

نحن كتاب اسيا وافريقيا المجتمعين في بيروت في المدة من ٢٥ الى ٣٠ مارس ١٩٦٧ قد استمعنا بحماس عظيم الى كلمات كتاب جبهة التحرير الوطني بفيتنام الجنوبية وجمهورية فيتنام الديمقراطية والكتاب الاخرين من البلاد الافريقية الاسيوية الذين فضحوا الطبيعة العدوانية للاستعمار الاميركي واعربوا عن تصميم الشعب الفيتنامي على مقاومة العدوان الامبريالي الاميركي لاستعادة استقلالهم الوطني والدفاع عن وطنهم . اننا نعتبر واجبا مقدسا على عاتقنا ان نعبر مرة اخرى عن سخطنا واستنكارنا للحرب العدوانية التي يشنها الاستعمار الاميركي في فيتنام . وتأييدنا الوثيق للكفاح الوطني الذي يخوض غماره الشعب الفيتنامي البطل .

نستنكر ونندد اشد الاستنكار والتنديد بالجرائم التي لا عداد لها التي ارتكبها الاستعماريون الاميركيون في فيتنام بقسميها . ونحتج اشد الاحتجاج على سياستهم غير الانسانية ، سياسة « احراق كل شيء ، وتدمير كل شيء ، وقتل الجميع » في فيتنام ، وكذلك سياستهم المنطوية على التدرج في الحرب في فيتنام . ونطالب في اصرار بان يبادر الامبرياليون الاميركيون فورا الى وقف استخدام اسلحة الابادة بالجملة التي يحرمها القانون الدولي كالغازات السامة ، والكيماويات السامة ، وقنابل النابالم والقنابل الفسفورية والغارات الجويةالجنونية على المناطق الاهلة بالسكان بالطائرات الاستراتيجية من طراز ب-٥٢ .

ان الاحداث الاخيرة في فيتنام تفضح تماما المزاعم الخادعة للامبرياليين الاميركيين عن « السلام » و « المفاوضات » . ونحن نستنكر مثل هذه المناورات التي لا تهدف الا الى تغطية خططهم العدوانية واخماد حركة الاحتجاج التي تعم العالم كله ضدهم . ان على الشعب الفيتنامي ان يدافع عن استقلاله وحقوقه الوطنية والسلاح في يده . وقد اعطى في كفاحه العادل اروع الامثلة على الشجاعة والبطولة الوطنية .

ان شعب فيتنام الباسل ـ بالتأييد القوي من جانب شعوب اسيا وافريقيا والعالم كله ـ قد وجه ضربات قاصمة للمعتدين الاميركيين . واننا نحيي بحرارة النجاح العظيم الذي سجله الشعب الفيتنامي في كفاحه العادل . ونحن نعرب عن اعجابنا واحترامنا العميق لارادته التي لا تقهر في النضال من اجل الاستقلال الوطني والحرية ، كما يبدو في نداء ١٧ يوليو ١٩٦٦ الذي وجهه الرئيس هو شي منه للشعب الفيتنامي في كل انحاء البلاد .

اننا نؤيد كل التأييد بيان النقاط الاربع لحكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية وبيان الخمس نقاط لجبهة التحرير الوطني بفيتنام الجنوبية ونعتبرها تشكل اساسا لحل سليم للمشكلة الفيتنامية. ونحن نطالب بانهاء حرب العدوان التي يشنها الامبرياليون الاميركيون في فيتنام . ان الامبرياليين الاميركيين يجب ان يوقفوا فورا وبغير شرط غاراتهم الجوية وكل اعمال الحرب الاخرى ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية ، التي هي دولة مستقلة ذات سيادة . ويجب ان يسحبوا من فيتنام الجنوبية كل قواتهم واسلحتهم ، وقوات واسلحة الدائرين في فلكهم ، وان يحترموا الحقوق الوطنية المقدسة للشعب الفيتنامي . ويتركوا الشعب الفيتنامي وشأنه ليتصرف في اموره الداخلية بنفسه. ويعترفوا بحق جبهة التحرير الوطني في فيتنام الجنوبية باعتبارها الممثل الحقيقي الوحيد للاربعة عشر مليونا الذين يشكلون شعب فيتنام الجنوبية .

ونحن ـ المشتركون في المؤتمر ـ ندرك ادراكا عميقا ان كفاح الشعب الفيتنامي يشكل مساهمة عظيمة وفعالة في حركة التحرير الوطني لشعوب افريقيا واسيا واميركا اللاتينية وللدفاع عن سلام العالم . ان الشعوب الافريقية والاسيوية ، بما في ذلك الادباء يعتبرون كفاح الشعب الفيتنامي كفاحهم ضد الاستعمار العدواني الاميركي وهو

اخطر اعداء شعوب افريقيا واسيا والعالم اجمع ، ويعتبرون انهم اذ يؤيدون هذا الكفاح انما يؤيدون انفسهم .

ان هذا يفرض علينا ـ نحن الكتاب الافريقيين الاسيويين ـ واجب ان نوحد جهودنا في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، وضد كل صور الطغيان الوطني والاجتماعي . وكل صور التدخل من جانب الاستعمار في الشئون الداخلية للبلاد الاخرى . ونحن نناشد الكتاب الافريقيين الاسيويين وكل الكتاب التقدميين في العالم ان يدعموا التضامن مع شعب فيتنام البطل ومع زملائنا ادباء فيتنام . فلنفضح الطبيعة العدوانية للامبرياليين الاميركيين ، ولنستنكر اشد الاستنكار جرائمهم الدائمة ، وذلك بالابداع الادبي والنشاط والعمل على السواء ، ونوسع مدى الحركة الشعبية في بلادنا بمزيد من التاييد السياسي والادبي والمادي للشعب الفيتنامي حتى نصره النهائي .

ان الشعب الفيتنامي حتما سينتصر . وان الامبرياليين الاميركيين حتما سينهزمون .

قرار بشان فلسطين

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسويين يقرر :

١ ـ اعتبار الحركة الصهيونية استعمارية في طبيعتها ، توسعية في اهدافها عنصرية في بنيانها وفاشية في وسائلها .

٢ ـ اعتبار اسرائيل قاعدة استعمارية واداة طيعة لاستخدامها في العدوان على الدول العربية وعرقلة مسيرتها الوحدوية والاشتراكية وراس جسر يعتمده الاستعمار الجديد للحفاظ على نفوذه في دول افريقيا واسيا .

٣ ـ اعتبار الوجود الاسرائيلي العدواني في فلسطين وجودا مفتعلا واغتصابا واستعمارا سكانيا ، اعتمد وسائل العنف ، وبالتالي اعتبار تصفية هذا الوجود مهمة تحررية ملحة .

٤ ـ اعتبار ان الحل الثوري لمشاكل الوطن العربي المتمثل في تصفية النظم الرجعية والاستعمار وفي التحرر الاقتصادي والتقدم مرتبط اساسا بتصفية اسرائيل كقاعدة للابقاء على التخلف في المنطقة.

٥ ـ اعتبار الوجود الاسرائيلي ، كنظام فاشيستي وعنصري ، نكسة حضارية ضد التقدم الانساني .

٦ ـ مناشدة الكتاب الافرواسيويين ، وجميع الكتاب التقدميين في العالم ، الوقوف في وجه المؤامرة الثقافية الكبرى التي تشنها الحركة الصهيونية بواسطة كتاب خانوا شرف الكلمة لخدمة اغراض مناوئة لبديهيات الحقيقة والتاريخ والعمل باقصى ما يمكن على رد هذا الغزو الثقافي المضلل عن طريق استقصاء الحقيقة والدعوة لارسائها .

٧ ـ شجب الحصار الثقافي الثقيل الذي تقيمه اسرائيل على ربع مليون عربي في الارض المحتلة يعيشون تحت ضغط العنصرية البغيضة وهم في ارضهم الاصلية .

٨ ـ يحيي المؤتمر الكتاب الفلسطينيين العرب الذين يعيشون في فلسطين المحتلة تحت الحكم الارهابي لمواقفهم الجريئة في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في تحرير بلاده ويشجب الاضطهاد المستمر الذي يلقونه على ايدي قوات الاحتلال .

٩ ـ تحية الكتاب التقدميين في اسيا وافريقيا وفي العالم الذين استطاعوا بفضل وعيهم وشجاعتهم الوقوف في وجه التضليل الصهيوني وفضحه ، والذين ادوا عبر اقلامهم الشريفة والمسئولة دعما هاما لقضية الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل حق تقرير مصيره .

١٠ ـ اعتبار ان مساندة كتاب افريقيا واسيا لشعب فلسطين في كفاحه من اجل تحرير بلاده جزءا لا يتجزا من مساندة حركة التحرر في العالم .

١١ ـ تاييد منظمة التحرير الفلسطينية في قيادتها لكفاح الشعب العربي الفلسطيني من اجل تحرير فلسطين واسترداد الوطن السليب بشتى الوسائل .

قرار بشأن الوحدة العربية

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسويين :

ـ بما ان وحدة العرب تقوم على اسس تاريخية ، وثقافية ، واقتصادية .

ـ وبما ان وحدة العرب هي الامل المشترك للشعب العربي .

ـ فان المؤتمر يؤيد العرب في كفاحهم من اجل الوحدة ، ويندد باعدائها الطبيعيين من الاستعمار ، والرجعية المحلية والامبريالية .

قرار بشأن الشارقة

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

ـ يندد بالجرائم التي يقوم بها الاستعمار البريطاني في الشارقة.

ـ ويؤيد حقوق الشعب العربي في هذه المنطقة ، في الحرية والوحدة .

قرار بشأن قضية شبه الجزيرة العربية ((المملكة السعودية))

المؤتمر الثالث لكتاب اسيا وافريقيا :

ـ يؤيد تأييدا تاما الكفاح الثوري المسلح ، الذي تقوده منظمة اتحاد شعب الجزيرة العربية ، من اجل الحرية والقضاء على الاستعمار الانجلو اميركي والحكم العميل في السعودية .

ـ يستنكر وجود القواعد العسكرية والذرية الاميركية في ((المملكة السعودية)) وتدخل الاستعمار الاميركي في شئون شعب الجزيرةالعربية.

ـ يستنكر وجود الجنود المرتزقة ، الذين يستاجرهم الحكم العميل في المملكة السعودية لقمع ثورة الشعب .

قرار بشأن البحرين

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

ـ يستنكر وجود القواعد العسكرية الاستعمارية في البحرين ، كما يستنكر ما يقوم به الاستعمار البريطاني والحكام العملاء من كبت الحريات وفرض السيطرة على الشعب .

قرار بشأن قبرص

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

ـ يؤيد كل التاييد نضال التحرر الوطني الذي يخوضه شعب قبرص .

ـ ويوافق كل الموافقة على مطالب شعب قبرص العادلة بازالة القواعد العسكرية الاجنبية ، والاستقلال الكامل ، وحق تقرير المصير للشعب في مجموعه ، بدون قيد او شرط .

قرار بشأن الكميرون

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

ـ اذ ياخذ في الاعتبار الصعوبات الاقتصادية والسياسية التي تواجه الشعوب الاسيوية والافريقية .

ـ يقرر تقديم مساعدة مادية فعالة للجمعيات الثقافية المعترف بها كي تستطيع مكافحة الامية والتغلب عليها .

ـ يهيب ، في هذا الصدد ، برؤساء الدول الافريقية ان يعملوا على اطلاق حرية الرأي وحرية الصحافة .

ـ يؤيد شعب فيتنام الباسل في نضاله ضد الاستعمار كما يؤيد جميع الشعوب الافريقية المستعمرة .

قرار بشأن موريشيوس

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسويين :

– يؤيد مطالب شعب موريشيوس للحصول على الاستقلال الفوري غير المشروط ، وازالة القواعد النووية العسكرية الانجلو – اميركية وقواعد المواصلات السلكية واللاسلكية .

قرار بشأن قضية عمان

نظرا لان للشعب الحق في التحرر والاستقلال .

ونظرا لاعمال القمع التي تقوم بها قوات الاحتلال البريطاني في عمـان .

فان المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

– يؤيد شعب عمان المكافح في نضاله من اجل التحرر .

– ويطالب بجلاء قوات الاحتلال البريطاني .

– ويندد بحملات الإرهاب والقمع ضد قادة النضال والمثقفين في عمـان .

قرار بشأن المستعمرات البرتغالية .

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

– اذ يضع في الاعتبار طبيعة تعمد الابقاء على الجهل الذي ينتهجه الاستعمار البرتغالي وطغيانه الثقافي .

– واذ يضع في الاعتبار الكفاح من اجل التحرير الوطني الـذي تخوض غماره المستعمرات البريطانية ضد الاستعمار ومن اجل الاستقلال وفي ذات الوقت من اجل التحرر الثقافي في سبيل التقدم والنشاط الخلاق لهذه الشعوب .

– واذ يضع في الاعتبار المساهمة الهامة للكاتب الثوري بالمستعمرات البرتغالية في الكفاح من اجل التحرير الوطني ليس فقط في المجال الفني البحت وانما كذلك في مجال العمل السياسي والعمل المسلح .

– ويستنكر اشد الاستنكار اعمال المستعمرين البرتغاليين التـي تتضمن انكار القيم الثقافية الافريقية وتسعى الى القضاء عليها بطريقة منظمة .

– ويشيد بالكفاح المسلح الذي تخوض غماره شعوب انجـولا وموزامبيق وما يسمى بغينيا البرتغالية وجزائر الرأس الاخضر .

– ويحيي الكتاب الثوريين في المستعمرات البرتغالية مـن اجل التزامهم اتكامل بالكفاح ، واسهامهم الهام في تحرير الشعوب التـي نشأوا بين ظهرانيها ، سالكين طريق الكتـاب الافريقيين الاسويين المدركين لدورهم المطلوب منهم القيام به في مواجهة المشكلات المفروضة على الفنون في عصرنا .

– ويعبر عن كل العطف والتضامن والاخاء للكتاب ولكل الوطنيين في المستعمرات البرتغالية الذين راحوا ضحيـة الطغيان الفاشـي الاستعماري ولا سيما هؤلاء الكتاب : لويس برنار وهونوانا ويـوزي كرافينها وروي نوجار وانطونيو ياسينو ولواندينو فبيرا وانطونيـو كاردوزا الذين يكابدون في السجون .

قرار بشأن الصومال الخاضع للسيطرة الفرنسية

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسوين :

– يؤيد الصومال ، الرازح تحت الاستعمار الفرنسي ، في حقه في الحرية والاستقلال .

– يندد بالاستفتاء المزور الذي تم تحت اشراف قوات الاستعمار الفرنسي في ١٩ مارس ١٩٦٧ .

– يستنكر التدخل الاثيوبي الاسرائيلي في جيبوتي . ويؤيد حق الشعب الصومالي في الوحدة .

قرار بشأن جنوب اليمن المحتل

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

– يؤيد الكفاح البطولي المسلح الذي يخوضه شعب جنوب اليمن المحتل (عدن والامارات الشرقية والغربية) ضد الاستعمار البريطاني وقواعده العدوانية . ويستنكر الفظائع والاعمال التعسفية التي يرتكبها الاستعمار البريطاني .

– يؤيد حق شعب الجنوب المحتل في التمتع بحريته الكاملة ويستنكر المؤامرات الاستعمارية التي تحاول فرض حكومة عميلة علـى المنطقة من السلاطين واعوان الاستعمار .

– يؤيد موقف جبهة تحرير الجنوب لمقاطعتها للجنة الموفدة مـن الامم المتحدة الى عدن .

قرار بشأن جنوب غرب افريقيا

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسويين :

– يؤيد مطالب شعب جنوب غرب افريقيا الخاصة بتقرير المصير والحرية والاستقلال الوطني .

– يسجل ان الوضع السيىء ، الذي يعانيه السكان الاصليون في جنوب غربي افريقيا ، قد تفاقم ، ولا سيما بعد حملة الاعتقالات الواسعة الاخيرة وعمليات التعذيب التي يتعرض لهـا مناضلو حزب سـوابو .

– يدين محاولة نظام الحكم القائم فـي جنوب افريقيا منـح الاستقلال السياسي لجنوب غرب افريقيا .

– يعلن انزعاجه للموقف الحرج الذي يسود جنوب غرب افريقيا ، وخاصة بالنسبة لمسالة الحشود العسكرية في ذلك البلد ، التي تهدد سلام افريقيا .

– يحث البلاد الافريقية الاسيوية والاشتراكية ان تتخذ موقفا لا مهادنة فيه من جنوب افريقيا عند مناقشة مشكلة جنوب غرب افريقيا في الدورة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة في الشهر القادم .

– يطالب بالافراج فورا عن جميع المسجونين السياسيين فـي جنوب افريقا وجنوب غرب افريقيا الذين اعتقلهم نظام الحكم القائم في جنوب افريقيا .

– يدعو الشعوب الافريقية الاسيوية والبلاد التقدمية في العالم اجمع ، ان تؤيد في ايجابية حركة التحرر الوطني في جنوب غـرب افريقيا .

قرار بشأن السودان

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

– نظرا للمؤامرات التي يدبرها الاستعمار لفصل جنوب السودان عن باقي ارض الوطن ، وتقسيم الشعب السوداني .

– فان المؤتمر يدين محاولات الاستعمار لبث الانفصال بين ابناء الشعب السوداني ، وتقسيم اراضيه .

– ويؤيد شعب السودان في الدفاع عن وحدة شعبه واراضيه .

قرار بشأن اليوبيل الذهبي لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسويين :

– اذ يقدر مدى ما قدمته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى مـن امكانيات لثورات التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في جميـع انحاء العالم ، واذ يقدر لها نصيبها في فتح نوافذ للفكر كان يصمم الاحتكار الثقافي الاستعماري على اغلاقها .

يوجه باسم كتاب القارتين اصدق التحية الى شعوب جمهوريات الاتحاد السوفياتي التي تترامى حدودها عبر اسيا وافريقيا من الاورال الى المحيط الهادي ، وقادتها وحكومتها لمناسبة مرور خمسين عاما على تلك الثورة المجيدة .

قرار بشأن اليمن

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين :

بما ان الثورة اليمنية التي اطاحت بالنظام الملكي الاقطاعي مكسب شعبي .

ونظرا لمحاولات الرجعية والاستعمار الاطاحة بهذا النظام الشعبي، والرجوع الى الاقطاعية والتخلف :

فان المؤتمر :

- يؤيد الثورة اليمنية ، ونظامها الجمهوري التقدمي .
- يندد بالهجوم المستمر الذي تقوم به الرجعية المتحالفة مع الاستعمار الانجلو - اميركي على جمهورية اليمن . ويساند الشعب اليمني في الدفاع عن مكتسباته الثورية .

قرار بشأن مناهضة التغلغل الاستعماري والاستعماري الجديد في الميادين الثقافية

مقدمة :

في هذه المرحلة من تحول البلدان الاسيوية والافريقية حيث تؤكد شخصياتها وتحقق اهدافها ، يوجه كتاب اسيا وافريقيا الانظار الى ما يحدث ببلدانهم من خطر التغلغل الثقافي الاستعماري الذي يعرقل هذا التحول ويشوهه . فهو خطر يقتضي اليقظة الكاملة ، والتعاون الكامل، والصلة الوثيقة المباشرة ، والوحدة بين القوى التقدمية جمعاء ، هكذا نستطيع ان نستنفر طاقاتنا الفكرية والروحية لصد الاستعمار الثقافي، باشكاله ووسائله المتعددة القديمة والجديدة .

وان الكفاح ضد التغلغل الاستعماري ليزداد خطورة حين نتذكر الوسائل ، الاعلامية الحديثة كالراديو والتليفزيون والسينما مما يستوجب ان نكون على حذر حتى لا تؤثر سلبا او ايجابا في القيم الثقافية على نحو لا نرتضيه لانفسنا ولامالنا التي نسعى الى تحقيقها بل نستخدمها في طرق تساعد بلدان افريقيا واسيا في تحقيق ذواتها واهدافها وفي نشر القيم الثقافية التي تعزز الكرامة البشرية والحرية والعدالة والسلام .

وهكذا فان الكاتب في افريقيا واسيا يجد نفسه بالطبيعة جزءا حيا في طليعة التحول الافريقي الاسيوي العظيم ، ويجد نفسه بالطبيعة انه يلتزم قيم الحرية والعدالة والمساواة ، وانه اذ يكتب ، انما يكتب قبل كل شيء لنشر هذه القيم ، وايقاظ الجماهير حتى تعيها بدورها ، ويكافح في سبيلها ، ولهذا ،

يوصي المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد في بيروت من ٢٥ الى ٣٠ مارس ١٩٦٧ :

١ - بالوقوف في وجه النشاط الثقافي الاستعماري بوجوهه المتعددة ، من معونات الى الجامعات وغيرها من دور التعليم والهيئات التي تتولى اصدار المجلات والكتب وافلام السينما والتسجيلات الاذاعية وغير ذلك من وسائل النشر ، ومن منظمات تختفي وراء واجهاتها مثل ذلك النشاط الاستعماري ، كمنظمة حرية الثقافة التي تعمل لحساب المخابرات الاميركية .

وترى اللجنة ان هذه المقاومة لا تحقق هدفها على الوجه الاكمل الا عن طريق وسائل عملية فعالة يكون من بينها :

أ - انشاء دار نشر افرواسيوية لنشر مؤلفات الكتاب الافرواسيويين والعمل على ترجمتها الى شتى اللغات في افريقيا واسيا وغيرهما من البلاد .

ب - رصد جوائز كبرى لافضل نتاج في الادب الفني .

ج - انشاء مجلة بلغات ثلاث : عربية وانجليزية وفرنسية تعنى بالثقافة الافرواسيوية بشتى جوانبها .

د - اعداد قوائم باحسن ما نشر من الكتب في اسيا وافريقيا ليكون الكتاب في كل بلد على علم بما انتجه البلد الاخر .

٢ - بناء ثقافة افرواسيوية جديدة تقوم على التوفيق بين التراث وروح العصر الحاضر ، مما يمكن الكاتب الافرواسيوي من الشعور باصالته وتميزه فيمكنه بالتالي من الثقة بنفسه ومن مشاركته في النضال من اجل الوحدة القومية ولا تنهض هذه الثقافة الجديدة في الشعوب الاسيوية الافريقية الا اذا كانت السيادة فيها للغة القومية .

٣ - مقاومة الحركات الرجعية والعنصرية ، المناهضة للقيم الثقافية الانسانية كالصهيونية ، باعتبارها اداة في يد الاستعمار ، يستخدمها لتحقيق اغراضه العدوانية ، مع وجوب التمييز بين الصهيوني واليهودي من حيث هو انسان .

٤ - توصي اللجنة بان يقاوم الكتاب الافرواسيويون التمييز العنصري القائم في جنوبي افريقيا وروديسيا وغيرها وبان يعلنوا تضامنهم مع الكتاب الاحرار الذين يتعرضون للاضطهاد بسبب نضالهم ضد ذلك التمييز .

قرار بشأن تطبيق قرارات مؤتمري طشقند والقاهرة

تقضي المصلحة العامة للكتاب الافريقيين الاسويين عليهم بان يعملوا من اجل ان يسود التفاهم والوفاق المتبادلان بين الشعوب الافريقية الاسيوية ومن اجل ان يوثقوا عرى التضامن فيما بينها . واهم وسيلة لتحقيق ذلك هي كفالة نشر الاعمال الادبية بين شعوب اسيا وافريقيا ، من بلد الى اخر . لما كنا نضع في اعتبارنا المشاكل المالية والمادية المتعلقة بانشاء وكالة مركزية لتوزيع مؤلفات الكتاب الافريقيين الاسيويين رؤي من الجوهري ان توجد مثل هذه الوكالة ، وانها ضرورة، لا من اجل تهيئة وسيلة تعبير للكتاب الافريقيين الاسيويين فحسب ، وانما ايضا من اجل توفير تبادل افضل وتعارف ثقافي بين الشعوب الافريقية الاسيوية ، ومن اجل خلق رابطة روحية بينها .

من اجل ذلك ، يوصي المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين بما يأتي :

- تنظيم ندوات سنوية لمناقشة قضايا الادب الافريقي الاسيوي على نحو متخصص ويكلف المكتب باعتبار الموضوع والمكان والتاريخ .
- انشاء لجنة تحرير تابعة للمكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين تكون مهمتها نشر وتوزيع الاعمال الادبية للكتاب الافريقيين والاسيويين . وسوف توضع تحت تصرفها دار للنشر وجهاز فني على اسس تجارية . وسوف تكلف اللجنة بتنظيم وادارة دار النشر الافريقية الاسيوية ، وتعطى السلطة ، تحت مسئولية المكتب الدائم ، للقيام بعملية النشر للحركة الافريقية الاسيوية ، من جميع الوجوه .
- ويجب على المكتب الدائم ان يبحث بعناية الجوانب الادارية والمالية لدار النشر والتفاصيل القانونية الخاصة بحقوق النشر ، كما يجب ان يعهد الى المكتب بوضع لوائح لجنة النشر وبتنفيذ انشاء دار النشر .
- ويجب ان تتكون هذه اللجنة من ثلاثة اشخاص : (١) رئيس معين بصفة رئيس تحرير واثنان اخران مسئولان بالتوالي (١) للنشر العام الخاص بالاعمال الادبية الافريقية الاسيوية وترجمة المؤلفات التي سبق نشرها و (٢) اصدار مجلة دورية للكتاب الافريقيين الاسيويين كل ثلاثة شهور .

وستساعد هذه اللجنة في عملها اللجان المحلية في البلاد المختلفة الممثلة في حركة الكتاب الافريقيين الاسويين ، أو يساعدها مندوب محلي .

وسيكون واجب هذه اللجان المحلية والمندوبين المحليين اكتشاف الاعمال الادبية القيمة والتقدمية في البلاد الافريقية الاسيوية سواء

أكانت قد نشرت أم لم تنشر بعد ، والتي يرون أنها تستحق النشر على نطاق واسع بين الجمهور ، ثم يقدمون اقتراحاتهم الى اللجنة المركزية التي سيعهد اليها بالاختيار النهائي لها ونشرها .

ويستطيع الكتاب ارسال اعمالهم مباشرة الى دار النشر الافريقية الاسيوية التي تعطيها ما تستحقه من الاهتمام .

واذا اقترحت لجنة محلية عملا ادبيا معينا ورفضته اللجنة المركزية فيجب ان يكون هذا الرفض مسببا .

كما تقرر الا تقصر لجنة التحرير عملها على تبادل اعمال الكتاب الافريقيين الاسيويين بل يجب أن تنشر الاعمال التقدمية في العالم كله.

(٢) عمل اللجنة :

ينقسم عمل اللجنة الى :

أ ـ مشروع طويل الاجل لنشر المؤلفات الكاملة والترجمات للكتب التي سبق او لم يسبق نشرها في الادب الافريقي الاسيوي والادب التقدمي .

ب ـ نشر مجلة افريقية اسيوية ربع سنوية بثلاث لغات هي : العربية والفرنسية والانجليزية . ويجب أن تكون هذه المجلة ربع السنوية على اعلى مستوى كما يجب ان تنافس في قيمتها المجلات الادبية الاخرى .

ويمكن للجنة التحرير ان تعمل على معاونة اللجنة الوطنية على نشر المؤلفات الخاصة باللغة القومية للبلد ، اذا رأت اللجنة ان لهذه المطبوعات قيمة جوهرية ومضمونا تقدميا . وقد اقترح انشاء جائزتين ، تمنح الاولى لافضل عمل فردي في الادب الافريقي الاسيوي كل عام ، بينما تمنح الثانية كل ثلاث سنوات لافضل كاتب واعمقهم تعبيرا عن مجموع اعماله . ولن تكون هذه الجائزة مقصورة على الكتاب الافريقيين الاسيويين ولكنها ستكون مفتوحة لجميع الكتاب التقدميين في اي مكان.

(٣) التوزيع :

يوصي المؤتمر ان يجري التوزيع بواسطة اللجان المحلية والممثلين على النطاق المحلي . بيد ان مشروع التوزيع الدولي بواسطة الوكالات التجارية القائمة يجب أن تضطلع به لجنة التحرير . اما الوسائل الاخرى الفعالة لتوزيع المطبوعات فيترك امرها للجنة .

ولن يتم التوزيع في البلاد الافريقية الاسيوية فحسب ، ولكن في كل انحاء العالم .

(٤) يوصي المؤتمر بانه يجب ان يعهد الى هذه اللجنة فورا بمهمة جمع واعداد وطبع مجموعة شاملة من الاشعار والقصص القصيرة الافريقية والاسيوية .

ويوصي المؤتمر بانشاء مكتبة مركزية للوثائق تجمع فيها كل المؤلفات التي تم نشرها بواسطة الكتاب الافريقيين الاسيويين ، والتي سوف تتزود بمطبوعاتنا وبالمطبوعات الاخرى التي سوف يقوم الكتاب الافريقيون الاسيويون باصدارها في البلاد الافريقية الاسيوية . كما يمكن توسيع مكتبة الوثائق هذه لتضم قسما موسيقيا يحوي موسيقى مختلف بلادنا .

(٥) نظرا لان هناك مشاكل واوضاع مشتركة كثيرة بين الكتاب الافريقيين الاسيويين والاميركيين اللاتينيين ، فان المؤتمر يوصي رابطة الكتاب الافريقيين الاسيويين ولجنتها التنفيذية ومكتبها باتخاذ اجراءات خاصة لتوفير اوسع تعاون ممكن بين كتاب اميركا اللاتينية التقدميين مع حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين .

المؤتمر الرابع للكتاب الافريقيين الاسيويين

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد في بيروت من ٢٥ ـ ٣٠ مارس (اذار) ١٩٦٧ :

ـ يسجل مع الامتنان دعوة وفد الهند لعقد المؤتمر الرابع للكتاب الافريقيين الاسيويين في نيودلهي بعد ثلاث سنوات .

ـ ويقرر ان يعهد الى المكتب الدائم ان يقوم بالخطوات اللازمة ، على ان ينظر في ما قد يوجه من دعوات في المستقبل لعقد المؤتمر .

اللجنة التنفيذية والمكتب الدائم

يقرر المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد في بيروت من ٢٥ ـ ٣٠ اذار (مارس) ١٩٦٧ ان تتكون اللجنة التنفيذية من البلاد التالية :

١ ـ الكاميرون
٢ ـ سيلان
٣ ـ غانا
٤ ـ الهند
٥ ـ اليابان
٦ ـ جمهورية الصين الشعبية
٧ ـ اندونيسيا
٨ ـ السودان
٩ ـ الجمهورية العربية المتحدة
١٠ ـ الاتحاد السوفياتي
١١ ـ انجولا
١٢ ـ غينيا
١٣ ـ موزامبيق
١٤ ـ روديسيا الجنوبية
١٥ ـ كينيا
١٦ ـ الجزائر
١٧ ـ نيجيريا
١٨ ـ فييتنام
١٩ ـ كوريا
٢٠ ـ لبنان
٢١ ـ جنوب افريقيا
٢٢ ـ تركيا
٢٣ ـ منغوليا
٢٤ ـ داهومي
٢٥ ـ المغرب
٢٦ ـ السنغال
٢٧ ـ سوريا

ـ يقرر المؤتمر ان تكون القاهرة مقرا للمكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين .

ـ يقرر المؤتمر ان يتكون المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين من البلاد التالية :

الهند
اليابان
السنغال
لبنان
منغوليا
جنوب افريقيا
السودان
الجمهورية العربية المتحدة
الاتحاد السوفياتي
المستعمرات البرتغالية

قرار

اقر المؤتمر توصية الوفد اللبناني التالية :

المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين يؤكد تأييده لحرية الفكر والتعبير والتزام الكاتب لضميره وانسانيته ويشجب كل اعمال الارهاب الفكري والقيد على حرية الكاتب ويحيي كل المناضلين الاحرار من الكتاب في نضالهم من اجل حرية شعوبهم .

قضايا التحرر الوطني في الادب السوفياتي

بقلم سروار عظيموف

حضرة الرئيس ، سيداتي سادتي ،

ايها الاخوة ،

باسم الادباء السوفيات الذين يمثلون الجمهوريات الاسيوية السوفياتية الشقيقة ، باسم ادباء اذربيجان وارمينيا وجورجيا وكازاخستان وقيرغيزيا وجمهورية روسيا الاتحادية وطاجكستان وتركمانيا واوزبكستان ، وكذلك باسم اخوانهم وزملائهم في الجمهوريات السوفياتية الاخرى كاكرانيا وبيلوروسيا ولاتفيا وليتوانيا واستونيا ومولدافيا ، باسمهم جميعا احمل اليكم يا رجال الادب والفكر في آسيا وافريقيا والقارات الاخرى ، ممن احضنتهم عاصمة لبنان وجمعتهم في المؤتمر الثالث للادباء الاسيويين الافريقيين، احمل تحية صادقة، وتمنيات النجاح والتوفيق في عملكم النبيل .

اني انتهز هذه الفرصة لكي اعبر عن مزيد امتناننا وجزيل شكرنا لشعب هذا البلد المضياف ، ولحكومته الكريمة ، ولاخواننا الاعزاء الادباء اللبنانيين ، على الحفاوة البالغة التي احاطونا بها .

ايها الاخوة .

اننا نعيش في عصر معقد مليء بالتطورات السريعة العاصفة التي تتوقف عليها مصائر البشرية كلها .

وخلال عشرات السنوات الاخيرة تغيرت ملامح ارضنا العريقة تغيرا جذريا وبسرعة لم يسبق لها نظير . فقد شق الانسان القنوات في صحاري اسيا الوسطى ، وشيد السد العالي على نهر النيل المتدفق ، وبنى مدينة رائعة الجمال – اقصد مدينتكم بيروت – قلب البلد العريق الذي تعاقبت فيه الحضارات وتتابعت الاجيال . وقد تعلم الانسان ان يلتقط صورا فوتوغرافية للمريخ وان يأخذ نماذج من تربة القمر وطوع قوى الطبيعة القادرة على سد كل ما يحتاج اليه سكان الارض بل ما يفوق حاجاتهم بكثير .

ومع ذلك فاننا نعرف جميعا حقائق اخرى ، نعرف ان خطر الموت من الجوع يهدد يوميا حياة ملايين من البشر وذلك – ويا للعار – في الثلث الاخير من القرن العشرين ، واليوم في هذه اللحظة بالذات ، ومؤتمرنا يواصل اعماله ، تلتهم النيران بيوت سكان فيتنام الامنين ومزارعهم وغاباتهم ، وتراق دماء شعبه نساء واطفالا وشيوخا ورجالا . ونعرف جميعا ان القتلة الذين لا قلب لهم يجربون هناك على سكان هذا البلد انواعا جديدة من القنابل والاسلحة الكيماوية . كما نعرف ان دعاة التمييز العنصري في افريقيا الجنوبية وروديسيا والمستعمرين في موزامبيق وانغولا يدوسون الحق والعدالة وكرامة الانسان ، واليوم ، ونحن نحضر معكم هذه الجلسة يتشرد الوف من الناس في مختلف بلدان اسيا ويحلمون بالاستقرار والطمأنينة وحياة جديرة بالانسان ، والالوف المؤلفة من اللاجئين الفلسطينيين يعانون في اكواخهم الحقيرة انواع البؤس والفقر والحرمان .

اعتقد ان هذه الصورة على اختصارها تجعلني في غنى عن ذكر الاسباب التي ادت بنا الى هذا المؤتمر ، نحن رجال القلم والفكر والادب من عشرات البلدان والقارات المتعددة . وعندما يلمع البرق ويدوي الرعد يسرع الفلاح الى حقله لانقاذ محصوله . وعندما يحدق الخطر بالانسان، وهو اسمى قيمة في كرتنا الارضية ، لا يسعنا نحن الادباء الا ان نرفع اصواتنا دفاعا عنه ونقف بكل حزم الى جانب العدالة والحق .

لكن هل نستطيع نحن رجال القلم والفكر ان نؤثر تأثيرا جذريا على سير الحوادث في العالم ؟ اعتقد ان كل اديب شريف لا بد ان يعرف ذلك الشعور المرير الصادر عن فهمه لبعض خواص مهنته . اننا نزرع البذور ثم ننتظر بلهفة الحصاد ، وفي كثير من الاحيان يطول انتظارنا . ان قنابل المستعمر وسوط الحاكم المستبد يؤديان نتائجهما الفتاكة بسرعة ، وقد يبدو وكأننا بكل كتبنا وكل مؤتمراتنا اعجز من ان نضع حدا لهذه الجرائم . لكن مرارة هذا الشعور الصادرة عن رغبة الكاتب في ان يرى باسرع وقت ممكن نتائج عمله النبيل لا تمنعه من فهم فاعلية كلمته وقوتها . ان خيالنا اعجز من ان يتصور شكل العالم والحضارة المعاصرة لو لم يكن هناك انواع من الفنون الشعبية ، من الحكاية والاسطورة والزجل . ولو لم يكن هناك الشعراء والادباء الذين كانوا دائما ولا يزالون صوتا لضمير البشرية ومرآة صادقة للروح القومية والوعي الوطني .

وقد يكون من فضل جمعيتنا هذه ادراكها العميق لواقع ان الحضارة الانسانية لا تتجزأ . فلا يجوز لنا نحن الادباء ان ننبذ بكبرياء وتعصب حضارة الغرب او حضارة الشرق ، كما لا يجوز ان نرمي في سلة المهملات روائع الفكر والفن للقرون الماضية لان في ذلك ضررا كبيرا للانسان . ان الحضارة ، بما فيها الحضارة الجديدة ، لا يمكن بناؤها على الخرائب . فالفن ليس قادرا على اداء رسالته الا اذا كان يجمع في نفسه بين اصالة قومية وبين كل ما استوعبه من التجربة الايجابية للشعوب الاخرى طيلة الاجيال والقرون . ولذلك فمن الطبيعي ان نجد اليوم معنا في هذا المؤتمر زملاءنا المحترمين من بلدان اوروبا وامريكا ، ذلك لان الحد الفاصل لا يمر اليوم بين الشرق والغرب بل انما هو يمر، اذا امعنا النظر ، في أي مكان .

لقد ذهب الكاتب الاميركي جون شتاينبك صاحب رواية « عناقيد الغضب » المشهورة الى فيتنام كي يبارك ويمجد قوات المعتدين الامريكيين الملوثين بالدماء ، ونشر الكاتبان الانكليزيان كينجسلي ايميس وجون برين تصريحا في الصحف اعلنا فيه عن تأييدهما الكامل للعصبة الاستعمارية الساعية الى تكبيل الشعب الفيتنامي الباسل بأغلال العبودية .

لكن هناك ايضا رجال فكر من نوع اخر في الولايات المتحدة وانكلترا ، هناك مفكرون تقدميون يقولون « لا » في وجه مجرمي الحرب وعملائهم وبذلك ينقذون شرف حضاراتهم الوطنية وكرامتها .

ويمر الحد الفاصل وسط الادباء في بلدان اسيا وافريقيا ايضا ، بحيث يوجد هناك اناس يسيرون في طليعة كفاح شعوبهم من اجل حياة افضل كما يوجد هناك ادباء ممن يساعدون بانتاجهم بشكل او اخر التوسع الاستعماري في ميدان الثقافة .

لقد اشار السكرتير العام لجمعيتنا السيد يوسف السباعي في تقريره الى اهمية تبادل التجربة الثقافية ، ونحن مسرورون ان نسمع من هذا المنبر اراء الوفود المختلفة وقد حمل كل منها ما يزيدنا خبرة ويفيدنا علما لصالح قضيتنا المشتركة .

ان آداب بلادنا ، المتعددة القوميات واللغات ، قد اكتسبت طيلة تاريخها تجربة غنية مثمرة ، وانا اذ اسمح لنفسي ان اتطرق الى هذا الموضوع فذلك لان الشعب السوفياتي يحتفل في هذا العام كما تعلمون بمرور نصف قرن على ثورته الاشتراكية .

فخلال نصف القرن هذا شاهد شعبنا تطورا سريعا في كل ميادين

الحياة ـ الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية ـ وتبين العالم قوة النظام الاشتراكي وحيويته واثبت صحة سياستنا الخارجية المبنية على مبدأ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، المبدأ الذي وضعه لينين تحجر الزاوية لسياسة الدول السوفياتية . كما نجد في تجربة السنوات الخمسين الماضية امثلة عديدة تدلعلى ان الشعوب، اذ حققت تحررها الوطني ، اصبحت قادرة على اداء المعجزات في مجال العالم والتكنيك والادب والفن .

وخلال السنوات الخمسين الماضية لم نبن في بلادنا الصناعة الراقية والزراعة المتطورة وحسب بل خلقنا ثقافة جديدة متعددة القوميات ، وادبا عظيما هو ادب الواقعية الاشتراكية . ان الاديب السوفياتي هو اديب ملتزم بقضايا شعبه ، وهو يضع قلمه في خدمة مصالح شعبه مستلهما اعمال مواطنيه البطولية ومنجزاتها في العمل .

لقد مرت شعوب الاتحاد السوفياتي طيلة تاريخها الطويل بمراحل كانت تخوض فيها معارك ضد الغزاة والمعتدين المختلفين . وفي خضم هذه المعارك ظهر ابطال يعرف كل انسان سوفياتي اسماءهم ويعتز بهم ، كما نشأت ، اثناء هذه المعارك خير تقاليدنا الوطنية ، ونضج وتبلور وعينا القومي . اما الادب السوفياتي فقد نشأ في ايام العواصف الثورية وترعرع ، مواكبا التطورات الثورية التي غيرت ملامح مجتمعنا في اساسه .

ففي الواقع ان كل ما بذلناه من جهود لتنمية الثقافات القومية الاصيلة لكل شعب من الشعوب الكثيرة القاطنة في اراضي الاتحاد السوفياتي المترامي الاطراف ولابراز خير ما لدى كل شعب من التقاليد والعادات ، كان في خدمة قضية التحرر الوطني وتوطيد المنجزات التي احرزتها الشعوب في هذا الطريق .

وبديهي ان كل مرحلة من التاريخ تفرض اساليبها على الثورات التحررية الوطنية وتغير جوهرها . وقد كان انتصار ثورة اكتوبر انتصارا لشعوب روسيا في صراعها الطبقي كما كان في نفس الوقت انتصارا لها في معركتها من اجل التحرر الوطني .

فلما قامت ثورة اكتوبر ، كان كثير من القوميات القاطنة في اراضي روسيا في حالة من اشد حالات التخلف الاقتصادي والثقافي . وبذلك وجدت نفسها امام مهمة تنمية ، بل خلق ثقافتها القومية ، وخلق آدابها الاشتراكية وبناء اقتصادها الراقي . وفي تلك الايام كانت عشرات القوميات القاطنة في روسيا لا تملك ابجديتها .

في هذه القاعة يوجد من بين اعضاء الوفد السوفياتي الشاعر رسول هامزاتوف من جمهورية داغستان . ان بلده الواقع في شمال القوقاز والذي لا يزيد عدد سكانه على مليون نسمة يقرأ ادبه القومي بعشر لغات مختلفة . اما الشاعر نفسه فقد ترجمت دواوينه الشعرية الى كثير من لغات الاتحاد السوفياتي ويقرأها الناس اليوم بالروسية والاوكرانية والجورجية والاوزبيكية وغيرها من اللغات ، وبذلك يقدر عدد قرائه بملايين بل بعشرات الملايين ، كما ترجمت قصائد رسول هامزاتوف الى كثير من اللغات الاجنبية . وبوسعنا ان نقول نفس الكلام عن اديب اخر ، هو ايتماتوف الروائي المعروف من جمهورية قيغيزيا والحاضر ايضا في هذا المؤتمر . وجدير بالذكر ان شعبه كان قبل الثورة محروما من الادب المكتوب ، اما تشينكيز ايتماتوف فنجد اعماله الروائية تلاقي اليوم اقبالا بين القراء في شتى انحاء العالم . وبما انني تطرقت للحديث عن خير مؤلفات الادباء السوفيات ، ففي استطاعتي لو اردت ان اذكر على سبيل المثل مئات من مؤلفات الادباء من كازاخستان وباكوتيا وبورياتيا وتشوفاشيا وغيرها من المناطق والاقاليم القومية السوفياتية ، فمجرد وجود وازدهار الادب الرفيع لدى هذه القوميات لدليل ساطع على مدى مشاركتنا في حركة التحرر الوطني .

ومن بين الاعمال الادبية التي تعالج هذا الموضوع لا يجوز ان نهمل الكتب التي تتحدث عن المعركة الكبرى التي خاضها الشعب السوفياتي ضد الغزاة النازيين ، وهذه الكتب تشغل عن جدارة مكانا مرموقا بين الاداب السوفياتية ، ذلك لان الزمن لم يمح ولن يمحو من ذاكرة الشعب السوفياتي ، اعمال تلك الحرب التي لم يشهد تاريخ البشر مثيلا لفظاعتها .

لقد اقتحمت العصابات النازية ديارنا ، ليس لمجرد الطموح في الاستيلاء على اراضينا وحسب بل لقد جاءوا لتصفية قيمنا الروحية والقضاء على سيادتنا الوطنية . وكانوا يعتبرون انفسهم جنسا من الاسياد وينظرون الى شعوب بلادنا نظرتهم الى جنس منحط مبرزين بذلك « المنطق » كل ما ارتكبوه من الجرائم الوحشية بما فيها محاولات الافناء الشاملة لسكان الاتحاد السوفياتي .

وكان الادباء السوفيات في سني الحرب يرون مهمتهم الرئيسية في رفع معنويات الشعب الذي قام للدفاع عن وطنه وكانوا يحملون كلمة الحق والجراة ، ويبثون في قلوب الناس روح الايمان ، بان النصر لا بد ان يكون لنا . ان الكتب التي ظهرت في تلك السنوات لا تتحدث عن مآثر الشعب البطولية وحسب بل تعطي صورة صادقة للتضحيات الكثيرة التي اقتضتها تلك المآثر .

ليس موضوع النضال التحرري الوطني بالنسبة الينا مجرد تاريخ يروى او حديث عن تاريخ ثوراتنا ، ان هذا الموضوع لا يزال يشغل بال الاديب السوفياتي ويثير اهتمامه في ايامنا هذه ايضا ذلك لاننا نعرف جميعا ان اخواننا في كثير من البلدان الذين تربطنا بهم وحدة التجربة المريرة والنظرة الطبقية يخوضون اليوم معارك عنيفة من اجل تحررهم الوطني .

فخلال السنوات الاخيرة قام مئات من الادباء السوفيات برحلات في شتى بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية شهدوا اثناءها مجتمعات تختلف كثيرا عن المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتعرفوا على ابناء مختلف الشعوب واطلعوا على عادات وتقاليد ، قد تكون غريبة وعجيبة بالنسبة لهم . ومع ذلك فما من احد من ادبائنا قد ابرز ، فيما كتبه عن تلك الرحلات ، الطرائف والعجائب التي عادة ما تسترعي اهتمام السياح الاجانب ، والتي لا تعكس بحال من الاحوال حقيقة الواقع في هذا البلد او ذاك .

ان ادباءنا كانوا في الدرجة الاولى يهتمون بظروف حياة شعوب هذه البلدان وبما تبذله من الجهود لتحقيق استقلالها الوطني .

وجدير بنا في هذا الشان ان نتحدث عن شعرائنا من الجيل القديم ، بافيل انتوكولسكي ، الذي اصدر ديوانا شعريا بعنوان « قوة فيتنام » ثم الشاعر الشاب من سيبيريا ايليا فونياكوف ، صاحب الديوان الشعري « يا فيتنام ، انت الم قلبي » ، ثم ملحمة شعرية كرسها الاديب الجورجي يوسف نونيشفيلي لزميله الفيتنامي نغوين دين تهي .

واصدر الشاعر ييفجيني دولماتوفسكي مجموعة شعرية بعنوان « افريقيا لها شكل القلب » ، وقد نفقت هذه المجموعة بسرعة وبعدد كبير من النسخ . واستلهم شعراؤنا البارزون يفجيني ييفتوشينكو ، واناتولي سافرونوف ، ورسول هامزاتوف وغيرهم موضوع افريقيا المناضلة ، كما نجد بين الكتب التي صدرت في السنوات الاخيرة ديوان شعر باسم « لبنان » للشاعر الاذيربيجاني محمد رحيم ، ومجموعة من قصائد عن مصر كتبها ليف اوشانين . كما نال الشعب الهندي نصيبه في انتاج كل من شاعرنا الكبير ميرزو تورسون زاده من طاجكستان ، والشاعرة الاوزبيكية زلفية ، والشاعر ادواردس ميجيلايتس من ليتوانيا.

وبين الكتب الكثيرة التي ظهرت في الاتحاد السوفياتي في الاونة الاخيرة ، والتي تعالج قضايا الشعوب الاخرى ، وتشغل مكان الصدارة، الكتب التي تتحدث عن الشعب الفيتنامي الباسل ، وتندد بالجرائم الهمجية التي يرتكبها الاستعمار في اراضي فيتنام .

ان فيتنام اليوم هي رمز التفاني والبسالة والارادة التي لا تقهر . ان فيتنام اليوم هي نبض عصرنا ، وهي مرآة صادقة لتطور التاريخ . فقد جمع العالم الاستعماري ، الذي يلفظ اخر انفاسه ، كل ما لديه من قوى وانهال على العالم النامي الجديد الذي يترعرع في ظل الحرية

والتقدم الاجتماعي ويبني مستقبله الزاهــر . واذا بالقوات المسلحة الامريكية التي تعد في صفوفها حوالي نصف مليون جندي وتحمل احدث انواع الاسلحة المعاصرة وتستند الى مساعدة عملاء الاستعمار في فيتنام الجنوبية وغيرها من البلدان ، تجد نفسها عاجزة عــن ان تثني ارادة شعب فيتنام الجنوبية ، واذا بالغارات البربرية التي تشنها الطائرات الامريكية تتبين عجزها عن قمع الروح البطولية لشعب جمهورية فيتنام الديموقراطية . ان هذه الظاهرة على كل ما تثيره لاول وهلة من الدهشة والاستغراب ، طبيعية في اساسها ، اذ انها تعكس حتمية التاريخ .

ان الادباء السوفيات الامناء لاسمى قيم الانسانية كانوا ولا يزالون يقفون الى جانب الشعب الفيتنامي شانهم فــي ذلــك شان الشعب السوفياتي باسره . لذا فموجة عارمة من التضامن مع الشعب الفيتنامي تكتسح بلادنا وتزداد قوة واتساعا من يوم لاخر .

ان الادب السوفياتي يعمل باخلاص في سبيل زيادة التفاهم بيـن شعوب اسيا وافريقيا وتوثيق روابطنا الاخوية ، وذلك عـن طريق اطلاع جماهير واسعة من القراء السوفيات على حيــاة شعوب القارتيــن الكبيرتين . اننا نرى من واجبنا ان نربي اطفالنا منــذ صغرهم بروح الكراهية لكل نوع من الظلم والاضطهاد الاجتماعي والقومي ، وبــروح احترام كل شعب يثور على هذا الاضطهاد . ان ابطال الكتب ، التــي تروي قصص نضال الشعوب من اجل تحررها الوطني ، هم مــن احب الابطال بالنسبة لجيلنا الناشيء .

ايها الاخوان

ان الافكار المظفرة الكبرى لقرننا العشرين ، الذي صار عصرا لتحرر شعوب جميع القارات من العبودية الاستعمارية ، وعصرا للصراع العنيف ضد الايديولوجيات التي تنشرها الامبريالية والاستعمار الجديد ، قــد رفعت مكانة الابداع الفني ، وابرزت دور الادباء الذين يشاطرون شعوبهم في امانيهم واحلامهم بالحرية والسعادة . ففي هذه الظروف التاريخية بالذات نشأت حركتنا النبيلة حركة ادباء اسيا وافريقيا .

ونتيجة للدراسات المتبادلة لادابنا وثقافاتنا ونتيجة تطبيق اسلوب علمي جديد في تقييم القسط الذي قدمته اداب بلدان اسيا لكنــوز الحضارة الانسانية ، تمكنا من تعزيز التفاهم وايجاد اساس اكثر متانــة للصداقة والتعاون . ويكفيني ان اذكر انه خلال السنوات التي انقضت بعد المؤتمر الاول في طشقند ، اي منذ عام ١٩٥٨ ، صدرت في الاتحـاد السوفياتي اعمال ادبية تمثل حوالي اربعين بلدا من بلدان اسياوافريقيا، وترجمت هذه الكتب الى اربع وخمسين لغة من لغات الاتحاد السوفياتي، ويربو مجموع نسخها على مئة مليون نسخــة ، كمــا نشرت الصحف والمجلات الادبية السوفياتية اعمالا ادبية من القصة والشعر والمقالــة لاكثر من تسعمئة مؤلف اجنبي .

ان مهمة بعث وانعاش حركة ادباء اسيا وافريقيا هي اليوم مــن الاهمية بمكان . ففي امكاننا ، بل من واجبنا، ان نسترجع روح مؤتمراتنا في دلهي وطشقند والقاهرة ، وان نوحد جهودنا فــي وجه هجــوم الاستعمار والبربرية المعاصرة ، اللذيــن يتحديان ويهــددان الحضارة العالمية .

اننا نعرف جميعا ان المقتضيات الاجتماعيــة ومقتضيات الصراع الذي نخوضه قد ادت الى نشوء عدد من المنظمات الاجتماعية العالمية ، كمؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي مثلا ، او منظمات الشباب وغيرهما. اننا مع كل المنظمات التقدمية التي تحمل عاليا لــواء الكفاح والتحرر ، ولكننا مع ذلك لا ننسى ان حركتنا هي حركة الادباء وان خواص رسالتنا كادباء تفرض علينا اهدافنا ومسؤوليتنا الخاصة .

ان حركتنا هي حركة رجال القلم والفكر ، وهم يتميزون عن غيرهم بفهمهم العميق لما يقع على عاتقهم من المسؤوليات الاجتماعية الضخمة . ثم نحن الادباء نملك دون غيرنا هبة خاصة اذ اننا نحمل الافكار التقدمية الى اذهان الناس على صورة القصائد والقصص والروايات المسرحيــة ونحلل ظواهر الحياة عن طريق الفن وخيالنا الشعري .

ان مناخ العمل الابداعي الخلاق يتوقف كثيرا عــلى فاعلية حركتنا الادبية . ونحن الادباء السوفيات نتمنى ان يكون هناك مناخ طيب ، وان يكون الجو صافيا حتى يتيسر لنا العمل .

اننا نعتقد ان العمل الادبي الحق لا يمكن ان ينبثق مــن موضوع يفرض على الاديب فرضا . ان العمل الادبي الاصيل عبارة عــن دراسة يستهدف الكاتب من ورائها ان يقول شيئا جديدا عــن الحياة وعــن الانسان ، وان يساعد الناس في فهم الظواهر المعقدة لعصرهم . فلــو اخذنا على سبيل المثال رواية « اكليل مايكل اودومو » للكاتب بيتــر ابراهامس من جنوب افريقيا او رواية « اللص والكلاب » للكاتب المصري نجيب محفوظ ، لرأينا انهما يعالجان قضايا عسيرة ومعقدة ويواجههـا المجتمع الجديد في الدول النامية ، اثر تحقيق التحرر الوطني . فكلمـا زاد الكاتب من جرأة في الكشف عن التناقضات الموجودة فــي مجتمعه ساعد شعبه فــي ازالة هذه التناقضات . ان خيــر الكتب فــي كل زمان ومكان هي الكتب التي تعالج قضايا عصرها وتضيء للشعب الطريق نحو مستقبل افضل . ومن واجبنا جميعا ان نفكر فــي المستقبل اذ ان الاهتمام بالمستقبل يعني الاهتمام بالانسان والاجيال القادمة ، وهذا مـا يحفزنا اليوم الى ايجاد سبيل لجعل حيــاة انسان المستقبل افضل واحسن من حياتنا .

وفي ختام كلمتي هذه كنت اود ان اتحدث اليكم عن امانينا التــي نعلقها بجمعية ادباء اسيا وافريقيا . في رأينا ان هذه الجمعية يجب ان تنظم نشاطها بشكل يجعل كل كاتب وكل اديب يشعر بانها تساعده وبانه في حاجة حقيقية اليها . لقد سبق لنا ان اتخذنا في مؤتمراتنا كثيـرا من القرارات الطيبة . واليوم مهمتنا تتلخص في ان نقبل اخيرا علــى تحقيق هذه القرارات . ان جمعيتنا يجب ان تكون جديرة بالمهام القائمة امامها ، كي تؤدي رسالتها وتواكب روح العصر . من زمن بعيد ونحــن نناقش قضية تأسيس مجلة ادبية خاصة بجمعيتنا . وتنظيــم اصدار نشرات دائمة ، وتبادل الادباء واصدار الكتب الجديدة ، واجراء ابحاث مشتركة عن حالة الادباء في بلــدان اسيا وافريقيا وتنشيط حركــة الترجمة ، وتقديم المعونة الى الادباء الذين تتعذر عليهم ظروف الحياة .

اننا لم ندرس معا حتى الان مسألة الصلة بيــن الادب ووسائل الدعاية المعاصرة كالاذاعة والتلفزيون ، ولم نقبل جديا على دراسة مشكلة تنمية اللغات المختلفة وقلما ننظــم ندوات للشعراء وكتــاب القصة والناشرين ، او نتلاقى في مناقشات ادبية لبحث قضايا ملحة بالنسبـة لادابنا . وباستطاعتنا ان نتخذ احسن قرارات ، لكن اذا كنا عاجزين عن جعل جمعيتنا حيوية نشيطة بكل معنى الكلمة ، فهي لــن تكون علــى مستوى مهامها ومسؤولياتها .

ثم اننا لم نحمل بالواقع شيئا لننشر على نطاق عالمي دعاية لخير كتب الادباء الاسيويين الافريقيين ، التي تعالج قضايا الثورات التحررية الوطنية ، وتطور المجتمعات الجديدة في الدول النامية . ولعله مــن المستحسن ان يبحث المكتب الدائم الجديد ، الذي سينتخب في هـذا المؤتمر وان يدرس امكانيات وضع جوائز ادبية تمنح للادباء الاسيويين الافريقيين لقاء كتاب تتحدث عن نضال شعوبهم الوطني . ان انشاء مثل هذه الجائزة وتحقق الاجراءات الادبية سالفة الذكر تفسح امام جمعيتنا افاقا واسعة للنشاط الفعال المثمر .

ان هذا المؤتمر سيفتح ولا شك مرحلة جديدة في تاريخ حركة ادباء اسيا وافريقيا . ان المهام التي نواجهها ليست بمهــام سهلة ، لكننا نستمد قوانا من ثقة شعوبنا فينا وتأييدها لنا .

لذلك فانا اختم كلمتي هذه متمنيا ان تحمل جمعيتنا بنجاح كــل مشاكلها وتحقق كل مهماتها مهما كانت صعبة ومعقدة .

سروار عظيموف

تقرير السكرتير العام للمكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيا

قدم الاستاذ يوسف السباعي السكرتير العام للمكتب الدائم لادباء اسيا وافريقيا التقرير التالي الى أعضاء المؤتمر :

أيها الاخوة والزملاء .

اسمحوا لي ، في مستهل هذا التقرير الموجز ، أن أوجه باسمكم وبالنيابة عنكم ، أصدق آيات التحية والشكر الى الشعب اللبناني الشقيق والى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ودولة رئيس الحكومة والى طلائع الكتاب والمثقفين اللبنانيين والى لجنة الكتاب اللبنانية للاتصال بالكتاب الافريقيين الاسيويين ، اللجنة التي يرأسها المناضل الاخ كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، الى كل هؤلاء جميعا تحيتنا وشكرنا على ما بذلوا من كرم الضيافة وحسن الوفادة في هذا البلد العربي العريق المضياف ، في لبنان الذي يعد بموقعه الفريد وتراثه الحضاري وتقاليده الثقافية ، همزة الوصل حقا بين التيارات الانسانية ونافذة مفتوحة لكل أوجه النشاط الخلاق ، مع استناده الى ركائز وطيدة من ثقافته القومية وحضارته العربية .

أيها الاخوة ،

نجتمع اليوم في مؤتمرنا الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين ، في بيروت ، وافدين من أرجاء عالمنا الافريقي الاسيوي المترامي الاطراف، من شمال اسيا وشرقها الى جنوب افريقيا وغربها ، نمثل شعوبنا على عرض هذه الرقعة الشاسعة وطولها ، منتمين الى تقاليد وظروف وأجواء متعددة ، ولكن تجمعنا وحدة عميقة راسخة تقع موقع الاساس والقاعدة المتينة وراء كل صور التغاير والتنوع ، ذلك اننا أيها الاخوة نملك جميعا - الى جانب التضامن الوثيق الذي ترتبط به شعوبنا الافريقية الاسيوية - شيئا مشتركا موحدا بيننا هو هبة منحناها ولكنه مسؤولية مفروضة أيضا . انه حق ، وقد يكون امتيازا ، ولكنه ايضا تبعة ثقيلة وواجب علينا أن نؤدي عنه الحساب ، ذلك هو المقدرة على التعبير ، وصناعة الكلمة ، الكلمة التي من شأنها أن تحيل الصمت ، بما يحمل من معاني الموت والركود ، الى قوة دافعة محركة تجلو الواقع وتخط الطريق وتضيئه ، وتسهم في بناء الانسان ، وتغيير العالم ، وارساء القيم التي تجعل الحياة اكثر عدالة وبالتالي أبهى جمالا .

هذه الهبة وأؤكد انها تبعة أيضا هي اذ توحد بيننا نحن الكتاب تؤلف في الوقت نفسه عاملا من العوامل الاساسية التي توحد بين شعوبنا . ونحن اذ نجد انفسنا ، بحكم الضرورة والواقع ، في طليعة صفوف شعوبنا ، مطالبون بأن نكون أرهف الناس حسا وأحدهم وعيا بما يوثق عرى التضامن بين هذه الشعوب ، فنحن في افريقيا واسيا نرتبط بحكم التراث الحضاري المشترك في الماضي القريب ، وبحكم الالتقاء على طريق مشترك في كفاحنا نحو استعادة شخصيتنا القومية وتحقيق حريتنا الكاملة ، والعمل الجاد الشاق ، نحو تنمية مجتمعاتنا، كما نرتبط بحكم الامال والاهداف المشتركة ، وبحكم ايماننا العميق بالقيم الانسانية الشاملة : قيم الحرية ، والعدالة ، والسلام ، تلك القيم والاهداف التي نحن أشد الشعوب احساسا بها واكثرهم دفاعا وتمسكا بها ، لاننا طالما حرمناها وعانينا التجارب المريرة القاسية من جراء فقدنا اياها .

اننا اذ نستعيد الماضي الحضاري العريق الذي يربط بين قارتي افريقيا واسيا واذ نؤكد مرة بعد اخرى أن هاتين القارتين هما منبع الاصول التي اشتقت منها حضارة الانسان كله في الفن والدين من الناحية الثقافية ، وفي تطويع البيئة الأولية لارادة الانسان من الناحية الحضارية ، ، لا نصدر في ذلك عن انعزالية ما ، ولا نغلق على أنفسنا بنظرة قومية ضيقة ، وانما نؤكد دورنا في ابداع أسمى أسس هذه الحضارة الانسانية التي هي تراث البشر جميعا كما نؤكد رابطة من روابط الوحدة التي لا تنفصم بين شعوبنا .

ان التاريخ الحضاري الانساني كله في خلال القرون السبعين التي استغرقتها الانسانية في اجتياز مرحلتنا الطويلة ، هو في الوقت نفسه تاريخ حضارة اسيا وافريقيا ، ولم يخرج مركز الثقل الحضاري عن قارتينا الا خلال الخمسة القرون الاخيرة ، وما من شك اننا في هذه المرحلة الراهنة ، نتخذ المبادرة من جديد حتى نعود فنزيد من ثراء التيار الثقافي والحضاري للانسان .

في خلال القرون الاربعة الاخيرة كانت شعوب افريقيا واسيا تعاني التجربة المريرة التي فرضتها عليها وحشية الاستعمار والامبريالية، وهي تجربة متشابهة في مقوماتها وقسماتها تشابها كان من العوامل التي أدت الى ظهور التضامن والوحدة بين شعوبنا ، وكلنا نعرف كيف نهبت ثرواتنا ، وكيف انتهكت حرياتنا ، وكيف فرض الاستعمار علينا نظامه اللاانساني ، وكيف حاول تهديم أسس حضارتنا العريقة ، وتقويض ثقافتنا ، والقضاء على شخصيتنا ، وكيف بلغ في ذلك كله ، من الهمجية السافرة والظلم الصارخ ، والاستهتار الكامل بكل قيمة انسانية ، حدودا لا يمكن فعلا تصوير مدى بشاعتها ، ولكننا جميعا نعرفها بخبرتنا المباشرة ، في بلادنا التي كانت حتى أمد قريب ، ترزح تحت وطأة النظام الاستعماري ، ونعرفها لاننا رأيناها بأعيننا وأحسسنا مدى مرارتها في مدننا المزدحمة وقرانا المخربة الفقيرة ، في أراضي بلادنا المنهوبة ، وفي أرواح أبنائنا المفقودة على السواء ، في أعين الاطفال الجائعة ، وفي شباب شعوبنا الذي بات وقودا للحروب الاستعمارية ، وفي الاجسام الفتية يفتك بها المرض ، وفي العقول والقلوب المتفتحة التي من حقها الحرية والسعادة والمعرفة تذبل وتجف في ظلام الامية وضيق الجهل ، ذلك ما خلفه لنا النظام الاستعماري ، حتى عهد قريب جدا ، ما زلنا نحس آثاره عبر عالمنا الافريقي الاسيوي كله ، على نحو يكاد يكون متطابقا ، ابتداء من شرق اسيا البعيدة حتى غرب افريقيا ، وفي الشمال والجنوب على السواء .

واذا كانت هذه الصورة القاتمة هي التي كان اطارها يجمع بيننا ، على اختلاف في الظلال ، حتى عهد قريب ، فان صورة جديدة تجمع بيننا الان ، صورة الكفاح البطولي واليقظة المجيدة التي اكتسحت موجتها العارمة بلاد قارتينا العظيمتين عبر شواطئها وصحاريها وجبالها وغاباتها وأوديتها الخصيبة ، فلم يشهد التاريخ قط مدا تحرريا واسع المدى عارما جارفا ، كذلك المد الذي شهده نصف القرن العشرين اذ تحطمت أغلال النظام الاستعماري المنافي بطبيعته لكل القيم الحضارية والانسانية ، وسقطت صروحه على التعاقب ، وهبت شعوبنا ، بنضالها العنيد وتضحياتها التي لم تتقاعس عنها مهما كانت فادحة ، تسترجع حرية ارادتها وتقرر مصيرها ، ولتبني ما دمره الاستعمار في المجالات المادية المحسوسة او الروحية والثقافية على السواء .

ولقد شهدت السنوات الاخيرة تقدما كبيرا على طول جبهات حركة التحرير الوطني في افريقيا وآسيا ، فاستمرت شعوبنا تحرز انتصارات مرموقة زلزلت أسس النظام الاستعماري والامبريالي وقوضت صروحه في كثير من المواقع وامتدت موجة التحرر العارمة فشملت الاغلبية الساحقة من بلادنا ، في سلسلة متعاقبة سريعة من الثورات الوطنية ، في كل أرجاء افريقيا وآسيا .

ايها الاخوة والزملاء ،

ولكن للصورة جانبا لا ينبغي أن يفوتنا بحال ، فها نحن نشهد اليوم مظاهرة واضحة لاستماتة النظام الاستعماري وحلفائه وعملائه في الابقاء على وجودهم . نشهد المحاولات اليائسة التي يقوم بها هؤلاء لاستعادة ما فقدوه تارة عن طريق التسلل الاستعماري الجديد بكل وسائله المعروفة كمحاولة بث التفرقة والانفصال على نحو ما يقع في جنوب السودان وارتريا ، وطورا عن طريق التشبث بمواقع اقدامهم في المناطق القليلة الباقية التي لا تزال ترزح تحت النير الاستعماري المباشر ، وعلى الاخص المستعمرات البرتغالية ، وتارة عن طريق استمرار نظام التفرقة العنصرية الشائن ، وطورا عن طريق الهجوم المضاد كما رأينا في سلسلة الانقلابات الاستعمارية والرجعية التي شهدها العام الماضي في افريقيا او عن طريق العدوان العسكري السافر كما يحدث الان في فيتنام .

ان الاستعمار الاميركي يشن حربا غاشمة لاعادة غزو فيتنام ، ومع ذلك فانه يقف عاجزا مدحورا امام ارادة شعب فيتنام البطل ، وامام التضامن الفعال الوثيق الذي تمده به كل الشعوب الافريقية الاسيوية والشعوب المحبة للحرية والسلام في العالم كله ، في اوروبا وفي اميركا اللاتينية وفي الولايات المتحدة نفسها . واذا كان الاستعمار الاميركي قد حشد نحو مليون جندي من قواته وقوات عملائه وحلفائه في فيتنام ، واذا كانت جحافله الجوية تغير على جمهورية فيتنام الديمقراطية وتقصف بالقنابل المدمرة قراها ومدنها الاهلة ومدارسها ومكتباتها ومعابدها ومستشفياتها ومزارعها ، وتلقي في المناطق الاهلة بالسكان قنابل لا تلحق اضرارا بأهداف عسكرية او غير عسكرية ، وانما تنفجر شظايا ، فوق الارض لكي تقتل ، او تغوص الى تحت الارض لتصيب المدنيين المقيمين في المخابىء ، فهي اذن لا تستهدف الا جرائم الابادة الجماعية المقصودة ، للارهاب والاذلال ، واذا كان هذا الاستعمار الاميركي الذي بلغ حدودا لم يكن يعرف لها مثيل في الوحشية السافرة ، يستخدم الغازات القاتلة والاسلحة الكيماوية المحرقة ، في عملية تخريب متعمدة واسعة المدى ، فان شعب فيتنام يقف صلبا باسلا في الدفاع عن حرياته وحقوقه يقاوم في الشمال مقاومة بطولية ، لا تهمه الا ارادته في النصر ، وفي الحفاظ على حريته واستقلاله وسيادته الوطنية ، وفي الجنوب ، يحرز انتصارات كبيرة في حربه التحررية العادلة المشروعة ، ويمضي في المناطق المحررة في جنوب فيتنام ، نحو بناء نظام اجتماعي متقدم ، بقيادة جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام وهي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فيتنام .

والنضال الباسل الذي يخوضه الشعب الفيتنامي قد احرز تأييدا واسعا بين اوسع فئات الرأي العام العالمي ، ولا سيما المفكرون والادباء ، فرفع كبار ادباء العالم امثال جان بول سارتر وبابلو نيرودا وهينريخ بيل وارتور ميلير وميخائيل شولوخوف ، وغيرهم ، اصواتهم محتجين على الحرب العدوانية البربرية التي يشنها الاستعمار الاميركي وعملاؤه في الفيتنام . وفي كثير من بلدان العالم ، حتى الولايات المتحدة نفسها ، يقوم رجال الفكر والادب بمهرجانات جماهيرية وينظمون حملات لتوقيع بيانات عامة تنادي بنصرة الشعب الفيتنامي ووقف العدوان عليه ، ومن بين الحملات العالمية التي انطلقت تأييدا لشعب فيتنام نذكر الجلسة الموسعة التي دعت اليها اللجنة السوفياتية للاتصال بحركة ادباء اسيا وافريقيا ، فعقدت في اب (اغسطس) الماضي في باكو وساهم في اعمالها مع الادباء السوفيات ادباء ومفكرون من ثلاثين بلدا تمثل اربع قارات . واعلن المشتركون فيها ان الحرب التي اندلعت في فيتنام تهدد سلامة العالم وتعرض للخطر حياة كل انسان مهما كان بعيدا عن ارض فيتنام .

مع ما في ذلك المبادرة التي اتخذها المؤتمر في هافانا لخلق قسم ثقافي وادبي غايته اظهار تماثل القضايا المطروحة امام الكتاب الافريقيين الاسيويين وادباء اميركا اللاتينية التقدميين .

والمعركة القائمة في فيتنام بين العدوان الاستعماري الفاشم والحرية والحق لا تنسينا المعركة التي ما لبثت منذ تسعة عشر عاما مستمرة بين التحالف الاستعماري الصهيوني وارادة الشعب العربي الفلسطيني والعرب جميعا مصممون على ان يستعيدوا حق عرب فلسطين في وطنهم الذي شردوا عنه غصبا وعدوانا .

لقد أقام التحالف الاستعماري الصهيوني في نقطة التقاء القارتين الاسيوية والافريقية جيشا استعماريا عنصريا عدوانيا يحاول التآمر والتصدي لكل حرية وتقدم في المنطقة بل في قارتي اسيا وافريقيا ، واطلق القلم الصهيوني والقلم الاستعماري حملات عالية ، رواية وشعرا ومقالات صحفية ، غايتها طمر الحقائق او تزويرها فيما يتعلق بالقضية الفسطينية .

واذا كان ادباء الشعب العربي الفلسطيني خاصة وادباء العرب عامة يواصلون الجهد لفضح اكاذيب التحالف الاستعماري الصهيوني ويكشفون بشاعة الجريمة التي اقترفت ضد عرب فلسطين ويؤكدون اصرارهم على حقهم في وطنهم وعزمهم على النضال حتما للظفر بهذا الحق ، فانهم يناشدون اخوانهم الكتاب الاسيويين الافريقيين ان يرفعوا الصوت معهم في كل مناسبة لاظهار الحق في قضية تمس القيم الادبية في الصميم لانها تمس العدالة والحرية والضمير الانساني .

ان قضية فلسطين التي يريد التحالف الاستعماري الصهيوني ان تعتبر قضية منتهية ، هي في الحقيقة قضية ملحة سيطرحها الشعب العربي الفلسطيني والعرب جميعا على وجه اقوى الحاحا واشد فعالية . ولن يكون كتاب اسيا وافريقيا الا في جانب الحق .

وفي الجنوب العربي ما زال الاستعمار البريطاني يتشبث بمواقعه المنهارة ممارسا اقبح ضروب العنف والتعذيب ضد المناضلين العرب الابطال الذين يطالبون بحق طبيعي في الحرية والكرامة والسيادة ويتطلعون الى كتاب افريقيا واسيا وجميع الشرفاء في العالم لمساندة قضيتهم العادلة .

ويصدق هذا على الخليج العربي حيث يواصل الاستعمار البريطاني استغلاله ومؤامراته .

ايها الاخوة الزملاء ،

وهل لنا ان ننسى الكفاح البطولي المسلح الذي تخوضه شعوب انجولا وموزامبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية وجزر الرأس الاخضر ضد الاستعمار البرتغالي الوحشي الذي ينتهك اوليات حقوق الانسان الافريقي في هذه الجيوب الاستعمارية الباقية على ارض افريقيا . اننا نحيي الانتصارات التي تحرزها قوات التحرير في هذه البلاد المناضلة ، ونشيد بالانجازات الديمقراطية البناءة التي تحققت فيها .

ان جرائم الاستعمار البرتغالي لجرائم نتحمل حقا عبء عارها فعلينا ان نقاومها بكل ما في المقاومة من معاني ، وان نمحو هذه الوصية الشائنة التي تلوث حياتنا جميعا ، وان نزيل هذا الخطر الذي يهدد حياتنا ووجودنا جميعا .

ان في انجولا ، وموزامبيق ، وغينيا البرتغالية وجزر الرأس الاخضر وسان تومي حركة ادبية مليئة بالحيوية والقوة والنشاط ، عميقة الدلالة بالنسبة للادب العالمي كله ، جياشة بالوان مختلفة من التعبير الفني المكتمل الذي بلغ حدا مرموقا من النضج بل من السمو والامتياز . ومصداقا لذلك يكفي ان نذكر بضعة اسماء لامعة مثل اوجستينو نيتو ، وماريو دي اندرادي ، ومارسيلينو دوس سانتوس ، وكوستا اندرادي ، وانطونيو جاسينتو ، وكاوبير ديانو دامبارا ، وجوزيه كرافيرنها ، وكالونجانو ، ونويميادي سوسا .

وفي زيمبابوي نشهد امتدادا لموجة التفرقة العنصرية ودعاوى التفوق العنصري ونجد مثالا صارخا لانتهاك حقوق الانسان الافريقي واغتصاب وطنه ، وفرض نظام عسفي عليه تحت شعار من ادعاء استقلال مزيف غير شرعي يعلنه المستوطنون والمستغلون حتى يضمنوا لانفسهم كل امكانية النهب الاستعماري والقهر العنصري ، على حساب حرمان

الاغلبية العظمى من الشعب الافريقي حقوقها الاولية في الحرية والكرامة والسيادة .

ان التفرقة العنصرية والاضطهاد العنصري يتخذان في زيمبابوي شكلا ضاريا عنيفا من القمع المنظم الواسع النطاق المتحالف مع سائر القوى التفرقة العنصرية في البلاد المجاورة نعني جنوب افريقيا الفاشستية والحكم الاستعمار البرتغالي في موزامبيق . تحالف يشكل شبكة من المصالح الاستعمارية والعنصرية والاستغلالية في منطقة جنوب افريقيا وجنوب شرقيها بين حكومات روديسيا والبرتغال وجنوب غرب افريقيا ، حيث يمتهن الانسان نفسه امتهانا يكفر بكل قيمة لحياة الانسان نفسها . ويجعل ضمير كل اديب بل كل بشر في هذا العالم مثقلا بعبء لا راحة منه الا بالتخلص من اسس هذا النظام العنصري الفاشيستي الهمجي .

ان موضوع التحرر الوطني والكفاح من اجل الحرية والاستقلال والكرامة الانسانية سواء اكان ذلك بصورة مباشرة ، ام تجلى في هموم ومشاغل الحياة اليومية العادية لصغار الناس ، ام تمثل في صراع القوى الاجتماعية المختلفة وعمليات تبادل الفعل ورد الفعل بينها ، وامتداد التناقضات بينها او تجمع هذه التناقضات في نقط للالتقاء تنبثق منها عمليات اجتماعية جديدة ، ذلك كله في صوره المجسمة التي نعرفها في الواقع الاجتماعي او في الواقع النفسي للناس قد كان دائما وبالضرورة احد الموضوعات الرئيسية في الاداب الافريقية الاسيوية .

وقد انطلقت في الاداب الافريقية الاسيوية صرخات الادب النضالي المضطرم بحدة التمرد ونبل الشوق الى الحرية صرخات مؤثرة تجلت بوجه خاص في ميدان الشعر الغنائي والدرامي وفي غمار اليقظة الادبية المدهشة التي اسفرت عنها السنوات الاخيرة هي انها اعمال فنية على درجة عالية من التكامل الفني ليست مما يمكن أن نسميه أدبا دعائيا صريحا مباشرا ، وان كانت بقصد بصيرتها ودقة تصويرها للواقع الاجتماعي والنفسي للناس أبلغ أثرا في خدمة قيم الحرية والكرامة الوطنية وافعل في ادانة الجرائم الاستعمارية وادانة انتهاك القيم الانسانية الذي تمارسه القوى الرجعية والاقطاعية والاستغلالية من أية دعوة صريحة مباشرة .

واذا كانت الاسبقية في كفاح شعوبنا الافريقية الاسيوية ضد الاستعمار ومن أجل الحرية الحقة والتنمية الاقتصادية هي للعمل السياسي والاجتماعي واذا كان هذا الكفاح السياسي والاجتماعي هو الاساس الذي لا يمكن أن ينفصل عن عمل الكاتب الافريقي الاسيوي ، بحكم وضعه التاريخي في المرحلة الراهنة وبحكم كل الظروف التي تعيشها المجتمعات الافريقية الاسيوية ، بخصائصها المميزة ، فان العمل السياسي والاجتماعي بدوره ، يحتاج أعظم الاحتياج للروافد المخصبة التي يمده بها الادب والفن والثقافة . فهذه الروافد هي التي توقظ وعي الفرد والجماهير ، وهي التي تلقي الضوء على العلاقات الانسانية ـ في مختلف الميادين ـ في العالم المعقد المتشابك الذي نعيش فيه ، وهي التي تصدر عن العمل السياسي والاجتماعي في المجال الوحيد الذي يكتسب فيه هذا العمل مشروعيته التي لا تنكر ، مجال ارساء القيم الانسانية والدفاع عن المثل الاخلاقية العليا .

والكاتب الافريقي الاسيوي ، بحكم هذه الاوضاع يختلف بالضرورة عن غيره من الكتاب في المجتمعات الصناعية المتقدمة التي قطعت شوطا كبيرا في توفير اسس الرفاهية المادية والتي لها تقاليد طويلة نسبيا في كفالة الحقوق والحريات الديمقراطية لشعوبها وربما كان هذا اختلاف ملحوظ على أي حال ، فان المهمات التي تنتظر شعوبنا مهمات عاجلة وملحة وهي مهمات تتفق من حيث أساسها في انها متعلقة بالحصول على الحرية في البلاد التي ما زالت ترزح تحت وطأة الاستعمار أو التفرقة العنصرية ، أو متعلقة بالدفاع عن الحرية في البلاد الحديثة العهد بالاستقلال ، وما من شك في أن سلامة جوهر الادب الافريقي الاسيوي انما تنحصر في التمسك بقيمة الحرية ، وما من شك ان الحرية الاقتصادية ، في سياق المجتمعات الافريقية الاسيوية ، لا يمكن أن تنفصل عن الحرية السياسية وعن تأمين الحقوق الاولية للتنمية والازدهار . وهذا يجعل العلاقة بين الثقافة والسياسة علاقة لا انفصام فيها .

من الواضح ان السياسة التي نتبعها تتسم بالضرورة بالصيغة الثقافية اكثر مما تتسم بها السياسة التي يتبعها الغرب ، لان مطالبنا السياسية يجب أن تعبىء كل الابعاد وكل الطاقات في كياننا . لقد كنا ضحية الاستغلال في كل مستويات وجودنا الاجتماعي والفردي .

ومع ذلك فان تحررنا لا يفترض كراهية الثقافة الغربية ، ولا ازدراءها ، بل على العكس ، ولكن حب هذه الثقافة الغربية لا يكون خصيبا ولا جديرا بالثناء الا بالقدر الذي تستطيع فيه نظمنا الثقافية والحضارية أن تضفي على مجد شخصيتنا الحافل باسباب القوة والحيوية . ان التوازن المتناسق الذي يجب أن نصل اليه ، في سياق مقتضيات الحياة العالمية ، يتطلب منا ، في الوقت نفسه ، تفتحا كريم الصدر أمام ما يحمله الينا الغرب والعالم كله من اسهام ثقافي .

واذا كانت بعض شعوبنا ما زالت تناضل ضد الامبريالية والاستعمار وحلفائهما من الاقطاعيين والرجعيين ، واذا كانت بعض شعوبنا قد حصلت على الاستقلال حديثا وانتزعت حريتها السياسية ، واذا كانت بقية شعوبنا قد قطعت شوطا بعيدا في طريق الاستقلال والبناء فان هذه الخبرات كلها ، على تنوعها واختلافها بتنوع واختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتقاليد والمعتقدات السياسية والاجتماعية والمذهبية ، مما يؤدي بالتالي الى اختلاف الحلول التي تختارها شعوبنا في سلوك طرق التحرر والتنمية ، هذه الخبرات كلها أنما تشترك جميعا في ارض عريقة واسعة نلتقي فيها جميعا ، هي ارض النضال ضد الاستعمار ـ ايا كان شكله ومظهره ـ ومن اجل الحرية والعدالة والسلام والتقدم والرفاهية ، وهي خبرات ثمينة علينا ان نتبادلها ونعمق معرفتنا بها ، حتى نختار منها ما نراه اوفق الحلول ، بل نمارس اختيارنا على نحو اعمق واوسع بان نجدد ونبتكر الحلول الخلاقة المؤاتية لطبيعة ظروفنا القومية ومدى تطورنا وخصائصنا الحضارية ، وعقائدنا الروحية. فهذه الخبرات كلها مقومات العملية التاريخية الكبرى التي يمر بها هذا العصر الذي نعيش فيه .

ان هذه العملية التاريخية الكبرى بمقوماتها المعقدة المتشابكة هي التي تملي على الكاتب الافريقي الاسيوي أن يكون بالضرورة كاتبا ملتزما، فلم يعد له في الواقع خيار ، اذا كان حقا كاتبا وفنانا . انه بطبيعة تكوينه ـ وباعتباره انسانا وفردا في خضم الانسانية المضطرب العريض باعتباره فردا من أفراد شعبه وأكثر حساسية ووعيا وأقدر على التعبير والمشاركة ـ ملتزم بكل قضايا شعبه وسواء كان شعبه يمر بمرحلة أم يمر باخرى من مراحل هذه العملية التاريخية الكبرى التي تدور اليوم في عالمنا الافريقي الاسيوي ، سواء أيضا أكان شعبه يتيقظ لحقوقه ومطالبه أم يسعى الى تحقيقها باسلوب النضال السياسي او بأسلوب الحركة التحريرية وسواء كذلك أكان شعبه قد حصل على هذه الحرية حديثا وهو يسعى الى تدعيمها والحفاظ عليها أم كان قد قطع شقة من الطريق نحو التنمية الاقتصادية فهو يواجه الضغوط الاستعمارية والاحتكارية . ويصدق هذا أيضا اذا كان شعبه في الطرف الاخر من هذا الكفاح كله ، يواجه مشاكل النمو الكبير . والحضارة المتقدمة .

ليس الكاتب الافريقي الاسيوي اذن ملتزما فقط بكل هذه القضايا يعكسها ضرورة في وعيه وبالتالي في انتاجه ـ بل هو فوق ذلك مدعو بطبيعة هذا الوعي الذي يتمتع به ، وبضرورة هذا الوضع الذي يوجد فيه ، الى ان يتقدم خطوة الى الامام ، انه مدعو وبحكم موقفه ووجوده نفسه الى ان يرتاد الطريق أمام شعبه ، أو على الاقل أن يشير الى الخطى القادمة على هذا الطريق ، فهو ، من ثم ، يتعدى مرحلة الالتزام الى مرحلة الثورية بمعناها الشامل العريض ، لا مجرد ثورية حمل

السلاح أو المطالبة بالتغيير ، بل ثورية الاسهام في عملية التغيير التي تتم على مستوى الفرد ومستوى المجتمع في وقت معا .

ايها الاخوة والزملاء ،

اذا كانت هذه هي بعض ملامح الوضع العام الذي يجد فيه الكاتب الافريقي الاسيوي نفسه ، فان الاداب الافريقية الاسيوية تواجه بعض المشاكل الخاصة الناشئة عن هذا الوضع العام والمترتبة عليه .

ان عصر النهب والتدمير الاستعماري قد خلف لنا تركة ثقيلة كلنا نحس بوطأتها فما زالت شعوبنا تعاني من تفشي الامية معاناة مريرة . ومن الحق أن هناك جهودا ضخمة دائبة تبذل لمحو هذه الوصمة التي هي جزء من اثار الاستعمار ، ومن الحق ايضا أن هناك تقدما حثيثا نحو القضاء على الامية في معظم البلاد الافريقية الاسيوية ، ولكن ظاهرة الامية عامل لا شك فيه من عوامل تثبيط الهمة عند الكاتب الافريقي الاسيوي الذي يشعر بأن كلمته لا تصل الا الى عدد محدود - ربما كانوا[1] من طبقة خاصة منطوية عن جمود ، عن أبناء الشعب . فالكاتب في مثل هذه الحال محتوم عليه أن يحس نفسه سجين وضع لا يد له فيه . بل لا يملك الا أن يحس صوته حبيس جدران ضيقة لا يتجاوزها الى الافاق الواسعة من أبناء شعبه وهذا الانعزال المفروض له اثاره المتفاقمة من الجانبين ، فالجماهير من أبناء الشعب محرومون اسهام الكاتب في اضاءة طريقها أو في اغناء حياتها ، والكاتب من الطرف الاخر معزول عن شعبه ، صلته مهددة بالانقطاع يعوزه التبادل الفعال الخلاق بينه وبين حياة الشعب الفنية التي هي المصدر الحقيقي للطاقة الابداعية .

وفي هذا السياق يحاول بعض الكتاب الافريقيين الاسويين ان يصلوا[1] الى حلول للمشكلة باللجوء الى وسائل الاعلام السماعية كالاذاعة والتلفزيون ، ولكن المشكلة تتجدد هنا بصورة اخرى . فمن طبيعة هذه الوسائل انها مقصورة على عدد معين من الناس ، لهم اوضاع اجتماعية معينة ، وانها مرتبطة بالتقدم التكنيكي الذي لم يقطع بعد المرحلة الضرورية في كثير من البلاد الافريقية الاسيوية ، فضلا عن جانب اخر من المشكلة ، يتعلق بطبيعة ومستوى الفن الذي يمكن ان ينشر بوسائل الاذاعة والتلفزيون .

وثمة مشكلة اخرى تواجه الاداب الافريقية الاسيوية ، مشكلة حادة تتطلب الحل بل تتطلب جهدا ضخما موصولا لبلوغ مثل هذا الحل.

نريد بذلك ان الثقافات الافريقية الاسيوية بصفة عامة ، قد تعرضت لغزو عدواني ضار من جانب الاستعمار بكل اجهزته الفنية المتفوقة فنيا .. وقد عانت ثقافاتنا وادابنا من هذا الغزو العدواني معاناة مريرة حتى اوشكت في بعض الحالات ان تضيع تماما في غمار الطغيان الاستعماري . فعلينا ان ندافع عن آدابنا القومية وان نجدد دفق الحياة فيها ، علينا ان نزيدها ثروة ونعمقها حفاظا على مقومات وجودنا المتميزة ، وخصائص ثقافاتنا الاصيلة الامر الذي يؤدي حتما الى توسيع افاق الثقافة الانسانية الشاملة وامدادها بمدد غني .

وليس يسرنا ان هذا الهجوم « الثقافي » الاستعماري قد بلغ في احيان حدا حاولت معه بعض القوى الاستعمارية الغاء الاداب القومية ، ومتهانها ، بل محاولة استئصال جذورها . ومن التجارب الاليمة البارزة في هذا المضمار التجربة التي عاناها اخواننا الكتاب الجزائريون، اذ اضطرتهم ظروف القهر الاستعماري « الثقافي » ان يعبروا عن ذات انفسهم بلغة اجنبية مما دفع كاتبا مثل مالك حداد ان يقول « انني عاجز عن ان اقول بالعربية ما احسه بالغربية ... ان اللغة الفرنسية هي منفاي ... اننا نبين عن انفسنا ، ولكن الكلمات وهي مادتنا اليومية الخام لا ترقى الى مستوى افكارنا ، بل انها اقل كثيرا من عواطفنا » .

فاذا كان الهجوم الاستعماري الشائن قد استهدف في الجزائر لغة عريقة التراث علمت الغربيين انفسهم ونقلت اليهم في مستهل عصر النهضة كنوز الفلسفة اليونانية القديمة واضافات الفلسفة والعلوم الاسلامية ، فقد كان هذا الانقضاض أشد ضراوة وأفدح أثرا في اللغات القومية غير المكتوبة أو التي ليس لها ركائز تاريخية وحضارية قديمة . وهذه المشكلة قد تنبه لها مؤتمرنا الثاني في القاهرة ، فاوصى بتحويل اللغات السماعية لدى بعض شعوبنا الافريقية الاسيوية الى لغات مكتوبة ، وايجاد الحروف الملائمة لها ، أو اختيار الحروف التي تناسبها من الابجديات القائمة بالفعل ، ثم ارساء قواعد هذه اللغات ، وتسجيل تاريخها وادبها .

وقد أشار الى هذا الكاتب الجزائري محمد ديب حين قال : ان ذاكرة الشعب هي مكتبته القومية ، فعلينا ان نعمل على تسجيل الفولكلور القومي والمأثورات الشعبية والادب الشفاهي المنقول وأن نحافظ عليه من الضياع أمام زحف الالات الحديثة ، وموجات المطبوعات المفرقة ، فالفولكلور ينبوع يفيض غنى بالابداع . لا يصح في هذا المجال ان نتجاوز خطرا اخر يهدد الثقافات والاداب القومية من طوفان المصادر الاستعمارية « الشبيهة بالثقافية » وهي أبعد الاشياء عن جوهر العمل الفني الحقيقي ، وطبيعته .

يتجلى هذا الخطر الخبيث في ظاهرة انتشار المطبوعات الغربية الرخيصة بما تمتلىء به من دعوة سافرة أو مضمرة الى تمجيد العنف والتفرقة العنصرية ، ودعاوى التفوق العنصري ، وتأييد العدوان والحرب والاستعمار ، وامتهان القيم الخلقية وترغيب في الجنس حتى حد الاغراق المبتذل المريض ، ويتضح ذلك على الاخص في روايات المغامرة والعنف والجريمة وصحافة التسلية والاثارة، وكتب «الدراسات» التي تتخذ مظهر الموضوعية والعلمية بينما هي تقوم على التحيز والكذب المدروس . وهذه المطبوعات تتخذ اكثر المظاهر جاذبية وتصدر عن أحدث الوسائل الفنية لتبث ثقافة مزيفة بما تحمل من افساد لروح الانسان عامة ، وللثقافات الافريقية الاسيوية خاصة - وفي الدعاية الخبيثة التي تبثها الافلام الكبيرة وكلها على التقريب من مصدر اميركي او غربي ، دعاية هي انكار للثقافة والقيم الانسانية الاساسية .

ويتفاقم هذا الخطر اذا تركنا العدو ينجح بالتسلل الى قلب صفوفنا ، واستعمال طابور من المثقفين يتحالفون معه وان يكن عن حسن نية احيانا وانزلاق الى التعمية والضلال . ذلك اننا نجد بعض المثقفين والكتاب من بلادنا يترددون الى هذه الهوة ويهددون ثقافتنا باضرار حقيقية فمن واجبنا أن نبين لهؤلاء بروح الاقناع ما ينطوي عليه عملهم من اذى لقضية الادب وكرامة الاقلام والمصلحة الوطنية .

وتبقى مشكلة تعني الاداب الاسيوية الافريقية بصورة حميمة تلك مشكلة النظم التعليمية التي وضعت في ظل الاستعمار ، أو فرضت وفق أهداف تنسجم واحوال رافقت أوضاعا خاصة دون ما نظر الى ثقافة البلاد وافاقها التي يجب أن تعمق وتتسع باطراد . فمتطلبات التحرر تقضي باعادة النظر جذريا في النظم التعليمية ووضع نظم ذات أصالة ثقافية تتصل اتصالا حيا ، باهداف البلاد التحريرية وتعد الشباب القادر على المساهمة في بناء مجتمع جديد .

***

ايها الاخوة والزملاء ،

يسعدنا ان نعلن هنا بيقين وتفاؤل ان الاداب في كثير من بلدان اسيا وافريقيا قد تطورت وتقدمت أشواطا في السنوات الاخيرة حتى أصبح باستطاعتنا اليوم حين نتكلم عن القضايا الادبية في هاتين القارتين أن لا نكتفي بذكر بعض الاسماء للادباء الموهوبين في هذا البلد أو ذلك بل اننا ننظر الى اداب هذه البلدان نظرتنا الى الادب العالمي بمستواه الرفيع ونضعها في صف واحد مع الاداب العريقة الراقية امثال الادب العربي والهندي والياباني والتركي واداب الاتحاد السوفياتي على تعدد لغاتها وقومياتها . ان القراء في مختلف أنحاء العالم يعرفون اليوم أسماء تشينوا أشيبه وسيريان آكونس وبيتر ابراهامس وليوبولد سينغور وبن عثمان ومونغوبيتي وبرنارد ديه والبكي لاغوما معرفته لاساتذة الادب العربي أمثاله طه حسين وتوفيق الحكيم وميخائيل نعيمة والادباء المشهورين أمثال ناظم حكمت وفائز أحمد فائز ولا وشيه وكريشنا

تشاندر ونارابن ومرزو توسون زاده وتشينغز ايتماتوف ومارتين فيكراما سنغيه الاسيويين .

فاليوم لم يعد في امكان احد اذا أغفل هذه الاسماء أن يكتب دراسة جديدة عن اداب افريقية أو اسيوية . فأعمال هؤلاء الادباء عن القصة والشعر والروايات والاعمال المسرحية والمقالات الاجتماعية مفعمة بروح المقاومة للاستعمار والعبودية ولشتى انواع التمييز العنصري والاجتماعي ، ومشبعةبالرغبة في الذود عن أصالة الثقافة القومية وتطويرها واغنائها واستيعاب أحسن ما خلقته . ومن الظاهرات الشاهدة بترقي اداب القارة الافريقية تلك المؤتمرات المتلاحقة التي عقدها الادباء الافريقيون في باريس وروما والندوات الادبية والعالمية المختلفة وبخاصة تلك التي انعقدت في داكار وفريتاون واوغندا . ومن هذه الظاهرات أيضا ازدياد عدد كتب الادباء الافريقيين المترجمة الى مختلف لغات العالم ثم الجوائز العالمية المختلفة التي منحت لكثير من الادباء الافريقيين .

ان اداب القارتين الاسيوية والافريقية تجري اليوم في سيل قوي واحد ، الامر الذي يسهل علينا الحديث المثمر عن طريق تطور الاداب ورسالة الاديب وزيادة التفاهم وتعزيز التعاون بين الادباء الاسيويين والافريقيين في المجالين الادبي والاجتماعي .

ولا ننسى في هذا المجال ما يقوم به الادب الهندي التقدمي من مساندة قضايا التحرر وما يحرزه من ازدهار ونصر بوجه ما تبذله قوى الاستعمار وعملائه لنشر ايديولوجيات تغذي روح الانقسام والتعلق « بعصر ذهبي » خيالي قد مضى . وهل من حاجة الى القول اننا مع الادب الهندي التقدمي ، هذا الادب الذي ينبثق من شعب عريق عظيم أدى للانسانية خدمات ايجابية في ماضيه ويؤدي لها خدمات ايجابية في مستقبلها تحت لواء التحرر .

وقد وقف الكتاب العرب وما يزالون يقفون في طليعة صفوف شعوبهم يدافعون عن قضايا التحرر الوطني والاستقلال التام في الوطن العربي الكبير ويقومون بدورهم في مقاومة الغزو الاستعماري والصهيوني، وادانة الجريمة التي لم يكد يسبق لها مثيل والتي تتمثل في اقامة رأس جسر استعماري دخيل في قلب الوطن العربي . وأسهم الكتاب والشعراء العرب في خلق وتنمية تيار عريض من الوعي السياسي والثقافي ، كما أبدعوا أعمالا فنية على درجة عالية من الامتياز في ميادين الرواية والشعر والقصة القصيرة والمقالة الادبية تعكس أصالة الفكر العربي في ذات الوقت الذي تواكب فيه تطور الابداع الفني في كتشافاته وتجاربه العميقة الجديدة .

ولا ننسى الادب الياباني الذي يواجه نموذجا واضحا للتغلغل الاستعماري ويهدف الى افساد الفكر الياباني والقضاء على تقاليده ذات القيمة في اغناء التراث الانساني . وجميعنا مع الادباء اليابانيين التقدميين في حفظ تراثهم العظيم وابراز جوهره الايجابي في خدمة مطامح الانسانية الى السلام والعدالة والسعادة .

وبعد فلا بد من التنويه بحقيقة مهمة وهي أن حركة الكتاب الافريقيين الاسويين ، يرجع اليها قسط من الفضل في الصدى البعيد الذي تتركه هذه الحركة في احداث مزيد من التناغم بين قضايا التحرر الافريقية الاسيوية والاداب العالمية . فمن ذلك نرى أن الادب السوفياني المتعدد القوميات (وكثير من ادابه الاسيوية مشاركة في حركتنا) يتزايد اهتمام كتابه وشعرائه للقضايا الافريقية الاسيوية اهتماما مفعما بروح الحب العميق للانسان مع صلابة الارادة في العمل للقضاء على الظلم الباطل ، كما قال شولخوف في تاييده للشعب الفيتنامي « لا يمكن أن نعتبر انسانا حقا من يكتفي بالعطف على الضحية ويتناسى وجود القاتل » .

ايها الاخوة والزملاء ،

ان الافاق التي تتفتح أمام حركة مثل حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين هي افاق فسيحة العمل والابداع ، والاسهام في تنمية طاقات كتابنا على الخلق . وانه لمن الحيوي أن نحتفظ بهذه الطاقات وأن نواصل العمل على تنميتها وتجديدها ، فان ثقافتنا وحياتنا بأكملها لا يمكن أن تستمر وأن تزدهر الا بقدر ما نستطيع أن نجدد ثقافتنا وننميها ونواصل عملية الخلق والابداع فيها .

وفي مواجهة الاثار المدمرة « للثقافة والحضارة الاستعمارية »،علينا أن نصوغ ثقافتنا وحضارتنا القادرة على أن تجدد نفسها وأن تقوم بنيانها ، باستنادها أساسا ، الى الطاقات الخلاقة في أعمق شعوبنا ، وباستمساكها بايمان عميق يمكن أن يتمثل المنجزات الايجبية الحاضرة الغربية دون أن يرفع منها ، وأن يؤكد الايمان الانساني الجوهري بالقيم الخلقية العليا ، ويجلي الشوق الانساني الى القيم الجمالية السامية .

ايها الاخوة ،

لقد قطعت حركة الكتاب الافريقيين الاسويين شوطا طويلا منذ ان وضعت أولى لبناتها في اجتماع الكتاب الاسيويين الذي دعا الى عقده كتاب الهند في ١٩٥٧ ثم أخذت تكتسب كيانا مجسما واضح المعالم عقب مؤتمرنا الاول في طشقند في نوفمبر ١٩٥٨ . فقد أرسى هذا المؤتمر أول اسس توطيد العلاقات بين كتاب القارتين بمجموعهم للعمل على المساهمة في كفاح شعوبهم ضد الاستعمار ، وفي سبيل الاستقلال الوطني الكامل والسلام العالمي والعمل على تنمية الاداب القومية في القارتين ، بكل ما يملكون من وسائل على تبادل الخبرات الخلاقة ، والوقوف ضد زحف « الادب » المزيف « والثقافة اللاانسانية» التي تصدر عن دعاة الاستعمار والتفرقة العنصرية والتفوق العنصري وتدعيم النضال من اجل الحرية والدفاع عنها .

وكان مؤتمرنا الثاني في القاهرة حدثا هاما في حياة حركتنا التقى فيه ممثلو أكثر من أربعين بلدا افريقيا واسيويا من طلائع الكتاب، وبعد مناقشات مثمرة ، أصدروا طائفة من الدراسات والابحاث واتخذوا طائفة من القرارات والتوصيات ، هي بين أيديكم الان منشورة في الوثائق التي أصدرها المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسويين في القاهرة ، وهي كلها قرارات مبنية على دراسة عميقة وتفهم حقيقي لمختلف المشاكل التي تواجه كتابنا سواء في ميدان النشاط الابداعي نفسه وفيما يتعلق بالمواقف السياسية التحررية ، أو فيما يتعلق بمشاكل متخصصة : الترجمة والتبادل الثقافي في وضع الكتاب وتقوية الثقافات القومية وتنمية الشخصية الافريقية الاسيوية وتصحيح تاريخ الثقافة الافريقية الاسيوية والتعريف بحضاراتها كما اتخذوا قرارات تنظيمية هامة ، واذا كانت قد ظهرت اتجاهات مثيرة للقلق في حركتنا في الفترة الماضية ، فقد استطعنا ، كما تعرفون ، أن نصحح الوضع وأن نتخذ المبادرة التي تمليها علينا مسؤوليتنا ، وأمامنا اليوم جدول أعمال حافل علينا أن نتخذ فيه الخطوات العملية الواقعية لتنفذ وتطبق ما يجتمع عليه الرأي في مؤتمرنا .

ــ فعلينا أن ننظر في قرارات مؤتمرينا السابقين في طشقند والقاهرة وأن نجد أفضل الوسائل لتحقيق هذه القرارات .

ــ وعلينا أن نرسي التشكيل التنظيمي لحركتنا وفقا للميثاق الذي سوف نقره .

ــ وعلينا أن ننفذ القرارات المتخذة من قبل :

١ ــ بعقد ندوة شعرية .

٢ ــ بتدعيم واستمرار اصدار نشرة الكتاب الافريقي الاسيوي التي صدر منها حتى الان عددان على أساس منتظم .

٣ ــ باصدار المجلة ربع السنوية ، الادب الافريقي الاسيوي ، باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية على الاقل ، ووضع التنظيم العامي لاصدارها وتسويقها .

٤ ــ باعداد مجموعة من القصائد والقصص القصيرة عن فيتنام والجزائر وفلسطين والسويس .

ــ وعلينا أن ندعم وننظم اجتماعات المكتب الدائم بالقاهرة ، وفقا للميثاق واللائحة الداخلية للمكتب ، كيما ننهض على وجه عملي محدد، بعبء مسؤولياتنا ككتاب ، وكممثلين لشعوبنا وثقافاتها .

ميثاق رابطة الكتّاب الافريقيين الآسيويين

انعقد المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين في بيروت من ٢٥ الى ٣٠ اذار (مارس) الماضي في قاعة فندق انترناسيونال بحضور زهاء ٢٠٠ عضو ينتمون الى وفود قدمت العاصمة اللبنانية من مختلف مناطق آسيا وافريقيا .

وقد عقد المؤتمر ، برئاسة الاستاذ كمال جنبلاط ، عدة جلسات علنية ألقى فيها رؤساء الوفود كلماتهم ، كما عقدت اللجان عدة جلسات مغلقة ناقشت فيها توصيات المؤتمر وقراراته التي نشرت في مكان آخر من هذا العدد.

وفي جلسة الافتتاح ألقى الرئيس رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية كلمة الحكومة التالية :

كلمة دولة رئيس الحكومة اللبنانية السيد رشيد كرامي

ايها السادة ،

باسم الحكومة اللبنانية افتتح المؤتمر الثالث لكتاب اسيا وافريقيا.

ان لبنان يرحب اليوم بالكلمة القائدة ، والفكرة الرائدة ، ممثلة فيكم يا رعاة الحرف ، وبناة الفكر ، ودعاة السير في طريق البناء الانساني الصالح .

ولبنان حين يفتح قلبه لكم ، ويقبل بعواطفه عليكم ، ينسجم ودوره التاريخي في تمجيد الكلمة واعلاء قدرها .

ان اثقل رسالة واشرفها واعظمها قدسية هي التي تحملون ، لانها رسالة النجوم تسطع في سماء الحياة ، ترشد السائر ، وتهدي الحائر ، وتنشر على القلوب ضياء المحبة ، وتغرس في الضمائر بذور الغيرة على كرامة الإنسان .

ولئن شرف لبنان بالكلمة يحملها الى الناس ، وشرف بكونه جسر اللقاء الحضاري بين القارتين العريقتين اسيا وافريقيا ، فانه اليوم واحة الحرية الخصبة للفكر الانساني ، يمثل في هذه المنطقة من العالم دولة محدودة الرقعة ، ولكنها تؤمن بأن مجد الخلود لا يتوقف عند الحدود ، وان شرف الكلمة لا يدانيه في الارض الا شرف تقديسها وصيانتها .

ان مؤتمر كتاب اسيا وافريقيا ليس تكتلا قاريا لان الفكر لا وطن له ، وليس تجمعا عنصريا لان الانسان هو مدار بحثه ، انما هو صحوة التاريخ لشعوب لا يمكن ان تنهزم نفسيا ، ولا ان تجدب فكريا ، ولا ان تنسحق ذاتيا ، ولا ان تستسلم للعجز واليأس ، لانها شعوب الحضارات ، وام الرسالات .

وهو مؤتمر الفكر الحر ، لبدء حوار جديد ، لا تتحدث فيه القوة الى القوة ، ولا يتسلح فيه المتكلم بالقنابل النووية ، ولا يمثل فيه المؤتمرون دور ابناء المستعمرات ، ولا يستلهمون نزعة المعاداة والحقد ، فتخبو فيهم جذوة النضال الفكري بمجرد تحقيق صور الاستقلال السياسي ، بل هو الهام المستقبل العظيم ، للانسان العظيم ..

ايها السادة ،

ان شعوبكم المتحفزة للمجد ، المتوثبة للقيادة ، المنبعثة من بين ركام السنين وضغوطها الرهيبة ، سوف تكون على الطريق الذي ترسمونه لها ، والقيم التي ترفعونها اليها ، والتصورات التي توحيها ضمائركم النيرة ، واحاسيسكم النبيلة ، وبيدكم انتم امر التوجيهات الذهنية لاضخم مجموعات بشرية عرفها التاريخ ، وبيدكم وحدكم تقرير مصير الغايات البعيدة والقريبة لمبتكرات العلم ، ومناهج السياسة ، واماني الشعوب ...

ان عبقرية اممنا تحمل كل عناصر الحياة والخلود ، وتمتاز بالاصالة والانسانية ، وقد عجزت قوى الارض ، وقرون البطء والجمود، ان تعطل من طاقاتها الهائلة ، وتفاعلاتها الضخمة ، وهي وان انقطعت حينا عن الاتصال المباشر بالشعوب ، الا انها كانت خمائر الحياة المتجددة التي امدت وجودنا الحديث بكل اسباب اليقظة والصمود ..

ايها السادة ،

ان رسالتم الكبرى لا تنحصر في معالجة مشكلات انسانية محددة، لان القضية الانسانية باكملها هي التي تخلق نوعا من القاسم المشترك في كافة المشاكل القائمة بين الشعوب ، كذلك ، فان نضالكم الفكري لا يتحدد بطبيعة المشكلات القائمة لدى اي شعب من شعوبكم ، ذلك ان امكانات التغيير نحو الافضل ، والتطوير نحو الاكمل ، التي تسيطر على مستقبل قارتيكم انما تصدر اساسا عن طبيعة الاتصال الانساني فيما بينكم ، وتوضيح الاسس الحضارية المشتركة التي تتقارب اليوم الى حد التلاقي .

ان انساننا الجديد الذي تحرر من مظاهر البطش والاستبداد ، يتطلع الى تحريره من كل قابلية نفسية وجدانية لاي نوع من انواع التحكم والسيطرة ، وعلى الوجه الاخص تحريره من الحاجة والخوف والفراغ والتقليد ، وتحريره من نفسه ذاتها حتى لا يخضع غدا لما يصنع .. وانتم ايها الكتاب القادرون على تحرير انساننا الجديد الذي استيقظ عملاقا ماردا ، من كثير من التجارب التي عانتها امم سبقتنا ، وكلفتها جهودا انسانية مهدورة ، ومزالق فكرية خطيرة .

ان انساننا لا يطمح لعلم يخفق فوق سور بلاده ، ولا يكافح ليتخلص من جلاديه ومستغليه ولا يسعى لتحصيل قوته وعلمه وسلامة ابنائه ، ولا يهدف لتأمينه من غوائل الحرب ورهبة القوي فحسب ، فان هذه المطالب قد اصبحت من ضرورات الحياة والكرامة ، ومن بدائه الفكر الحديث .

انه ينظر الى ابعد من ذلك ، الى تحقيق اسمى وجود فكري وخلقي، حتى تغدو الارض اقل من طموح الإنسان ، ويكون العلم دون فكره وارادته ، ويصبح الخير والسلام حركة حية خصبة .

ايها السادة ،

لبنان الحر ، لبنان الفكر ، لبنان العطاء واللقاء ، يسجل هذا اليوم بين ايام وجوده وخلوده ، فمرحبا بكم رسل الحياة والابداع ، وتهنئة لشعوبنا بكم ، المتضامنة معكم ، من اجل الحق والسلام .

ثم ألقى الاستاذ كمال جنبلاط رئيس المؤتمر كلمة نشرت في مكان اخر .

وبعد ذلك ألقى الاستاذ يوسف السباعي التقرير العام للمؤتمر وقد نشر في مكان اخر .

وقد تكلم بعد السكرتير العام مندوب فلسطين الاستاذ عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) فألقى الكلمة التالية :

كلمة وفد فلسطين

أيها الاصدقاء ،

أحييكم باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، باسم فلسطين قلب الوطن العربي الذي اقتطع الاستعمار والصهيونية جزءا كبيرا منه لاقامة ما يسمى باسرائيل ، على أشلاء الشعب والضمير والحق ، قاعدة عدوانية وركيزة استعمارية ، لسلب خيرات المنطقة العربية ومواردها ولحماية المصالح الامبريالية ، وحاجزا عنصريا يمنع وحدة العرب وحريتهم وتقدمهم .

يا كتاب افريقيا وآسيا ،

نحن في معركة الحرية رفاق كلمة رفاق سلاح ، نسير في طريق الكفاح الطويل ، طريق شعوبنا المناضلة جنبا الى جنب وكتفا الى كتف ، والذين يسقطون أثناء هذه المسيرة الدامية يصبحون مشاعل هداية على جانبي الطريق للاجيال القادمة ، والذين يبقون حتى النهاية فبيدهم السمحة يبددون الظلام ويطلعون أنوار الصباح .

أيها الاصدقاء ،

لا أدري أي معنى لوجود كاتب اذا لم يقف مع الشعوب في نضالها من أجل حريتها واذا لم يسع لمحو الظلم بين البشر .

وان ألمنا نحن كتاب فلسطين لا يتأتى من وجود كتاب يسيرون في ركاب الاستعمار ، لاننا نعلم انهم جزء منه وان بالقضاء عليه قضاء عليهم ، ولكن ألمنا الكبير هو من أولئك الكتاب الذين يحرمون المظالم في قطر ويحللونها في قطر اخر ، يحاربون المجرمين في بلد ويدافعون عنهم في بلد اخر ، طلبوا من الغاصبين المحتلين في الجزائر ومن المعتدين في كوريا والكونغو ويطلبون من المعتدين المجرمين في فيتنام أن يعودوا من حيث أتوا ، وأن يتركوا البلاد لاصحابها يقررون حق مصيرهم والعيش بسلام ، ولا يطلبون من المحتلين المعتدين الصهيونيين في أرضنا العربية فلسطين أن يخرجوا ويعودوا من حيث أتوا وأن يتركوا لاهل البلاد الشرعيين حق تقرير مصيرهم والعيش بحرية وسلام .

يقف أولئك الكتاب مع شعب فيتنام البطل كما يقف جميع الكتاب الاحرار وكتاب العرب في الطليعة ، ثم تأتي اسرائيل فتقف الى جانب المعتدين على فيتنام وضد قوى التحرر في افريقيا واسيا ، فاذا طلبت من أولئك الكتاب أن يقفوا ضد اسرائيل الغاصبة العدوانية العنصرية مخلب الاستعمار ، صموا آذانهم وتجاهلوا هؤلاء المغتصبين المستعمرين .

ألسنا نقول جميعا بوجوب تصفية القواعد الاستعمارية التي ترتكز على الامبريالية العالمية والمقامة في أي جزء من أجزاء العالم ؟ أليست اسرائيل قاعدة استعمارية تعتمد اعتمادا كليا على الامبريالية العالمية ، زرعها الاستعمار في ملتقى القارتين العظيمتين ، وانها لذلك يجب أن تصفى كبقية القواعد الاستعمارية التي ندعو الى تصفيتها وتطهير العالم منها ؟

نحن نؤمن بأن المظالم واحدة أينما كانت ، ويجب محوها من كل مكان ، ونحن ضد كل اضطهاد مهما كان نوعه ، يقع على أي شعب ، وهذا تاريخنا يشهد بذلك ، ولكننا لا يمكن أن نحارب اضطهاد أناس على حساب اضطهاد أناس اخرين ، وأن نحارب الظلم الواقع على شعب بانزال ظلم بشعب اخر ، وأن نناضل من أجل حرية قوم فنستسيغ استعباد قوم اخرين .

قابلت كاتبا ومفكرا كبيرا من الغرب ، ناصر معظم قضايا الحرية في العالم وهو القائل : (اذا تناولت هذا العالم بما يحتوي عليه من مظالم فليس ذلك لكي أتأمل هذه المظالم ببرودة طبع ، بل لكي أكشف عنها وأبعثها مظالم حقيقية أي مساويء يجب أن تمحى) .

هذا الكاتب الكبير يسأل عن حل لقضية فلسطين ويسأل شعب فلسطين المساهمة في الحل ولو بالتنازل عن شيء من حقوقهم ، ويتساءل عن مصير المحتلين الوافدين من انحاء الارض .

قلت : ان قضيتنا بسيطة جدا ، أرضنا اغتصبت بحديد المستعمرين ونارهم وشردنا منها نحن أهلها الشرعيين ظلما وعدوانا ، نريد أن نعود اليها لنعيش بسلام في وطننا الذي هو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ، وان يعود الغزاة المستعمرون المغتصبون ، كل الى بلده الذي وفد منه ، ليساهم مع مواطنيه هناك في بناء المجتمع .

ثم أضفت بعد ذلك : ولكن العجيب أن لا تطلبوا من الظالم المغتصب أن يترك الحق لاهله والارض لاصحابها ، وتطلبوا من المظلوم المغتصب وطنه أن يترك حقه ويقبل بالظلم .

اننا نرجو من أولئك الكتاب أن يتفهموا قضية فلسطين بأنها قضية الشعب العربي وقضية الحق والعدل ، وأن يقفوا منها موقفهم السليم من الانسان والفكر والحرية . لقد ناضل الشعب العربي في مطلع هذا القرن وحارب الاستعمار على أشكاله ، محاربة ضارية لا هوادة فيها ، وأخذت تتساقط الاغلال في أرجاء عديدة من عالمنا العربي واستقلت اقطار وبقيت أقطار تتعثر بالسلال .

وبدلا من أن تنال هذه المنطقة العربية حريتها ووحدتها ، تقاسمتها الدول الاستعمارية بعد الحرب العالمية الاولى وكان من سوء حظ فلسطين انها وقعت بين براثن الاستعمار البريطاني أشد أنواع الاستعمار ضراوة في ذلك الحين الذي تآمر مع جميع قوى الاستعمار والصهيونية لانشاء اسرائيل .

ثم أخذ الاستعمار يعطي اسرائيل من دمه الفاسد لتعيش بؤرة حمئة في وسط وطننا العربي الكبير وعلى أرضنا الطاهرة الاديم ، فثار الشعب العربي من جديد يحارب هذه الركيزة وأعمدتها الاستعمار والامبريالية والصهيونية العنصرية . وأصبحت فلسطين قضية العرب الاولى وأصبح تحرر فلسطين قضية الكاتب العربي كما هي قضية الشعب العربي .

لقد تسرب اللهيب الى قلم كل كاتب عربي فاحترق به وفاح طيب فلسطين في كل أفق . وحمل الشعر العربي والقصة والبحث والمقالة قضية فلسطين بجراحها وآمالها الى أرجاء العالم وفي رحاب التاريخ .

وخاضت الكلمة العربية المعركة امام الشعب العربي تلهب المشاعر وتنبه الضمائر ، وتقارع الاستعمار والصهيونية . فكانت الكلمة تنطلق من الجزائر والمغرب وليبيا وتونس والقاهرة والسودان من مغرب الوطن العربي ، كما تنطلق من فلسطين والاردن ودمشق ولبنان وبغداد والكويت والخليج العربي وعمان والسعودية واليمن من مشرقه العربي ، كما تنطلق من الكاتب العربي في المهاجر ومن الكاتب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة ، هي كلمة الفكر الواحد والمصير الواحد .

وقد ارتفعت الكلمة العربية الى مستوى الاحداث للحفاظ على كرامتها ولحماية شرفها ، يتدفق فيها الدم الحار دم الحياة ، وتخفق فيها أماني الشعب العربي في تحرير فلسطين والوحدة العربية ، وتنبت الفكرة الملتزمة الوارفة في التربة العربية رمزا للحياة الحرة الكريمة .

وتهاوت الكلمة الهامدة المنعزلة عن قضية فلسطين ، لا روح فيها ولا حياة ، وتوارت في أعماق الظلمات .

ثم أخذت هذه الكلمة العربية الحرة تتلاقى مع الكلمة الحرة من الكتاب الاحرار في العالم لمحاربة الظلم والاستعمار ، ولاحلال الحق والسلام القائم على العدل في أرض فلسطين .

أيها الاصدقاء ،

ان قضية فلسطين هي القضية الوحيدة التي نستطيع أن نسميها القضية الافرو اسيوية ، لان أية قضية في اسيا مهما عظمت كقضية فيتنام مثلا هي قضية الشعب الفيتنامي الاسيوي تسنده جميع الشعوب الافرو اسيوية ، وأية قضية في أفريقيا مهما عظمت كقضية الكونغو مثلا هي قضية الشعب الكونغولي الافريقي تسنده جميع الشعوب الافرو اسيوية . اما قضية فلسطين فهي قضية الجزائر كما انها قضية سورية ، وهي قضية الجمهورية العربية المتحدة كما انها قضية العراق ، هي قضية هذه الاقطار العربية المنتشرة في افريقيا واسيا مثلما هي قضية الشعب الفلسطيني ، انها قضية الشعب العربي كله ، بل قضية تحرر كل شعب عربي لانه لا يمكن لاي شعب عربي أن يتحرر تحررا كاملا ما دام هذا الجيب الاستعماري العنصري قائما في قلب الوطن العربي ، وعلى ذلك فهي اذن بحق القضية الوحيدة التي نستطيع تسميتها بالقضية الافرو اسيوية . وعلى كتاب افريقيا واسيا الذين يمزقون أستار الليل عن القارتين ليطل عليها فجر الحرية ، أن يكونوا طلائع الكتاب في العالم المدافعين عن قضية فلسطين . وأن يقفوا بالمرصاد للاقلام الصهيونية والاستعمارية التي تغزو بلادنا الافريقية الاسيوية لتسود الصفحات وتزور الوقائع وتشوه الحقائق خدمة للامبريالية العالمية .

ان أقلام كتاب افريقيا واسيا المشرعة دائما في ميادين الحرية ، مدعوة لخوض معركة التحرير هذه ، لانها معركة طليعية من معارك التحرر الوطني العالمية ضد الاستعمار والصهيونية .

ويسرني أن أوجه باسم اتحاد الكتاب الفلسطينيين ومن فوق هذا المنبر الى كتاب العالم النداء التالي :

يا كتاب العالم الاحرار !

ان ايماننا ، نحن الكتاب ، عظيم بحق الانسان في الحياة الحرة الكريمة وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، وتحقيق ذاتها القومية للمساهمة في بناء الحضارة الانسانية ، وحياتنا مرتبطة ارتباطا عضويا ومصيريا بحياة شعوبنا التي تناضل من أجل التحرر من الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد ، وان أجمل الرسائل والاشعار والاغاني هي التي تعبق بنضال الشعوب في محاربة الاستعمار ومن أجل الحرية والتقدم ، ولا شك في ان ايماننا بوحدة النضال العالمي من أجل الحرية والتقدم وخير البشرية ، والقضاء على جميع صور الاستعمار والاستغلال والاضطهاد ، هو الذي يدفعنا نحن كتاب فلسطين الى التوجه بهذا النداء .

يا كتاب العالم :

على عواتقكم تقع المسؤوليات الجسام للاجيال وبأقلامكم الحرة وحدها تسطرون أروع صفحات التاريخ وتنيرون الطريق أمام الجماهير المناضلة من أجل حريتها وتقدمها وسعادة الانسانية جمعاء ، فأنتم المعبرون عن ضمائر الشعوب ، والقيمون على مبادىء الحق والعدل والحرية في العالم كله ، وأنتم الطليعة المناضلة المتسلحة بالوعي ، ضد القوى الفاشمة الاستعمارية لبناء مجتمع حر وسعيد .

ولقد أدى التآمر بين الصهيونية والاستعمار العالمي الى خلق اسرائيل في قلب الوطن العربي لتكون عدوانا صارخا ومباشرا ، لا على شعب فلسطين الذي اقتلع من أرضه وشرد من وطنه فحسب ، بل وعلى الشعب العربي كله ، وعلى شعوب القارتين الافريقية والاسيوية أيضا ، وذلك لان اسرائيل تمثل القاعدة التي أقامها الاستعمار القديم ، ليتخذ منها وسيلته في الحفاظ على مصالحه ، وتنفيذ مخططاته وأهدافه ولانها تجسد الاداة التي جعل منها الاستعمار الجديد وسيطته للتسلل الى الدول الجديدة النامية في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وضمان سيطرته على خاماتها ومواردها وأسواقها .

يا كتاب العالم الاحرار !

لقد أدانت قوى التقدم في العالم كله اسرائيل ووضعتها في المكان الذي يجب أن توضع فيه بعد ان أفصحت الحقائق الصارخة ،



أعضاء الوفود في زيارتهم لدمشق

* * *

التي كانت الدعاية الصهيونية الكبيرة التمويل والتنظيم والموارد ، قد أخفتها عن عيون العالم أمدا طويلا ، وهكذا ظهرت اسرائيل على حقيقتها كأداة للاستعمار والامبريالية ، وتجسيد للايديولوجية العنصرية العدوانية .

ويخوض شعب فلسطين نضالا مريرا وشاقا ضد قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وتآمرت على حرمانه من حقوقه في وطنه وفي تقرير مصيره ، وهي حقوق طبيعية ضمنتها شرعة حقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة ، وهو لا يتوخى من هذا النضال العادل الذي يخوضه الا استعادة حقوقه وتحرير وطنه ليتمكن من تحقيق اهدافه القومية والعمل جنبا الى جنب مع قوى السلام الخيرة في العالم لنشر الطمأنينة وبناء عالم السلام والعدل والتقدم والازدهار .

يا كتاب العالم :

اننا ندعوكم الى اداء رسالتكم العاجلة ، والى رفع أصواتكم داوية مجلجلة ضد الظلم والاستعمار والاستغلال ، وضد الجرائم التي ارتكبت وما تزال ترتكب بحق شعبنا العربي الفلسطيني .

وان انتصاركم لنضال شعب فلسطين من اجل استرداد حقه الشرعي في وطنه السليب ، ومن اجل حقه في الحياة الحرة الكريمة ، انما هو دفاع عن الحرية التي نذرتم أنفسكم لها ، وان نضالكم ضد اسرائيل قاعدة العدوان الاستعمارية في الوطن العربي انما هو واجب مقدس من صميم عملكم ، لان تصفية الاستعمار شرط من شروط التطور الكامل للاعمال الادبية ، ولان الازدهار الحقيقي للادب لا يمكن بلوغه الا في ظل الحرية والاستقلال وسيادة الشعوب ، ولان حرية الفكر التي تحرسونها أنتم وتناضلون من أجلها لا تنمو الا في المجتمعات التي تحررت جماهيرها من الظلم والاستعباد والاستغلال ، والفقر والجهل والمرض .

يا كتاب العالم :

اننا ندعوكم الى النضال معنا في سبيل تصفية اسرائيل القاعدة الاستعمارية المعتمدة اعتمادا كليا على الامبريالية العالمية ، وفي سبيل اعادة شعبنا الى أرضه ووطنه ، لان اسهامكم معنا في هذا النضال يعد انتصارا للمثل الانسانية العليا التي تجمعنا نحن الكتاب الى بعضنا على اختلاف أجناسنا وألواننا .

اننا ندعوكم الى الوقوف صفا واحدا معنا في محاربة المؤامرات التي يحيكها الاستعمار ضد بلادنا العربية المتحررة ، والى محاربة العدوان الذي يشنه الاستعمار على شعبنا المناضل في الجنوب اليمني المحتل ، وفي عمان ، والى مقارعته في كل بلد يخوض معركته التحررية

في أفريقيا وآسيا واميركا اللاتينية . اننا ندعوكم الى الدفاع عن جميع الشعوب المضطهدة وتأييد النضال البطولي الذي يقوم به شعب فيتنام ضد العدوان الاميركي من أجل حريته ووطنه .

فقضية التحرر في العالم، كل لا يتجزأ، لانها قضية حضارة وانسانية، وان الاستعمار بمحاولاته ان يجعل وطننا ميدانا لتآمره وموقدا لاشعال نار الحرب الاستعمارية انما يحاول تحطيم التراث الحضاري الانساني وعرقلة سير التاريخ .

يا كتاب العالم الاحرار !

دافعوا عن شرف الحروف الحرة بتأييد نضال الاحرار .

عاش النضال العربي من أجل تحرير فلسطين وكل جزء من الاراضي العربية .

وعاش تضامن كتاب العالم الاحرار في نضالهم من أجل بناء عالم التقدم والحرية والسلام .

عبد الكريم الكرمي

وفي الجلسات العلنية التالية تعاقب رؤساء الوفود على الكلام، وفيما يلي نصوص كلماتهم :

كلمة وفد الجامعة العربية

ان جامعة الدول العربية تشارك لبنان الحبيب الترحيب بوفود الكتاب من سائر أنحاء اسيا وافريقيا على هذه الارض العربية التي كانت رائدة النهضة العربية المعاصرة . والجامعة العربية اذ تفخر انكم تكرمون عاصمة عربية كبيروت لانعقاد مؤتمركم الثالث تشير بهذه المناسبة الى الدور الطبيعي الهام الذي لعبه ويلعبه كتاب لبنان في مجالات التوعية والتوجيه والتعميق على المستويين العربي والعالمي . وليس هنا المجال لترديد ما هو بديهي ومعروف بأن لبنان ما أخرج للعالم تراثا أدبيا حضاريا خالدا ــ يكن، جبران، الريحاني، الشميل، أبو شبكة، فرح أنطون، أبو ماضي، فاخوري ــ الا عندما تفلت أدباؤه من قيود التزمت وتحرروا من التقوقع الذاتي فعالجوا قضايا الانسان ملتزمين نتائج التطور وملازمين بالتالي حركته فكان أدبهم فاعلا في المجتمع يحدد معالم الصورة المقبلة له مساهما في توضيح أبعاد الصراع مع القوى الحائلة والمعرقلة لسير التطور وعملية التحرير . وكان هذا الادب الملتزم يفجر طاقات الابداع والتحليل جاعلا من الكلمة أداة الوصال مع الحقيقة لا حاجزا بيانيا عن المعاناة وشموليتها .

فكان هذا الادب العربي المنبثق من لبنان عالميا لانه اجتماعي وانساني، لانه ملتزم . والادب العربي الحديث هو حصيلة المعاناة العربية المعاصرة . وليس المهم أن تكون الصياغة اللفظية فيه سليمة بيانيا بقدر ما هو أهم أن يكون مرآة صادقة عن كلية التجربة ومنارة للمبتغى الذي يرنو اليه التوق الانساني .

والتجربة العربية ــ حركيا وحضاريا ــ وان كان لها خصائصها ومميزاتها ــ فانها تشترك مع المجتمعات الاسيوية ــ الافريقية في مواجهة التحديات نفسها التي تطرحها مشاكل التنمية السريعة والتحول الجذري وحتمية ايجاد المخرج من خلال تصادم العلم والاهتمامات المعاصرة مع الترسبات الكامنة في تراثنا وتقاليدنا . ولكن التمرد على الرواسب يجب أن لا تلازمه الثورة على التراث ككل . وهنا يجيء دور الكاتب الطليعي يغذي عناصر الاستمرار والنمو في كياناتنا القومية والوجودية، ويغذي بنفس الوقت انفتاح هذه الكيانات على التراث الانساني . فالتراث الانساني في النتيجة ما هو الا ديمومة التفاعل الخلاق بين التراثات تؤثر كل منها بالاخرى وتتأثر بها، فيصبح التراث القومي من خلال عالميته محررا ذاته، ويصبح التراث العالمي من خلال ارتباطه العضوي بالتنوع القومي زاخرا بالكل الانساني، فالعالمية التي تتطلع الى الغاء عملية الابداع في التراثات القومية الاصيلة واستبدالها بمفهوم للعالمية ــ هو مجرد مجموعة امتدادات لمحور حضاري معين هي تزوير للتطلع الانساني والابعاد العالمية لكل تراث، كما ان التراث القومي الذي ينفعل تجاه كل ما هو خارج اطاره ويخاف الغير ويغطي هذا الخوف بالاصرار على اكتفائه بالقيم الحضارية التي تنطوي عليها حضارته انما هو مقدمة لعملية هدر ونزيف وتعطيل للطاقات الحية في مجتمعاتنا .

ونحن في المجتمعات الاسيوية الافريقية معرضون من جراء التحديات الكثيرة والكبيرة أن ننزلق في مهاوي التقليد والرغبة المتسرعة في أن نكون امتدادات لمحاور ثقافية تجعل من مثقفينا غرباء هامشيين في مجتمعاتهم أو ننغلق عن مجاري الفكر ونرصد أبواب عقلنا بوجه العالم فنصبح غرباء عن العالم .. ومن شعر بغربة عن العالم لا بد أن يشعر بغربة عن نفسه وهذا هو الضياع والتخلف . فكما اننا جزء من العالم، فان العالم هو جزء منا، وهذا هو المعنى الحقيقي للانسانية .

والكاتب الاسيوي الافريقي تقع على عاتقه مهمات عاجلة في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور ونمو مجتمعاتنا . فعليه أن يكون سباقا للوعي وهذا يعني أن يكون ملتزما لحتمية التطور والتقدم والا انفجر الوعي بوجهه وأصبح دوره في أحسن الاحتمالات جانبيا وصار لزاما عليه أن يرهق ذاته باللحاق بركب التقدم، والكاتب المرهق يلجأ للسفسطة بديلا للالتزام . هذا الكاتب بالذات ينصاع لمآرب دولية واستعمارية تخاف هي بدورها تطورنا وتقدمنا فتجد في هؤلاء السفسطائيين المرهقين أدوات متلهفة للظهور بعد أن قذفتهم الثورات التحررية الاصيلة في المجتمعات الاسيوية والافريقية . ولعل ما اكتشف مؤخرا عن ارتباطات مريبة لاجهزة مخابرات استعمارية مع مؤسسات ثقافية اسميا هي النذير بضرورة تعميق الوعي وضرورة التنسيق بين كتاب الدول النامية في آسيا وأفريقيا وتكثيف العلاقات فيما بينهم حتى يكون التنسيق حماية لاصالتهم وثورتهم والكثافة في العلاقات حافزا للفكر الفاعل المضيء .

واذا نحن استبقنا تأييد كتاب آسيا وافريقيا لعدد من نضالات شعبنا العربي فانما هذا هو انعكاس لتأييدنا التلقائي لنضال شعوب أفريقيا وآسيا بشقيه المباشر وغير المباشر وضد العنصرية وسياسة التفرقة والافقار والضغوط والتآمر الذي يلجأ اليه الاستعمار الجديد. واذا نحن ركزنا على ايضاح المعنى الاعمق والمغزى الاهم لقضية فلسطين لا نعمل ذلك لان فلسطين هي قضية عربية فقط بل لان الثقافة الاستعمارية بشتى أشكالها تريد أن تحجب عن رؤيا الكتاب الاسيويين الافريقيين كون قضية فلسطين قضية اسيوية افريقية وقضية في صميم قضايا الوجدان الانساني، نعمل ذلك لان الصهيونية تشكل أداة للاستعمار في المنطقة وبالتالي أداة تعطيل لصيرورة مشروعية أمانينا الوطنية الحقة المحقة، بل لان الثقافة الاستعمارية أرادت أن ترسخ في الذهن الاسيوي الافريقي أكذوبة القرن العشرين بأن اسرائيل الدخيلة هي انبثاق من العالم الاسيوي الافريقي بدلا من الحقيقة البديهية وهي كونها اغتصاب عدواني لحركة هي في ذاتها استعمارية في جذورها وجوهرها وأساليبها ونهجها واستعمارية في أهدافها ومراميها، واذا نحن ركزنا على قضية فلسطين فانما نفعل ذلك لا لابراز قضية حق عربي أصيل فحسب، بل لنساهم في ازاحة الغشاوة الذهنية التي تعمل الثقافة الاستعمارية لتكثيفها حرصا على رأس جسر لها في اسيا تنطلق بواسطته الى ضرب الحركات التقدمية في أرجاء العالم الاسيوي الافريقي . واذا أثرنا نحن قضية فلسطين في هذا اللقاء التاريخي فذلك لان قضية فلسطين هي اليوم المحك الرئيسي لسلامة الالتزام بالقيم الحضارية الانسانية ولكونها المنطلق الذي منه نضرب مواقع الثقافة الاستعمارية والتزوير الفكري تماما، كما ان قضية فيتنام هي المحك لسلامة الالتزام لقضية الحرية والكرامة في العالم .

ان جامعة الدول العربية تشارك هذا المؤتمر التزامه بشرف الكلمة ... لان الكلمة هي الانسان .

كلوفيس مقصود



منصة الرئاسة في المؤتمر

كلمة وفد الجمهورية العربية المتحدة

ايها الرئيس ،
أيها السادة الزملاء ،

ان الجمهورية العربية المتحدة ، التي تمتد بأرضها في اسيا وافريقيا معا ، والتي هي جزء من وطن عربي كبير ، يمتد عبر اسيا وافريقيا من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي ، لتشعر بضرورة التضامن بين القارتين ، شعورا ينبثق من وجودها وكيانها ، ومن تاريخها وثقافتها ، فهي اذا ما التفتت الى ماضيها القريب او البعيد ، أو القت ببصرها الى المستقبل والمصير ، وجدت كل لمحة من لمحات فكرها ، وكل نبضة من نبضات قلبها ترنو الى أن تكون أرضنا ملتقى لافريقيا واسيا موصولتين في وجود واحد .

وان وفد الكتاب من الجمهورية العربية المتحدة ، اذ يلتقي مع سائر الوفود الممثلة لهاتين القارتين العظيمتين ، في مؤتمرهم الثالث ، ليحس بالغبطة مرتين : يحسها لان موضع اللقاء هو جزء من الوطن العربي ، هو لبنان الشقيق ، ومن ثم فهو احساس المرء في بيته وبين أهله ، ويسره أن يلتقي بسائر الاخوة من افريقيا واسيا في رحاب هذا البيت العربي الكريم .

ثم يحس الغبطة لان موضوع هذا المؤتمر : قضايا التحرر الوطني في الاداب الافريقية والاسيوية ، ومقاومة التغلغل الاستعماري في ميادين الثقافة هو موضوع حيوي بالنسبة الى الكتاب العرب .

فلم يشغل هؤلاء الكتاب شيء ـ مدة تقرب الان من قرن كامل ـ كما شغلها الكفاح في سبيل التحرر من براثن المستعمر ، فمنذ اللحظة الاولى التي دنس فيها المستعمر البريطاني أرضنا سنة ١٨٨٢ ، لم يسكن لنا قلم في معركة الجهاد ، واذا كان الجهاد الوطني واجبا مقدسا على كل مواطن حر ، فهو أوجب على رجال الفكر وحملة القلم ، لانهم هم من المجتمع ضميره وعقله ولسانه .

وان هذا الجهاد الشريف ، هو أقوى ما يربطنا اليوم ـ نحن الكتاب الاسيويين والافريقيين ـ على كثرة ما بيننا من روابط ـ لاننا جماعة واحدة تجاه قضية واحدة ، هي قضية التحرر من المستعمر ، الذي أوغل فينا بأظافره وأنيابه وظن ان الجريمة والغنيمة ستمضيان في سبيلهما بغير حساب .

لكن الشعوب الاسيوية الافريقية ، قد استيقظت يقظتها الجبارة ، وأخذت بوجدانها الثائر تلهم كتابها ، لتتلقى منهم ذلك الالهام مصوغا لها في كلمات مشتعلة ، فتتخذ منها ضوءا على طريق الجهاد ، فكان أن رأينا من ذلك كله ، تيارا جارفا ، من الحركات الثورية العارمة ، التي أخذت تدك حصون المستعمرين حصنا بعد حصن ، وما تزال في تيارها الجارف ماضية ، توسع من افاقها ، وتزيد من قوتها ، حتى تأتي على المستعمرين وأعوانهم ومؤيديهم . فلا يبقى منهم على أرضنا عين ولا أثر . وكان من أبشع ما اقترفه هؤلاء المجرمون ما تآمروا به علينا ، حين تحالفوا مع الصهيونية ، لاغتصاب قطعة عزيزة من قلب العروبة ، هي أرض فلسطين الطاهرة ، فما زالوا ببنيها الشهداء ، طردا وتشريدا ، ليحلوا محلهم عصابة من حثالة العالم وشذاذه ، فهل شهد التاريخ كله جناية بلغت من النكر ما بلغته هذه الجناية ؟ أن الاستعمار في صورته المألوفة ، هو أن يجثم المستعمر على صدر الشعب الذي يستعمره ، دون أن يزحزحه عن أهله وداره ، أما الاستعمار الذي حل بأرض فلسطين ، فقد حرم الشعب الضحية حتى من داره وأهله ـ وحسب الظالمون ان قد قروا ـ ولا أقول انهم فروا ـ بالغنيمة آمنين ، ولم يدروا ان الحق وأصحابه ، وراءهم بالمرصاد ، وان الزمن لن يطول ـ باذن الله ، وبارادة الشعب العربي ، وبتأييد الشعوب الاسيوية الافريقية جميعا ـ حتى يستعيد البلد أهله وبنوه ، فيأوي المشرد الى دفء داره ، ويعود اللاجيء الغريب الى حضن الوطن .

ولنذكر جيدا ، في هذه المناسبة ، ان الاستعمار والصهيونية حليفان مترابطان في كل مكان ، فاذا حاربنا الاستعمار ، وجب أن نحارب معه الصهيونية ، والا كنا كمن يضرب رأس الافعى ويترك ذنبها ، فها هو ذا القائد الاسرائيلي ـ موشى ديان ـ الذي كان قائدا لقوات اسرائيل في هجومها على الجمهورية العربية المتحدة مع انجلترا وفرنسا قد استضافه الجيش الاميركي المعتدي في فيتنام ، استضافه هناك

ليشهد المعارك الدائرة بين البغي الأميركي والحق الفيتنامي ، فلما عاد الاسرائيلي من فيتنام الى الولايات المتحدة نشر في الصحف الاميركية تأييده للمعارك التي شهدها تدار ضد الشعب المناضل ، كما اجتمع هناك في واشنطن بالقادة العسكريين ليبادلهم الرأي والنصيحة ، في كيف تقاوم حروب التحرر الشعبية ، وقد أعلن هو نفسه هذا النبأ في الصحف . فالصهيوني الذي تآمر مع المستعمر في اغتصاب فلسطين ، هو نفسه الصهيوني الذي يتآمر مع المستعمر ذاته في اغتيال فيتنام .

لا ، لن يطول الزمن قبل أن تسترد فلسطين من أيدي الغاصبين ، كما ان الزمن لن يطول ـ باذن الله ، وبارادة الشعب العربي ، وبتاييد الشعوب الاسيوية الافريقية جميعا ـ حتى نقتلع المستعمر بكل عبثه وطغيانه من الجنوب العربي ، ومن بلاد الخليج العربي ، ومن كل أرض له فيها عبث وطغيان .

أيها الكتاب من اسيا وافريقيا ،

ان أسباب النصر على المستعمرين والطغاة ، لم تكتمل لنا بعد . فما يزال الاستعمار يستبدل لنا جديداً بقديم ، وما تزال صوره الكريهة تتبدى اشكالا وألوانا ، فانظر اليه كيف يقيم حواجز التفرقة العنصرية ، التي يأباها الضمير الحي ، وتأباها المدنية حتى وهي في أدنى درجاتها ، وتأباها الفطرة السليمة ، ويأباها العدل والكرامة وكل قيمة عرفها الانسان منذ اول التاريخ ، لكن المستعمر مع ذلك يقيم حواجز التفرقة العنصرية ، حاسبا انه يؤيد بها وجوده ، ويشد بها أزر سلطانه وسيادته ، كما هي الحال في افريقيا الجنوبية وفي روديسيا وغيرهما من البلاد ، ثم انظر اليه ـ في صورته البرتغالية ـ وهو يستخدم أبشع وسائله استبدادا وعنفا ، ليطيل بها أمد بقائه في أنجولا ، وموزامبيق ، وغينيا المسماة بالبرتغالية بطلانا وعدوانا .

وانظر اليه كيف يحاول تفتيت الشعب الواحد شعوبا ، ليحدث التفرقة بين افراد الاسرة الواحدة فتكون له هو السيادة ، كما هي الحال اليوم ، في جنوب السودان وفي ارتريا ، وكما فعل بالامس في الشعب العربي ، اذ اصطنع لاجزائه حدودا على هواه ، لعله يحول بها دون الوحدة العربية الشاملة ، ولكن كذب في ذلك حسابهم ، لان الوحدة العربية آتية لا ريب فيها ، بارادة الشعب العربي ، وبتأييد الكتاب الاحرار من اسيا وافريقيا ومن أرجاء العالم أجمع . ثم انظر الى المستعمر في حربه العدوانية الهوجاء التي تشنها الولايات المتحدة الاميركية على فيتنام ، والتي يضرب فيها الشعب الفيتنامي الباسل أروع الامثلة في الشجاعة والبطولة . ولقد كان حتما على الضمير الانساني في كل بقاع الدنيا ـ بما في ذلك بعض الكتاب في الولايات المتحدة نفسها ـ ان يتحرك ويثور لهذه المأساة البشرية المروعة ، التي يزيد من خطورتها انها هي نقطة التقاطع بين العالم الرأسمالي القديم والعالم الاشتراكي الجديد .

لقد انعقد مؤتمر قبرص منذ اسابيع قليلة ، اجتمعت فيه لجان التضامن الاسيوي الافريقي ، واتخذ قرارات لتأييد نضال الشعب الفيتنامي ، كان من بينها فتح مكاتب للتطوع في شتى بلاد اسيا وافريقيا ، تكون رهن اشارة من شعب فيتنام ، واقامة أسبوع لتأييد شعب فيتنام في كل بلد افريقي واسيوي ، ونقترح على مؤتمرنا هذا أن يؤيد هذه القرارات ، وأن يدعو الكتاب الاسيويين والافريقيين ليكونوا في مقدمة من يستجيبون لها ، فشعب فيتنام بما يقدمه من دماء أبنائه ، انما يقدم الفداء لحرية الكتاب في اسيا وافريقيا جميعا .

تلك أمثلة من المحن التي تعانيها بلادنا في افريقيا واسيا ، فماذا يكتب الكاتبون أن لم يجاهدوا باقلامهم في سبيل التحرر من هذا الطغيان الباغي ؟ ليقل المختلفون في الرأي ما شاءوا حول التزام الاديب والمفكر ، اما تجاه هذه المآسي الدامية ، فليس امام رجال الادب والفكر من بديل يختارونه لانفسهم ، سوى ان يشرعوا أقلامهم حرابا في المعركة ، فهذه هي قضيتهم الاولى ومهمتهم الكبرى، وليقولوا لاقلامهم ما قاله أديب مجاهد عربي في أوائل هذا القرن مخاطبا قلمه : ((أيها القلم . لو كنت سيفا لاغمدتك في صدور من يحاربونك ، او سهما لانفذتك في أعماق قلوبهم)) .

ان الكاتب العربي ليعد كل اعتداء على شعب من شعوب افريقيا واسيا ، اعتداء مباشرا على وطنه ، ايمانا منه بأن القارتين يجمع بينهما من الروابط ما يوحد بينهما في وقفة واحدة . ويجمع بينهما حاضر كفاح ، لانهما معا هدف لمطامع المستعمرين ، ويجمع بينهما عراقة تاريخ ، لانهما معا قد أمدتا العالم بدعامتين أساسيتين من دعائم المدنية ، هما الفن والدين ، ويجمع بينهما اتفاق على مقاومة التفرقة العنصرية بكل صورها ، فما الثورة الافريقية الاسيوية في أعماقها الا ثورة على ما أراده الغرب للناس من عدم المساواة ، الا ان تاريخ الحضارة الانسانية ـ الذي امتد على الزمن سبعين قرنا ـ قد جعل الصدارة لقارتي افريقيا واسيا مدى خمسة وستين قرنا ، ولم تفلت منهما القيادة الا خمسة قرون ، هذه هي الحقبة الاخيرة التي ساد فيها العلم الطبيعي ـ والعلم الطبيعي مكسوب ـ فلو أضفناه الى تراثنا من دين وفن ، عادت الينا الصدارة ضعفين .

ولهذا فان واجب الكتاب في افريقيا واسيا لا يقتصر على مقاومة المستعمر مقاومة سلبية نصرخ فيها استنكارا للظلم والعدوان ، بل أن واجبهم ليتعدى ذلك الى مهمتين ايجابيتين نقيم بهما لانفسنا صروحا جديدة لحياة جديدة ، أما أولاهما فهي الدعوة الى العلوم الطبيعية ، لنبني على أسسها حياة صناعية نواجه بها حضارة هذا العصر بما يلائمها ، واما ثانيتهما فهي الدعوة الى الاشتراكية بكل ما يلحق بها من قيم جديدة ، تمنع استغلال الانسان للانسان بجميع أشكاله وبشتى صوره وألوانه .

أيها السادة الزملاء ،

ان صياحنا في أوجه المستعمرين ، بما نكتبه من شعر وقصة ومسرحية ومقالة ، لا يجدي وحده ، ولا بد أن نكمل ذلك بتحصين أنفسنا من الداخل ، بالعلم ، وبالصناعة ، وبالعدل ، وبالحرية ، وبالاتحاد ، واننا في هذا التشييد الداخلي لنختلف حظوظا ، فبعضنا وقد واتاه الحظ بدولة تقدمية ، وعندئذ يجيء صوتها مع اصوات الكاتبين نغمة متسقة لا نشاز فيها ، ولقد حظيت الجمهورية العربية المتحدة بمثل هذا الحظ الاوفى ، فالدولة فيها تقدمية بناءة ، وعلى رأسها زعيم بطل ، هو القائد التقدمي الثائر الرئيس جمال عبد الناصر ، ولكن بعضنا الاخر قد يجد نفسه مضطرا الى المحاربة في جبهتين : جبهة المستعمر الخارجي ، وجبهة الدولة الرجعية ، وان جهادنا المشترك ـ نحن كتاب افريقيا واسيا ـ ليوجب علينا ان نجعل من كل قضية تحررية ، أينما ظهرت في أرجاء القارتين ، قضية لنا جميعا ، وبهذا التجاوب والتكافل فيما بيننا ، يتحقق لنا التضامن بأكمل معانيه ، وهو التضامن الذي من أجله اجتمعنا اليوم اخوانا ، لنجمع الكلمة على ما نعتزم القيام به حيال هذه القضايا الحيوية التي نطرحها في هذا المؤتمر .

كلمة وفد سوريا

باسم الوفد العربي السوري لهذا المؤتمر ، وباسم الادباء والشعراء والمفكرين في القطر العربي السوري ، أحييكم أجمل تحية ، وأتمنى لكم التوفيق والنجاح ، في المساعدة على توجيه الادب والفكر ، في هاتين القارتين ، توجيها ثوريا ، ينسجم مع الحاجات القومية والحاجات الاقتصادية ، ويواكب حركات التحرر التي تلف شعوب اسيا وافريقيا بجناحيها .

أيها الرفاق :

لقد كان للامة العربية ، التي يمتد وطنها ما بين المحيط الاطلسي، والمحيط الهندي ، شرف المساهمة الجدية في حفر قبور الامبريالية ، وكان لادباء ومفكري هذه الامة المجيدة ، الفخر بأنهم كانوا طلائع وروادا

في معارك التحرير ، التي امتدت منذ النصف الثاني للقرن التاسععشر حتى اليوم .

واذا كانت الثورة الصناعية في أوروبا الغربية ، قد استطاعت أن تلهب حماسة الجماهير الكادحة المظلومة ، لتغيير البنية الاقتصادية ، وخلق المجتمع الاشتراكي ، واذا كانت هذه الثورة قد ألهبت خيـال الشعراء ، وشجعت الكتاب والمفكرين ، في تبني قضايا هذه الجماهير المظلومة ، والدفاع عنها ، اذا كان الامر كذلك في أوروبا ، فانه فـي الوطن العربي ، وفي القارتين القديمتين ، قد أخذ التاريخ طابع المقاومة التحررية الوطنية ، لعمليـات الغزو الاستعمارية ، التي مارستها البورجوازية الصناعية الاوروبية ، وخليفتها الامبريالية الدولية ، اذ كانت الجماهير العربية ، وجماهير القارتين ، تخوض معركة مزدوجة ، في الوقت الذي كانت فيه البروليتاريا الاوروبية لا تخوض الا معركة مصيرية واحدة . ولاجل هذا ، فقد اتسم الادب العربي ، والفكـر العربي ، منذ نشوء الاستعمار الدولي حتى اليوم ، بسمتين اساسيتين، منبثقتين من المنطق العلمي للتسلسل التاريخي الاجتمـاعي للشعب العربـي .

ففي الوقت الذي كان فيه الادب الحر الاوروبي ، متحللا من الهموم القومية ، منطلقا نحو تصوراته العلمية في بناء اوروبا بنـاء لصالح الطبقات الكادحة ، منسجما في ذلك مع المرحلة التاريخيـة للشعوب الاوروبية ، ومصالح الكادحين فيها ، في ذلك الوقت كـان الادب العربي يمارس عملية ايجاد الشعب المكافح ، الذي يستطيـع أن يقف على رجليه في وجه المأساة الاستعمارية للبورجوازية الاوروبية، ولاجل هذا ، فقد اتجه الادب العربي اتجاها قوميا ، في مصلحـة الانسانية ، في الوقت الذي كان فيه الادب الاوروبي يتجه اتجاهـا بروليتاريا ، في مصلحة الانسانية أيضا .

لقد كانت الغاية واحدة ، فـي الادب الحر الاوروبي ، والادب الحر العربي ، في الوقت الذي تنوع فيه سلاح الاديبين :

لقد كان سلاح الادب الاوروبي اثارة البروليتاريا ضد مستعبديها ومستغليها ، للوصول الى تحرير الانسان الاوروبي من ربقة استعباد البورجوازية الاوروبية ، وكان سلاح الادب العربي ، اثارة المكامـن القومية للشعب العربي ، المستعمر من قبل البورجوازية الاوروبيـة ، كيما يستطيع هذا الشعب أن يستعيد ثقته بنفسه ، ويقف على قدميه ، مقاوما تلك البورجوازية ، التي استنزفت دماءه ، وحاولت ابادتـه كجنس بشري ونوع انساني ، في المغرب العربي ، وفي فلسطيـن المحتلة ، وفي كثير من بقاع الجنوب اليمني .

فالعدو ، والحالة هذه ، مشترك ، والكفاح ، والحالة هـذه ، واحد ، غير ان السلاح القومي الذي استخدم من قبل الامة العربيـة الممزقة ، المهددة بالاندثار ، لم تكن البروليتاريا في أوروبا بحاجة اليه ، فاستخدمت سـلاح صراع الطبقات ، للقضاء على البورجوازيـة الاوروبيـة .

وعندما أخذت البورجوازية الاوروبية ، بعد الحرب العالمية الثانية، تأخذ ملامح جديدة في استعمار العالم ، وشرعت في سحب جيوشهـا العسكرية من اكثر بقاع العالم ، لتحل محل تلك الجيوش العسكريـة الاستعمارية ، جيوشا مصرفية ، تبسط النفوذ البورجوازي على العالم، دون الحاجة الماسة كثيرا للرجوع الى الجيوش العسكرية ، الا فـي حالات محدودة ومعدودة ، في تلك الاثنـاء تغير منطق الصراع في العالم ، واختلفت أسلحته ، وبدت شعوب العالم الثالث ، التيتحررت لتوها من الاستعمار العسكري البورجوازي ، تمر بكفاح جديد ، فـي سبيل التحرر من الاستعمار الاقتصادي الامبريالي الجديد .

فلقد استطاعت البورجوازية الصناعية الاوروبية ، باستعمارهـا العسكري للقارتين القديمتين ، أن تخلـق في بلدان العالم الثـالث (طبقة جديدة) من المنتفعين بالعلائق الاقتصادية مع الامبرياليةالدولية، لتكون هذه (الطبقة الجديدة) صلة الوصل ما بين (الامبرياليـة الدولية) و (منابع الثروة) في البلدان المتخلفة ، ولتتحمل هـذه (الطبقة الجديدة) وحدها مسؤولية التخلف في نظر شعوبها ، فـي الوقت الذي يريح فيه الاستعمار العالمـي ، والامبريالية الدولية ، نفسيهما من مؤونة المجابهة المباشرة لشعوب العالم الثالث المتخلفة .

وهكذا ، فقد نشأت في بلدان العالم الثالث ، وفي الوطنالعربي ، الذي نتحدث باسمه الان ، (بورجوازية محلية) ، غبيـة ، وعاجزة ، وعميلة للامبريالية الدولية وغير صالحة لشيء الا لتكون ذيلا للامبريالية الدولية واسفنجة تمتص بواسطتها خيرات البلدان المتخلفة ، وتبقيفيها بعض الماء الكافي لبقائها على قيد الحياة .

ان الادب العربي ، والفكر العربي ، قد أدركا بدقة دور تلـك (الاسفنجة الامبريالية ـ المحلية معا) ، وعرفا ان التحرر القـومي لا يجيء الا نتيجة للتحرر الاقتصادي وان أي تحرر من سيطرة الاقتصاد الامبريالي ، يجب أن يمر بمراكز الامتصاص الوطنية التي أقامتهـا الامبريالية الدولية في أسواق الوطن العربي .

ومن هنا ، فقد انطلق الادب العربي ، والفكر العربي ، انطـلاقا جماهيريا ثوريا اشتراكيا في الوقت الذي كان ينوي فيه تحرير وطنه تحريرا نهائيا من سيطرة الاستعمار الاوروبي ، والامبريالية العالمية .

ان الكفاح المرير ، الذي يخوضه الادب العربي اليوم ، في وجـه البورجوازية والاقطاع في الوطن العربي ، انما هو كفاح الطبقـات الكادحة في هذا الوطن ، ضد بؤر الامتصاص الامبريالية العالمية ، الذي هو بالوقت نفسه كفاح في سبيل حرية الامة العربية السياسية وحريتها الاقتصادية ، من سيطرة الاستعمار الاوروبي ، والامبريالية العـالمية ، وهو بالوقت نفسه كفاح يصب في تيار القومية العربية ، المتطلعة الى اقامة الوطن العربي الواحد ، والدولة العربية الواحدة ، التي لا اثر فيها للنفوذ الاستعماري ، ولا لسيطرة الامبريالية ، والتي تبنيهـا زنود الكادحين ، وومضات أفكار المثقفين الثوريين .

واذا كانت الامبريالية الدولية ، قد استطاعت بدهائها المعروف ، أن تقيم لها في أقطار الوطن العربي مراكز امتصاص لخيرات هـذا الوطن ، فانها قد استطاعت ، بلؤمها المعروف أيضا ، وبحقدها عـلى العرب بوجه خاص ، أن تقيم لحماية مصالحها الاستغلالية في هـذا الوطن ، والدفاع عن مراكزها الامتصاصية فيه ، (مخفرا اماميـا) ، من المغامرين الاغبياء ، الذين كانوا في أوروبا واميركا ، حثالة البيوتات المالية الامبريالية ، ومخالب تلك البيوتات المالية ، في خدش وجـوه البروليتاريا الاوروبية .

ان الامبريالية الدولية ، التي تلعب الصهيـونية العالمية دورا رئيسيا في تشكيلاتها المالية الكبرى ، قد استطاعت ـ بقوة السلاح ـ أن تقيم في (فلسطين المحتلة) جمهرة من الذين كانوا في أوروبا واميركا جنودا مرتزقة عند بيوتات المال الامبريالية ، وخدما على ابوابهـا ، واستطاعت أن توهم العالم ان هؤلاء الافاقين ، النازحين من كل أصقاع الارض ، يمكن أن يشكلوا دولة مستقلة في فلسطين .

ان الضمير الثوري العالمي ، يدرك بدقة ، ذلك الدور الخبيث الذي تمارسه الامبريالية الدولية في فلسطين المحتلة ، تحت شعـار (دولة اسرائيل) ، كما يدرك بوضوح تام ، ان هذه الدولة المفتعلة ، ستنتهي حتما عندما ينتهي دور الامبريالية في العالم ، او عندما تنتهي حاجة الامبريالية الدولية لهذه الدولة القائمة على غير أساس :

الا ان تكون مخفرا اماميا للغزو الاستعماري .

لذلك فقد أقر الضمير الثوري العالمي ، وهو واع ، نزوع الامة العربية لاثارة الحرب التحررية الشعبية ضد دولة العصاباتالصهيونية في فلسطين ، تعجيلا في الخلاص من المخفر الامامي للامبريالية الدولية، وفي وأد هذه الامبريالية في أقصر وقت ممكن ، وتكون عملية الخلاص من دولة العصابات الصهيونية جزءا من عملية الخلاص من الاستعمـار العالمـي .

ـ التتمة على الصفحة ٧٣ ـ

نضال التحرر الوطني في الادب الياباني

بقلم ياسوهيرو تاكوشي

نود ، اذ نقدم هذا البحث الخاص « بمشكلة نضال التحرر الوطني كما تنعكس على الادب الياباني » ، أن نوجه اهتمامكم للمواضيع التالية :

١ ـ السمات والاتجاهات المتعددة الظاهرة في الادب الياباني الجديد .

٢ ـ ماهية الطبقة الحاكمة في اليابان ، التي يكافح ضدها الادباء في سبيل عملية الخلق الادبي .

٣ ـ نوع الكفاح النقدي الخلاق ، اللازم للادباء اليابانيين المسؤولين عن مصير شعبهم .

٤ ـ مطلب لنا نتقدم به لهذا المؤتمر الذي يضم الكتاب الافريقيين الاسيويين .

١ ـ السمات والاتجاهات المتعددة التي تتضح في الادب الياباني الجديد :

ان كل ياباني يشعر اليوم شعوراً عميقا بخطر الحرب ، ذلك لان الحرب الاميركية ضد فيتنام أصبحت تهدد مستقبل الشعب الياباني . فهذه الحرب لا تقتصر على رقعة محدودة في القارة الاسيوية وانما يصحبها تهديد باستخدام الاسلحة النووية الاميركية الكامنة وراء قنابل النابالم والاسلحة الكيماوية ، مما يثير خطر نشوب حرب عالمية ثالثة .

كذلك فان تطور العلاقات الدولية ، وتوسيع نطاق الحرب الاستعمارية القائمة على تهديد الاسلحة النووية يخدم الاقتصاد الاستعماري الذي ترعاه الطبقة الحاكمة في اليابان ، ويعوق في الوقت ذاته ـ الى حد كبير ـ نمو حياة ومستقبل ثقافة الشعب الياباني المسالم .

ويشعر الشعب الياباني وأدباؤه برغبة قوية في تجنب الحرب التي تستخدم فيها الاسلحة الوحشية ، ومن ثم العمل على عدم احياء العسكرية اليابانية وسياسة الاقتصاد الحربي كي لا تتكرر المأساة التي سببت آلاما لا يمكن وصفها للشعب الياباني ـ وغيره من الشعوب ـ منذ عشرين عاما مضت .

وقد ظهرت في هذه الظروف أعمال أدبية كثيرة تهدف الى تصوير الحياة الاجتماعية وتجربة الحرب بالنسبة للشعب الياباني ، ذلك الشعب الذي يشعر اليوم شعوراً عميقا بخطر الحرب العالمية والحرب النووية .

وعلى سبيل المثال فان رواية « المطر الاسود » (ماسوجي ايبوس ـ ١٩٦٦) ، التي نشرت حديثا تقوم أساسا على تسجيلات كتبها ضحايا القنبلة الذرية في هيروشيما . وقد قرظ عدد كبير من النقاد هذه الرواية تقريظا كبيرا . وما زال هناك في اليابان عدد كبير من الضحايا التعساء للقنبلة الذرية يموت البعض منهم اليوم متأثرا بالحروق التي أصابت جلودهم نتيجة الاشعاع الذري . لقد نجوا من الموت بأعجوبة في الماضي ، وأخذوا يكافحون أهوال الموت طمعا في البقاء على قيد الحياة ، ولكن الموت لاحقهم نتيجة التغير الفجائي الذي طرأ على فهمهم بعد انصرام هذه الاعوام الطويلة . هذا مع عدم ذكر الاشخاص الذين حرقوا ـ بفعل القنبلة الذرية التي أسقطها الجيش الاميركي ـ فتحولت اجسادهم الى رماد . وقد استخدم كاتب الرواية مذكرات فتاة لم تتمكن من الزواج بسبب ما قيل عن انها ضحية مرض نتج عن الاشعاع الذري . وقد عالجت الرواية التناقض بين حياة الناس الذين يكافحون أمراض الاشعاع الذري في نفس الوقت الذي يعيشون فيه حياتهم العادية بعد الحرب العالمية ، والحياة الاجتماعية في اليابان وقت سقوط القنبلة الذرية على ذلك البلد . وقد كتبت الرواية على شكل مجموعة من التحقيقات الصحفية والفن الادبي التقليدي الياباني الذي يقوم على الاعمال الادبية التي يكتبها الشعراء والكتاب اليابانيون بل وضحايا القنبلة الذرية انفسهم ، من أمثال « يوكو اوتا اوتاميكي هارا » أو « سانكيجي توجي » الذين ماتوا الان بالفعل . وقد قرأ هذه الرواية بتأثر عميق عدد كبير من الاشخاص اليابانيين الواقعيين تحت تهديد خطر الحرب العالمية الثالثة ، والذين ما زالوا يحملون ذكرى القاء القنبلة الذرية على بلدهم .

كذلك فقد نشر عدد من الاعمال الادبية ، التي تواجه بطريقة مباشرة ، الظلال الباقية للمجتمع المضمحل داخل نطاق المجتمع الياباني السامي بمظهره ، الذي سمح يوما للطبقة الحاكمة أن تواصل الحروب الاستعمارية . كما تتناول هذه الاعمال معنى السلام في عالمنا اليوم وتدرس في نفس الوقت ديناميكية الحرب والثورة ، بينما تمعن النظر في خطر الحرب العالمية الثالثة .

وهناك ايضا رواية « شينو موري » (لناس تزحف على الارض) (ميتسوهارو اينوي ـ ١٩٦٣) ، وتعالج الرواية موضوع التفرقة العنصرية والتفرقة الانسانية التي أقلعها الاستعمار الياباني ، كذلك مشكلة العلاقات بين اليابان وكوريا ، هذه المستعمرة اليابانية السابقة ، ومشكلة المستوطنين الكوريين في اليابان ، ومشكلة ضحايا القنبلة الذرية ، بالاضافة الى موضوع (التمييز ضد القرية) كأحد أنواع التفرقة الانسانية التقليدية التي ورثت في اليابان منذ العهود القديمة .

أما الرواية التجريبية « ساسا ماكورا » (وسادة البامبو) (سايش ماروبا ١٩٦٦) فهي تصوير لحياة الشعب الياباني في الوقت الحاضر . كما ظهرت مجموعة من الروايات تصور الجندي الحديث (شيرو هاسيجاوا ١٩٦٦) ، وتصف المعاملة اللاانسانية داخل الجيش الياباني بالرغم من المعاملة التي تبدو في مظهرها فقط مخالفة لذلك . وهناك رواية أخرى طويلة تدعى « سينين نووا » (خاتم الشباب) (هيروشي نوما ١٩٦٦) وقد نشر منها ثلاثة مجلدات من مجموع خمسة مجلدات كاملة ظهرت منذ الحرب العالمية الثانية ، أي خلال العشرين عاما الماضية ، كما سيظهر مجلد جديد اخر في القريب العاجل .

ونستطيع القول بأن هذه الروايات قد كتبت بطريقة ادبية واعية للعلاقة بين استتباب السلام في الوقت الحاضر وازمة الحرب . وتظهر هذه العلاقة بطريقة اكثر وضوحا ، وعلى وجه التخصيص في الروايات التي تدعى روايات الحرب أو سجلات الحرب ، وهي التي لا ترسم صورة حقيقية لطبيعة الحرب ، بالرغم من وصفها للحرب من خلال الجنود او الجيش او الاسلحة . وفي نفس الوقت فان هذه الروايات تميل الى مداهنة مصالح الشعب الياباني فيما يختص بمشاكل الحرب ، الى الحد الذي تتناسى فيه المصائب التي لحقت بالشعب ، وتتجاهل انتقاد المجتمع والاشخاص الذين تعاونوا في سبيل استمرار تلك الحرب .

ومن ثم ، نود أن نكشف في ايجاز ان الحضارة والادب في اليابان ، واقعين تحت تأثير الموقف الاجتماعي الشعبي المزعوم ، الذي خلقته

عملية تطوير وسائل الاعلام الجماهيري كالصحف وغيرها ، وللنمو الشديد في رأس المال الياباني وتركيز رؤوس الاموال واحتكاراتها . فكان لا بد لهذه الظواهر أن تقرب أعمال الكتاب اليابانيين من دائرة القراء التي اتسعت اتساعا كبيرا جدا بمقارنتها بنظيرتها ايام ما قبل الحرب . هذا كما تأثر الادب بالكتب التجارية التي عملت وسائل الاعلان والدعاية المختلفة ، على انتشارها . ولسنا في حاجة الى ان نذكر انه كثيرا ما تقضي الاعمال الادبية الرديئة بظهورها ، على الاعمال الادبية الجيدة ، كما ينحدر البعض من الكتاب حتى يصبح مجرد أدوات لرؤوس الاموال التي تستخدم في مجال النشر .

في مثل هذه الظروف ، ظهر نشاط لكتاب اهتموا اهتماما شديدا باثراء قيمة الادب في ذاته ليعترضوا طريق الاتجاه السابق ، فأرادوا أن يدافعوا عما يسمى « بالادب البحت » ، وان يحافظوا على طبيعة الادب الفنية ، عن طريق اقامة فاصل بينهم وبين جوهر المجتمع الياباني ، الذي غمرته وسائل الاعلام الجماهيري في أيامنا هذه . فهناك بعض الاعمال الادبية التي تفشل في تصوير ما في حياة أفراد الشعب الياباني المنعزلين عن بعضهم البعض من عبث ، وارجاع ذلك الى القوة الاجتماعية ، التي تقيد الحياة اليومية للفرد الياباني وتحصرها في نطاقها القومي ، بعيدة عن عملية اضفاء الطابع العصري على مجتمع ما بعد الحرب وعن سياسة التنمية الاقتصادية الضخمة . ذلك لان الكتاب أخفقوا في التخلص من روابطهم العائلية العتيقة بالرغم من اعتزامهم تحطيم الوضع الاقتصادي للاسرة ، كما أخفقوا أيضا في أن يلمسوا بدقة الصلة بين الزوج وزوجه وأطفالها في البيت الذي يضم الاسرة ، وأن يلحظوا تفكك التكوين التقليدي والابوي للبيت الياباني .

وقد ظهر اتجاه نقدي يدعو الى عدم جدوى تبين الروابط التي تربطنا باليابان القديمة التي ما زالت تحتفظ بجوهرها في اليابان الحديثة ، بملاحظة الجوانب الثقافية والحضارية للمجتمع الجماهيري الذي يقوم على أساس التقدم الضخم في التنمية الاقتصادية للاحتكارات اليابانية التي تنادي بأن « الواقع الياباني قد تغير » .

وقد ظهرت أخيرا بعض الكتب الجديرة بالملاحظة وتتميز بظهور اتجاه واضح بها ، تمثل في اعادة ارساء أسس مبدأ الحياة والموت ، عن طريق الاتجاه المباشر نحو أعماق البناء الروحي للشعب الياباني الذي قام على هذا المبدأ ، تحت ضغط المجتمع الجماهيري ، وذلك باستكانته للنظام الامبراطوري (التينويزم) ، باعتبار ذلك النظام هو المنبع الوحيد للوحدة الدينية والاخلاقية وتنمية مبدأ سلطة الدولة باعتبارها مبدأ الحياة في الجماعة ، مع عدم غمض النظر عن الاختلاف بين الامبراطوري قبل الحرب وبعدها ، باعتباره أساسا للكيان الانساني ، ومع التظاهر ، في نفس الوقت ، باتخاذ موقف الاهتمام الصادق بما انتاب العلاقات الانسانية من تفكك نتيجة ضغط المجتمع الجماهيري واضفاء الطابع العصري على اليابان . وهنا نتبين وجود شعور وطني متطرف جديد ، أو نوع من العنصرية ، يضمن الطابع الفردي للحياة الانسانية (كمبدأ ما هو الهدف من حياتنا ؟) عن طريق التقرب للخواء الروحي في الشعب الياباني الحديث ، الذي يعيش في مجتمع صناعي متطور ، ويعاصر وسائل اعلام جماهيرية تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها قبل الحرب في اليابان كما يستثير الروح الوطنية المتطرفة ليعملا في سبيل اقامة مجتمع ترفرف عليه المساواة وتقدم الانسان ، في مجتمع ما بعد الحرب الصناعي مع تشييد البناء الروحي الذي يعيش أبد الدهر . ورواية « صوت الجنود الموتى » (يوكيو ميشيما ١٩٦٦) هي واحدة من هذه الامثلة . هذا وبالرغم من الوطنية المتطرفة التي تتصف بها بعض هذه الاعمال المحافظة الجديدة ، الا ان أساسها في الواقع هو « الكوزموبوليتية » تعني انها تناصر نظام السوق العالمي (*) الذي يعمل على احياء البلد الاستعماري بعد انصرام عشرين عاما من نهاية الحرب . ويمكننا ان نقول ان هذه الاعمال تعكس ، في احساس ، أمنية الطبقة الحاكمة اليابانية لبلد استعماري جديد في أن يجد وسيلة للتلاقي مع شعب وشباب اليابان .

٢ – الاستعمار والقومية على أساس من ايديولوجيات الطبقة الحاكمة في اليابان :

كي نشرح الاسباب التي تدعونا الى أن نطيل الحديث عن خطر سيطرة الدولة المطلقة او الوطنية المتطرفة ، في غمار تناولنا الموضوع الرئيسي لهذا التقرير وشرح الاتجاه الذي تسير فيه جهود الكتاب في اليابان اليوم ، فاننا نرى من الضرورة شرح الموقف الثقافي والايديولوجي السائر في اليابان اليوم . ولن يمكن للافراد والكتاب اليابانيين ان يقوموا بعملية خلق أدبي ، بدون أن ينتقدوا ويكافحوا ضد هذا الموقف الذي وضعوا فيه . وهنا تستدعي الضرورة منا ان نوضح الصراع القائم الان بين الموقف الطبقي المعقد والايديولوجيات المختلفة . وهذا أيضا يوضح انه طالما بقيت هذه الظروف في اليابان ، فلن يمكننا أن نشرح المناقشة التي تركزت حول الموضوع الرئيسي بدون الاشارة الىالموضوع الفرعي وهو « العمل المضاد للتسللالامبريالي والاستعماري الجديد في الميادين الثقافية » . فنحن نهدف الى القاء الضوء على الادب الياباني الحالي وأدب المستقبل .

وفي هذا المجال نخشى أن تشعروا أنتم معشر الكتاب الافريقيين الاسيويين ، بالحيرة لموقفنا السلبي أو ربما الحذر ، من مسألة القومية .

السبب في ذلك هو المعنى الخاص للقومية اليابانية ، فهذه القومية ستتصل اتصالا كبيرا وتتأثر بالرأسمالية والحياة القومية . ففي الماضي امتص امبراطور اليابان احساس الشعب الياباني بحريته وجاء الاحتكار الرأسمالي اليوم في اليابان كي يقوم بنفس العمل .

ونحن نلاحظ بسهولة أن القومية تعني للامم الاخرى في اسيا وافريقيا مناهضة الامبريالية والاستعمار ، كما تقوم على أساس المطالب الطبيعية لشعب المنطقة . ولكننا نأمل مخلصين في فهمكم للسمات الخاصة التي تتصف بها القومية اليابانية واتصالها الوثيق بالرأسمالية وبدون أخذ ذلك في الاعتبار فلن يمكن تحقيق التحرر الحقيقي لكل ما هو قومي في اليابان . وهذا في الواقع ما يقوم به الفنانون الحقيقيون في اليابان ، فهم يحاولون تحرير كل ما هو قومي في اليابان عن طريق عملهم النقدي الخلاق .

ويحتمل أن تكونوا قد علمتم بأن اليابان قد خاضت تجربةالوطنية المتطرفة والتفرقة العنصرية خلال أربعة عشر قرنا او خمسة عشر عاما ، اثناء فترة الحرب بين اليابان والصين حتى الحرب العالمية الثانية . لقد كان التطرف الوطني هو الداعي وراء ارسال الجيش الياباني الى الصين وبلاد جنوب شرقي اسيا تغزو هذه المنطقة ودفع الشعب الياباني في نفس الوقت نحو مأساة القنابل الذرية التي ابادت السكان الابرياء في هيروشيما ونجازاكي . ومن ثم لم تكن « الامة » أو « الدولة » ترتكزان على مصالح الشعب او الامة اليابانية بل قامتا على اساس الاستعمار العسكري العدواني الذي تناصره فكرة « امبراطورية اليابان الكبرى » . وأخذت الطبقة الحاكمة تقود اليابان من دولة رأسمالية متقاعسة ، محاولة الخروج بها الى دائرة الدولة الاستعمارية حتى تحقق وجود السوق الذي ينافس البلاد الاستعمارية المتقدمة كالولايات المتحدة وبريطانيا ، وتنقذ نفسها من أخطار الفقر والفزع والثورة الداخلية . واذ دفعت قوة الدولة الشعب الياباني نحو الحرب – فقد خاض هذا الشعب تجربة الحرب وفظائعها ففقد

(*) اضطرار عاصمة الرأسمالية والاحتكارية اليابانية ، لطرق أبواب السوق العالمي .

العائلات والارواح كما أحرقت الغارات الجوية منازل أبنائه ثم انتهت هذه الحرب التعسة بالهزيمة . وقد سببت هذه الحرب ، الخراب للشعوب الاسيوية المجاورة .

ثم تحرر الشعب الياباني بعد الحرب العالمية الثانية من العسكرية التي كانت تسود بلاده ، وبدأ الشعب يعيد بناء بلد مسالم لا يتعرض لخطر الحرب ، بعد أن حصل على الدستور الذي يقوم على اساس النظام السياسي الديمقراطي والسلام ، لاصلاح الصناعة والاراضي التي لحق بها الخراب .

وقد أخرج الادب الياباني الذي تخلص من القيود المفروضة عليه ومن اضطهاد سلطة الدولة له أثناء الحرب - أعمالا كثيرة مثمرة وأعاد احياء تأثير فن النثر عن طريق حرية الكلمة والديمقراطية التي استمرت طيلة العصور . وهنا نذكر اعمال الكتاب من امثال سيجيهارو ناكانو وجونكهيرو تانيزاكي ، ويوريكو مياموتو ، وناتسوزو ايشيكاوا ، وسوناو توكوناجا ، وهم الذين حرمت سلطات الدولة نشر اعمالهم الادبية أثناء فترة الحرب ، كذلك كتاب من أمثال هيروشي نوها ، ويوتاكاهلنييا ورينزوشينا ، وتايجون تاكيدا ، وشينشيرو ناكامورا ، وشويش كاتو ، وتاكيهيكو فوكوناجا ، وشيرو هاسيجاوا ، وكيميفوزا آبي - الذين نشروا أعمالهم الادبية بعد الحرب ، بينما قاوموا في أعمالهم هذه ضغط الحرب . أما كتاب الجيل الجديد من أمثال كينابورو اوي ، وغيره من الكتاب الذين كتبوا مغامرات أدبية قامت على أساس مجتمع ما بعد الحرب المتحرر الذي لم يعرف ضغط العائلة الاقطاعية والنظام الامبراطوري (تينو) الذي عاصر ايام ما قبل الحرب ، فقد الفوا أعمالهم الادبية التي تقوم على المبادىء الايديولوجية للطبقة العاملة وحياتها التي واجهت ضغط سلطة الدولة منذ بزوغ أدب العمال أيام ما قبل الحرب .

ومن العوامل التي شجعت الكتاب اليابانيين خلال هذه الفترة انعتاق القدرة العقلية والثقافية للكتاب اليابانيين من ربقة الموقف الانعزالي الذي ساد زمن الحرب وانطلاقها في الميادين الثقافية ، وظهور عدد كبير من الدول الاشتراكية الى جانب الاتحاد السوفياتي ، الذي كان يعتبر الدولة الاشتراكية الوحيدة قبل الحرب العالمية الثانية واستقلال البلاد الافريقية الاسيوية ، التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار . ولقد أدت هذه العوامل الى ظهور عدد كبير من الكتاب احتلوا اليوم المراكز الرئيسية في عالم الادب ، كما نشروا عددا كبيرا من أعمالهم الادبية من خلال نشاطهم في مجال النقد والمجلات الادبية .

وعلى سبيل المثال فقد انبثقت جماعات متعددة من الحركات الادبية :

١ - نشاط نقدي لمتابعة منهج الوصول الى الفن الحديث عن طريق اعتبار متخلفات العناصر التي كانت سابقا في حكم الحديثة ، وسيلة سلبية من خلال امتصاص ثمار حركات الطليعة في القرن الذي نعيش فيه ، مثل السيريالية ، والفن التجريدي ، والفن التسجيلي ... الخ . وتطبيق هذا المنهج بواسطة حركات فنية مع الانتفاع في نفس الوقت بعصرنا الحالي كعصر ثوري للانتقال من الفئة الثالثة الى الفئة الرابعة .

٢ - التنظيم الادبي لتثبيت أقدام الكتاب التقدميين والديمقراطية مرتكزا على تجارب الحركات اليسارية ، التي سبقت الحرب ، والتي اصابها التفسخ نتيجة اضطهاد الحكم الفاشي لها .

٣ - المجموعة الادبية التي تواصل الاتجاه اللاانساني ، والتي تتابع التناقضات التي قامت في الماضي بين الحركات اليسارية هادفة الى تحقيق الاثراء الادمي واقامة الادب الحديث .

ملحوظة :

(١) تم حل اغلب هذه الحركات القائمة على اصدار المجلات ، بعد استكمال مهمة كل جماعة ، باستثناء « مجلة الادب الياباني الحديث » التي ما زالت تواصل نشاطها عن طريق التغيير المستمر الذي تقوم به الاجيال الحديثة منضمة اليها الجماعات الاتية اسماؤها :

(٢) الحركتان الاوجيتان المسخيتان (كيوتيرو هنادا وكيشي ساساكي) اللتان قامتا على اصدار مجلتي « الثقافة العامة » (١٩٤٦ - ١٩٤٨) و « الفنون الحديثة » (١٩٥٧ - ١٩٦١) .

(٣) حركة « الادب الياباني » (شين نيهون بونجاكوكاي) .

(٤) حركة « الادب الحديث » (١٩٤٦ - ١٩٦٤) .

وبجانب هذه الحركات الادبية ، فقد أرسى نشاط فترة ما بعد الحرب بظهور حركات شعرية كحركة اريش (الارض الخراب) ، التي تحاول تصوير المقاومة التي قام بها الشعر خلال فترتي ما قبل وبعد الحرب باقتباس التقاليد الشعرية في اوروبا وحركة « القصيدة الحديثة » (ريتو او الجزر) بهدف التمكن من التعبير الشعري الذي يقوم على أسلوب الطليعة والتقدم نحو الاشتراكية وغير ذلك .

وفي نفس الوقت قام عدد كبير من كتاب الجيل الجديد او جيل ما بعد الحرب ، من الذين تعرضوا شخصيا لتجربة القمع من جانب قوات الاحتلال الاميركية وعانوا من تشويه معنى الديمقراطية واختفائها بجانب اختفاء الادراك والروح الانسانية ، لفترة طويلة داخل الحركات الثورية والحزب الثوري الذي واجه الانتكاسة التي تمثلت في ثورة ما بعد الحرب ... وقام هؤلاء الكتاب بحركات نقدية بهدف احياء قوة النقد والابداع عن طريق استعادة الادراك والاحساس وتخليصهما من الروح النقدية المستنفدة التي نتجت عن سيطرة الايديولوجيات البيروقراطية ، خاصة بعد النقد الذي وجه لستالين عام ١٩٥٦ ، وبالجهود التي بذلت لتخليص الثورة والايديولوجيات والانسان والادب من التشويه الذي لحق بهم ، وانتقادهم ومحاولة القضاء بطريقة ايجابية على هذا التشويه الذي لحق بهم بفضل ستالين .

ومن جانب اخر ، فقد ظهرت حركات أدبية لتستخلص بأسلوب فني التجربة المأساوية التي نتجت عن البيروقراطية واختفاء الديمقراطية ، وعدم توافق وكفاية استراتيجية الاحزاب والحركات الثورية في فترة ما بعد الحرب . ويمكننا أن نعرف هذه الحركات الادبية بأنها الجهود التي تبذل عن طريق التعاون بين الاجيال المختلفة ، والجهود التي تبذل لاستعادة قوة الماركسية وتوفير الوضع الشرعي لها وتاريخها وثقافتها في اتجاه بناء الاشتراكية ، بعد الحرب العالمية الثانية .

بيد انه خلال الاعوام السبع الماضية ، وخاصة عام ١٩٦٠ ، أي منذ نشوب الصراع بين القوى اليابانية المحافظة والقوى التقدمية ، بشأن معاهدة الامن بين الولايات المتحدة واليابان ، قامت القوى الحاكمة في اليابان التي هالها المقاومة التي أبداها الشعب الياباني ، بدعم سلطاتها الثقافية والايديولوجية عن طريق وسائل الاعلام الجماهيري كالصحف والتليفزيون ودور النشر الكبرى كما سبق ان ذكرنا . وأفاقت الرأسمالية اليابانية من الضربة القاصمة التي وجهت اليها بهزيمتها في حرب كوريا (١٩٥٠ - ١٩٥٣) ، فجمعت جهودها لتحويل جبهة الشعب المتحدة التي تقوم على ديمقراطية ما بعد الحرب ، الى مجتمع لا طبقي حتى يمكن تجنب العمل الجماهيري المضاد بخلق ما أسموه « بالموقف الشعبي الجماهيري » الذي نتج عن ادخال الطابع الحديث على اليابان مع رفع شأن ايديولوجية « اقامة دولة ترفرف عليها الرفاهية » ليمكن تحقيق نمو اقتصادي ضخم بمركزه واحتكار رؤوس الاموال . وان الطبقة الحاكمة التي نجحت في تطوير البناء الفرعي اللازم للمجتمع الاستعماري الحديث عن طريق تكتيكاتها المموجة، أصبحت في حاجة الى السير في طريق الدول الاستعمارية المستقلة بالفوز في هذا التسابق الاقتصادي الدولي الذي تقوم به الدول الراسمالية ليمكنها الحفاظ على قدرتها الانتاجية المتزايدة بطريقة

رأسمالية . وبالطبع استحال على هذه الطبقة الحاكمة أن تكرر مرة أخرى نفس الاسلوب الذي اتبعه امبراطور اليابان ، وقت الحرب العالمية الثانية ، ذلك لان الوعي الديمقراطي لدى الشعب الياباني الذي استيقظ على الحياة السلمية والتنظيمات النقابية ، قد زاد بطريقة جعلت من الصعوبة على الطبقة الحاكمة استخدام القوة في تطبيق ايديولوجية الوطنية المتطرفة او سلطة الدولة المتطرفة ، بشكلهما المعروف قبل الحرب .

واليوم ترتبط اليابان بالولايات المتحدة ارتباطا عسكريا وسياسيا وثيقا ـ بمعاهدة الامن الاميركية اليابانية وغيرها من الاتفاقيات ـ التي لا تمكنها من التمتع باستقلالها وحكمها الذاتي الا من خلال اطار التعاون مع الولايات المتحدة ، وكما هو معروف فان معسكر الرأسمالية العالمية الذي كان يضم اليابان سابقا ، قد فقد الكثير من مستعمراته بمقارنته بفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية . هذا في الوقت الذي اتسع فيه نطاق الدول الاشتراكية ، فضم عددا كبيرا من البلاد المجاورة التي كانت في يوم من الايام مطمحا للمستعمرين اليابانيين والتي وقع البعض بالفعل في براثن هذا الاستعمار ـ والبلاد التي توجد بها عناصر افريقية اسيوية وطنية مناهضة للولايات المتحدة ومناهضة للاستعمار .

وقد فرضت هذه المواقف مهام سياسية جديدة على الراسمالية الاحتكارية والطبقة الحاكمة ، اللتين قررتا طريقهما وهو تسرب راس المال الياباني الى جمهورية كوريا بمقتضى اتفاقية اليابان ـ كوريا الجنوبية ، ومنح المساعدات الاقتصادية لبلاد جنوب اسيا ، ومعاونة الجيش الاميركي في حربه في فيتنام ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة . وهذا يعني أن اليابان تسهم بدورها في الاستعمار الجديد الذي هو مرحلة ابتكرها الاستعماريون للراسمالية الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك بتغلغله الاقتصادي في المنطقة التي مهدتها له الولايات المتحدة من الناحية العسكرية . واصبحت الطبقة الحاكمة في حاجة « لمذهب ستالين » جديد اكثر قوة وتحفظا من مذهب « الدولة التي تسودها الرفاهية » حتى تتحقق الوحدة الثقافية والمذهبية للشعب ، ويصبح الطريق اكثر وضوحا . وهنا يمكننا أن نتبين في وضوح السياسة الثقافية للطبقة الحاكمة وجهودها حتى تمتص الدولة امتصاصا كاملا حيوية القومية النفسية العاطفية التي انفصلت عن سلطة الدولة وانمحت او امتصت من جانب ديمقراطية ما بعد الحرب التي نشأت عن التجارب المريرة التي عاصرت فترة الانهزام في الحرب والمآسي الاليمة التي لحقت بالامة اليابانية ، ويمكننا ان نقرر ان الادب الذي انتجته الطبقة العليا في المجتمع الياباني ، يحوي اوهامهم في هذا المجال . وقد لعبت القومية دورها التقدمي لفترة محددة بعد الحرب ، نتيجة ابتعادها عن سطات الطبقة الحاكمة . بيد ان «القومية» التي يدعو لها الليبراليون أصحاب الاعمال الادبية الحديثة في اليابان فهي مذهب يرفضه عقل الشعب الياباني الذي يأمل في الحرية والتحرر ، والذي عصبت عينيه السياسة الرجعية للطبقة الحاكمة التي فشلت قوميتها كمذهب طبيعي لبين الواقع مما اسدل ستار الظلام على مستقبل الشعب الياباني نظرا لاختفاء النقد بالنسبة للواقع الاقتصادي والاجتماعي . وقد تناست هذه الطبقة الحاكمة ان القومية اليابانية قد قامت اساسا على التشكيل الموحد للسوق المحلي ، ثم العلاقات بين الدول بعضها البعض .

ان الكتاب اليابانيون يعلمون ان مذهب الطبقة الحاكمة يتعارض مع المطالب الطبيعية للادب . ومن ثم فقد كان من الضرورة ان يقوم صراع دائم بين الطليعة الادبية والطبقة الحاكمة التي تقوم بهجوم للقضاء على العقل ، والشعور الذي ينبه للخطر المحدق بمستقبل الشعب الياباني ويحمل الشعب على السير في نفس الاتجاه الذي تسير فيه هذه الطليعة ، هذا مع القيام في نفس الوقت بالكفاح ضد بعض الكتاب والنقاد الذين لا يتصدون لامثال هذه الهجمات الرجعية بل يتعاونون بطريقة ايجابية مع مثل هذه الحركات .

وليس هذا نضال القوة النظرية في الانسانية والاداب والفنون والايديولوجية فحسب ، بل هو ايضا نضال الدفاع عن ارادة الشعب الحقيقية ومستقبلها ضد الاتجاه الخطير الذي يؤدي الى ان يفقد الشعب حريته الوطنية ، بربط مستقبل الشعب الياباني بالراسمالية العالمية المتمركزة حول الولايات المتحدة ، وهو الامر الذي يعتبر هدف جكوسمبوليتية او « القومية » تحت عباءة سيطرة الدولة ، او «القومية» المصحوبة بعملية تطبيق متحررات العصر ، ولن يشن هذا النضال الا بالطريقة الجديدة والروح الانتقادية ، اللتين يجب ترسيبهما في واقع اليابان كبلد رأسمالي مرتفع المستوى في تقدمه في الموقف العالمي الراهن ، والذي تهدده أزمة الحرب العالمية الثالثة ، ووجود الاسلحة النووية ، وفي ظل أبعاد المستقبل المبني على الموقف العالمي . ويتطلب هذا من الكتاب والمثقفين في اليابان خلق وسيلة محكمة جديدة للنضال الايديولوجي . وكما تعلمون فان الحكومة اليابانية والاحتكاريين الرأسماليين يعاونون على شن حرب فيتنام ، التي تقوم بها الولايات المتحدة عن طريق التسهيلات الخاصة والقواعد العسكرية في اوكيناوا ، أما القوى التقدمية في اليابان والمرتكزة على دستور السلام الذي قرر نبذ الحرب بعد الحرب العالمية الثانية ، فهم يناضلون ضد مثل هذا الاتجاه . ويحاول الكتاب والفنانون فضح وحشية الجيش الاميركي في حرب فيتنام بين اكبر عدد من الشعب الياباني ، ولذلك كتبوا تحقيقات أدبية مثل « سجل الحرب الفيتنامية » الذي كتبه « كين كايكو » و « مذكرات مراسل في حرب فيتنام » الذي كتبه المصور اكيهيكو اوكامور .

كما قام ماكونو اودا والكثيرون من الكتاب والمثقفين بتكوين « لجنة المطالبة بالسلام في فيتنام » ، ويواصلون حركة مناهضة الحرب والاحتجاج ضد الحكومة .

أما « سوهيو » وهو (المجلس العام للنقابات في اليابان) فقد نظم اضرابا واسع النطاق ضد الحرب ومن أجل اللجوء الى عدم العنف ، والنضال السلمي . ويكافح المثقفون والعمال الان ضد كبت الحكومة للعمال نتيجة لهذا الاضراب العام .

ولن تحل مشكلة اوكيناوا ، التي تستخدمها الولايات المتحدة الان كقاعدة حربية رغم انها جزء من اليابان ، الا عن طريق كفاح الكتاب والشعب ضد الراسماليين الاحتكاريين اليابانيين وضد السيطرة الثقافية والايديولوجية والقيود التي يفرضونها .

٣ ـ الواجبات الحالية للكتاب اليابانيين وكفاحهم من أجل الثقافة :

من اجل مقاومة الاتجاه الخطر الذي يستهدف انزال الكارثة بالامة اليابانية وغيرها من الامم ، عن طريق اعادة بعث اليابان كبلد استعماري وتحويلها الى ترسانة للاسلحة الحديثة ضد الشعب الذي يتطلع الى

الحرية ، فان على الكتاب ، الذين يحملون مسؤولية مصير الشعب ، أن يواصلوا النضال ضد مثل هذا الاتجاه في ميادين الثقافة والايديولوجية. وفضلا عن ذلك ، وكما سبق ان ذكرنا ، فان مثل هذا النضال لا يمكن أن يشن الا عن طريق وسيلة جديدة من وسائل الكفاح والروح الصلبة المؤيدة بالنظرة الواعية من جانب الرأي العام العالمي ، المبنية على تفهم أن اليابان هي الدولة الرأسمالية الشديدة التقدم في الوضع العالمي الحالي ، والمهددة بأزمة الحرب العالمية الثالثة ووجود الاسلحة النووية . ويحتم هذا على الكتاب والمثقفين في اليابان أن يخلقوا الطريقة الجديدة للنضال العقائدي والشديد .

وفي الواقع فان السلام هو أهم مورد تحتاجه حياة الشعب وخلق الثقافة . ان شعب اليابان وكتابها ، الذين عانوا الكوارث التي لحقت بأرضهم وبشعبهم وبالبلاد الاخرى ومأساة القنابل الذرية ، يعرفون هذه الحقيقة معرفة تامة . ونحن نعتبر ان المجتمع الذي يقوم على الحرب والعنف ، بما في ذلك العنف العقائدي ، شيء لا يمت للصراع الايديولوجي بصلة وعدو خالد لحضارة الجنس البشري . ولا نستطيع ان نبالغ كثيرا في أهمية السلام في الوقت الذي ظهرت فيه أسلحة القتل الجماعي ، مثل القنابل الذرية والهيدروجينية ، بغض النظر عن نظام الاستغلال المبني على الاستعمار . وبالطبع فان استخدام الاسلحة النووية لا يعني شيئا اللهم الا خراب البشرية والحضارة . وحتى لو أمكن منع الحرب النووية لفترة معينة بواسطة مقاومة الشعب فان الاقتصاد الاجتماعي القائم على القنابل الذرية والذي خلقه صنع القنابل الذرية وابحاثها ، والعلاقة الدولية التي توازنها مخاوف القنابل الذرية ، سوف يمنع الى حد كبير تقدم ثقافة الجنس البشري ومستقبل الشعوب الافريقية الاسيوية التي تهددها المجاعة . ان شعب اليابان ، الذي يعيش في أقصى الشرق الاقصى وفي نقطة التقاء البلاد الرأسمالية والاشتراكية ، يدرك وبصفة خاصة ان طبقة العمال والمثقفين التي تؤيد تصنيع اليابان ، هذه الحقيقة بوعي عميق .

وبذلك فان النضال من اجل الدفاع عن السلام ومعارضة الحرب يعتبر من أهم الواجبات الملقاة على عاتق الكتاب اليابانيين المعاصرين . بيد اننا لا نعني اننا لا نفعل شيئا سوى انتظار السلام انتظارا عاما مجردا ، بل ان شعب اليابان وكتابها مصممون على مواصلة النضال العقائدي ضد القوى الرجعية التي تخون السلام ، والنضال ضد نظام الاسلحة النووية المرتبط بالرأسمالية حتى يمكن تحقيق السياسة السلمية والاقتصاد السلمي من خلال الديمقراطية والاشتراكية ، وحتى ينجح الفكر الثوري في صراعه ضد الرأسمالية . وكما قلنا في الفصل الثاني فانه من المستحيل على الكتاب مواصلة مثل هذا النضال ما لم تقم أفكارهم على الفكر والثقافة الدوليين ، اللذين يستطيعان كشف وتنمية النضال في اليابان الحالية على أمل مستقبل أفضل للطبقات المعقدة في اليابان وغيرها من البلاد .

ان الكتاب اليابانيين يبذلون كل ما في وسعهم لانتاج مؤلفاتهم التي تعرض تاريخ اليابان لوجهة النظر العالمية ، ويبحثون عن مواد محددة بين حقيقة الماضي قبل تعصير اليابان واخذها بالحياة الاوروبية، وعن موضوع السلام وعدم العنف ومعالجة الموضوع ليتجاوب مع مشكلة اليوم الخاصة بالمعارضة والثورة الطبقية .

وقد أدى الكفاح ضد معاهدة الامن المتبادل بين الولايات المتحدة ـ اليابان التي عقدت عام ١٩٦٠ الى أن يحس الكتاب والمثقفون احساسا عميقا بضرورة مواصلة الكفاح دون اللجوء الى العنف . وعلى سبيل سبيل المثال فان قصة « من قاع البحر الهائج » (يوشي هوتا ١٩٦٢) مبنية على موضوع الثورة المسماة « شيمابارا لا تهرب » ومستوحاة من حياة المسيحيين في العصر الاقطاعي ، وهي توجه أذهان الشعب الياباني بشدة الى الاسلحة والثورات .

وهناك قصة اخرى اسمها « السر الكبير » (كيوتيرو هاناد ١٩٦٦) والتي تعرض المعنى الفني والاجتماعي لايديولوجية السلام وعدم العنف في الوقت الحاضر بينما تعالج موضوعا عن الصراع بين محاربي القرون الوسطى في اليابان اثناء عصر هييان كاماكورا . وفي هذه القصة يوجد بطلان .. أحدهما يسعى الى السلطة العسكرية .. والاخر وقد نبذ السلاح ... مسلح بثقافة العالم الواسع مثل سحر الهند والبوذية في ظل ظروف تضم متناقضات دعم بذور الحرب في سلامها الظاهر وبعد تسوية الحروب بين الامراء الاقطاعيين . ويعرض هذا العمل الادبي معنى العلاقة بين الفن والسياسة ، وقوة القلم ضد العنف ، ودولية عالم اليوم مبنية على طبيعة الطبقة . كما يعالج مشكلة عدم استخدام العنف مع المقارنة بمشكلة تحقيق ديمقراطية واشتراكية اليوم من خلال موضوع سيادة الاباطرة المعرض لان تتجنبه صحافة اليوم في اليابان .

وبالاضافة الى ذلك ، فان الموضوعات الفنية التالية قد عولجت . فباعادة بعث ثقافة اليابان التقليدية مثل البوذية والتانكا (الشعر القصير) من وجهة نظر عصر الثورة ، فمن الواجب انكار الاشياء الوهمية في التاريخ ، والتي اختلقتها الطبقة الحاكمة ، والاشياء الوهمية في الفن عن طريق معالجة الحقائق الاصلية للتاريخ التي لا يمكن ادراكها عن طريق نمط تاريخ الادب الحديث لليابان منذ عهد ميجي . ولا حاجة للقول بأن الروح الخلاقة المبنية على وقفة الشعب لانعاش تقاليد اليابان من أساسها تظهر في القصص ، وكذلك الواجبات الخاصة بخلق الادب المبني على الذين يعارضون الاعمال الادبية ذات الميول الخاصة بسيادة الدولة المطلقة السابق ذكرها .

ويمكننا القول ايضا بأن موضوع خلق الفن من الابعاد الدولية المبني على الصلة بين صورة اليابان والصور التي خلقت في الصين وأوروبا قبل العصور الحديثة أمر يستحق الاخذ به .

ان هذه المعارك ، معارك الفن الخلاق والايديولوجية ، هي النضالات الموجودة في الجبهة الامامية للادب الياباني الحديث . وللسبب السابق ذكره فان هذه النضالات هي « نضالات ضد تسلل الامبريالية والاستعمار الجديد في ميدان الثقافة » وليست « نضالات خلاقة ايديولوجية وثقافية ضد التحرير الوطني المنعكسة في الادب الياباني » . ان طليعة الكتاب في اليابان قد قاموا بكفاح ، وسيواصلون الكفاح ، من أجل الادب نفسه ومن اجل الشعب منذ ايام ما قبل الحرب وخلال الحرب وفي الوقت الحاضر .

ويجب أن تقوم النضالات في الميدان الثقافي على حركة ديمقراطية وحرة من اجل الفن ، ومتحررة من النفوذ ورؤوس الاموال حتى تنفذ بلا خوف ، وتحمى من السيطرة على حرية الكلام وضغط القوى السياسية على المطبوعات التجارية . ويقوم بعض الكتاب اليابانيين بمثل هذه الجهود الضخمة في نفس الوقت الذي يقاومون فيه الضغوط المختلفة في ظل ظروف اليابان الحالية التي تظهر فيها اتجاهات تستهدف تراجع الديمقراطية .

ويعيش الكتاب اليابانيون اليوم في ظل مناقضات البناء الثقافي والاجتماعي والسياسي (سيادة الدولة المطلقة والامبريالية ، سيادة الدولة المطلقة والكوسموبوليتية) لتكوين أمتنا بالطبقة ، وبالتقاليد ، وبالامبراطورية ، ووضعها تحت ظروف التاريخ الخاصة التي تتقدم . ومن المستحيل على كتاب اليابان المعاصرين الا يكافحوا ضد الامبريالية و « سلطة الدولة المطلقة » الانانية التي تخدع الشعب بقناع الوجه العالمي الذي يعتبر تناقض الاونة الحاضرة ، أو ضد خطر الاسلحة النووية . وسيشترك الكتاب في كفاحهم للدفاع عن السلام والديمقراطية والاشتراكية في النضال ضد الامبريالية ومن اجل التحرير الوطني من خلال مؤلفاتهم التي أثرتها تجاربهم ومن خلال التضامن مع المثقفين الدوليين والوطنيين الاخرين ومن خلال التضامن مع الشعوب .

وفي نفس الوقت هناك نشاطات النقاد الشبان التي تحاول ازالة كساد الادب في ظل الظروف الاجتماعية السابق ذكرها عن طريق

المتابعة النشيطة للادب من مختلف الزوايا .

وهم يتساءلون عن مهمة الادب الحقيقية والعلاقة بين الايديولوجية والادب ، والادب والسياسة ، على اساس تقدم ادب القرن العشرين وثمار حركات الفن في العالم وفي الادب الياباني .

ويمكننا ان نشهد هناك أيضا الجهود التي تبذل لاستعادة المقدرة على مواجهة السياسة بواسطة الاستقلال الذاتي للادب نفسه ، متحررا من توجيه الحزب السياسي المضلل للادب والكتاب وسيطرة الحزب السياسي المطلقة ، وهي الجهود التي لم تكن نادرة في الحركات اليسارية وفي اليابان فيما يتعلق بالعلاقات بين الفنون والسياسة والثورة ، والجهود المبذولة لتتبع طريقة استعادة النفوذ المطلق من اجل الفن الحديث والادب العالمي .

وقد انتعشت بعض الحركات وتدعمت بقدوم عصر نقد الستالينية والتعايش السلمي .

وفي ميدان الرواية المتكاملة ايضا ، والتي لم تعالج كثيرا في الادب الياباني الحديث والتي لم تدعم بصفة أساسية بواسطة المجلات الشهرية ، يستعرض الكتاب الشبان رغبتهم القوية في تحدي الموضوعات المعقدة او الصعبة التي لم يسبق معالجتها كثيرا . وعلى سبيل المثال فلدينا روايات مثل « بوابة الضلال الديني » (كازومي ناكاهاشي ١٩٦٦) والتي تعالج موضوع اللاشعور الديني والغافلين في المجتمع الياباني ، و « بطل اميركا » (مومو أيدا ١٩٦٥) عن الضابط الطيار الشاب الذي القى القنابل الذرية ، و « الصوت المشرق » (نوبوهيكو ماتسوجي ١٩٦٦) التي تصور القلق الذي نشأ نتيجة لاحداث المجر .

وقد لقيت الحركات الفنية التشجيع لتشمل كل انواع الفنون مثل الفيلم التسجيلي والتوقيعي ، والمسرح ، والتصوير .. الخ ... ولم تقتصر على فنون اللغة .

ويقوم الكتاب الشبان بصفة خاصة بوضع مؤلفات ممتازة عن فرع المنطق الذي يدرس نتيجة لتجربة المناهج المختلفة للمعرفة في انواع هذه الفنون ، وفي مجال الفيلم الدرامي والتوقيعي ينتج سوسو كوهاني ، وناجيسا اوشيما ، ونوشيما تسوموتو أعمالا رائعة تعالج معالم اليابان ، وبلاد اخرى في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

وفي ميدان المسرح قدمت الى جانب مسرحيات الدراما التقليدية، مسرحيات أخرى مترجمة لكتاب المسرح الاجانب مثل ب. بريخت ، وايونيسكو ، وس بيكيت ، وج. ب. سارتر ، وج. جيني ، ومسرحيات درامية أخرى كثيرة أصيلة كتبها جونجي كينوشي ، وشيرو هاسيجاوا، وكين ميامونو .

واخيرا فاننا نود ان نعبر عن رأينا لمؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين . فنحن نؤمن بان خلقنا الفني سوف يتم عن طريق النضالات من اجل الحياة السلمية وتقدم الفنون والتاريخ . وسينتعش مثل هذا الخلق الفني عن طريق تبادل الموضوعات الثقافية المختلفة والتفاهم المتبادل والتشجيع المتبادل عن طريق التضامن الدولي الوثيق الارتباط بطرق الحياة والموت والحب والعمل لدى الشعوب .

ورغم اننا نرغب بشدة في ان نتعرف على الادب والفن في مناطق البلاد الافريقية الاسيوية الا انه تنقصنا فرص تحقيق رغبتنا للاسف الشديد . ونحن نود ان ننمي الفهم المتبادل والنشاطات الخلاقة بايجابية ، وان نتغلب على الصعوبات التي تقيمها اللغات والحدود عن طريق التعجيل بالتبادل الدولي للترجمة وتنشيط المطبوعات ، واصدار المجلات الادبية كما هو مقترح في جدول الاعمال .

وبناء على ذلك فاننا لو استطعنا ان نطلع الشعب الياباني على البناء الاجتماعي ، والنضال من اجل التحرير والفنون الوطنية والشعبية المختلفة (الموسيقى والرقص والمسرح والفنون الجميلة والشعبية) للشعوب الافريقية الاسيوية من خلال تبادل زيارات الكتاب والفنانين وتبادل أعمالهم في مختلف صفوف الفن بما في ذلك الافلام التسجيلية والتوثيقية والصور ، بالاضافة الى تبادل الاعمال الادبية مثل الروايات والاشعار ، فان ذلك سيشجع الى حد كبير الشعب والفنانين اليابانيين غير الراضين عن وضع الفنون الراهنة التي خلقتها الظروف الاجتماعية السائدة في اليابان كما سبق ان ذكرنا .

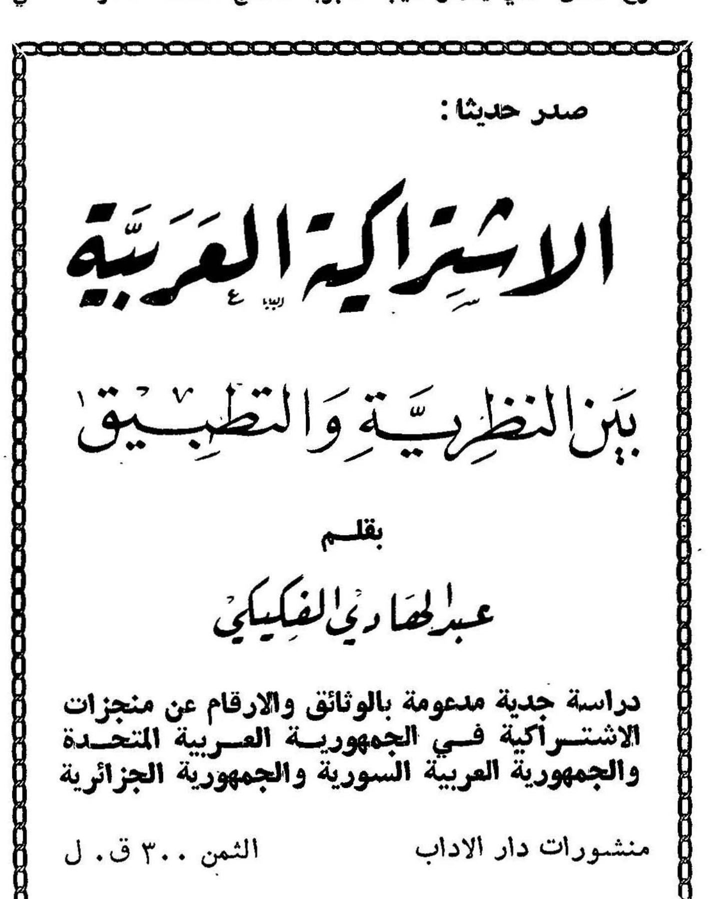
وفي نفس الوقت فاننا نؤمن بان الكثير من الفنانين الشبان في هذه المجالات سوف يشتركون بحماسة في هذا السبيل النبيل ، ويمكن استخدام منهجيتهم وتكنيكهم الممتازين لصالح الشعوب الافريقية الاسيوية وتقدم الفنون .

ونحن نؤمن بأننا نعيش الان اهم مرحلة من مراحل التاريخ كما جاء في بيان الاجتماع التحضيري لمؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين .

وبعد الاسف بشدة على اضطرار مكتب الكتاب الافريقيين الاسيويين الى عدم القيام بنشاط لفترة طويلة لاسباب مختلفة وفشله في القيام بمهمته التي كانت تستهدف دعم الروابط مع أهم فئات الشعب التي كانت وما تزال تكافح ، فاننا نرغب بشدة في ان يقوم مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين باتخاذ الخطوة الحاسمة لمتابعة واستعادة الشكل الحقيقي لمؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين وليقوم عن طريق صلات الادب والفن بالكفاح الذي يستهدف ايجاد الخلق الادبي والفعال للشعوب الافريقية الاسيوية .

ان واجبنا الملح هو ان نتغلب على الانقسام التعس القائم بين حركات مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين ، وبذلك نحقق الوحدة الدولية في النهاية .

(أعد هذا التقرير ياسوهيرو تاكوشي، بناء على المناقشة التي دارت في لجنة مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين بخصوص الادب الياباني الحديث ((شين نيهون بونجكوكاي)) وترجمه ماساو آبي الى الانجليزية)



وقائع المؤتمر الثالث للكتاب الأفريقيين الأسيويين

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٦٣ ـ

***

ان الامبريالية الدولية التي هزها هزا عنيفا ، ذلك الاستبسال الذي تبديه شعوب العالم الثالث في وجهها ، قد انتهزت الفرصة لتاديب هذا العالم في الحرب التحررية التي يخوضها شعب فيتنام البطل .

غير ان رياح التاريخ ، التي تجرف الامبريالية الدولية ، وتلقي بها على هامش التاريخ ، قد استطاعت أن تجر الامبريالية الدولية ، المتمثلة بشكل حاد في الولايات المتحدة الاميركية ، الى مقابرها في فيتنام ، ولقد استطاع هذا الشعب البطل أن يهتك القناع الكرتوني عن ذلك النمر الورقي الذي تمثله الامبريالية الدولية .

فالى شعب فيتنام البطل ، الذي يكافح في سبيل تحرير العالم ، تحية ادباء القطر العربي السوري ، لان الادباء في القطر العربي السوري يعتبرون كل معركة في العالم ضد الامبريالية الدولية ، هي معركة من أجل تحرير فلسطين من الامبريالية الدولية المتمثلة في دولة العصابات الصهيونية بفلسطين ، ومن أجل الوحدة العربية ، المبنية بزنود الكادحين ، التي يقف في وجهها الاستعمار والامبريالية العالمية .

أيها الرفاق .

لقد كان من حسن حظ الامة العربية ، ان الجمهرة الكبرى من أدبائها ومفكريها كانوا بمستوى القضية التي تعيشها أمتهم ، وحتى أولئك الذين يتحدرون من أرومات بورجوازية ، فانهم تحت وطأة الزخم الجماهيري الشعبي القوي لم يستطيعوا الا أن ينسجموا في كثير من مواقفهم الادبية ، مع الحركات التحررية في الوطن العربي ، عندما تهز تلك الحركات وجدانهم القومي .

وقليلون جدا أولئك الذين انصرفوا بنتاجهم الادبي ، انصرافا فنيا بحتا ، وكثيرون جدا أولئك الذين وقفوا القسم الاعظم من نتاجهم الادبي على خدمة قضايا بلادهم القومية والشعبية والجماهيرية .

وكلما ازدادت معركة الامة العربية مع الاستعمار العالمي والامبريالية الدولية عنفا ، وكلما احتدم الصراع بين الجماهير العربية الكادحة ومستغليها ، كان الادباء العرب في طليعة المعركة ، والمشاعل التي تنير الطريق .

فالى المكافحين من أدباء العرب ، في الوطن العربي كله ، تحية الوفد العربي السوري لمؤتمر الكتاب الاسيويين الافريقيين ، والى كل الادباء المكافحين في العالم ، ومن أجل تحرير العالم الثالث من سيطرة الامبريالية الدولية ، تحية اعجاب وتقدير ، من أدباء القطر العربي السوري .

سليمان الخشن

رئيس الوفد

كلمة وفد العراق

ايها الاخوة ،

١ ـ اسمحوا لي أن أحييكم وأن أنقل اليكم تحية الادباء والكتاب في العراق ، وايمانهم بأن قضية الحرية واحدة وان معركة التحرر بأبعادها الواسعة واحدة ، فلن يعرف عالمنا السلام الا اذا تحرر من أخطار التبعية والفاقة والجهل ، والا اذا حقق كل شعب ذاته وامكانياته في جو بعيد من الخوف والتبعية والاستغلال .

اننا نعيش في عصر يقظة اسيا وافريقيا بعد قرون من الاستعمار والظلام ، ونشهد مواكب التحرر تتوالى ، منادية بكرامة الشعوب وبحقها في الحياة الحرة الكريمة .

ان الكتاب والمفكرين الاسيويين الافريقيين طلائع الحركة ومصابيح المواكب ، ولقاؤهم دعم لدورهم واسناد لشعوبهم ، وتعزيز للحرية والسلام .

٢ ـ ان كلمة الوفد لا تعدو الملاحظات العامة ، لاننا لم تتح لنا الفرصة لاعداد البحوث ، فتقبلوها منا بتسامح ، مثل تقبلنا للدعوة في اخر لحظة .

نلاحظ أولا ان ما يكتب في الوطن العربي وخاصة في غرب اسيا والشمال الافريقي يكون جزءا من أدب واحد هو الادب العربي ، وان اختلفت نسبة تأثيره بسبب عوامل جانبية منها توزيع الكتاب وموضوعه .

ونلاحظ ثانيا ان قضايا التحرر الوطني في البلاد العربية واحدة من حيث الاسس والغايات ، ولئن بدت قضايا التحرر الوطني مجزأة في بعض الفترات فان ذلك نشأ عن عوامل طارئة أهمها الحدود التي فرضها الاستعمار والطوق الذي حاول أن يضربه على كل بلد ، اضافة الى أوضاع محلية طارئة .

ونلاحظ ثالثا ان معركة التحرر واحدة في هيكلها العام وان اختلفت الدرجة التي تبدو فيها في البلاد العربية ، باختلاف المرحلة التي بلغتها ، فهي تتراوح الان بين الجهد في سبيل التحرر من الاستعمار ، وفي العمل على ازالة اثره بعد التحرر السياسي وبناء مجتمع جديد تسوده العدالة الاجتماعية والكفاية .

ونلاحظ بعد هذا ان الادب العربي الان في اكثر البلاد العربية يعكس حركة التحرر في مختلف البلاد العربية . وان كانت هذه الظواهر مكبوتة في بعض الفترات فانها جلية قوية عندما اشتد الوعي سعة وعمقا . ونحن نرى في الادب العربي في كل بلد خطين ـ معركة التحرر المحلية ومعركة التحرر العربية الواسعة . وهذا يصدق على الادب العربي في العراق . فقد شغلت قضايا التحرر العربي في العصر الحديث منذ أواخر العصر الثاني الى الان الجزء الاكبر من الكتابة في الشعر والنثر ، ولكن اكثر ما استأثر بالكتابة في السنوات العشرين الاخيرة نكبة فلسطين وما تلاها والثورة الجزائرية وحركة الحرية في الجزائر ، والعدوان الثلاثي ومعركة التحرر والبناء في الجمهورية العربية المتحدة ، وقضية التحرر في اليمن والجنوب اليمني والخليج ، وقضية الوحدة والاشتراكية في العراق العربي الكبير .

لقد مرت معركة التحرر العراقي في العراق بمراحل ، انعكست في الادب ـ في المقالة والكتابة والقصيدة ، وتمثل فيها جانبان في نفس الوقت ، التخلص من الاستعمار والتفكير بمجتمع أفضل .

وكانت المرحلة الاولى ، مرحلة الكفاح للتخلص من الاستعمار ، وتحقيق الاستقلال ، ترافقها دعوة عامة الى الوحدة العربية . كان الهدف المباشر الاستقلال . وتمثل هذا في الكتابات التي تمثل مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية في الحركة القديمة . وفي الاتجاه الاسلامي وفي بقية الاتجاهات ، وكان طبيعيا أن يرافق حركة التحرر دعوة الى الوحدة لان الاستعمار أدخل التجزئة الواسعة في البلاد العربية وفي اسيا .

تمثلت مرحلة الكفاح هذه في الادب بأبعادها حين جزأ الاستعمار بلاد العرب بصورة مصطنعة تخدم أهدافه في السيادة والاستغلال . وأقام الاستعمار كيانا تابعا في العراق واستغل خيانته واستولى على نفطه مكبلا اياه باتفاقية طويلة دون أن تكون له حرية في المعارضة ،



السادة كمال جنبلاط ، ليساريدس ، سليمان الخش ، عبد الكريم الكرمي

وفرض أنظمة مزعزعة وبرلمانات تابعة ، وعمل على كبت الروح القومية والوطنية ، وأثار النعرات الطائفية والعنصرية ، وغذى مشاكل الاقليات لخدمة أغراضه ، وعمل على تكوين اقطاع يعتمد عليه ومصالح اقتصادية يجد فيها حليفا ، وفي كل ذلك اذلال واضح وتخلف واضح .

هكذا تختلف الصورة في انتاج الفكـــر ، وزاد في مرارتها دق الاسفين الصهيوني في فلسطين امعانا في التجزئة وفي خلق ركيزة قوية له في قلب البلاد العربية .

وكانت الحركة القومية هي الرائدة في المعركة . وتختلف اثارها في الادب والفكر عامة في الدعوة الى طرد المستعمر والى تولي أبنـــاء البلاد شؤونهم ، وتختلف في التأكيد على وحدة البلاد وازالة التيارات المفرقة ، وكان الـــرأي بأن ازالة المستعمر تعني الحرية والتقـدم والازدهار بصورة طبيعية .

وتمثل جانب اخر للمعركة في محاولات لتوضيح معنى القوميـة العربية من حيث أسسها وطبيعتها وأهدافها ودلالاتها ، كما تمثل فـي محاولة نشر مفاهيمها لتوسيع نطـاق الوعي القومي . وقـد استأثـرت الكتابات الموضحة للقومية العربية ولاتجاهها بنصيب ملحوظ في الانتاج الفكري . وكانت الريادة في ذلك للمثقفين ، كما أن الدعوة كانت موجهة الى الفئات المتكلمة .

وأكد الفكر في هذه المرحلة على أهمية الوحدة الوطنية ، وهـي وحدة معركة ضد الاستعمار تلتقي عند هذا الهدف وان تباينت فـي طبيعة مصالحها . وحين انتهى الانتداب في العراق وجاء حكم يفترض فيه انه استقل ، ظهرت ظروف وأوضاع زادت في توضيح طبيعة معركة التحرر وانعكست في الادب .

منذ قام حكم تابع موال للغرب ، يسير في ركابه ويدور في فلكه ، وظهرت جماعات ذات مصلحة في الكيان القائم ، وظهرت معالم صناعية وتجارية منتفعة ، واستمر كبت الحريات ومقاومة أي تنظيم سياسي أو شعبي ، بان بوضوح ان الصورة تغيرت ، ولكن واقع التبعيـــة والاستغلال استمر بل وتأكد بشكل مكشوف .

وبدأت معركة التحرر ، كما تنعكس في الادب ، تتخذ وجهة أوضح وتمثل خطوطا جديدة . كما بدأت النزعات اليسارية والمفاهيم الشيوعية في الانتشار ، وخاصة قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها وكان لهـا اثرها في الانتاج الفكري .

بدأت الدعوة الى نقد المفاهيم القومية والى عدم جدوى القوميـة العاطفية والى ضرورة وجود محتوى اجتماعي اقتصادي للحركة القومية وانعكست في الادب حملة على الاقطاع ودوره في الاستغلال والتخلف . واشتدت الحملة على الكيانات الذليلة التابعة وعلى سياسة التبعية عامة. كما ظهرت دعوات الى الاشتراكية بشكل او باخر .

وحين ساعدت ظروف ما بعد الحرب على السماح لتكوين الاحزاب، وأعلنت برامجها (عام ١٩٤٦) بانت الاتجاهات الفكرية بين الدعـوة الى الاستقلال الكامل وانتهاج برنامج اصلاحي ، والدعوة الـى انتهاج الاشتراكية والدعوة الى الوحدة والدعوة الى الشيوعية ونظامها . ومع ان الاحزاب أغلقت على التتابع ابتداء من عام ١٩٤٧ فانها كشفت عـن ان النظام القائم يعادي كل تنظيم سياسي ، ولا مجال فيه لحرية رأي وانه يعتمد على اسناد الاقطاع والمصالح الرأسمالية الجديدة ، وانـه يتمسك بالحكم المقربي الذي جره الى الاحلاف العسكرية .

ثم جاءت كارثة فلسطين فهزت المجتمع العربي والفكر العربـي ، وكانت بداية الطريق الذي دفع الفكر العربي الى الثورية بمعنـاها الصريـــح .

وكان الفكر يواكب الاحداث ، يمهد لها حينا ويتخلف عنها حينا ، ولكنه يعكس لحركة التحرر بصورة عامة . ثم كانت ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ التي أدت الى تحرر العراق سياسيا .

ان نجاح الثورة سياسيا فسح المجال لظهور التيارات الفكرية ، من جهة ، وكشف عن عقدها وعدم الوضوح الكافي في الفكر ، مـن ناحية أخرى . ولقد شهد العراق انتكاسات في طريق معركة التحرر ، كما قامت تجربة الوحدة بنشوتها وبخذلانها ، وتحررت الجزائر : كل هذه التجارب فرضت على الفكر دورا خطيرا رائدا في مرحلة الثأر ، وكان لمسيرة الثورية في العربية المتحدة اثرها الواسع ، في ثـورة ٢٣ يوليو ، ثم في الصمود أمام قوى العدوان الثلاثي ، ثم في اتخاذ الاشتراكية العربية منهجا للبناء .

وكان لمسير الاحداث وتفاعلها مع الفكر اثر قوي في بلورة الاتجاه . وتمثل ذلك في اتساع الدعوة الى الوحدة وفي الدعوة الى الاشتراكية. وازدادت هذه الدعوة قوة ، بتشريع قانـون الاصلاح الزراعي بعيـد ثورة تموز ، وكان من اثارها الهامة تشريع قوانين تموز الاشتراكيـة ١٩٦٤ ، وقد أدت هذه القرارات الى صراع حاد وكشف عن التناقض الداخلي بشكل جلي ، وأدى الى وضوح اكبر في الحركة القوميـة - التقدميـــة .

لقد وضعت هذه الخطوات الفكر على محك التجربة والواقع . وكشفت عن القوى الرجعية والقوى التقدمية . وجرت محاولة لتجميع القوى القومية التقدمية في أطر اتحاد اشتراكي ، ورافق ذلك جهود فكرية لوضع ميثاق له ولمناقشة المفاهيم القومية التحررية . وبانت حركة التحرر في العراق في مرحلتها الحاضرة . وانعكس ذلك في الادب واتخذت الابعاد التالية :

١ ـ لم تعد وحدة المعركة الفكرية وحدة جبهوية . فلا مجال للالتقاء مع الرجعية ، واذا كان الاصلاح الاداري قد دمر هيكل الاقطاع فان المصالح المستغلة لا تزال قائمة . بل ان مجال الجبهة هو مجال التقاء القوى القومية التقدمية في اطار واحد .

٢ ـ اتخاذ الاشتراكية العربية منهجا في الفكر والتخطيط . لقد وحدت اراء واتجاهات اشتراكية متباينة في عمقها ووضوحها ونطاقها . ولكن سبيل الاشتراكية العربية ، كما عرفته العربية المتحدة ، هو السبيل الواضح في الفكر القومي التقدمي .

ولكن الفكر الاشتراكي العربي لا يزال يشكو من عدم الوضوح، ومن الارتباك . فمفهوم الاشتراكية العربية كما ينعكس في الادب يعطي أحيانا صورة أخرى للماركسية وأحيانا مجرد تحويرات عملية للنزوات، وأحيانا يراها البعض تفسيرا للمفاهيم الاسلامية . واذا كان الاتجاه الاعم يصورها بأنها تنبعث من الواقع وتجد جذورا في التراث الحضاري تمت آفاقها الى التجارب الحديثة ، فانها لا تعدو الخطوط العامة .

وهناك من يدعو الى ترك الجدل النظري والاتجاه الى التخطيط العلمي وفحص اثاره لبناء مجتمع جديد ، فهذا أجدى وابقى ، ولكن هذه النظرة لا تعدو ان تكون ابتعادا عن ساحة المعركة الفكرية .

٣ ـ ومن الواضح ان مفهوم التحرر أصابه تحول جذري ، ان التحرر لا يمكن أن يتم الا اذا كان شاملا للنواحي السياسية والاقتصادية والثقافية ، ولن يتخلص التحرر من سيطرة الاستعمار ان لم يتبعه تحرر من التخلف ومن كل اثار الاستسلام وان لم يؤد الى بناء مجتمع حديث يستند الى الكفاية والعدل .

٤ ـ أن ارتفاع المد الثوري جعل الفكر ثوريا ينشد التغيير الجذري الشامل . ان الثورة ليست عملية ازالة الاستعمار فحسب ، بل هي عملية بناء على أسس من الاشتراكية العربية وعملية تحقيق لحرية جماهير الشعب . وهذه من القضايا التي تفرض نفسها على الفكر ، وفي اتجاه الموضوع ، وضوح الرؤية ووضوح طريق العمل للمستقبل .

٥ ـ ان معركة التحرر في الوطن العربي واحدة نظريا وعمليا ، فالثورة في عمان والثورة في جنوب واليمن المحتل ومعركة التحرر في اليمن وفي الجزائر ، ومعركة التحرر في كل بلد عربي ، هي معركة التحرر والبناء العربي .

وهي ليست معركة منعزلة ، بل تتجاوب مع حركات التحرر الاخرى في العالم وخاصة في اسيا وتتأثر بمعركة الحرية في العالم وتكون جزءا منها .

٦ ـ وتمثل في معركة التحرر جانب التغلغل الغربي في الميادين الثقافية . فهناك الدعوة العامة الى احياء التراث العربي ، التي اكتسبت عنصرا جديدا وهو محاولة تقويم هذا التراث وتقديمه للناشئة ليكون من أسس التكوين الثقافي وليكون التجديد تجديدا للذات الثقافية .

وهناك الدعوة الى تجديد اللغة العربية واغنائها لتكون اداة فعالة في البناء . ولا حاجة للاشارة الى دعوات للافادة من اللهجات العامية. او الى استعمال حروف غير الحروف الحالية . فهذه ظهرت في فترة قبل الحرب الثانية ، ولم تلق الا الاستنكار ، في العراق ، واعتبرت مسخا للغة العربية ودعوة منحرفة .

ومن المشاكل الرئيسية التي تظهر في الحقل الثقافي مشكلة الاراء الوافدة والانتاج الفكري وما تعكسه من أتجاهات لا تلتئم والقيم والمفاهيم العربية الاصلية . ففي الوقت الذي ينتقد البعض الانتاج الفكري والفني الذي يعكس صور التحلل والتدهور الخلقي في المجتمع الغربي ، نجد البعض الاخر يهاجم الاراء والافكار السياسية التي تنطوي على ما يشكل تهديدا للقيم ، ويرى في قبولها كل الخطر .

والى جانب هذه الاتجاهات فئة ترى انتهاج خط الباب المفتوح وترك الامور تأخذ مجراها دون حدود .

ولا يمكننا اغفال فئات تحاول تقليل شأن التراث العربي وتحسن كل جديد او غريب ، وقد تكون هذه الفئات غريبة على التراث وبعيدة عن تفهمه او تمثله .

ان المعركة الثقافية تتبلور في اتجاه أوضح . فالمجتمع العربي بحكم تاريخه وتكوينه لم يكن مجتمعا منغلقا بل كان منفتحا على الثقافات العالمية وعاملا هاما في اغنائها . ان المجتمع لن يتحرر الا اذا بدأ بالتخلص من العبودية الفكرية وترك التقليد ، وهذه من اخطر فترات التبعية والاستعمار ، ويلي ذلك ان يعمل المجتمع على اكتشاف طريق من الحاضر الى المستقبل ، وان يلتمس الحلول الملائمة له بعد ان يعي ذاته ويتولى دوره الحضاري الحي ، وهنا يأتي دور الكتاب والمفكرين وتظهر رسالتهم .

كلمة وفد لبنان

يسعد الوفد اللبناني أن يتلقى بملء الذراعين وفود الكتاب الافريقيين الاسيويين الذين نزلوا أرض لبنان الحبيب ليشاركوا في بحث قضايا التحرر الوطني كما تنعكس في آدابهم ودرس وسائل مناهضة التسلل الاستعماري في الميدان الثقافي .

ولا ريب في انه فخر للبنان كبير أن ينعقد على ترابه مثل هذا المؤتمر التحرري العظيم ، وانتصار للفكر التقدمي المنفتح عندنا على الفكر الرجعي المنعزل الذي يحاول عبثا ان يقوقع لبنان ويحصره في حدود خانقة لا يتنفس فيها الا بهواء مقتن مستمد من جهة واحدة . والحق ان مثل هذا التيار انما هو خيانة لقدر هذا البلد الذي هو جزء من اسيا وفلذة من الوطن العربي ، وهو لن يحقق ذاته وامكانه الا اذا وعى هذه الحقيقة وتمثلها ووجه سلوكه على نورها .

وليسوا هم قلة في المفكرين والادباء اللبنانيين اولئك الذين يستلهمون هذه الحقيقة في نتاجهم ويصدرون عن ايمان عميق بأن قضايا بلدهم جزء لا ينفصم من قضايا العالم الافريقي الاسيوي عامة والوطن العربي خاصة . وليست بي حاجة الى استعراض الامثلة على ذلك في الاثار اللبنانية منذ مطلع هذا القرن ، فقد وفى هذا الجانب حقه كل من الاستاذين حسين مروة ورئيف خوري في البحثين المقدمين لهذا المؤتمر. ولكني أحب أن أؤكد على ان الاديب اللبناني لا ينبض بروح الخلق ولا ينطلق في سماء الابداع الا حين يشارك في فتح ابواب الفكر اللبناني على الدنيا الواسعة العريضة التي تحيط به عن كثب ليربط مصير بلده بمصيرها ويشد عروق أرضه بجذور الارض العربية الاسيوية الافريقية ، من غير أن يمنعه ذلك من الافادة من التراث الغربي والعالمي العريق .

والحق أن المؤرخ الادبي الذي يرصد اليوم النتاج اللبناني الحديث يلاحظ صراعا خفيا حينا ، واضحا حينا اخر ، بين فئتين من الكتاب اللبنانيين الذين ينتمون الى الجيل الجديد ، تلتزم احداهما بقضايا التحرر بمختلف أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية وتعتبر هذه الابعاد كلها مترابطة متشابكة ، حتى ولو عبرت عن ذلك من خلال بعض المسائل الفردية بالظاهر ، بينما تظل الاخرى في حدود التعبير عن هموم فردية صغيرة لا تنفتح على مشاغل حقيقية تعني المجتمع وتخدمه .

ويلاحظ هذا المؤرخ ان الفئة الملتزمة الاولى تجمع الى الثقافة الاجنبية الواسعة والاطلاع العريض ايمانا بالارتباط بالتراث للافادة منه في خلق الفكر الجديد ، في حين تبقى الفئة التائهة الاخرى العائشة في التهويمات والتجريدات واللاانتماء محصورة الثقافة بالتيارات الاجنبية التي تقدسها تقديسا أعمى . فتصدر ، على هذا النحو ، نتاجا نقلا

ليس له سمة ولا قسمات ، لان أصحابه مبتوتو الجذور ، فاقـــدو الشخصيـــة .

ومن الطبيعي ان هذه الفئة الاخيرة من الكتاب اللبنانيين لا يجدون الا جمهرة قليلة من القراء ، في لبنان وفي البلدان المجاورة ، لانهم لا يعبرون عن مشكلات المواطنين الحقيقية ولا عن أشواقهم ومطامحهـــم ، بينما يزداد الاقبال على نتاج الفئة الاولى التي يسري في مؤلفاتها نسغ الواقع الاجتماعي والغد المأمول وما بينهما من نضال وكفاح على مستوى القضايا الملحة .

هؤلاء الكتاب اللبنانيون الملتزمون الذين ينبع التزامهم من وعي عميق للواقع ، ويصدر عن تلقائية داخلية عفوية بعيدة كل البعد عن الالتزام الخارجي ، هم الذين يمثلون اليوم الادب اللبناني الجديد ، المرتبط بالارض اللبنانية العربية ، المشارك في القضايا الاسيويـــة الافريقية ، الطامح الى خلق المجتمع الفاضل في لبنان : المجتمع الذي ينبذ الطائفية ، ويشجب الاستغلال ، ويناهض الاقطاع ، ويعمل علـــى تأمين الفرص المتكافئة ويؤمن بالمبدأ الاشتراكي ، ويسعى الى تحريـر المواطن من القيود القديمة التي خلقها الاستعمار والانتداب والطائفية . وهؤلاء الكتاب يؤمنون بان قضايا التحرر في العالم لا تتجزأ ، وان الدفاع عن حرية أي شعب صغير في أقصى بقعة من الارض دفاع عـن حرية لبنان وأمنه وتوقه الى السلام . ومن هنا كان يقين هؤلاء الكتاب بان الادب لا يستطيع ان ينفصل عن السياسة حين يؤمن صاحبه بانــه يكتب ليقول شيئا يسمعه الناس فيتأثرون به بقدر ما يؤثرون فيه . نقول لا يستطيع أن ينفصل عن السياسة ، ولسنا نقول « يجـب ألا ينفصل » فنفرض عليه الزاما خارجيا يتنافى وطبيعة الادب العصيـــة على كل قيد .

هذا الادب اذن هو الذي يعالج القضايا التي تشغل المجتمع عندنا، على مختلف المستويات . ومن الطبيعي أن يكون في أعلى هذه المستويات الدفاع عن حرية لبنان واستقلاله ، وعن عروبته وتقدميته . ولكن هذه الحرية والاستقلال ، وهذه العروبة والتقدمية تظل في ضمير الكـاتب اللبناني ووعيه مهددة ابدا بشبح وجود دخيل زرع كالشوكة زرعا فـــي قلب الوطن العربي وامتدت أرجله كالاخطبوط في أنحاء العالم الافريقي الاسيوي كله ، وأعني به وجود اسرائيل ، هذا الوجود الذي يزرع القلق والغضب في نفس كل مواطن عربي وينغص عليه أمنه واستقـــراره ويمنعه من الانصراف لبناء المجتمع الذي يصبو اليه مسهما في اسعـاد الانسانيـــة .

فليس من المستغرب اذن أن تكون قضية فلسطين في رأس القضايا التي تشغل الكاتب اللبناني ، وان يكون النتاج الحديث عندنا متجهـــا بمعظمه الى التعبير عن هذا القلق الذي يساور الشعب العربي من وجود يهدد استقلاله ومستقبله وسلامته وسلامه ، والى التعبير كذلك عـــن تصميم العرب كلهم ، وعلى رأسهم الفلسطينيون ، على تحرير وطنهـم المسلوب والعودة الى أرضهم المغتصبة . وبالرغم من أن ادبنا الحديث لم يصدر بعد نتاجا قويا في حجم النكبة الفلسطينية ، فقد استطاع ان يعبر على نحو ما عن ايمان كل عربي بأن بناء المجتمع العربي الاشتراكي المنشود لن يتحقق قبل أن تتحرر أرض فلسطين وتعود الى اصحابهـــا الشرعيين .

هذه ، الى جانب قضايا أخرى منها قضية تأييد الشعب الفيتنامي في كفاحه البطولي ، هي القضية الرئيسية التي تبرز اليوم والتـــي تشغل الادباء اللبنانيين والادباء العرب ، والتي ينبغي أن يوليها ادباء اسيا وافريقيا مزيدا من الاهتمام ، لان قضية فلسطين قضية اسيوية افريقية بالدرجة الاولى . وان الايام والأحداث لتثبت ساعة بعد ساعة ان اسرائيل قاعدة استعمارية عدوانية ، وان دول أسيا وافريقيـــا وشعوبها مدعوة الى مناصرة الشعب العربي في كفاحه ضدها . ان الكتاب العرب ينتظرون من جميع كتاب القارتين الكبيرتين ، ولا سيما كتـاب الاتحاد السوفياتي العظيم الذين نعرف مواقفهم من قضايا التحرر عامة، أن يدعموهم ويؤيدوهم في هذه الرسالة المقدسة التي ألقيت عـــلى عاتقهم في أن يكونوا طليعة الشعب العربي في درب التحرير .

أيها الاصدقاء ، أعضاء وفود كتاب أسيا وافريقيا ، وضيوفنا من أوروبا وأميركا اللاتينية ، تحية لكم أحملها من كتاب لبنان واقامـــة طيبة على أرضنا ، ونجاحا مرموقا لمؤتمركم هذا التحرري الكبير .

كلمة رئيس وفد المغرب

ايها الاخوة الرفاق ،

جئنا من المغرب ، نحمل اليكم تحيات وتمنيات الادباء والمثقفيـــن التقدميين ، وبخاصة المثقفين المعتنقين لمبادىء الاتحاد الوطني للقـوات الشعبية ، والمؤمنين بان مسؤولية كتاب القوى التقدمية ، هـي فـي الوقت الراهن ، اكبر واخطر مما كانت عليه في اي وقت مضى .

ان المغرب الذي واجه ازمة البحث عن بديل للاستعمار بعد تحطيم قيوده ، مثل بقية اقطار العالم الثالث ، استطاع بفضل وعي جماهيره المتيقظة ، ان يبلور ابعاد الازمة وان يكشف معظم المناورات التي تدبرها اصابع الاستعمار الجديد ، واستطاع كذلك في فترة وجيزة بعد تاريخ اعلان استقلاله ، ان يطرح المشاكل السياسية والاقتصادية والثقافية في اطارها الحقيقي الملتحم بالظروف الموضوعية للقوى الاجتماعية الصاعدة، والتي هي امتداد طبيعي لالاف العمـــال والفلاحين والمثقفين الذيـن استشهدوا تأكيدا لمطامح شعبهم .

ومنذ عدة سنوات ، احتلت قضية دور المثقف فـي شعب حديث عهد بالاستقلال مثل شعبنا ، حيزا كبيرا مـن اهتمام ادباء ومفكـري وسياسيي المغرب . وكانت الخصومات الجدلية في هذا المجال ، تعكس الى حد بعيد ، خريطة التيارات السياسية والاجتماعية التـي تصدت لتقديم الحلول ، واقتراح المذاهب من اجل تخطي الازمة لتقديم الحلول واقتراح المذاهب من اجل تخطي الازمة التي واجهها شعبنا بعد حصوله على الاستقلال الشكلي . وكما تعرضت المفاهيـــم السياسية للتزييف والتدليس والابتعاد عن الحلول الجذرية المتحررة ، فان مجـال الادب والثقافة تعرضت للغزو الرجعي المتستر برداءات الديـن والتقاليـد والحرية الليبرالية ، والتفكير الغيبي ، ومظاهـر الشعوذة والدروشة . ولعله ليس من قبيل الصدفة ان انعكست في كتابات الممثلين لهـــذه التيارات المحافظة المسخرة ، الدعوة الى فصل الادب عن مشاكل الشعب، وافراغه من محتواه وفعاليته ، وابعاده عن مسؤولية الالتزام والتوجيه . ولكن محاولة اقناع المثقفين المغاربة بمزايا اللانسيس ، باءت بالفشل، لان تاريخنا الحديث يشهد بان مثقفينا وادباءنا لعبوا دورا اساسيا الى جانب بقية القوى الاجتماعية ، في تحرير المغرب مـن ربقة الاستعمار ، ولان مثقفينا كانوا يخوضون المعركة في اطارها الكلي ، فلا يفرقون بيـن السياسة والادب والفكر ، باعتبار السياسة هـي الوسيلـة المباشرة والمضمونة لتغيير واقع الجماهير ، ودفع الحيف عنها ، وعلى اساس ان الادب والفكر متى استوحيا التجربة المعاشة لشعبنا ، استطاعا ان يؤطرا الكفاح السياسي ، وان يشكلا قوة دفع تحمي المكتسبات مـن الانتكاس والتخاذل ، وتفتح آفاقا جديدة لمانقة الاختيارات التقدمية التي تمليها الارادة الحتمية للتاريخ .

ونستطيع ان نقول الان ، ان هذه المعركة حـول دور المثقف فـي المغرب ، قد حسمت بكيفية واضحة بعد يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ ، عندمـا امتدت أيد آثمة لتغتال مثقفا مناضلا طبع بتفكيره ونشاطه تاريخ بلادنـا الحديث . ان المهدي بن بركة ، بالنسبة للمثقفين المغاربة ، رائد شجاع، خط بدمه ميثاق الالتزام ، واعطى بوعيه ومواقفـــه ، القدوة للذيـن يؤثرون المستقبل على الماضي ، ويختارون الافاق العلمية التحررية بـدلا من الديماغوجية ، واللفظية والانتهازية . وبهذا المقياس الـذي ارسى اسسه الاخ المهدي اصبحت القضية واضحة عندنا :

اصبحنا نؤمن أن دور المثقف في العالم الثالث ، هــو دور كلي لا يفصل التفكير عن العمل ، والسياسة عن الثقافة والادب . بــل لعلنا لا نبالغ اذا قلنا لكم بان كثيرا من ادبائنا ومثقفينا الطلائعيين يستشعرون ازمة ضمير ، عندما يبيحون لانفسهم سويعات قليلــة لصياغة تجاربهم المعاشة شعرا او قصة أو مسرحية ، لانهم يحسون بثقل الواقع وكثافته ويدركون ان للسياسة الاسبقية على الادب ، لان الامر ، اولا واخيــرا ، يتعلق بتغيير الهياكل العتيقة ، وتحرير الجماهير من البؤس والجهــل والاستغلال .

ايها الاخوة الرفاق ،

اننا نجتمع هنا ككتاب ، ولكننا الكتابة في رقعة من الارض تخضع للاستغلال ، وتناضل من اجل التحرر ، وتوثق بينها رابطة الكفاح لتجعل من وحدة المضطهدين ضرورة ملحة ازاء اشتداد السيطــرة الاستعمارية والرجعية وتطورها وتحالفها وتكون مهمة كتاب افريقيا واسيا هــي ان تتجاوز الكلمة نفسها لتفضح الظلم ، وتوجد التبديل الحق . والكاتب في اسيا وافريقيا اذ يسهم في تغيير اوضاع بلده ، وتحريــر الانسان فيها ، لا ينسى ان المعركة واحدة وان وحــدة الصف الثوري ضرورة وينبغي ان تكون واقعا . ولذا نتجند لنساند الثوار فــي انغــولا ، وموزامبيق ، والرأس الاخضر ، وغينيا المسمــاة برتغالية والساحــل الصومالي ... ولذا نتجند لنساند الشعوب في المناطق التي تتركز فيها السيطرة الامبريالية بكل ثقلها لتخرب وتبيد كما هــو الشأن فــي فلسطين وفي فيتنام .

فالمؤتمر ايها الرفاق ، ينعقد على بعد كيلو مترات من مكان شهــد اكبر جريمة عرفها العصر ، وهي اخراج شعب بكامله من وطنه ، فقــد تحالفت الصهيونية العالمية ، والامبرياليــة لتنشىء اسرائيل ، فقامت اسرائيل كما شاءت الامبريالية والصهيونية قاعــدة لضرب الحركــات التحررية والثورية في البلدان العربية ، ولضمــان استمرار سيطرتها الاقتصادية في المنطقة المرتكزة على البترول . وقامت اسرائيــل صورة للاستعمار الجديد ، تختفي وراءها الامبريالية لتنفذ مخططاتها في اسيا وافريقيا . من اجل ذلك ، فان الحــل الثوري لمشاكل الوطن العربي المتمثل في تصفية النظم الرجعية والاستعمارية وفي التحرر الاقتصادي والتقدم ، مرتبط إساسا بتصفية اسرائيل كقاعدة للابقاء علــى التخلف في المنطقة .

ولذلك يتحتم على كتاب افريقيا واسيا ان يساندوا شعب فلسطين في كفاحه ضد الصهيونية وذلك كجزء لا يتجزأ من المعركة الكبرى التي تخوضها الشعوب اليوم ضد الاستعمار والامبريالية .

اما عن شعب فيتنام ، ايها الاخوة ، فاننا نفتخر به ، ونحن نــراه يكيل الهزائم لاكبر قوة امبريالية تقاوم منطق التاريخ . ان شعب الفيتنام، رغم حرب الابادة ورغم الغازات السامة ، رغم الاعتداء المستمر علــى الفيتنام الديمقراطية فانه ينتصب شامخ الرأس ، قوي الايمان ليملــي ارادته ومطامحه الثورية .

انني باسم الكتاب المغاربة التقدميين ، انحني اجلالا امام البطولة الخارقة لشعب فيتنام العظيم .

ايها الرفاق الاعزاء ،

ان وضعية الكاتب في بلداننا هي وضعية الكاتب في العالم الثالث بوجه عام ، فالكاتب في العالم الثالث يجد نفسه لا يستطيع ان يحافظ على ثقافته الماضية بحذافيرها لانها ماض ، ولكنه يشعر ان جوانب اخرى من ثقافته الوطنية يمكن ان تتطور وتتخذ ابعادا تقدمية ، وتكون مشكلته الكبرى هي في كشف ما ينبغي الابقاء عليه ، وما ينبغي طرحه واهماله . وهو يجد نفسه ، من جهة اخرى ، امام حضارة تقوم على العلم والتقنية ، ولكن هذا العلم والتقنية يستعملان لقهر الانسان واستغلاله ، فعليــه اذن ، أن يتبنى العلم والتقنية مع اعطائهما ابعادا انسانية .

والكاتب في العالم الثالث يجد نفسه في بلد تنتفي فيــه ابسط حقوق الانسان ، فالانسان مهدد في كرامته باستمرار ، مهدد في امنــه وعيشه . فحرية التعبير ، والنقد والابداع ، تقاليد لا تقوم مع الاستغلال والتخلف المادي والفكري . والكاتب هنا امام اختيارين : اما أن يجاهــر بالحقيقة ، فيكشف الظلم ، ويندد بالاستغلال ، ويهــدم الخرافــة أو ان يصمت او يتافق ، أو يعرض قلمه في سوق ابتغاء الفكري .

والكاتب في العالم الثالث يطمح ، كاي كاتب ، الى ان يكون لــه جمهور ، وجمهور واسع ما امكن . ولكنه يجد نفسه في بلد تسود فيــه الامية .

فمن جهة هو لا يستطيع أن يتصل بالجماهير عــن طريق الكتابة ، فيظل يطمح الى اتصال اكبر بالجماهير . ولذا كان العمل السياسي الى جنب الكتابة ، وسيلة لضمان اتصال اوسع بالجماهير .

ومن جهة ثانية ، فان سوق الكتاب محدودة ، ممــا يجعل النشر عقبة امام الكاتب في اغلب بلدان العالم الثالث . وهذا ما يجعلنا نؤمــن بضرورة ايجاد دار نشر تنبثق عن اتحاد الكتاب الافــرو ـ أسيويين ، تتولى طبع مؤلفاتهم ، وترجمتها وتوزيعها على نطاق واسع .

ايها الاخوة الرفاق ،

ان مسؤولية كتاب افريقيا وأسيا تزداد اهميتها يوما بعد يــوم ، خصوصا في هذه المرحلة التي تنتمر فيها قوى الامبريالية والاستعمار الجديد لتنطلق في حملاتها المسعورة ضد الشعوب التي اختارت الطريق غير الرأسمالي ، وسارت في اتجاه التاريخ . وكانت الضربات التــي تلقتها بعض الاقطار التقدمية فرصة لظهــور حملات المفكرين الرجعيين والبورجوازيين بقصد التشكيك في القيم الثورية ، والحلول الاشتراكية. ومن ثم ، فان مسؤوليتنا الاولى ، تتجلى في مواجهة هــذه الحملات التشكيكية بفهم عميق ، والعمل على تجذير الروح العلمية ، والمبادىء الاشتراكية في نفوس مواطنينا ، حتى ندعم الفكر الثوري ، ونسيــر بخطى واثقة في طريق الديمقراطية الشعبية ، والاشتراكية العلمية .

ولا شك ان الاختيارات الصعبة هي وحدها التي تستجيب لمطامح شعوبنا التي عانت طويلا من القهر والاستغلال .. وربمــا كانت هــذه الاختيارات ذات صعوبة اكبر في المجال الادبي والفكري ، لاننا مطالبــون الى جانب العمل المباشر والانخراط في صفوف المعارك اليومية ، بــان نطرح موضع التساؤل كثيرا من المفاهيــم والافكار الواردة الينا مــع جيوش الاستعمار ، وبعثاته التبشيرية ، وانتاجاته الادبية .. حتم علينــا ان نعيد النظر في هياكل العلوم الانسانية كما حددتها اليوم البرجوازيات الاوروبية واوجدتها في سياق حضاري وتاريخي مختلف عــن ظروفنا وتجاربنا المتفردة بقرائنها وملابساتها .. وحتم علينا كذلك أن ننطلــق لاعادة تقييم تراثنا واوضاعنا بموازين مغايرة للموازين التــي اصطنعها المفكرون الرجعيون والعلماء الغرباء عن واقعنا واحتياجاتنا . ولكننا في كل هذه المنجزات الادبية والفكرية ، مؤمنون باسبقية العلم والتفكيــر الثوري الواضح ، ومؤمنون بان الحرص على اصالة التجربة لا يعني ، باي حال ، التجمد عند اشكال ومقاييس متجاوزة ، وان الاصالة فــي اعتقادنا ، سير الى الامام ، وتفتح على المستقبل ، واحتضان للفعاليــة الاشتراكية التي يعلق عليها شعبنا اكبر الامال .

كلمة رئيس اتحاد كتاب المغرب

باسم اتحاد كتاب المغرب العربي أحيي جنود نظافة الكلمة وحرمة الحرف ، شعراء وكتاب افريقيا واسيا الذين التزمت أقلامهم بخدمــة التضامن الفعلي بين القارتين العظيمتين ، وحجوا اليوم الى لبنــان ، هذا البلد الصغير ، جغرافيا ، والكبير بالقلب المتاجج حيوية ، كمــا أحيي كل الذين يبذلون الجهود لانجاح هــذا التلاقي لصالــح أممنــا المتغايرة في الثقافات واللغات والتاريخ ، المتحالفة في الالام والامال .

* * *

ايها الزملاء ،

ان انعكاس التحرر الوطني ، في الاداب المغربية ، لا يختلف في جوهره عما هو عليه في أقطار « العالم الثالث » قاطبة . فآدابنــا ، جميعا ، تتشابه كحبات الثلج ، نفس المادة ونفس اللون ، أو كدمعتين من عيني شخص واحد . نفس الحرارة ونفس الثقل . فكما لا نجــد

أبدا الدمعة اليتيمة او الحبة الثلجية الفريدة ، فاننا لا نعثر على آداب افريقية اسيوية تختلف ، كليا ، في مواقفها من الكفاح الوطني .

ولكيلا أزعجكم بتكرار ما ألقاه عليكم الزملاء ، في الجلسات الاولى من هذا المؤتمر ، سأكتفي بعرض جزئي .

* * *

كان الادب المغربي أدب النجدة والرباط، بمعنى انه أدب يتغذى من حياة الزوايا المرابطة على حدود البلاد للجهاد ضد المحتلين (البرتغال على الشاطىء الاطلسي ، والاسبان على ضفة البحر المتوسط ، والاتراك على حدود الجزائر الشقيقة) . فيصدر الشعر عن هذه المقاومة ، شعرا شعبيا يقرأ في المساجد ، ويتغنى به في الاسواق والحفلات الدينية والقبلية . وهناك أصناف أخرى من الشعر لمجالس الخواص من الفقهاء والمتادبين . وتأتي اتحمايتان الفرنسية والاسبانية ، ويزداد التوتر التاريخي ، فينعكس بحدة وعمق ، في المقاومة المسلحة ، والسهرات الشعرية والغنائية ، في الجبال والسهول .

ان خصائص المغرب هي خصائص الشعوب الزراعية : امتزاج مباشر بالطبيعة . والمبادلات العشرية في أسواق مختلفة يأتيها القوم بكل ما تنتجه القبيلة للسوق من شعير وقمح وفاكهة وسمن ، ويأتون كذلك بالالعاب والاشعار والاغاني للتسلية : يذهب ممثلو القبيلة للسوق ليعرضوا أحسن ما لديهم ، فيبيعون ويبتاعون ، ويشحنون نفوسهم حماسا ووطنية .

اذا أضيف ، الى هذا ، الدور الذي كانت تلعبه الزواوي والمساجد في بث الروح المقاومة والتثقيف ، استخرجنا نتيجة مفارقة : ان اغلبية الشعب المغربي امية ، ولكنها مثقفة ، بمعنى آن جمهرة الشعب المغربي كانت لا تحسن القراءة والكتابة ومع ذلك ، تتوفر لها حصيلة عن مغازي نبي الاسلام واصحابه ، وعن التاريخ المغربي والاسلامي ، وكثير من المعلومات المختلفة . وتتجلى هذه « الثقافة » في القصائد المنظومة باللهجات البربرية ، وبما يسمى ب « البلحون » وهو شعر لا يماشي قوالب النظم الكلاسيكي رغم صوره الرائعة وايقاعه الموسيقي .

والى جانب هذه الحركة الشعرية ، نجد قصصا بطولية وامثالا ونكتا كلها تبلور تعلق المغرب بالقيم الانسانية المشتركة ، وعلى رأسها الحرية . من جملة الامثال الشعبية : « لان تكون ديكا ، يوما واحدا ، خير من أن تبقى دجاجة كل السنة » و « من يواجه الموت ، لا يجد من يقتله » .

ان هذه الامثال ، وهي كثيرة ، تعبر عن حب المغامرة من اجل الكرامة والحرية ، فالبربري المغربي يسمى « أمازيغ » ومعناه الرجل الابي الحر . فتعلق المغربي بالحرية التي تجذرت في الاسلام هو ما جعل التواجد بين البربر والعرب تواجدا وطنيا اخويا لم يعرف اي صراع عنصري ، على مختلف الازمنة ، وبالرغم عن المحاولة الاستعمارية (في مايو سنة ١٩٣٠) عندما أرادت فرنسا ان تحدث انفصاما في الوحدة المغربية . (وهذا ما يسمى ب « الظهير البربري ») ، وقد قاومه المغرب ملكا وشعبا ، وفي المقدمة البرابرة الذين من أجلهم دبر وطبخ) .

* * *

هذا هو التيار الشعبي . وهنا « شعبي » لا يعني ان النخبة المثقفة لم تساهم في الحركة ، بل انا نؤكد فحسب ان حظ هؤلاء وان كان مهما ، لم يكن حاسما . حقا ، ظل كثير من المثقفين في طليعة الكفاح ، لا بأقلامهم فحسب ، ولكن بالمخاطرة بالنفس ايضا . غير ان الشعب أمسى دوما منبع الكفاح والحماس . فهو الذي يواجه بالسلاح ، وبوثبات الغيرة والحماس ، وبالاغاني الجماهيرية ، كل متسلط . فالعتبة التي ينطلق منها الوعي بالكرامة الجريحة والانفعال المرير ، كان دائما هو الاغنية الجماعية او الالتجاء الى المساجد قصد الترتيل الجماعي .

وجد الكتاب أنفسهم متاطرين داخل هذا الجو ، فرددت كتاباتهم صداه ، وتناول الكثيرون منهم موضوع الحرية من جوانبها المتعددة ، وادخلوها في القالب الديني حيث أصطبغت بطابع جهاد فرضه الله وارتضاه لكل مؤمن صادق .

فترة ما بعد الحرب العظمى

تلك نظرة مختصرة عن الماضي ، اما اليوم ، فثمة واقع جديد فرض علينا أساليب جديدة لتفهمه ولتكييف مواقفنا معه . بفضل الاحتكاك المباشر والمتزايد مع العالم الخارجي ، منذ حرب ١٩٣٩ – ١٩٤٥ ، اكتسب أدباؤنا مفاهيم وتجارب جديدة . فكثر عدد الشعراء . وظهر فن القصة ظهورا لامعا ، وتكونت العشرات من الفرق التمثيلية حول مبادرات مسرحية ما زالت في طو المحاكاة والترجمة .

نحن ، اذن ، أمام تجديد شاسع ومتنوع يشمل المضمون والاشكال. الا ان مصير هذا الادب ، وان بشر بالخير ، لا يخلو من انزلاقات ، وهفوات ، في بحثه عن طريق أصيل . اندفع كثير من الادباء مع تيارات لم يفهموها ، فالقوا ، في كتاباتهم ، بكلمات القلق ، والغصة ، والكبت والتحرر ، والمطلق ، والعبث ... كما تلقى في القدر ، طاهية غير متمرنة ، بالتوابل ، كما يتيسر . والى جانب آفات الثقافة السطحية على الادب المغربي المعاصر ، نجد خطرا اخر ليس أقل ضررا من الاول : الهيام بالاسلوب التقريري ، وبالشعارات . وللظروف حظ من المسؤولية : فبعد (آوت ١٩٥٣) أي بعد ان دنس الفرنسيون العرش المغربي بازاحة الملك البطل محمد الخامس لقائده ابن عرفة الصنيع ، اقتحم حلبة الوعي ، شعور مرير بالضياع ، وتفجرت موجات من السخط المجوج بالضجر واليأس والامل ، في آن واحد . استولى الشعر ، من جديد ، على الحشود الشعبية ، فالتحم المثقفون بالجماهير مرة أخرى في معركة المصير المقدسة ، الا ان تاثير هذه الفترة ، كان أعمق من أن يزول مع رجوع الملك وتحقيق الاستقلال . فانتشرت « موضة » الضياع ، والملل ، والقرف .

حقا ، هناك أقلام تكتب بنهج وصدق ، الا انها ، على قلتها ، تتوجه الى قليل القلة من القراء . فالمشكل هو ان ضعف الاستهلاك يسبب ضعفا في الانتاج . لذا ، يلزمنا جميعا ، انتساءل ، مع سارتر ، « لمن نكتب ؟ » لا بد من رؤى واضحة المعالم ، للقيم ، ولاساليبصياغة تلك القيم . فاذا كان المغربي قد استعاد ، منذ عشر سنوات ، شخصيته المغصوبة ، فهو اليوم في أشد الحاجة الى ترميمها وجعلها قادرة على أن تجسد التراث والتجاوز . فكثيرا ما نتحدث ، في المؤتمرات المختلفة ، عن الحرية ، وعن الكرامة ، وعن المثل ، ولكن كيف نجعل الجماهير تتطلع الى استيعاب هذه المفاهيم حتى لا تبقى بين الخرافة والغيبيات ؟ يطلب من الكاتب ان يبلور تلك المفاهيم ، فان فعل (ولم يفعل الا هذا) يكون قد ادى واجبه على أكمل صورة . فما دامت المفاهيم الاساسية تنسج في الغموض ، بقيت ذهنية الشعب خرافية ، تنقاد نحو الخير ، او نحو الشر ، بنفس الحماس .

فالمعركة المقدسة التي يجب على الكاتب ان يخوضها ، معركة ضد التخلف الفكري ، أي ضد الجهل والغموض أو « البين – بين » . فطوره وغدائه وعشائه ، الترياق الذي يعطيه المناعة ضد الابهام
فطوره وغدائه وعشائه ، الترياق الذي يعطيه المناعة ضد الابهام
والبلبلة . فمهمة الكاتب هي آن يبدع الاكسير الذي يغير التاريخ . فالتاريخ لا يعيد نفسه ، ابدا . انه في صيرورة . ومن لا يساهم في عمل التكييف مع الصيرورة ، لا يعد كاتبا . الكاتب يعيد دائما النظر في خطوات التاريخ ، كي لا تجمد البيئة الانسانية في أطر الماضي الموروث . انه الرفيق والصديق ل « ما سيكون » لا ل « ما كان » . فالحرية ، او الحريات ، ملازمة للحال وللمستقبل ، فلا معنى لها بالنسبة للماضي . الماضي فات ، ولا « يحضر » الا ليحاسبنا . انه ملازم للمسؤولية . فحرية اليوم والغد ستصبح مسؤولية « ما بعد الغد » عندما يدخل ما بعد الماضي ، في « خبر كان » ، فكما قال ادونيس « لا يقدر الشاعر ان يكون الا مع التغيير » .

محمد عزيز الحبابي

كلمة رئيس وفد الجزيرة العربية

الامين العام لاتحاد شعب الجزيرة العربية

باسم دماء الشهداء الابرار الذين ذبحهم فيصل دون وجه حق او محاكمة أو تحقيق نزيه ، باسم الثورة التي نخوضها لابادة جرائيم الفناء التي يربيها الاستعمار الاميركي والانكليزي في بلادنا لتنهش في جسم الامه العربية المكافحة ... باسم (اتحاد شعب الجزيرة العربية) الذي يمارس ثورته من أجل الجمهورية والتحرر والحرية والاشتراكية والوحدة العربية ... ومن على منبر اسيا وافريقيا أرفع التحيات الى كل قلم دافع عن حق منهوب وشعب مغلوب ووطن منكوب ... التحيات والطيبات الى كل من جعل لسانه للمظلومين بيانا وشهر قلمه بوجه الظالمين سنانا ... تحية من هناك ... من البلد الذي تبلغ مساحته قرابة المليونين كيلومتر مربع ، وتسوده وتستبد به عائلة تملك كل شيء ولا يملك شعبنا أي شيء ، عائلة يبلغ تعدادها سبعة الاف امير واميرة يتناسلون بطريقة حيوانية بمعدل ٣٥ طفل وطفلة كل شهر – قسم يعرف أبـاه وقسم لا يعرفـه ... وجميعهـم يحسبون علـى شعبنـا حكاما وملوكا وامراء وملاكا يملكـون الارض ومـا تحتهـا وما فيها ومـا عليهـا مـن خيرات وحيوانات وبشر . وهكذا يعتقدون . حيث ان لكل امير ما لا يقل عن خمسين زوجة وجاريـة ومعشوقة . ويجري لكل وليد في هذه العائلة منذ الساعة الاولى لولادته مرتب شهري قدره خمسة عشر الف ريال – أي ١٥٠٠ جنيه استرليني – خلاف القصور والخدم والعبيد ... من هناك ... من البلد الذي يبلغ عدد الارقاء فيه ٦٠٠ ألف انسان سرقوا من انحاء اسيا وافريقيا واوروبا ولا زالوا يباعون في الشوارع كما تباع الاغنام ... من هناك من البلد الذي يبلغ عدد الذين قطعت أيديهم وأرجلهم ٧٥ الفا ... وكان عدد سكانه يقدر بثمانية ملايين فاصبحوا الان حسب اخر احصاء أجرته العصابة الحاكمة ثلاثة ملايين ونصف ، حيث نعج بشعبنا شتى الامراض وحيث يموت الاطفال اما في بطون أمهاتهم أو بعد ولادتهـم او تموت أمهاتهم معهم حيث لا عناية صحية اطلاقا . وحيث لا يوجد اطباء وان وجد بعض الاطباء فانهم يرتكزون في بعض مدن معينة ومعظم الذين يمارسون مهنة الطب لا يحمـلون شهادات طبية وجميعهـم مرتشون ، حتى حملة الشهادات الطبيـة منهم . لانه لو وجد طبيب انسان شريف فانه يبعد الى البلد التي استورد منها لمجرد اكتشاف انه طبيب انسان لا يقبل الرشوة ولا يبيع ضميره . والانسان لا يستطيع أن يعايش مثل هذا الحكم الموبوء ... ووزير الصحة كغيره من الوزراء الذين يختارهم الملك من أذنابه ليشاركوه في السرقات فتصبح الوزارات مجرد وسيلة للسرقة . ووزارة الصحة تستورد أدوية مضى على صنعها سنين وحرم استعمالها ، وقـد تسبب ذلك فـي موت الكثيـر مـن المواطنين ، كما حدث لالاف المواطنين الذين لقحوا بمصل الكوليرا المتعفن مما قتل الالاف بدلا من تحصينهم ضد الكوليرا . وحتى يبعد الملك هذه الفضيحة عنه وعن أسرته ونسيبه كمال أدهم أمر باقالـة وزير الصحة الدكتور يوسف الهاجري وانهاء الموضوع الذي لم ينهيه شعبنا بعد لان المتسبب الحقيقي هو الملك واذنابه ... أن مرتب الملك في بلادنا يبلغ ٣٠ مليون ريال شهريا – وسعر الريال بالاسترليني هـو عشرة ريالات لكل جنيه استرليني – وعلى كتاب اسيا وافريقيـا الحساب . فكم يتقاضى الملك في الدقيقة والساعة والسنة . هـذا خلاف واردات الملك الاخرى التجارية التي تاتيه من شركاته التـي يملكها كشركة عرين وشركة اطلس وشركات الكهرباء . وخلاف مـا يستولي عليه من جيبه الخاص – والمقصود بالجيب الخاص هو مالية الشعب بأكملها ، حيث لا حسيب أو رقيب عليه – في هذا البلد الذي لا يوجد فيه برلمان ولا قوانين ولا دستور ولا قضاة يحملون أي مؤهل علمي . وتحرم في بلادنا العائلة المالكة تكوين النقابات العمالية او المهنية او سن القوانين العمالية وغيرها ، كما تحرم العائلة الحاكمة المحاكمات

وحق دفاع الانسان عن نفسه او حق التظلم او الشكاوى وحق الاعتراض
في أي شكل من الاشكال حتى ولو بالاستقالة ، وقد سحب جـواز السفير السعودي سابقا صالح الشلفان لانه استقال من منصبه ، وقد اغتيل في السجن ، وذلك لمجرد أن هذا السفير استقال من وظيفتـه في سويسرا كسفير لمملكة الرقيق . هكذا يعيش شعبنا في هذا البلد الذي يبلغ نسبة الامية فيه اكثر من ٩٥ ٪ وتبلغ نسبة الموت بيـن الاطفال ٨٠ ٪ حسب ما جاء في الاحصائيات الطبية رغم أن انتـاج البترول قد بلغ عام ١٩٦٦ اكثر من الف مليون طن وقدر احتياطـي البترول في بلادنا بانه اكبر احتياطي في العالم ، أما عائدات البترول فقد بلغت عام ١٩٦٠ اكثر من ٦٠٠ مليون دولار ، خلاف ما تتقاضـاه العصابة الحاكمة من ضرائب من الشعب الجائع بأسماء مضحكة منها ضرائب الزكاة وضرائب علاج أمراض النسل – بعد أن قام المصابـون بأمراض النسل بمظاهرة يطالبون بعلاجهم حيث بلغ عددهم ٦٠ الفا – وكذلك ضرائب اصلاح الطرقات رغم انه لا يوجد أي طريق صالح فـي هذه المملكة الا طرقات القصور والطرقات التي تسير عليها سيـارات الاميركان في مستعمراتهم بالظهران ... وقد بلغت ميزانية العصي هذا العام ٢٥ مليون ريال بما فيها اجور ما يسمونهم بهيئات الامـر بالمعروف والنهي عن المنكر ... هـذه الهيئات التـي تضم مجموعـة وحق دفاع الانسان عن نفسه او حق التظلم او الشكاوى وحق الاعتراض الوطنيين باسم المحافظة على الدين وتطهير نفوسهم من الشرك !... من هناك .. من البلد الذي سبق له أن لعب دورا تاريخيا تقدميا انسانيا قبل أن تدنس أرضه أقدام الانجليز والاميركان ومطاياهم في بلادنا ، لكن بلدي الان أصبح مرتعا لابقار العائلة المالكة ورعاة الابقار الاميركان.. أن بلادنا أصبحت اكثر من مستعمرة للاميركان والشركات الاحتكارية الاستعمارية العالمية الجشعة البشعة كشركة ارامكو وشقيقتهـا التابلاين والشركة اليابانيه ، هذه الشركات التي لا رقيب عليها ولا حسيب ، فهي التي تنقب عن البترول وتستخرجه وتصفيه وتنقـله وتسوقه وتسرق ثروات البلاد دون حسيب أو رقيب وتسير سيـاسة البلاد اقتصاديا وعسكريا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا في الداخـل والخارج كما تريد ، وما الاسرة الحاكمة الا مجموعة موظفين لهذه الشركات يحكمون البلاد بتوجيه منها حكما ارستقراطيا فرديا عشائريا بدائيـا لا يسمح بأبسط أنواع التعبير عن الرأي أو المعتقـد أو النقد او الاصلاح ... وقد حكم الملك بنفسه كما جاء في أمر أصدره الملك فيصل بتاريخ ٤ – ٩ – ١٣٨٥ هـ أي عام ١٩٦٥ دون محاكمة على مجموعـة كبيرة من الكتاب بالسجن ١٥ سنة ومنهم يوسف بن الشيخ يعقـوب (رئيس تحرير جريدة الفجر الجديد سابقا) ، وعبد الرحمن المنصور (مدير عام وزارة العمل) ، والمحامي عبد الله الحقيل ، كما اصـدر أمره الملكي بالسجن على مجموعة من الضباط لمدة ١٧ سنة ومنهم النقيب المظلي عبد الاله الخالدي ، واصدر امره الملكي الاهوج علـى مجموعـة من الدبلوماسيين ومنهم السفير السعودي في سويسرا عبد العزيـز المعمر الذي سبق أن ذكرنا اسمه ، وأصدر أمره الملكي على ثلاثة الاف عامل بالسجن منهم عقيل عبد الله وصالح ذياب الغامدي وسليمـان سويد وجنوى حميدان ومحمد العسلان وعبد العزيز بو عبيد وخليف الرفاد وسليمان الشقير وراشد اليوسف الجبيلي وأحمد عمر وابراهيم النعيمي وغيرهم ... وقد اغتيل في السجن اكثر من الفي شخص منهم المناضل محمد الربيع وفيصل السجيني وغيرهم ... وفي سجـون هذا الحكم الهمجي الان سبعمائة شخص من ابناء ج.ع.م. ولبنـان وسوريا وفلسطين والسودان والبحرين والاردن ، ولا زال في السجون السعودية اكثر من سبعة الاف من ابناء القبائل والحرس الملكـي والفلاحين الذين سجنوا بتهمة حبهم لوطنهم ، كما سبق لهذا الحكم أن قتل الفين وخمسمائة شخص من ثوار جبل القهر في جنوب الحجاز ولا زال في السجن ما لا يقل عن ستة الاف من ابناء الجمهـورية اليمنية وجنوب الجزيرة العربية ، حيث أن في مملكة العجائب هـذه

خمسين ألفا من ابناء اليمن يستغلون كعمال وفلاحين ويعملون بشتى الحرف وكل ذنبهم انهم رفضوا ان يصبحوا أذنابا يحملون جوازات الملك المخلوع المطرود من اليمن محمد البدر ... ولقد قاوم شعبنا هذا الحكم منذ ايامه الاولى عام ١٩٠١ وقتل أول قائد أنكليزي دخل بلادنا يقود جيش المرتزقة ضد شعبنا ، ذلك هو الكابتن شكسبير الذي أرسل من قبل مكتب المخابرات البريطانية في الهند (المعروف باسم المكتب الهندي) ، حيث خلف الكابتن شكسبير بعد قتله الكابتن جون فيلبي ، وانتصر الانكليز على شعبنا اخيرا بقوات الحديد والنار والذهب التي لا يملكها شعبنا ، وأتى اليتا الانكليز بعملائهم كحكام علينا حيث قتلوا أربعمائة ألف شهيد في معارك كثيرة منها معركة السبلة وحائل والطائف والحجاز وعسير وتهامة ونجران والاحساء والجوف ونجد كلها شمالا وجنوبا ، ولا زالت عظام الضحايا متروكة في مواقع المعارك كشاهد على همجية هذا الحكم الذي أصبح يدعمه الاميركان الان ويسنده الانكليز حيث لا يتورع هذا الحكم الذي لا شرعية له عن ادخال الاطفال الذين لا يتجاوزون سن العاشرة في السجون . انما ينفق هذا الحكم شهريا على مقاومة الحكم الجمهوري في اليمن اربعين مليون ريال . وما ينفقه على التخريب في البلاد العربية التقدمية شهريا اكثر من مائتي مليون ريال . اما الجيش عندنا فان عدده لا يزيد عن ستة الاف حيث يعتني الاميركان والانكليز ومطاياهم السعوديون بجنود المرتزقة ويدربونهم على الاسلحة التي يتولى الاميركان والانكليز ومرتزقة الفرقة الاجنبية التي قاتلت في الجزائر الاشراف عليها في القواعد الاميركية .

وهذه هي نصوص اتفاقية القواعد واستخدام السلاح :

١ ـ تمنح الحكومة السعودية لحكومة الولايات المتحدة الاميركية حق استخدام مطار الظهران لعمليات القوات العسكرية الاميركية .

٢ ـ تعطي الحكومة السعودية حق تحليق الطائرات الاميركية العسكرية فوق البلاد السعودية بأجمعها .

٣ ـ تمنح الحكومة السعودية حق عمليات الطائرات الاميركية العسكرية في جميع المطارات الاخرى في جميع انحاء المملكة السعودية (ولهذا فقد أنشأ الاميركان عددا من المطارات الاخرى في جيزان ونجران (وخمسين مشيط) ـ جنوب المملكة ـ وكذلك في (عين دار) وغيرها من انحاء البلاد) .

٤ ـ يحق لاميركا استخدام موظفين عسكريين ومدنيين في مطار الظهران والمطارات والقواعد والدوائر الاخرى .

٥ ـ على الحكومة السعودية ان تضع جميع المؤسسات والمباني العائدة لها ولرعاياها في منطقة الظهران وغيرها من المناطق والمطارات تحت تصرف القواعد العسكرية الاميركية .

٦ ـ لحكومة الولايات المتحدة الاميركية الحق المطلق في حماية العرش السعودي من أي خطر يهدده في الداخل والخارج ولها أن تختار الطريقة التي تراها لهذه الحماية .

٧ ـ لحكومة الولايات المتحدة الاميركية وقواتها العسكرية والموظفين المدنيين التابعين لها حق الاعفاءات المالية من الضرائب الجمركية والرسوم الحكومية وأي رسوم أو ضرائب أخرى .

٨ ـ تتعهد الحكومة السعودية بأن تقوم بتنظيم بريد خاص لافراد القوات العسكرية الاميركية والموظفين المدنيين والعسكريين التابعين لهذه القوات العسكرية والمدنية ، لا سلطة للحكومة السعودية على هذا البريد مهما كان حجمه ويعفى هذا البريد من الضرائب والرسوم بما في ذلك رسوم الطوابع .

٩ ـ للقوات العسكرية الاميركية الحق في ممارسة التدريب بجميع أشكاله في جميع الأراضي السعودية بدون تحديد مناطق خاصة لهذا التدريب .

١٠ ـ للقوات العسكرية الاميركية وغيرها من قوات الدول التي تجلبها الولايات المتحدة الاميركية من أية دولة الى المملكة السعودية والموظفين المدنيين والعسكريين التابعين لهذه القوات الاميركية والدول الصديقة لاميركا حق الاعفاء من المثول أمام القضاء السعودي مهما كان شكل الذنب الذي ارتكبوه .

١١ ـ لحكومة الولايات المتحدة الاميركية الحق المطلق في اتخاذ أي اجراءات تراها لازمة لضمان سلامة وأمن القوات العسكرية الاميركية وصديقاتها .

١٢ ـ تتعهد الحكومة السعودية أن لا تبيع أي أسلحة مشتراة من الولايات المتحدة او صديقاتها من الدول الى أية دولة اخرى وان لا تستعمل هذه الاسلحة أية دولة اخرى الا بعد الحصول على موافقة الحكومة الاميركية ، وهذه الاسلحة التي تبيعها او تعطيها الحكومة الاميركية للحكومة السعودية هي فقط لمحافظة الحكومة السعودية على نفسها بشرط أن لا تستخدم هذه الاسلحة المشتراة من الحكومة الاميركية أو صديقاتها في أي عمل عدائي ضد اسرائيل او اية دولة حليفة او صديقة لحكومة الولايات المتحدة الاميركية . ولحكومة الولايات المتحدة الاميركية حق استخدام هذه الاسلحة ضد الحركات او الدول المعادية لانظمة الولايات المتحدة والحكومة السعودية .

هذا هو نص الاتفاقيات السرية ضد شعبنا العربي كله ولحماية اسرائيل المعتدية على ارضنا ... وبعد ...

بعد هذا العرض الموجز عن هذا الجزء السليب من الوطن العربي، هذا الجزء المشلول عن العالم المتقدم ، أعرض ما يلي : باسم اتحاد شعب الجزيرة العربية الذي يقود المقاومة الشعبية الان بوجه تحكم همجية طغيان بقايا ما قبل التاريخ الذي تدعمه اميركا رافعة تماثيل الحرية المزيفة وانجلترا المتشدقة بالديمقراطية في بلادها :

١ ـ ان (اتحاد شعب الجزيرة العربية) يمد أيدي ثواره مصافحا بها أيديكم للتعاون الوثيق من أجل القضاء على تدخل الاستعمار الاميركي والانكليزي وشتى أسماء وألوان الاستعمار باشكاله الاقتصادية والسياسية والعسكرية في شؤون شعوبنا .

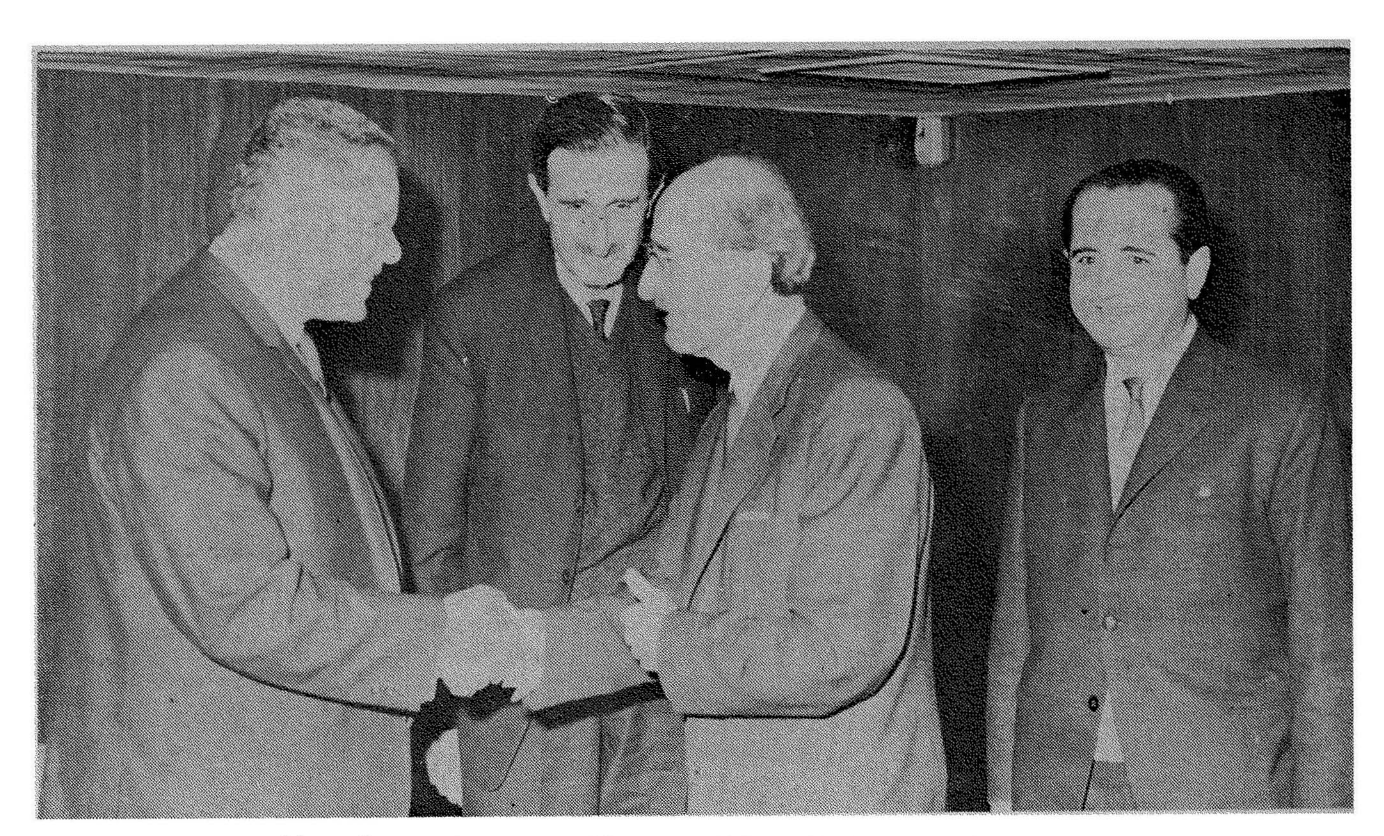
٢ ـ اننا مع شعب جنوب اليمن المكافح ضد الاستعمار الانكليزي والسلاطين وتدخلات الملك فيصل وأسرته .

٣ ـ اننا مع شعب فيتنام الثائر . لكننا نطالب الدول التقدمية والاشتراكية أن تغير موقفها السلبي تجاه فيتنام الى موقف اكثر ايجابية من المساعدات والتأييدات والتمنيات الطيبة مهما كانت . فاميركا الهمجية لا تردها المساعدات والتأييدات لفيتنام ، وانما يجب اعلان الحرب عليها ومقاطعتها اقتصاديا وتلقين حكامها السفهاء الهمج موظفي الاحتكارات والرأسمالية والصهيونية درسا ... فكل هزيمة لاميركا فيها نصرة لشعبنا ولكل الشعوب أينما كانت .

٤ ـ اننا مع شعوب اسيا وافريقيا وكل الشعوب المكافحة من أجل الخلاص من التأخر والسيطرة الاستعمارية .

٥ ـ نطلب تخصيص أسبوع لنصرة شعب الجزيرة العربية المسمى بالشعب السعودي وان لم يكن اسبوعا فليكن يوما على الاقل... كما نطلب تخصيص اكثر من مقعد واحد لشعبنا في منظمة الشعوب الاسيوية الافريقية ... كما نطلب من الكتاب مناصرة كفاح شعبنا بقيادة اتحاد شعب الجزيرة العربية الذي بدأ كفاحه ولن ينهيه الا بنهايةجرائيم الحكم الهمجي في بلادنا .

٦ ـ نطلب من كتاب اسيا وافريقيا الاحرار ان يناصرونا في دعوتنا لطرد العصابة السعودية الحاكمة من عضوية هيئة الامم المتحدة وجامعة الدول العربية لانها لا تتمتع أبدا بأية صفة من صفات الدولة ولان مندوبها في هيئة الامم قد رفض ان يوقع على وثيقة الغاء الرقيق وحقوق الانسان . واذا كانت الدول المتحررة قد قاطعت العصابات الحاكمة في افريقيا لانها جعلت من نفسها حكومات عنصرية لا يشترك فيها الا البيض فان (عصابة اسيا السعودية) ليست عنصرية ولا دخيلة ولا عميلة للاستعمار فقط وانما هي عصابة حاكمة (تبيع وتشتري البشر) كرقيق بشتى أجناسه وجنسياته ، انها تبيع السمر



السادة يوسف السباعي ، كمال جنبلاط ، ميخائيل نعيمة ، كامل العبد الله

والبيض والصفر والحمر ذكورا واناثا صغارا وكبارا الذين يسرقهم سماسرتها بشتى الطرق من انحاء اسيا وافريقيا . انها تبيع الحجاج الذين يتوافدون الى مكة ثم تعلن في نشراتها الصحية ان الحجاج قد ماتوا من المرض أو من الاصابة بالضربة الشمسية . وعلى سبيل المثال جاء رئيس أحد القبائل في (مالي) الى مكة ومعه ستة الاف من أفراد قبيلته بعد أن أغراهم بالسفر لاداء (فريضة الحج في مكة) . وفي مكة قام رئيس القبيلة ببيع قبيلته كلها للعصابة الحاكمة السعودية وسماسرتها وقبض قيمة قبيلته ثم التجأ الى ليبيا ، وقد أثار عضو وفد مالي الشيخ محمد مهدي عندما كان في مؤتمر رؤساء الحكومات في الدار البيضاء ، اثار مع عبد القادر العلام وزير خارجية ليبيا حينذاك هذه المشكلة وطلب رئيس وفد (مالي) من وزير خارجية ليبيا تسليم هذا الشخص الذي باع قبيلته لحكومة فيصل ... وبعد هذا ، هل يقتنع مأجورو الادب الذين يدافعون عن حكم كهذا مقابل ليرات أو دولارات تسرقها عصابة الرقيق من دماء شعبنا لتدفعها لهم مقابل كذبهم في هذه الصحف المأجورة للدفاع عن هذا الحكم الفاسد ؟ واذا لم يقتنع بعض الكتاب وبعض الزعماء في لبنان خاصة الذين يدافعون عن حكم العصابة المتحكمة في بلادنا السافكة لدماء الشعب ، فهل يقبلون مثل هذا الحكم في لبنان ؟ أي هل تقبلون يا مهجوري الضمائر ومأجوري الاقلام أن يصبح الحكم في لبنان الديمقراطي ملكيا همجيا تأخريا كما هو عندنا في مملكة الرقيق ؟ وان يحكم فيصل لبنان بلا برلمان ولا قوانين ولا دستور ولا نقابات ولا أي نوع من أنواع حرية الرأي ؟ ان قلتم نعم نقبل فيصل ومشتقاته يحكمون لبنان كما يحكمون مملكة الرقيق ، فنقول انكم فجرة . وان قلتم لا وكلا فنقول لماذا تدافعون عن هذا الحكم في بلادنا ولا تقبلوه في لبنان ؟

وأخيرا ، الى كتاب اسيا وافريقيا الاحرار (من اتحاد شعب الجزيرة العربية) أشرف التحيات والطيبات ، راجين منكم أن تشهروا أسنة أقلامكم بوجوه الطغاة والمستعمرين أينما كانوا ، وأن تقفوا الى جانب حقنا المسلوب وشعبنا المنكوب ، أما نحن فقد آلينا على أنفسنا أن لا نذر على ارضنا للاميركان والانكليز والصهاينة والخائنين ديارا ، اننا أن نذرهم يضلوا أجيالنا ولا يلدوا الا فاجرا كفارا .

الامين العام لاتحاد شعب الجزيرة العربية

كلمة رئيس وفد عمان

باسم الشعب العربي في عمان يشرفني ان يكون لعمان مكان في هذا الاجتماع وان يخترق اسمها اسوار العزلة والظلم والطغيان ليتردد بين جنبات هذا المؤتمر صرخة مدوية ضد كل المحاولات الامبريالية لعزل الافكار التحررية والتقدمية عن بعضها البعض في افريقيا واسيا . واني لاود منذ البداية ان اقولها صريحة بان ليس لدينا نحن في عمان ما يمكن ان يقدم من اعمال فكرية او ادبية الى هذا الجمع . كما لا نستطيع ان نضع انفسنا في مستوى الافذاذ من الكتاب والمفكرين المجتمعين في هذا المكان وفي هذا البلد العظيم الذي ما فتىء مفكروه وكتابه يجودون بسيل لا ينقطع من الانتاج الفكري كجزء من التراث العربي الحديث . وان وفدنا لا يملك امام هذه النخبة الممتازة من الطلائع المفكرة الا ان يكون رسولا الى ضمائركم الحية ليقدم الى مؤتمركم بعض الصور عن محنة الفكر في اقطارنا كنتيجة لتحكم الامبريالية والرجعية عدوتي الفكر التقدمي والتطور الانساني .

نحن ندرك تماما انه لا يوجد فكر حقيقي حيث لا توجد حرية فكرية ولا وجود لحرية فكرية من غير حرية سياسية وعلى هذا الاساس فان محنة الفكر في الخليج العربي هي النتيجة المباشرة للاستعباد السياسي الذي يفرضه علينا تحالف قوى الامبريالية والرجعية المحلية . من خلال هذا يمكننا ان نستعرض الصعاب والتحديات التي تواجه الفكر القومي التقدمي في بلادنا وان نلمح الى الصراع الذي يخوضه المثقفون هناك في اطار الثورة السياسية العربية .

ان اي محاولة لتقييم دور الفكر في الخليج العربي في الثورة العربية التحررية ، ومدى ارتباطه بالصراع السياسي للجماهير العربية،

لا بد وان تضع في اعتبارها الظروف الموضوعية لاقطار الخليج كما تتمثل في الوجود الاستعماري والتحالف بين الامبريالية والنظم الاتوقراطية التي تسود المنطقة .

لقد بدأ الغبار عن مراحل الركود والتعفن في منطقتنا ينقشع في اعقاب الحرب العالمية الثانية كنتيجة للتطورات الحاسمة في العلاقات الدولية والقيم السياسية . وعلى الرغم من النطاق الرهيب الذي كانت تضربه قوى الاستعمار والرجعية على منطقتنا فقد شقت هذه الافكار طريقها الى ضمائر الناس وافاقت الطلائع التي هيىء لها أن تأخذ نصيبا من الثقافة بجهودها الفردية على هول اوضاعها . وكانت سنوات الحرب الاخيرة مرحلة الصهرة فيها جماع الافكار التي تبلورت من خلال شعارات المرحلة الصناعية في الغرب ومرحلة ما بعد الحرب . وعن رواد الفكر الحديث الاوائل في البلاد العربية وبصورة اخص مصر التي ظلت اشعاعا ينيره اخذت الافكار والتصورات الحديثة للحياة تغزو منطقتنا عن طريق الكتب والصحف والمجلات المصرية . واقول مسجلا حقيقة تاريخية ان لمصر وروادها من رجال الفكر والادب ولحركتها الفكرية المبكرة الفضل الاول في انتقال المفاهيم الحديثة الى ربوعنا مؤلفة تلك البذور الطيبة التي ساهمت في تفتيح الفكر عندنا على نوافذ الشعارات السياسية والاجتماعية الجديدة .

في مستهل المرحلة التي اخذت فيها الافكار الحديثة تفد الى منطقتنا عن طريق مؤلفات وكتابات الرعيل الاول من رواد النهضة الفكرية العربية الحديثة في مصر ، كانت الجماهير في الخليج العربي تعيش مرحلة من الجمود واللامبالاة ازاء التطورات السياسية والاجتماعية التي كانت تجتاح العالم العربي ثم وقعت الحرب العالمية الثانية فامتدت اثارها الى كل مكان من العالم بما فيها منطقتنا التي استخدمها الاستعمار الغربي كقواعد ومحطات في مجهوده الحربي ضد دول المحور. وما ان انتهت الحرب حتى نكثت دول المعسكر الغربي وفي مقدمتها بريطانيا بالوعود التي قطعتها على نفسها لشعوبنا . اما في منطقتنا من الوطن العربي فقد تحول الوجود الاستعماري لفترة الحرب الى احتلال دائم واداة لارهاب الامال الوطنية التي طرحتها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية . واعقب ذلك اكتشاف البترول في منطقتنا الامر الذي فجر الصراع على نطاق اعنف ، في الوقت الذي ضاعف من تثبت الاستعمار بوجوده في المنطقة ودفع به الى مغامرات عدوانية كما هو الحال اليوم في الجنوب ، وعمان والبحرين . وهنا التقت مصالح القوى الاستعمارية والرجعيات المحلية الحاكمة في محاولاتها لتكريس الاوضاع البالية والوقوف في وجه الافكار التحررية التي اخذت تنادي بها الفئات المثقفة .

وكان اول تحد للوجود الاستعماري والحكم الاوتوقراطي في الخليج هو اضراب سنة ١٩٤٤ في مسقط الذي نظمه وقاده جماعة المثقفين في عمان احتجاجا على الاستبداد السياسي والتسلط الاجنبي على مقدرات البلاد .

وفي عام ١٩٥١ اسست هذه الجماعة في الخارج تنظيما سياسيا « باسم الاتحاد العماني » واعلنت في بيان التكوين ان الوضع في عمان يتعارض مع مصلحة الجماهير ، وان الوجود الاستعماري والحكم الاستبدادي هما العقبة الرئيسية في طريق الخلاص والتحرر . ودعا البيان الشعب الى مقاومة الاستعمار وصنائعه . كذلك جاء في البيان بان الوضع في الوطن العربي كله قد اصبح مهيئا لثورة وطنية كبرى ، وان مصر بحكم امكانياتها البشرية والاقتصادية والثقافية ومكانها الاستراتيجي من العالم هي المنطلق الحتمي والطبيعي لاي ثورة عربية شاملة . وقد اصدر الاتحاد فيما بعد من القاهرة مجلة قومية باسم صوت عمان تبنت النضال السياسي للشعب العماني وشارك المثقفون في حركة المقاومة ضد العدوان البريطاني ولا زالوا يشاركون .

وفي نفس الفترة تقريبا ظهرت حركة قومية مماثلة في البحرين بدأتها الانتلجنت التي افرزتها مرحلة الحرب العالمية الاخيرة من العناصر التي تلقت ثقافتها في مصر ولبنان والعراق وسوريا واحتلت بالافكار الثورة والشعارات السياسية الجديدة في هذه البلاد . وقام المثقفون في البحرين باصدار مجلة وطنية باسم صوت البحرين كانت تعد من اقوى المجلات السياسية لا في الخليج فحسب ، بل وفي العالم العربي كله ولقد قامت هذه المجلة بدور مؤثر في النضال من اجل الفكرة القومية وتعميق مفهومها وكانت من اقوى دعاة الوحدة العربية الشاملة ومن اشد المدافعين عن حق الشعب العربي في فلسطين والتأكيد على تصميم الجماهير العربية على استرجاع الوطن السليب . وقد ظلت هذه المجلة حتى اوقفتها سلطات الاستعمار البريطاني اداة فعالة من ادوات النضال الفكري السياسي في الخليج .

ومع التطور الاقتصادي السريع في الكويت في اعقاب هذه الفترة ظهرت طليعة مثقفة هناك اسهمت بدور كبير في النضال السياسي المشترك للامة العربية وفي مناصرة الانتفاضات والثورات العربية في كل جزء من الوطن العربي وتبنت في صحفها ومجلاتها كل الشعارات التي طرحتها الثورة العربية وفي مقدمتها التحرر والوحدة والعدالة الاجتماعية . يتضح من هذا ان الفئات المثقفة في الخليج كطليعة ثورية للفكر العربي التقدمي كانت ولا تزال القوة المدافعة عن مصالح الجماهير العربية والملتصقة بمشاكلها وامانيها الوطنية والكاشفة لمخططات الامبريالية والرجعية العربية اليائسة ، والقائدة لنضال الجماهير . ان طبقتنا المثقفة من الخليج وهي تعيش وتعي التناقضات الحادة لمجتمعاتها ، تبرز كقوة نضالية تقدمية لتدافع عن الطبقات الكادحة في الوطن العربي والطبقات الكادحة في افريقيا واسيا وهي تؤمن ايمان اليقين بوحدة نضال الشعوب الافريقية والاسيوية كما تؤمن بوجوب تعبئة الفكر الافريقي الاسيوي في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار بجميع اشكاله ، كما تسهم في المعركة من أجل السلام وهي تقف متضامنة ومؤيدة لنضال شعب فيتنام ومع كل شعوب افريقيا واسيا . ان الفئات المثقفة في الخليج كانت ولا تزال في صف الجماهير ، رغم ما تعرضت وتتعرض له من اضطهاد واعتقال وتشريد وتعذيب ، وكمثل على هذه المواقف البطولية اقول انه منذ ايام قليلة فقط اعتقلت سلطات الاستعمار البريطاني احد مثقفينا وهو المناضل محمد سالم المصري بينما كان في منزله بالشارقة وبعد ان طوقت منزله بالمصفحات ساقته الى مباني القاعدة البريطانية في الشارقة ومنها نقل الى مسقط . واني ادعوكم الى الاحتجاج بشدة على هذا الاجراء التعسفي الذي تشهد منطقتنا الكثير من امثاله كل يوم .

كذلك فان المثقفين في الخليج يؤمنون بان الادب وهو اقوى ادوات التعبير ينبغي ان يكون في خدمة الجماهير ومن اجل تحقيق الحياة الكريمة لها وان يعمل على تحرير الفرد من التوتر والقلق والصراع الداخلي وبعبارة اوضح على الادب ان يرتبط بالاشتراكية وان يعالج مشاكلها بالروح الواقعية الشجاعة . وانه لمن دواعي فخر الجيل العربي المعاصر ان تكون الاشتراكية قد تحققت لاول مرة في تاريخ الامة العربية وذلك في الجمهورية العربية المتحدة . ان التجربة الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة تجربة فريدة فلاول مرة في التاريخ يتم تطبيق الاشتراكية سلميا وبقدر كبير من التوفيق بين العاطفة الثورية للسلطة والظروف الموضوعية المتخلفة عن المرحلة السابقة . وهي تجربة يمكن ان تستفيد منها كل شعوب افريقيا واسيا التي تناضل من اجل الحرية وتحقيق المجتمع الاشتراكي . اما بالنسبة للمفكرين العرب فان مهمتهم الاساسية هي ان يدافعوا عن هذه التجربة وان يغنوها بافكارهم وابتكاراتهم وان يعمقوا مفهومها للجماهير العربية .

وبعد فان مؤتمرنا هذا ينعقد في ظل تحديات دولية خطيرة وان مسؤولية الكتاب والمفكرين في الوطن العربي خاصة وفي افريقيا واسيا عامة هي ان يواجهوا هذه التحديات وان يجندوا اقلامهم وافكارهم لمعركة شعوبهم . ان على كتاب افريقيا واسيا ان يكافحوا الظلم والعدوان من كل مكان عليهم ان يكافحوه ويقاوموه في فلسطين العربية التي اغتصبها

ــ التتمة على الصفحة ١١٣ ــ

ليوبولد سيدار سنغور

التذويب أم الزنوجة؟

بقلم جيرالد مور
ترجمة علي شلش

ان ليوبولد سيدار سنجور ، الذي يدوى اسمه كما يدوى احد سطور شعره ذي الجرس الرنان ، ليعني الكثير بالنسبة لكثيرين . ويتضح مفتاح حياته الشعرية في السطرين التاليين من قصيدة باكرة بعنوان « عودة الولد الضال » ، حيث يقول :

غداً آخذ الطريق الى اوروبا ، طريق السفير
يغمرني الحنين لبلدي الاسود

وليس من قبيل الصدفة أن يكون سنجور سنغاليا ، فحياته الادبية تجسد الازمة السنغالية . وذلك ان السنغال قد انفردت بين مستعمرات غرب افريقيا بأن الاوروبيين احتلوها احتلالا حقيقيا تاما منذ مائة عام . وكانت المدن الساحلية على صلة بفرنسا منذ القرن السابع عشر ، ومن ثمة عرفت هذه المراكز مثل جوريه Gorée وسان لوي St. Louis سكانا افريقيين وملونين ينطقون بالفرنسية منذ ذلك الحين حتى اليوم. وفي عهد الحاكم فيدرب Faidherbe تم غزو المساحة الكلية التي تشكل السنغال الحديثة ، كما تم اخضاعها للحكم الفرنسي المباشر ، وكان ذلك عام ١٨٦٥ ، في الوقت الذي كان فيه الاستعمار الاوروبي ، عبر الساحل عداها ، لا يزال مجرد حصون ومصانع وبعض القطاعات الضيقة المماثلة مثل مستعمرات لاجوس وساحل الذهب وفريتاون . وفي عام ١٨٨٠ اشترك في الانتخابات الافريقيون الذين طبقت عليهم سياسة التطوير بمدينتي سان لوي وداكار جنبا الى جنب مع المستعمرين البيض ، وذلك بوصفهم مواطنين فرنسيين ، كما ساهموا في ارسال ممثلين عنهم الى الجمعية الوطنية الفرنسية . وكذلك بدأ تعليم الافريقيين بهذه المراكز الحضرية في وقت مبكر ، وكان طلاب السنغال أول ابناء غرب افريقيا الذين ذهبوا الى فرنسا نفسها لتلقي العلم بجامعاتها .

ولعلنا نستطيع بهذا الخد ، اذن ، أن نتبع مدى ما حققته سياسة التذويب Assimilation من نجاح أو فشل . فهذه السياسة التي لم تتخل فرنسا عنها الا حديثا ، والتي لا تزال اسبانيا والبرتغال تتبعانها في مستعمراتها الافريقية ، انما تسعى لرسم خط لا يفصل بين الاسود والابيض ، وانما يفصل بين « المتحضرين » و « غير المتحضرين » من أهل البلد . (لا شك ان جميع البيض يعتبرون متحضرين بمقتضى هذا التعريف) . ويلزم أن يكون ابن البلد المتحضر مسيحيا ـ ويفضل أن يكون كاثوليكيا ـ كما يلزم ان يكون متعلما بلغة العاصمة . ومن ثمة يتمتع بقدر موفور عن الحرية ـ بالمقاييس الانكلو سكسونية ـ يعفيه من التعصب للون ، ويترتب على هذا انه يصبح مواطنا من مواطني البلد الام ، رغم انه قد يحتاج من اجل التمتع بهذه المزايا الى أن يترك الغابة ويعيش في المدن . اما ابن البلد غير المتحضر فمن الواضح انه يشكل قضية مختلفة تمام الاختلاف . فهو يعجز عن الارتفاع بنفسه الى المستوى المقبول لدى الحكام ، ومن ثمة يقع تحت طائل السلطات المدنية والعسكرية . اذ يلزم فضلا عن هذا ان يملأ صفوف الجيش ، وأن يعتني بمشاكل العمل كالمناجم والمزارع .

وقد كان ابعد هدف لهذه السياسة هو أن تجعل المستعمرات جزءا لا يتجزأ من فرنسا نفسها ، وذلك بأن تكون اقاليم Departments تابعة للجمهورية . وهذا الوضع نلمسه اليوم في جزيرتي مارتينيك وجواديلوب (١) وبعض الاقاليم الاقل مساحة ، كما هو وضع انجولا وموزمبيق (٢) داخل الجمهورية البرتغالية .

وقد بلغ من الحزم في أتباع هذه السياسة ان الاطفال السود الصغار تعلموا في الوقت الحاضر ان يستظهروا أسماء « اسلافهم الغاليين » (٣) كما يلاحظ سنجور في قصيدته « الرسالة » .

وكان غرض النظام في مجموعه ، اذا شئنا أبسط المعاني ، هو أن ينتج فرنسيين سود . فهل نجح في هذا ؟ لا شك انه يوجد فرنسيون سود ، لكنهم لم يعودوا يلعبون الدور الذي لعبه الافريقيون الفرنسيون في الشؤون السياسية او الادبية او الثقافية . وأشهر رجل بين هؤلاء الافريقيين الفرنسيين هو سنجور نفسه ، الذي يرأس اليوم جمهورية السنغال (٤) . وقبل أن تتحقق لسنجور زعامة بلده المستقل ، كان يعمل ـ فيما عمل ـ استاذا بمدرسة دراسات ما وراء البحار ، وعضوا

★ هذا المقال عبارة عن فصل في الاصل من كتاب ألفه جيرالد مور ، احد المتخصصين الانكليز في الاداب الافريقية جنوب الصحراء الكبرى ، وهو كتاب Seven African Writers الذي صدر قبل أعوام عن مطبوعات جامعة اوكسفورد .

وقد حاولت بقدر الامكان أن أذيل الترجمة بالهوامش اللازمة حتى لا يغمض المعنى على القارىء العربي ، نظرا لخلو الاصل من الهوامش أو الشروح (المترجم) .

(١) تقدم التعريف بجزيرة مارتينيك ، اما جواديلوب فهي كذلك من جزر الهند الغربية وتقع على بعد ٣٠٠ ميل تقريبا جنوب شرقي بورتوريكو : اكتشفها كولومبوس عام ١٤١٣ واستعمرتها فرنسا عام ١٦٣٥ . واكبر مدنها بوانت أبيتر وهي ميناؤها أيضا . اما عاصمتها فهي باس تير . وأهم منتجاتها السكر وشراب « الروم » ، كما تصدر البن والموز . ويبلغ سكانها اليوم نحو ثلاثة أرباع المليون نسمة .

(٢) تقع انجولا في غرب القارة ، وقد ارتادها البرتغاليون في الفترة من ١٤٨٢ الى ١٤٨٥ وعاصمتها لواندا ، وتصدر البن والماس والسمك والقطن والزيت والشعير . ويبلغ سكانها اليوم نحو خمسة ملايين نسمة . أما موزمبيق فتقع في جنوب شرقي القارة وقد اكتشفها فاسكودي جاما عام ١٤٩٨ ، لكن العرب سبق ان عرفوها في القرن العاشر الميلادي وقد سيطر عليها البرتغاليون عام ١٥٠٥ ، وهي بلد زراعية تصدر القطن والسكر والنحاس والشاي والذهب والفحم ايضا. عاصمتها لورنزو ماركيز .

(٣) نسبة الى الغال أجداد الفرنسيين .

(٤) منذ استقلالها عن فرنسا واعلان الجمهورية بها عام ١٩٦٠ .

بالمجلس الاوروبي (٥) . Council of Europe ونائبا عن السنغال في الجمعية الوطنية ، ووزيرا في الحكومة الفرنسية.

لقد كان سنجور أول أفريقي يتلقى تعليما فرنسيا أكاديميا الى أعلى المستويات (٦) وأول افريقي ينال اجازة الاجريجاسيون Agrégation (المعادلة للدكتوراه) من جامعة فرنسية . وقد ولد لابوين مسيحيين عام ١٩٠٦ في مدينة جوال الساحلية الصغيرة ، حيث كان أبوه يعمل في تجارة الحروع . ويرجع تاريخ جوال الى نزول البرتغاليين على هذا الشاطىء في القرن الخامس عشر . وقد كتب سنجور عنها بافتتان في احدى قصائده الباكرة ، حيث يقول :

أذكر الولائم الجنائزية ، اذ يتصاعد بخارها
من دم القطعان السمينة .
أذكر ضجيج الخناقات وتراتيل القسس .
أذكر الاصوات الوثنية وهي تترنم بانشودة تاطنوم ارجو .
أذكر المواكب والنخيل وأقواس النصر .
أذكر رقص الفتيات البالغات .
وجوقة المصارعين ـ يا للروعة !
وآخر رقصة يؤديها الشبان ، وهم مائلي الصدور ،
وصيحة الحب الجهيرة التي تطلقها النساء ـ كوربـيجا ! (٧)

وقد تنقل في صباه بين فلاحي قبيلة السيرير (٨) وصيادي المنطقة . وكان يصغي لما يرويه الشعراء والنسوة العجائز من حكايات تدور حول أفريقيا القديمة التي سبقت الغزو الفرنسي ، افريقيا « القابلين الاباة في مراعي الاجداد » كما تقول قصيدة دافيد ديوب (٩) وكانت هذه الفترة من حياته خليقة بان تكون لها دلالة عظيمة في عملية الاستيطان ، وهي فترة لا يكف هو عن أن يصد بها ارادة « التذويب » المزعزعة مستخدما اياها كمقياس يقيس به الفضيلة والاخلاص الاصليين.

غير ان سنجور شرع في دراسة اللغة الفرنسية بعزيمة قوية منذ كان في سن السابعة . وما لبث نبوغه الظاهر ان اتجه به الى داكار ، ولما بلغ الثانية والعشرين أبحر الى فرنسا ليكمل دراسته بمدرسة المعلمين العالية Ecole Normale Supérieure في باريس . وسرعان ما لحق به هناك ايميه سيزير الذي كان يصغره بسبع سنوات ، حيث شرع الرجلان في المسلسلة الطويلة من الاتصالات والتجارب التي أهلتهما لمهمة « منح الاجناس السوداء لسانا » .

وكان ليون ضاما ابن غيانا الفرنسية من معارف هذه الفترة . لكن أحدا من هؤلاء الرجال الثلاثة لم يبدأ في نشر انتاجه الا في أواخر الثلاثينات ، فقد كان عليهم أولا أن يتغلبوا على الوضع الغريب للرجل « المذوب » الذي يعيش في مجتمع لا ينتمي اليه . ونحن نكتشف من سنجور ، كما نكتشف من كامارالاي فيما بعد ، ان الانطباع الساحق لدى التلميذ النجيب ابن افريقيا الفرنسية الذي فاز بالسفر الى باريس كان انطباعا ينم عن العزلة . وبهذا المعنى وجده اكتشف المغالطة التي تأسس عليها تعليمه كله . فهو لم يكن فرنسيا ، ولا يمكن على الاطلاق أن يكون كذلك . ومن ثمة كان عليه أن يحسم الامر ، وأن يكتشف مرة أخرى معنى ان يكون افريقيا . وكان قادرا على أن ينقل الى هذه المهمة كل الفضول العقلي والتمكن من اللغة ومعرفة الادب ، وهي صفات كانت بمثابة الجزء الباقي والنبيل في التعليم الذي سبق أن لقن اياه . وتتمثل أول سخرية من سياسة « التذويب » ، وربما يتمثل التبرير النهائي لها ، في انها ساهمت اكثر مما ساهم به اي شيء عداها ـ في عملية اعادة اكتشاف افريقيا .

وهذا البحث عن الهوية يمكن أن يتخذ شكلا بسيطا كما في قصيدة « الطوطم » لسنجور ، التي يقول فيها :

لا بد أن أخفيه في أعماق شراييني
الجد الذي قصف مخبأه العاصف
بالرعد والبرق .
حامي حماي الحيوان ، لا بد أن أخفيه
حتى لا أحطم حواجز العار .
انه دمي الامين الذي يطلب الولاء
اذ يحس زهوي العاري
من نفسي ومن احتقار الاجناس الاسعد حظا .

وكذلك يمكن أن يفترض في الطول والتعقيد اللذين في «يوميات» سيزير او في قصيدة « البطانة السوداء » لضاما . والحق ان الاسلوب الذي أصطنعه سنجور لنفسه لا يدين كثيرا لضربة السوط المليئة بالاحتقار في شعر سيزير ، او للسطور ذات النغم المتداخل والحيل المطبعية (١٠) في شعر ضاما . لكن مما لا شك فيه ان لسيزير تأثيرا قويا منفذا على سنجور من خلال عقله وشخصيته ، وهو تأثير نوه به بسخاء في قصيدته المشهورة « رسالة الى شاعر » التي يقول فيها :

اليك أيها الاخ والصديق الحبيب ،
تحيتي غير المرتبة الاخوية !
لقد تذوقت أخبارك
من طيور البحر ذات الظهور السوداء ،
من قوارب البحار العميقة
تذوقتها مختلطة بالتوابل ، بالاصوات العطرية
لريفييرات الجنوب والجزر ...
ان موسيقاك تفتنني عبر السنين ،
وتحت رماد جفنيك
ذلك الدفء المتوهج الذي بسطنا
قلبينا وأيدينا بالامس نحوه !
أنسيت مجدك الخاص ،
مجد التغني بالاسلاف ، بالامراء ، بالارباب ،
لا بالازاهير او قطر الندى ؟..
انني ، في الثقوب المظلمة بذاكرتي ، ألمس وجهك ،
حيث أحتسي المياه التي تخفف أسفي الطويل .
انك تضطجع على طريقة الملوك ،
وتستند الى حشية نسيجها تل مضيء ،
وجسدك يضغط الارض التي نادرا ما تهزها الطبول الافريقية،
وأنشودتك تملأ السيول المحملة بالمياه ،
وشعرك يتنفس كالليل والبحر البعيد .
انك تتغنى بالاسلاف والامراء الحقيقيين
انك تكسر من السماء نجما
من أجل نغم متقاطع لا اكثر ،

---

(٥) تكون في ٥ مايو ١٩٤٩ من بلجيكا والدانمارك وفرنسا وايرلندا وايطاليا ولكسمبورغ وهولندا والنرويج والسويد والمملكة المتحدة لبحث كل الشؤون ذات المصلحة المشتركة للدول الاعضاء فيما عدا الدفاع الوطني . وقد انضم اليه بعد ذلك عدد اخر من الدول . وله لجنة من وزراء الخارجية أو من ينوب عنهم ، وجمعية استشارية من ممثلين تختارهم الحكومات الاعضاء .

(٦) لعله يقصد الى انه أول افريقي من غرب القارة ، اما اطلاق الصفة فليس صحيحا .

(٧) ومعناها « يحيا الحب » !

(٨) ينتمي اليها سنجور ، وهي قبيلة كبيرة .

(٩) سيأتي ذكرها كاملة في الفصل التالي .

(١٠) ومنها ولعه بتوزيع كلمات القصيدة حسب هندسة معينة فاحيانا يشتمل السطر الواحد على كلمة واحدة تأتي في أول السطر والصفحة ، ثم يشتمل السطر التالي على كلمة واحدة ايضا تأتي في منتصف السطر والصفحة ، وكذلك يشتمل السطر الثالث على كلمة واحدة تأتي في نهاية السطر والصفحة ، وهكذا .

والمساكين يقذفون عند قدميك العاريتين
الحدود التقريبية لمكاسبهم السنوية
والنساء يقذفن قلوبهن العنبرية ورقصة أرواحهن المزقة .
أي صديقي ، انك قادم يا صديقي !
سأنتظرك ــ وعند رئيس الميناء علم بهذا ــ
سأنتظرك هناك تحت أشجار الليمون .

ستأتي الى مأدبة أملنا !
وحين يسقط على السقوف ضوء الغروب الرقيق ،
ويعرض العداءون شبابهم ويتزينون كالفتيات المخطوبات ،
ستكون أنت حاضرا .

لقد خلق سنجور موسيقاه الخاصة المتميزة في الشعر الفرنسي منذ بداية عهده بالشعر . ولعل ما في الشعر الفرنسي من تقاليد بلاغية ودرامية يتيح للمواهب الشعرية الافريقية مجالا أكبر مما تتيحه التقاليد الانكليزية التي تتميز بأنها أهدأ الى حد ما وأكثر نزوعا الى الاستبطان . أو لعل الشعر الانكليزي لم يكن في هذا الوقت في حال نسمح له بمد يد العون الى الكتاب الذين احسوا بأن لديهم شيئا كبيرا وملحا يلزم قوله . وأيا كان التأويل فان القدر المناز من الشعر الزنجي المكتوب بالفرنسية ــ سواء كان افريقيا او افروكاريبيا ــ (١١) يتفوق بكثير على نظيره في اللغة الانكليزية . أما في السنوات الاخيرة فقد وطد الزنوج الناطقون بالانكليزية أقدامهم بقوة في الرواية ، والقصة القصيرة ، والسيرة الذاتية . لكن لا يوجد بينهم شعراء يمكن للمرء أن يفكر في ادراجهم ضمن طبقة بول نيجر Paul Nigger وجي تيروليين Guy Tirolien ابني جواديلوب ، او ليون ضاما ابن غيانا ، او ايميه سيزير ابن المارتينيك ، أو جاك روبين او روسان كاميل Roussan Camille ابني هاييتي ، أو سنجور ابن السنغال . بل ان أحدا من الشعراء الناطقين بالانكليزية لم يحقق في الدوائر الادبية الانكليزية المركز الذي يتمتع به هؤلاء الكتاب في فرنسا . وفي السنة او السنتين الماضيتين (١٢) فقط بدأت ثروة نيجيريا

(١١) نسبة الى البحر الكاريبي .

(١٢) بالنسبة لعام ١٩٦٢ ، وهو تاريخ صدور الكتاب الذي يضم هذا الفصل .

وتنوعها الانسانيان في الانعكاس في انتاج شعرائها الاصفر سنا من هؤلاء .

كان سنجور ، اذن ، قادرا على تحقيق اتجاهاته الادبية في صحبة عدد من الشعراء الزنوج الاخرين الذين شاركوه بعض همومه ، رغم انهم جميعا لم يكونوا افريقيين . لقد أخذ عن سيزير شيئا من الاتجاه الادبي الجديد المتمثل في الزنوجة الذي كان يتطلب من شعرائه ايقاعا لفظيا قويا ، وثروة من الكفايات والتوريات الافريقية واعلاء عاما لشأن « الشخصية الافريقية » . كما ينبغي فيه أن يعاد اكتشاف الماضي الحقيقي للزنوج أسفل طبقات التاريخ الاستعماري ، وأن تدعم ثقافتهم ، وأن يهيأ مستقبلهم . غير ان سنجور ألح وحده على المظهر الموسيقي في الايقاع ، بل انه يطالب بضرورة أن يتلى شعره بمصاحبة الالات الافريقية . ولا نلبث أن نجده يخلق ، باستخدام السطر الطويل ، ذلك الرنين الدوار العميق النفس الذي يميز كل شعره ، ولكي نقدم فكرة حقيقية عن هذه الخاصية فمن الضروري أن نقتبس من شعره بالفرنسية. واليكم مطلع قصيدته « ليل السين » Nuit de Sine الذي يقول فيه :

Femme, pose sur mon front tes mains balsamiques, tes mains douces plus que fourrure.
Là - haut les palmes balancées qui bruissent dans la haute bris nocture.
A peine. Pas même la chanson de nourrice.
Qu'il nous berce, le silence rythmé.
Ecoutons son chant, écoutons battre notre sang sombre, écoutons.
Battre le pouls profond de l'Afrique la brume des villages perdus.

وهذه ترجمته :

أيتها المرأة ، ضعي يديك البلسميتين على جبيني ،
يديك اللتين تتفوقان في النعومة على الفراء .
ان اشجار النخيل الشامخات التي تتمايل مع نسيم الليل
يكاد حفيف سعفها ألا يسمع ،
لا ولا ترنيمة الرضيع تسمع .
ونحن نتارجح مع السكون الايقاعي .
لنصغ الى تغريده ، لنصغ الى نبض دمنا القاتم ،
لنصغ .
الى نبض افريقيا الغائر في غمام القرى الضائعة .

ان الترجمة الانكليزية اخف واكثر تداخلا (١٣) . فلا يمكن اصابة العمق الكامل للصوت في عبارة « لنصغ الى نبض دمنا القاتم » في الاصل الفرنسي حتى في أحسن ترجمة ، رغم ان شعر سنجور يقرأ في الانكليزية بيسر نظرا لاحتفاظه بجريان صوره واخيلته .

وكل القصائد التي استشهدنا بها حتى الان ماخوذة من ديوان « اغـاني الظـل » Chants d'Ombre

(١٣) نثبت فيما يلي الترجمة الانكليزية لمن شاء مقارنتها بالاصل حتى يضح حكم المؤلف :

Woman, rest on my brow yor balsam hands, your hands gentler than fur.
The tall palm trees swinging in the nightwind
Hardly rustle, not even cradle songs.
The rhythmic silence rocks us.
Listen to its song, listen to the beating of our dark blood, listen.
To the bealing of the dark pulse of Africa in the mist of lost villages.

وهو أول دواوين سنجور ، وقد نشر عام ١٩٤٥ . وفيه لم يكن قد أثبت موسيقاه الشخصية فحسب ، وانما كان قد أثبت الهموم التي تتردد على شعره الى اليوم . ومن أبرز هذه الهموم الحاحه على صحبة الموتى ، والاسلاف وأمراء قومه المهزومين ، الذين سعى تعليمه الى عزله عنهم . ومن المستحيل التعبير عن مدى شاعرية هذا الموقف ومدى عمق هذا المعتقد . وقد عبر سنجور ، على أية حال ، عن الموقف التقليدي الافريقي نحو الموتى بوصفهم القوة الرئيسية التي تهيمن على الاحياء ، وهي قوة خيرة لكنها يقظة . ففي قصيدة مثل « في النصب التذكاري » يستغيث بالموتى من منفاه المنعزل في باريس ، ساعيا الى التزود بالقوة من صحبتهم وقدوتهم يقول :

اليوم يوم الاحد .
اني أخاف تجمهر اخوتي ذوي الوجوه الحجرية .
اني أرى الاسلاف يزجرونني ،
أراهم من برجي الزجاجي الحافل بالالم .
اني أحملق في الاسطح والتلال وسط الضباب .
في السكون ـ فأرى المداخن رزينة عارية .
ان موتاي يرقدون عند سفوحها ،
وكل أحلامي هباء
كل أحلامي ، فالدم المنحرد يجري كله في الشوارع ،
ويختلط بدم السلخانات .
والان ، من هذا المرصد كما من ضاحية ،
ألحظ أحلامي تطفو في الشوارع في غير ما وضوح ،
وترقد عند سفوح التلال ،
مثلما يرقد أدلاء جنسي على ضفاف جامبيا او سالوم ،
والان يرقدون على ضفوف السين ، عند سفوح هذه التلال .
خلني أفكر في موتاي !
بالامس كانت ذكرى توسان (١٤) ،
الذكرى السنوية المهيبة للشمس ،
لكنما لا يوجد ما يذكرنا بها في اي مدفن .
أواه ، أيها الموتى الذين رفضتم دوما أن تموتوا ،
الذين عرفتم كيف تقاتلون الموت
عند السين او السين ،
لقد اندفع الدم المنبع في شراييني المعطوبة ،
أيها الموتى احموا أحلامي ، فقد جعلتم اولادكم يتسكعون
على أقدام رقيقة .
أيها الموتى ، احموا أسطح باريس الغارقة في ضباب الاحد ،
الاسطح التي تحرس موتاي
حتى انزل من الامان الخطر في برجي الى الشوارع
كيما لالحق باخوتي ذوي العيون الزرق ،
والايدي الخشنة .

ان الموتى هنا بمثابة جسر بين سنجور وكل شيء أبعده عنه تعليمه . وهو يشدد على عالمية حضورهم عن طريق مزج اسم السين Seine النهر الباريسي ، بأسماء الانهار في وطنه (سين Sine وجامبيا وسالوم) . وهو حين ينظر من نافذة برجه الشفافة يرى فجأة دم الفتح الفرنسي يملأ الشوارع الضيقة ، لكنه يرى ايضا الموتى الماثلين أمامه الذين يستطيعون التوفيق بينه وبين اخوته البيض الاجانب. وهو لا يسعى الى تزكية حياته الحالية ، واهتماماته الحالية ، وغوصه في شؤون عالم من علماء باريس ، الا للموتى أو لامه في قصائد أخرى . يقول :

افرحي يا أماه !
فلن أبعث الريح الشرقية فوق هذه الصور المقدسة
كما أبعث بها فوق رمال الطريق .
انك لا تسمعينني حين اسمعك ،
مثل أم مشغولة البال تنسى أن تشد الزر رقم « ١ »
لكني لن أمحو اثار قدمي أبي ،
أو اثار أقدام آباء أبي ،
في هذه الراس المفتوحة
أمام كل رياح الشمال واغاراته .
أماه ، اني أستنشق دخان ضحايا الماء في قلبي ،
وأنا بداخل هذه الصومعة التي يصطف فيها اللاتين والاغريق.
عسى أن تنفذ الارواح الواقية دمي من الرخاوة
كالتي تظهر على المنويين والمتحضرين !
اني أقف مشدود القامة أمام الاسلاف ،
رغم انني أجيء متأخرا ،
وأقدم لهم دجاجة واحدة غير منقوطة (١٥) ،
حتى يدلق اللبن وجعة الشعير قبل هذا
علي وعلى شفتي المكتنزتين
الدم المالح الفائر ،
دم ثور في أوج حياته وأبهة رسمه !

هذه ، اذن ، هي « الزنوجة وقد شدت قامتها » . وقد زم سنجور شفتيه بهذا المفتاح الذي أخذه عن سيزير ، وأطلق نهرا من الالحان القاتمة الثرية والموسيقى الجديدة . غير اننا نتساءل حين نمضي في مطالعة ديوانه الثاني : من الذي ذوب الاخر ؟ لقد ظهر هذا الديوان « الضحايا السود » Hosties Noires عام ١٩٤٨ ، لكنه يتضمن رغم تاريخه المتأخر كثيرا من القصائد التي تدور عن سنوات الحرب . وقد اشتعلت الحرب وسنجور في باريس ، ففي قصيدة من أروع قصائده نجده يمعن الفكر في كل شيء منحته اياه أوروبا ويبدو له عند ذاك مقلقلا . ومنها نجد سنجور حزينا على تراثه الاوروبي ، معلنا عمق انخراطه فيما لا يمكن أن يمثل له على الاطلاق مجرد حضارة « غريبة » . واليكم القصيدة :

لوكسمبورج ١٩٣٩ (١٦)

هذا الصباح في اللوكسمبورج ، هذا الخريف في اللوكسمبورج ،
ليسا كما عشت وأحببت شبابي ،
فقد اختفى المتسكعون ، اختفى الماء ،
اختفت القوارب التي على الماء ، اختفى الاطفال ،
اختفت الزهور .
أسفاه ! على زهور سبتمبر وصيحات الاطفال التي لفحتها الشمس ،
الاطفال الذين كانوا يتحدون الشتاء المقبل .
لم يعد هناك الا صبيان عجوزان .
يحاولان لعب التنس .
هذا الصباح الخريفي بلا أطفال ـ

(١٤) توسان لوفيرتير Toussain L'Ouverture من أبطال الوطنية في سان دومنكو (جمهورية الدومنيكان الان) التي كانت تابعة لفرنسا في عهد نابليون الاول . وقد قاد ثورة المستعمرة ضد الفرنسيين ، واضطر نابليون الى ارسال حملة خاصة الى هناك لاخماد الثورة ، وقبض على توسان بخديعة دنيئة ونفي الى جبال الجورا بفرنسا حيث مات بين العواصف الجليدية ، كما يقول هربرت فيشر في كتابه عن « نابليون » .

(١٥) يشير الى عادة تقديم القرابين للموتى في قارتنا ، وهي عادة تستلزم أن يكون القربان مستوفيا لشروط معينة ، منها في حالة الدجاجة مثلا أن تكون بلون واحد ، غير منقوطة .

(١٦) اللوكسمبورج هنا هي الحدائق المشهورة في باريس التي أحب وتسكع فيها كثيرون من شعراء باريس وفنانيها . والعام ١٩٣٩ ، هو الذي اشتعلت فيه الحرب الثانية . كما ان لشهر سبتمبر في القصيدة دلالة واقعية ، فقد أعلنت فرنسا الحرب على هتلر في الثالث منه .

بل أن مسرح الاطفال مغلق !
هذه اللوكسمبورج التي أعجز فيها
عن تعقب اثار شبابي ،
وتلكم السنين الناضرات كالمروج .
انهزمت أحلامي وحل اليأس برفاقي ،
أويمكن أن يصبح هذا ؟
أراهم يساقطون كالاوراق مع الاوراق ،
ذابلين ومجروحين يسحقهم لون الدم حتى الموت
فأية مقبرة شعبية ستضم زفاتهم ؟
اني لا أعرف هذه اللوكسمبورج ،
لا ولا هؤلاء الحراس الذين يتناوبون الحراسة .
لقد نصبوا المدافع كي يحموا التراجع الذي دار في همس
بين أعضاء مجلس الشيوخ (١٧)
لقد حفروا الخنادق تحت الاريكة التي تعلمت عليها ،
أول درس من دروس تورد الشفاه الناعمة .
تلكم الملحوظة أسوقها مرة أخرى !
أواه ، نعم ، يا له من شباب خطر !
اني الحظ أوراق الشجر تسقط
في المخابىء ، في الحفر ، في الخنادق
حيث يجري دم جيل
فأوروبا تدفن خميرة الامم وامل الاجناس الجديدة .

ان ملحوظة « هذا الصباح » شغل شعر سنجور الذي يدور عن سني الحرب ، وهي حرب تطوع فيها للخدمة العسكرية ، وأسر خلالها في ألمانيا عقب انهيار الجيوش الفرنسية . والقصيدة صرخة بعيدة مستمدة من الهيئة المتينة للزنوجة . بتقريبها الدائم بين صورة لاوروبا باردة ، فظة مجردة ، ذكية كالقردة ، وبين صورة لافريقيا غريزية دافئة تعمل من أجل خلاص نفسها . وسنجور يعلن عند ذاك ان افريقيا لا يمكن أن تنبذ اوروبا دون ان يفقر هذا النبذ كلتا القارتين . وحين نطالع هذه القصائد نتذكر فجاة ان الزنوجة ليست في أساسها موقفا ادبيا أفريقيا على الاطلاق ، وانما هي ـ باحرى ـ موقف كاريبي وافرو اميركي. فالاسود الذي يعيش في قارة يقطنها السود ، وقد توغل في مجتمعه هو، ليس بحاجة الى أن يدق الطبول لسواده وان يعلنه على الملأ بشكل دائم . لكن الاسود الذي يجد نفسه في الطبقة الدنيا لمجتمع يسيطر عليه تدرج الالوان ، دون ان يكون له في هذا المجتمع لغة او ثقافة ، بل دون ان يكون له اسم خاص يميزه ، وقد فصلته عن أصوله وجذوره ثلاثة الاف ميل (١٨) وبضعة قرون ، هذا الرجل سيرغب في أن يزكي سواده وأن يمجده ، وأن يدفع به في أسنان مجتمعه ، وأن يزرع حنينا لافريقيا لم تقع عليها عيناه قط ، ويحتمل ألا يكون قد عقد النية على زيارتها مرة . ومن هذه الغربة الحقيقية نبع الزنوجة في شعر رجال مثل نيكولاس جيلين وايميه سيزير . أما في افريقيا نفسها فانها ستبدو دائما طريقة دخيلة ومقحمة الى حد ما .

ولا شك ان شعر سنجور يتأرجح دائما بين قطبي الزنوجة والتذويب ، وهو ميل أنماه ورعه الكاثوليكي العميق . وهو حين يتألق كما في قصيدة « باريس في الثلج » فانه ينجح في التوفيق بين هاتين القوتين في انسجام أصيل . يقول :

الهي ،
لقد قبلت بردك الابيض الذي يفوق الملح في لسعه
وها هو قلبي يذوب الان كما يذوب الجليد في الشمس .
وانسى .
الايدي البيضاء التي حشت المدافع ، التي دمرت الممالك ،
الايدي التي ألهبت العبيد بالسياط والهبتك
الايدي المغفرة التي صفعتك ،
الايدي البيضاء المعفرة بالبارود التي صفعتني .
الايدي الامينة التي دفعتني الى العزلة والكراهية
الايدي البيضاء التي قطعت الغابة العالية ،
تلك الغابة التي تشرف على افريقيا ،
وقطعت الصحراء المنتصبة الثابتة في قلب افريقيا ،
الصحراء الجميلة كأوائل الرجال الذين خلفتهم يداك .
لقد قطعت الغابة العذراء لتحيلها الى فلنكات للسكك الحديدية.
قطعت غابة افريقيا كي تنقذ الحضارة التي كانت تفتقر الى الرجال.
الهي ،
لا زلت غير مستطيع أن أترك هذه الكراهية الاخيرة ،
اني أعرفها ،
كراهية الدبلوماسيين الذين يكشرون كثيرا عن أنيابهم
اني سأقايضها في الغد باللحم الاسود .
آه يا الهي ، لقد ذاب قلبي ،
كما يذوب الجليد على أسطح باريس ،
في شمس طيبة قلبك .
انه عطوف على أعدائي ،
اخوتي ذوي الايدي البيضاء الخالية من الجليد ،
وذلك أيضا بسبب أيدي الندى
التي ترقد ليلا على وجنتي الملسوعتين .

ومع هذا فمن قبيل الصدفة أن تبدو توسلات سنجور الى التوفيق والغفران وطلبه لهما أمرا مغالى فيه تقريبا ، كما في قصيدة « صلاة من أجل السلام » (١٩٤٥) ، التي ينهي فيها أغنية مديح طويلة ودقيقة من الكراهية لاوروبا البيضاء بهذه الكلمات :

الهي ،
ضع فرنسا وسط الامم البيضاء ،
على يمين الاب .

هنا تستبدل الهيبة والرأفة الموجودتين في قصيدة « باريس في الثلج » بشيء وثيق الصلة الى درجة خطرة بسكين فتح الخطابات وبسمة الاغواء . وفي بعض الاحيان تظهر على صفحة الزنوجة ملحوظة زائفة متشابهة ، كما يحدث حين يحيي سنجور الجنود الاميركيين الزنوج الذين يدخلون باريس عام ١٩٤٥ مكللين بالنصر فيقول :

اخوتي ،
لست أدري ما اذا كنتم أنتم الذين دمروا الكاتدرائيات، فخر اوربا.
وما اذا كنتم الرعد الذي أحرقت به يد الله سدوم وعموره.
كلا ، انما أنتم رسل رحمته ، ونسيم الربيع بعد الشتاء .

هذا التمييز بين ضارب المدفع الاسود وبين زميله الابيض انما يظهر بشكل تحكمي وعاطفي الى حد ما .

وكثيرا ما يبلغ شعر سنجور قمة نجاحه حين يهجر البحث عن التوفيق ويقنع بتسجيل انفعال واحد ، دونما اهتمام كبير بالعواقب . وقصائد الحب في ديوان « اغنيات الى نابيت » Chants pour Naëtt (١٩٤٩) فيها خاصية الهجر هذه ، ويبدو انها تستمد منها الكثير من طاقتها الايقاعية . وفيها يتحرك شعر سنجور بشكل اسرع من المعتاد وتتوهج صوره وأخيلته بدفء غير عادي . يقول :

سأنطق اسمك ، يا نابيت ، سأنشدك يا نابيت !
اسمك ، يا نابيت ، ناعم الملمس كالقرفة ،
انه العطر الذي رقد فيه سرب أشجار الليمون ،
يا نابيت اسمك هو الصفاء المحلى بالسكر ،
صفاء أشجار البن المورقات ،

(١٧) من المعروف تاريخيا ان مجلس الشيوخ الفرنسي هو الذي أصدر انذاره الى هتلر بعد أن غزت المانيا بولونيا ، ثم أصدر قراره ايضا باعلان الحرب على هتلر .

(١٨) هي المسافة بين اميركا وافريقيا ..

وهو يشبه السافانا (١٩) ، التي تتورد
تحت اللظى المذكر لشمس الظهيرة .
اسم الندى هو ، وأنضر من ظل التمر هندي ،
بل أنضر من الشفق القصير الذي يظهر
حين تسكن حرارة النهار .
نايبيت ، انه الاعصار الجاف ، وهزيم البرق الحاد
نايبيت ، يا عملة ذهبية ، وفحم لألاء ،
انك ليلي وشمسي !
أنا بطلك ، وقد غدوت الان ساحرك ، كيما انطق بأسمائك .
يا أميرة اليصا ، المنفية من فوتا (٢٠) في اليوم المقدر العظيم.

ويمكن ان نلتمس ريا مساويا لهذا الري الذي تبعثه فينا هـذه القصيدة ـ وان كان مختلفا عنه في قصيدة مثل « نيويورك » من ديوان حبشيات Ethiopiques (١٩٥٦) ، فهذه القصيدة تحقق للزنوجة مكان قدميها بشكل كامل مقبول عن طريق عقدها مواجهـــة مخلصة مضيئة بين مانهاتن وهارلم . وبناء هذه القصيدة ناجح للغاية بمطلعها المدوي ، ومعني العقم الجاف الذي ينمو تدريجيا عبر سطورها ، وانتقالها المفاجىء الى دفء هارلم وروائحها اللذين يبعثان النضـارة ، وكذلك باللفتة الرائعة الرحبة التي تنتهي بها . واليكم القصيدة :

ـ ١ ـ

نيويورك !
في البدء أربكني جمالك ،
أربكتني تلكم الفتيات الرائعات المذهبات ذوات السيقان الطويلة.
لكم خجلت في البدء أمام عيونك الزرق المعدنية ،
وبسمتك الجليدية ،
لكم خجلت .
والضم في أعماق شوارع الناطحات
يرفع الاعين الى أعلى فلا ترى كسوف الشمس .
اينها الناطحات يا من تتحدين العواصف بعضلات من الصلب
وطلاء من الحجر الاملس ،
ان ضوءك كبريتي وأبراجك معتمرة برؤوس تقدح السماء
اسبوعان ، لا اكثر ، على ممرات جسر مانهاتن العارية .
ـ ثم تدهمك الحمى في نهاية الاسبوع الثالث ،
وتنقض عليك بانقضاضة الفهد .
أسبوعان بلا أنهار ـ أو حقول ،
تساقط فيهما كل طيور الجو بغتة .
وتموت على رماد الاسطح العالية المسطحة .
لا تورق بسمة على شفتي طفل ، تبترد يده في يدي
لا يوجد صدر أم ، وانما توجد سيقان من النايلون ، لا اكثر.
سيقان وصدور لا رائحة لها ولا عرق .
لا توجد كلمة حلوة ، لانه لا توجد شفاه ،
وانما توجد قلوب صناعية تشترى بالنقد
ولا يوجد كتاب تلتمس فيه الحكمة .
ولوحة ألوان المصور تزدهي ببلورات من المرجان .
يا ليالي السهاد ، يا ليالي مانهاتن !
لكم أهاجتني الاضواء المتراقصة ،
بينما أبواق السيارات تعوي من الفراغ
والمياه الحالكة تطوي مظاهر الحب الصحيح ،
كانها انهار تفيض بجثث الاطفال .

ـ ٢ ـ

لقد حل زمان العلامات (٢١) وتسديد الحساب .
نيويورك !
لقد حل زمان المن والسلوى (٢٢)
ما عليك الا ان تصغي لصور الرب (٢٣) ،
وخلي قلبك يخفق على ايقاع الدم ، دمك .
لقد رأيت في هارلم همهمة وضجيجا والوانا زاهية .
وروائح نفاذة .
ـ كان ذلك وقت تناول الشاي في بيت بائع العقاقير ـ
رايتهم يعدون لمهرجان الليل فرارا من النهار .
والليل عندي اصدق من النهار .
كان ذلك في الساعة الطاهرة ،
اذ يبعث الرب الحياة في الشوارع ،
الحياة التي تخطئها الذاكرة .
وكانت كل العناصر البرمائية تسطع كالشموس .
هارلم يا هارلم ! عندئذ رأيت هارلم !
رأيتها نسمة أذرة خضراء !
تنبعث من الارصفة التي حرثتها اقدام الراقصين العارية.
رأيتها امواج قبعات من الحرير ونهودا مسنونة كحد السيف!
وسلالا من زنابق الماء ، وأقنعة خرافية .
وعند حوافر خيول الشرطة
كانت حبات مانجو الحب تتدحرج
آتية من بيوت الفقراء .
ورأيت على الممرات جداول من الروم (٢٤) الابيض .
وفي ضباب السجائر الازرق رأيت جداول من اللبن الاسود.
رأيت السماء في المساء زهورا من البرد الابيض .
واجنحة ملائكة وريشات سحرة .
اصغي يا نيويورك :
نعم ، اصغي الى صوتك الذكر الذي قد من النحاس
اصغي اليه وهو يرتج مع الاوبوا (٢٥)
فالفم تخنقه العبرات التي تساقط بقع دم كبيرة
اصغي الى خفق قلبك الديجوري الآتي من بعيد ،
اصغي الى ايقاع الطبول الافريقية ودمها ،
دم الطبول الافريقية والطبول الافريقية

ـ ٣ ـ

نيويورك !
اني اعلنها :
خلي الدم الاسود يجري في دمك يا نيويورك
حتى يزيل الصدأ عن مفاصلك الصلبية ،
كأنه زيت حياة ،
حتى يكسب جسورك حنية الردفين وليونة الزواحف .
وعندئذ يعود ما كان في اقدم العصور
وتتحقق الوحدة من جديدة والوفاق بين الاسد والثور والشجرة ،
ويرتبط الفكر بالعمل ، والاشارة بالمعنى .

(١٩) المراعي او السهول التي تخلو من الاشجار في المناطق الحارة والاستوائية .

(٢٠) اليصا من الممالك القديمة ذات التاريخ العريق في غـرب القارة . اما فوتا فهي منطقة تقع اليوم في جنوب السنغال .

(٢١) المقصود هنـا Signs او Signes بمعنى علامات الجمع والطرح والقسمة (+ او ـ أو ÷) في الحساب .

(٢٢) المن والسلوى هو الطعام الذي انزله الله على بني اسرائيل في فترة الاربعين عاما التي قضوها مشردين في صحراء سيناء بعـد خروجهم من مصر في الزمن القديم .

(٢٣) جاء ذكره في الانجيل والقرآن ، وهو النفير .

(٢٤) الشراب الذي يصنع من قصب السكر وهو مفضل عند الزنوج.

(٢٥) آلة نفخ نحاسية ، تعرف في العربية باسم النفير احيانا .

وتدمدم انهارك بتماسيح نفاذة الرائحة
وجنيات عيونهن سراب .
وليس بك ثمة حاجة الى اختلاق جنيات البحر .
لكن يكفيك ان تفتحي عينيك
على قوس قزح في شهر ابريل
وان تعيري اذنيك ، خلها فوق كل الاذان ،
للرب الذي خلق السماء والارض
في ستة ايام من ضحكة ساكسوفون (٦)
ثم رقد في اليوم السابع ،
الرقاد الاعظم الذي رقده الزنجي (٢٧)

ويحقق سنجور مثل هذه القوة والاكتمال حين يتحول عن قصة حبه الطويلة لفرنسا ويبتعد عن انشغال باله بمسألة كونه « سفير الشعوب السوداء » ، ويغمس نفسه في صحبته طفولته والمناظر الطبيعية في بلده وكل ما يربطه بالاسلاف فهو لا يكون عندئذ في حاجة الى تزكية او تبرير اي شيء . وتصفو نفسه ، وهذا الصفو يملأ اشعاره بموسيقاه الهادئة . وبهذا المزاج يتميز صفو سنجور ويتضح على الورق، ويكتب بطريقة لا تنسى . والسطور التالية منقولة من « حبشيات » ، وهو ديوان خصص اكثره لرثاء المنفي — والمنفي الذي يرثيه هنا هو حالة النفي من اوروبا ، ومن كل ما ترمز اليه قصيدة « اميرة بلفور » Princesse de Belfort لكن سنجور يتحرر في هذه القصيدة من كل هذا ويكتشف من جديد انقى شريان من شرايين الاستبطان عندما يقول :

لست ادري متى حدث هذا ،
فانا دائما اخلط الطفولة بجنة عدن .
لما اخلط الموت بالحياة — ثم يصل بينهما جسر من الرحمة .
كنت عند ذاك عائدا مو فاأوي (٢٨) ، وقد سكرت عند المقبرة المهيبة
مثلما يشرب اهل ماناتا (٢٩) عند نافورة سيال (٣٠)
كنت عند ذاك عائدا من فاأوي ، وكان الهول على أشده ،
وكانت الساعة ساعة ظهور الارواح لنا ، حين يشف الضوء
وعندئذ لا بد ان نغادر الدروب ، كي نتفادى قبضتها الاخوية المميتة،
ان روح قرية ترفرف على البعد .
ترى ، أهي روح لاحياء أم لاموات ؟
لقد حيتني بقولها :
« عسى ان ينزل شعري المسالم ماء صفوا على قدميك ووجهك ،
وعسى ان يتجدد ظل صحبتنا في قلبك » .
وألبستني يداها لازوردا من الحرير والتقدير
وفتنتني بحديث من اللحوم الشهية — من نعومة لبن نصف الليل
وكانت بسمتها اكثر موسيقية من خالام (٣١) مغنيها .
وأقبلت نجمة الصبح لتجلس بيننا ، وبكينا بلذة .
— اختاه المهندمة ، احفظي حبات الذهب هذه ،
عساها ان تتغنى بالوهج الداكن في حلقك .
لقد كانت الحبات لخطيبتي الجميلة ، وانا ليس لي خطيبة .
— اخي المفضل ، قل لي اسمك . لا بد ان يدوي عاليا كالسورونج(٣٢)
وان يضوي كالحسام في ضوء الشمس . يا للروعة !
حسبك ان تنشد اسمك .
ان قلبي صندوق من الخشب الثمين ،
ورأسي جلد قديم من جلود الجن .

(٢٦) الالة الموسيقية المعروفة بهذا الاسم .

(٢٧) جاء في الاصحاح الثاني من سفر التكوين انه حين اكملت السموات والارض وكل جندها « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل » (١ ، ٢) .

(٢٨) ، (٢٩) ، (٣٠) اسماء اماكن في بلاد الشاعر .

(٣١) الخالام الة موسيقية وترية محلية تشبه الربابة عندنا .

(٣٢) الة موسيقية نحاسية .

حسبك ان تنشد نسبك ، فتستجيب له ذاكرتي .
لست ادري متى حدث هذا ، فانا دائما اخلط الحاضر بالماضي .
مثلما اخلط الموت بالحياة — ثم يصل بينهما جسر من الرحمة .

لقد حصن سنجور نفسه ضد تهمة التكلف بمقال فيه تكلف الى حد ما ، وذلك في قوله « مثلما يشرب اهل ماناتا عند النبع » . وهو هنا يجادل بانه يكتب بصفة اساسية لجمهور افريقي ، يألف كلمات مثل كورا (٣٣) Kôra وبالافونج (٣٤) Balafong وديالي (٣٥) Dyâli وخالام Khalam واذا كانت هذه الكلمات غريبة على القارىء الفرنسي ، فليس هذا من شانه . وليس المقصود بها ان تكون تصويرية وانما ان تكون وصفية ، وذلك لان كل شيء عند الافريقي الزنجي يمثل اشارة ومعنى في آن واحد ، وهكذا كل مخلوق ، وكل شيء ، وكذلك المادة والشكل واللون والرائحة واللفتة والايقاع والمقام (٣٦) والوتر : لون اللازورد ، وشكل الكورا ، وتصميم صندل العروس وخطو الراقص ولفتاته والقناع ، وهلم جرا » .

ان قراءة مثل هذه العبارة تزيد الشك في ان ما يصفه سنجور وغيره من دعاة الزنوجة يمثل قدرة الفنان على التوحد في الانسان ، وليس في الانسان الافريقي على وجه التخصيص وربما يكون من المحتم والصواب ان تؤدي قرون الامتهان والعسف — بالضرورة — الى احتجاجات ايجابية تصبح هي نفسها احتجاجات مطلقة . ومع هذا ، فمثل هذه المقالات العنصرية عرضة لاخفاء الطبيعة الحقيقية لنضال الفنان الاوروبي والخطر الحقيقي للهمجية الزاحفة وهما طبيعة وخطر بالفنان بدرجة واحدة في افريقيا واوروبا . فاعداء التلقائية والعاطفة يروحون ويجيئون بيننا جميعا ، وهم لا يحملون أقنعة بيضاء دائما .

لقد نجح سنجور في ان يبني حياته الشعرية من التوترات التي كان من الممكن ان تدمره ، ومن العزلة والغربة والسحر الرائع المغوي لباريس ، والجذب العميق القوي لافريقيا ، وكارثة الحرب ، والامل النقي للامم الجديدة التي تسحق سحقا دمويا من فيتنام الى تاناناريفو (٣٧) تسحق مرارا وتكرارا على أيد غير ايدي مواطنيه المجندين اجباريا، الذين كتب لهم بطريقة جد جميلة في قصيدته « القتيل » ، حيث يقول:

ان اغنية دمكم العظيمة ستهزم الآلات والمدافع .
وكذلك سيفعل حديثكم الطلي ومراوغاتكم واكاذيبكم .
ليس ثمة كراهية في روحكم الخالية من الكراهية ،
ليس ثمة خبث في روحكم الخالية من الخبث .
يا شهداء الجنس الخالد ،
دعوني اطلب لكم المغفرة .

ولعل الذين يأتون الى اوروبا الان كممثلين لشعب حر ، وكافراد في جيش غيور شجاع من الطلبة والوفود ، ان يلصقوا البطاقة المكتوب عليها كلمة « متفرنس » على انتاج هذا الافريقي الذي أحب باريس ، وجعل تراث اوروبا يغمر وجوده ، واتخذ لنفسه زوجة فرنسية، واعتنق الديانة الكاثوليكية . ولعلهم اذا رغبوا في فهم ازمة اولئك الذين سبقوهم منذ ثلاثين سنة مضت ، ان يطالعوها في انتاج هذا « المولد الثقافي » على حد قوله وهم سيجدون مشاكلهم مختلفة عن مشاكله ، وربما كانت ايسر منها . فقد ترك سنجور اثرا تاريخيا يدل على مشاكله التي لا يمكن تجاهلها . وقد تركه في تلك القصائد التي تناولت موضوع التوفيق كقصيدة « باريس في الثلج » حيث يصرح بالتوفيق ويقرره ولا يتوسل اليه او يطلبه . وقد تركه كذلك في قصائد مثل « نيويورك » و « ليل السين » اللتين تسيران في اتجاه واحد حتى تبلغا نقطة كشف وطمانينة . وقد خلق موسيقى جديدة وعبر فيها عن ازمة جديدة وحياة بأسرها .

ترجمة : علي شلش

(٣٣) الة موسيقية وترية محلية .

(٣٤) شرفة او بلكون باللهجة المحلية .

(٣٥) المغني باللهجة المحلية . (٣٦) في الموسيقى .

(٣٧) عاصمة جمهورية مالاجاش أو مدغشقر .

دور المثقف في المجتمع المعاصر

بقلم جان بول سارتر

هناك في الحقيقة مشكلتان (*) .

فأنا ولدت في مجتمع برجوازي دور المثقفين فيه قد تحدد بحكم طبيعة هذا المجتمع نفسه .

ومن ناحية أخرى فأنا هنا أتحدث اليوم الى مجتمع ثوري تطرح أمامه مشكلات أخرى بالنسبة للمثقفين .

انني لا أريد أن أتحدث اليكم عن هذا المجتمع الثاني لانني أنتمي الى المجتمع الاول ، ولهذا فسأتحدث أليكم عن كفاح المثقفين والمجتمعات البرجوازية ، ماهيته وما يجب أن يكون عليه هذا الكفاح لدينا ، أي في الغرب وفي بعض الاحيان في الشرق ايضا .

المثقفون في موقف حرج ليس فقط تجاه الطبقة الحاكمة بل ايضا وفي نفس الوقت تجاه الطبقة العاملة مع الاسف . انهم لا يحترمون رجل العلم الا حينما يقوم بدور المعلم ، والذي يقدم المعرفة فقط ، أما اذا قام بدوره كمثقف شرعوا يشكون فيه .

ان النقد الذي يوجه دائما للمثقف هو انه انسان يعارض وينتقد دائما ويتدخل في أمور خارج ميدانه وتخصصه مستغلا شهرته وتأثير أعماله الثقافية والعلمية .

فبالنسبة لرجل اميركي في الولايات المتحدة لا يعد العالم الذي يعمل في الابحاث النووية من المثقفين ، وانما هو عالم فقط ، ولكن اذا حدث واشترك مع بعض العلماء في التوقيع على بيان يدين نتائج اعماله التي تستخدم ضد الشعوب ، تحول الى مثقف .

ومن هنا ترون أن هذا العالم عندما كان يعمل في الولايات المتحدة كان يقوم بأعمال سياسية على الرغم منه ، حينما كان يخدم أهداف الاستعمار ، حيث كان معتبرا انه منتظم في داخل تخصصه العلمي فحسب ، ولكن بمجرد ان يشعر هذا العالم بخطر نتيجة اعماله يصبح من المثقفين ، أو كما كانوا يقولون اثناء حرب الجزائر عندنا في فرنسا مثقف قذر . لماذا ؟

لنحاول أن نوضح الامر ونضرب مثلا هنا محكمة راسل الخاصة بجرائم الحرب في فيتنام . ان هذه المحكمة تجتمع لتحاكم الاعمال التي اقترفها الاميركيون في فيتنام . لتدرس ما اذا كانت الاعمال التي ارتكبها الجيش الاميركي هناك جرائم حرب أم لا . وهذه المحكمة تتكون من رجال هم علماء في الفيزياء والرياضة ، وفلاسفة مثل راسل وقانونيين ورجال تاريخ ، مثل يجيبه ، ورؤساء دول سابقين مثل جاردينار وهم رجال أسميهم رجال معرفة عملية وعلمية . ويقال لهم عندما يريدون الحكم على اعمال الجيش الاميركي : لماذا تدسون انوفكم فيما لا يعنيكم ؟ فهذا بعيد عن اختصاصكم .

والواقع ان الذي يجمع هؤلاء الناس في هذه المحكمة ليس فقط وظائفهم . انهم في الوقت الذي يريدون فيه أن يرفعوا علم المثل العليا فهم يشكلون مجموعة من المثقفين لا من العلماء . ويبدو أن هذا ما يعاب علينا نحن المثقفين رجال هذه المحكمة . ان الذين يعملون في مجال متخصص لا يحاكمون الاميركيين ولا توجد محكمة رسمية أي محكمة دولية تستطيع أن تحكم في قضية فيتنام نفسها . فاذا كانت هناك محكمة مكونة من أناس لا يستطيعون أن يصدروا حكما في هذا الشأن فاننا في هذه الحالة كسائر المثقفين بل وكرجل شارع نستطيع أن نبدي أحكامنا. لماذا ؟

ان مجرد تكوين هذه المحكمة جعل بعض الناس يشيرون الينا كمثقفين بأننا رجال يتدخلون فيما لا يعنيهم كما قلت لكم .

والواقع هناك مجالات لاستخدام هذه المعلومات التي تخصص فيها كل من هؤلاء العلماء لخدمة هذه المحكمة ، فهناك من يذهبون الى فيتنام ويقومون بالتحقيق والاستقصاء بكل اثار هذه الحرب .

فهناك مسيو «يجيبيه» العالم الطبيعي قد ذهب الى هناك لدراسة اثار قنبلة « الاناناس » ، وهي نوع من القنابل الحارقة التي تصيب في الواقع المدنيين لا العسكريين ، وأستطاع أن يتحقق من وجودها ومن استعمالها ، وهذه القنبلة من القوة بحيث انها تستطيع أن تتفجر في نواح مختلفة متشعبة وتصيب كل ما حولها .

وهذه القنابل لا يمكن ان تصوب الا الى الذين يعملون في الحقول. ان هذه القنبلة التي يمكن ان نقول عنها انها قنبلة جماعية تحمل الموت الى الفلاحين والى كل الذين يعملون في الاراضي البعيده عن المعركه . في هذه الحالة ترون أنه من أحسن الوسائل أن يقوم المتخصصون في الفيزياء كصديقي « يجيبيه » في ان يبحث الاثار المترتبة على أستعمال هذه القنابل لانها من تخصصه وتدخل في اختصاصه العلمي ، فهو وحده الذي يستطيع أن يتحقق من قوة مفعول هذه القنابل وقد استحضر بعضا منها وقام بدراستها وفحصها .

وان الذين يهاجمون محكمة راسل انما يدعون علينا باننا نفتقر حقا لصفة الهيئة الدولية ، فمسيو يجيبيه قد تعلم الفيزياء ليمارس الفيزياء ولكنه يستطيع ان يستخدم عمله ايضا في وضعه الصحيح كرجل عالم بأن يتحقق من واقعة مريبة قائمة ، وهذا لا يعاب عليه ، فان المثقف كما ترون ، اذا استخدم علومه أبتداء من الاسس التي أنشئت عليها هذه المحكمة ، أقول ان هذا المثقف يستطيع أن يستخدم علمه بعيدا عن مجال تخصصه ليحصل على استنتاجات قد لا تكون مترتبة علىعلمه.

ان الذي حدث للعالم الذري في اميركا قد حدث قبل ذلك مرات ، وذلك في تنديده بالدور الذي يقوم به البعض في الابحاث الذرية . أي عندما قال ان البحوث الذرية لا يجب أن تستخدم في اتجاه ذري عدواني قد أصبح بين ليلة وضحاها من المثقفين ! لقد رأينا الان اننا اذا أخذنا عليه بأنه يتدخل في أشياء بعيدة عن العلوم التي قد تخصص فيها .. فهو عندما كان يعمل للسلطة الاميركية كان يقوم بالابحاث العلمية، وكان يريد ان يستخدم ابحاثه للاغراض السياسية ، اذن فانه في الحقيقة ــ منذ البداية ــ قد تدخل في امور بعيدة عن مجال تخصصه .

ماذا فعل ؟ لاحظ انه كان مستخدما من فئة من الاشخاص ، وان ما كان يفعله انما كان يستخدم لاغراض لم يكن يبدو لديه انها من الاهداف التي كان يجب ان يسعى اليها .

اذن فقد اصبح مثقفا منذ الوقت الذي لاحظ فيه ان عمله يسلب منه وانه يعمل فيما لا يتخصص فيه . أي انه عندما اتخذ موقفا سياسيا

(*) نص المحاضرة التي القاها جان بول سارتر في القاهرة بدعوة من جريدة « الاهرام » نقلا عن تسجيل للترجمة الفورية بينما كان سارتر يلقيها .

واعيا بعد ان كان يعمل لاغراض سياسية ، ولم يكن واعيا لما يفعل . اقول قد اصبح مثقفا مدانا يعاب عليه تدخله .

ماذا يفعل المثقف اذن في مواجهة هذا الموقف ؟

هل يبعد عن الخدمة بدافع الحياء ؟ هل يرفض الخدمة ؟

ان الذين استخدموه في اميركا حاولوا ان يقدموه للمحاكمة عندما رفض ان يستجيب لهم . لانه فهم أغراضهم . ان هذا الرجل قد اكتشف التناقض بين الشمول العام وبين التخصص البرجوازي .

ان هذا المثال يدلنا على ماهية المثقف . ان المثقف هو عالم ولكنه عالم عملي . لانه يوجد الان فرق حقيقي بين المعلومات النظرية والمعلومات العملية . فمثلا الطبيب او القانوني او المهندس أو أي عالم من هؤلاء العلماء يستطيع أن يكون من نفسه داخل المجتمع البرجوازي عن طريق الوعي بالتناقض بين هذين الجانبين . فهناك علماء يعيشون في حالات من القلق وهناك علماء يخفون هذا التناقض عن الاخرين .

يخفون عن الاخرين هذا التناقض في نفسيتهم ـ هؤلاء لا نسميهم مثقفين وليس هناك ما يسميهم مثقفين ، انما هؤلاء هم علماء قلقون . اما المثقف فهو الذي لا يريد ان يعيش هذا التناقض والذي يلاحظ وجوده ويرفضه . وأقول ما هو الفرق بين التربية التي تلقاها في طفولته والمهنة التي اعد لها . واعطيكم مثالا من اليابان لهذا ـ مثالا مباشرا من التاريخ الياباني . في اثناء الاصلاح الكبير عندما قرر اليابانيون ان يصنعوا بلادهم تم الاصلاح على اساس ان الطبقة الحاكمة كونت رؤوس اموال لبناء الاقتصاد ، وعلى هذا اصبح الاقطاعيون رأسماليين ، ومع ذلك فكان لا بد من وجود مهندسين وفنيين وعلماء .

اذن كان لا بد من اصلاح في التربية ، لان التربية كانت تقليدية كلاسيكية . كانت تعلم الشعب احترام الامبراطور وتقديسه ، عندئذ قرر احد وزراء التربية ان الطالب في طفولته يجب ان يتلقى تربيته على اساس تقليدي ـ على اساس الدين الياباني ، وهو احترام وتقديس الامبراطور ، حتى يصل الى سن التعليم العالي ـ وابتداء من الجامعة ، تصبح التربية علمية اي انها ستترك هذه المجموعة من المعتقدات التي تلقاها الطالب حتى سن الجامعة ويدخل الطالب في مجالات علمية ، وهنا ينشأ التناقض بين هذين النوعين من التربية ، فأحدهما يعلم ـ الخضوع التام لطبقة متميزة ـ الطاعة للامبراطور والطاعة والخضوع لمجموع التقاليد التي تمثل تخلي الناس عن حرياتهم واستسلامهم للتقاليد ـ بينما التربية العالية التي يتلقاها في الجامعة تعلمه أولا ان الحرية (ويجب ان تفهم ان هذه الكلمة التي كتبت عنها كثيرا لها معناها الدقيق) هي حرية الفكر ، وحرية الفكر ليست حرية التفكير في أي شيء انما هي حرية البحث ، هي وضع موضوع ما تحت التجربة ، اي رفض مبدأ السلطة ، هذا معناه ان الفكرة العلمية لا تقف ابدا امام ما جاء قبلها ، بل هي تواصل سيرها وتتقدم . هذه هي الحرية الفكرية ولنفهم معناها ـ ان الحرية هي حرية يحتاج اليها العالم ليس ليواجه المتناقضات بها ـ وانما لان المتناقضات هي التي تواجهه .

عندما اراد بعض العلماء في بداية هذا القرن ان يقيسوا سرعة الضوء ، فقد فعلوا هذا مستخدمين نظرية نيوتن ، اما انشتاين فقد اضطر هو أيضا ان يأخذ بما ورثه عن السلف ولم يعارضه الا عندما ظهرت التناقضات امامه .

ان العالم اذن يعرف انه ليست هناك حقيقة خالدة ابدية وانه لا بد احيانا ان ينكر وينفي ان العلوم الدقيقة تسمح باسم بعض الحقائق المتصلة بأن نبني الات ـ الات تعمل ـ وهذه الالات تستطيع بسبب هذه الدقة ان تعارض النتائج التي تستخرجها الحقائق الاولى التي سمحت او ادت الى انشاء هذه الالات نفسها .

هذا كله يدخل في حركة الحرية .

اذن ففي الفكرة الحية التي تسيطر على العالم يوجد هناك الاستقراء والاستنتاج للحقائق التي لا تتغير ـ ولكنها قد تتغير مستقبلا ـ هذا نسميه هنا الحرية ، الحرية العملية ، حرية العمل ، عمل ما يتطلبه العمل ، وفي الوقت نفسه اذا فهم هؤلاء الطلاب شمول العلم وعالمية العلم فذلك لان هذه العالمية تظهر بذلك ، اي ان كل انسان ودائما مهما كان عمله على مستوى ثقافته يعتبر عالما كاملا . وكان سقراط يقول هذه الحقيقة وهو انه عندما يريد ان يبرهن على نظرية كان يتمثل بعبد ويأخذ من هذا العبد بعض الاراء ويستنتج منه بعض النتائج خطوة خطوة حتى يصل الى النتائج التي يريد ان يصل اليها .

وليس هناك حد علمي . ان العلم لا ينتهي . انه تخصص في البحوث ويستطيع اي انسان اخر اذا كانت لديه امكانات التخصص ، يستطيع أن يكتشف نفس الذي اكتشفه العالم .

ولكننا ننكر الحقيقة اذا أكدنا ان هذه هي الحقيقة وحدها وليس هناك حقيقة اخرى غيرها وانه لا يمكن اكتشاف حقيقة اخرى . ان الحقيقة تتضح لهؤلاء الذين أوتوا القدرة على اكتشافها . ان هذه الفكرة، فكرة سيطرة بعض الناس على الحقائق ، فكرة خاطئة وستزول . قد يدعي الفنانون انهم من فئة عليا ، اما العالم فانه لا يستطيع ان يفهم ، فهو يناقض عالمية المنطق وعندئذ فلا يكون بحثه بحثا عاما عن الانسان ويفقد اسس الوحدة الانسانية ، وعندئذ وكما قال ديكارت ، بدلا من ان يكون العقل هو الشيء المشترك يصبح العقل امتيازا واحتكارا لفئة من الناس . وهكذا فان العالم بدلا من ان يكون صفوة وممثلا لجميع البشر فيجب عليه أن يبدأ فيعمل .

ليس هناك طبقة اجتماعية لا تستطيع ان تقدم لنا علماء ، فالعلم العملي هو العلم الذي يستطيع كل انسان ان يستوعبه . ان العلم يصبح للجميع عندما يتخذ موقفا ضد العنصرية . مثلا لا يمكن للعالم ان يكون عالما ومتحيزا عنصريا لان العلم للجميع ، العلم شامل كوني عالمي . ان العلم يخدم العالم كله . اذا تركنا العلم ينمو في الانسان فهو يرفض التمييز العنصري . ولاننا نرفض كل تمييز بين البشر فالعلماء انما يقومون بحركة علمية موحدة يرفضون فيها الاستغلال والتمييز العنصري وأي تفرقة من اي نوع تكون .

ان اتفاق كل العلماء ووحدة الفكر تجمع بين جميع الناس الذين تلقوا العلم واصبح العلم من تخصصاتهم .. هناك تناقضات وتعارضات على المستوى الدولي .. فمثلا العلماء السوفيات والعلماء الاميركان يجتمعون ويتبادلون وجهات النظر واجتماعاتهم مثمرة . ان الفائدة التي تعود باكتشاف معين يجب ان تعم الجميع وتجتاز جميع الحدود وجميع الصراعات التي تفرق بين البلاد .

هذا ما كان يتعلمه الطالب في ١٨٩٠ في اليابان عند دخوله الجامعة ولكن في الوقت نفسه الذي كان يتعلم فيه أن الناس جميعا احرار وان النشاط العملي مهما كان يجب ان يكون حرا وانه لا شيء هناك يستطيع ان يؤكد تأكيدا مطلقا ومجال الافكار فيه كبير في الوقت الذي كان يتلقى فيه ذلك كان في الوقت نفسه ينطوي على ما جعله منه المربون في بداية مراحل التربية ، أي انهم قد لقنوه هذه الايديولوجية الخضوعية الخاضعة للتقاليد . في الوقت الذي كان العلم يعلمه رفض التفاوت بين البشر كان في الوقت نفسه قد اتخذ صورة وشكلا كونتها تلك العناصر الاقطاعية ، عناصر الخضوع التي تلقاها اثناء طفولته ، والطفولة كما نعرف عميقة وتستوجب اكثر من اي مرحلة اخرى من مراحل الحياة ، ولهذا فمن الصعب اقتلاع ما تلقاه الطفل اثناء هذه المرحلة من ايديولوجيات ارستقراطية ، وبعد ذلك يدخل الجامعة ليتلقى تعاليم حرة . ان هذا التناقض بين التربيتين واضح في هؤلاء الشباب وقد لاحظها الشباب بعد تخرجهم . فلم يشعروا فقط انهم خاضعون لطبقة مميزة وان هذه الطبقة هي المسؤولة عن هذا التناقض بين العقليتين ، عقلية المرحلة قبل الجامعية وعقلية ما بعد الجامعة ، فهذا التناقض قائم ومن الصعب الانتصار عليه اذا لم يقوموا بعمل منظم منهجي ، فكان عليهم ليس فقط ان يصارحوا اولئك الذين يحاولون ان يجعلوا منهم أدوات خاضعة

لطبقة معينة ولكن يجب أن يصارعوا ضد أنفسهم لانهم يعتبرون انعكاساً لاراء هذه الطبقة المميزة .

ان هذه المرحلة الاولى لا يمكن أن نسميها بالثقافة . ففي هـذه المرحلة نرى انسانا هو مشارك جريمة التمييز وفي الوقت نفسه يعرف أن هناك عالمية وشمولية للعلم وانه يجمع بين النقيضين ، فعليه ان يختار بين مرحلة الطفولة وبين ما اعد له بعد ذلك في مرحلة الجامعية ، فاذا اختار الطفولة صار اقطاعيا ، واذا اختار المرحلة الاخرى كان عليه ان يقوم بعمل هدمي يهدم فيه هذه التقـاليد ويرفض المزايا ويرفض الاحتكار ويرفض الاستغلال ويرفض كل هذه العناصر التقليدية ، انـه عمل شاق طويل .

ولاضرب لكم مثلا شخصيا ، فقد ربيت كما يرى الجميع فيمجتمعاتنا الرأسمالية في جو العنصرية ، وسن ال ١٥ اعتقدت انني قد انتصرت على هذه النزعة التمييزية التي ربيت عليها . كانت عملية التصفية في ذلك الوقت . ولكن كانت هناك اثار بقيت في نفسي وقد لاحظتها ، فبعد عام ١٩٤٥ كانت تصلني مخطوطات من شباب من افريقيا وتعاطفت معهم وانا اعرف جيدا الضغوط التي يتعرضون لها والصراعات التي يدخـلون فيها . فعندما كانت هذه المخطوطات غير واضحة كنت ارسلها لهـم ليوضحوها ، ثم شعرت بعد ذلك أن هذه الطريقة التي أعامل بها هؤلاء الناس ليست صحيحة بينما الحقيقة ان الموقف يتطلب مني أن أقـول لهم مهما كلفني ذلك ، انهم يجب أن يواصلوا عملهموانيواصلوا جهودهم، وهي جهود تبلغ اضعاف الجهود التي نبذلها نحن ، وذلك لكي يصلوا في النهاية الى مستوانا . كان يجب أن اقدم لهم النصح مخلصا .ولكن هذه الطريقة التي اتبعتها انما تدل على ما تبقى في نفسي من اثـار التمييز العنصري الذي ورثته في صباي . عندما ينمو الطفل ويتلقـى التربية العنصرية فمن الصعب ان يتخلى عن هذا الا اذا خاض صراعـا عنيفا بينه وبين نفسه ليصفي الماضي تصفية كاملة .

وهذا امر يتوقف على النضال ، والثقافة هي التي تقوم بهـذا النضـال .

ان المثقفين يحاولون أن يرفضوا كل ما تلقاه الفتى من تقـاليد . وهو يحاول أن يتخلص من التناقضات التي يواجهها في مجتمعه عـن طريق الصراع . ولا سبيل غير ذلك .

ان القلق يختلف من العالم الى المثقف ، فالمجتمع الياباني كمـا تعرفون مجتمع اقطاعي . ولكن اذا كان القلق في هذا المجتمع يختلف عن مجتمعنا فهو قلق رومانتيكي .

ففي فرنسا ماذا نتلقى ؟ نتلقى التعليم البورجوازي الذي يقـول بأن جميع الناس متساوون في الحقوق وانهم أحرار . ففي عام ١٧٨٩ عارضت الطبقة البرجوازية طبقة النبلاء سعيا وراء الطبقة الشاملة ، الطبقة الواحدة العالمية ، أي القضاء على الطبقات . ونحن نتلقى ذلـك في طفولتنا ، ولكن هناك تعارض في اليابان بين التعاليم التـي تلقاهـا الطفل في طفولته وبين الحقائق التي نكتشفها شيئا فشيئا عندما ندخـل في مضمار العمل ، عندئذ يشعر الواحد منا انه تلقى مع البرجوازيـة التقليدية ايديولوجية اخرى عن طريق تعاليم تختلف عما كان يقوله له الاباء او عما كان يستمع اليه ممن حوله ليس داخل الفصول ولكن فـي الكتب التي قرأها خفية ، وجميع الظروف التي كانت تحيط بـه هـي الايديولوجية الجديدة الفعلية ، فقد تلقى علوما اخرى كثيرة غير العلوم التي تلقاها في المدرسة ، فهذا ايضا مجال لوجود التناقضات داخـل نفســه .

فقد كان هناك في فرنسا طالب في كلية الطب مع طالب اخـر ، وكان قد وصل الى المرحلة الجامعية ويقول له اننا سنعمل كالزنـوج ، وكان الطالب الاخر لا يعتقد انه من اصحاب التمييز العنصري ولكن عندما استعمل هذه العبارة قد مثلت الزنوج بانهم هم الذين عليهم ان يقوموا بالجهد الكبير ، فهذه العبارة وحدها انما هي تصوير لما كان يجول في انفسنا وفي نفس جميع الفتيان الذين تلقوا التربيـة البرجوازيـة ، وهكذا فنحن تحوط بنا ثقافة برجوازية هي في الواقع تقول لنا أننـا بشر واحد ، كل ما هو بشري نعرفه ، ولكن هذه الثقافة تقول ان جميـع البرجوازيينناس وانالناس جميعا برجوازيونواذا لم يكونوا بورجوازيين فليسوا أناسا .

وابتداء من هذه التربية الخاطئة سواء بالنسبة للغرب الـذي نسميه بالعالم الحر او بالنسبة لبلاد اخرى كاليابان الاقطاعي حيثيتلقون العلوم الاقطاعية مباشرة نجد هذا التناقض . فالانسان لا يمكن ان يكون متفقا مع نفسه ، فهو يتلقى نوعين من الايديولوجيات ، الايديولوجيـة المدرسية النظرية والايديولوجية العملية في الحياة . الانسان لا يمكـن أن يعيش بدون تناقض .

واذا أراد الانسان بعد هذا ان يبقى امينا للجانب الانساني فلا بد ان يعطي هذا الجانب مضمونا حيا ملموسا والا كان الجانب الانساني الذي يدعيه انما هو قناع يخفي وراءه الحقيقة . فانتم ترون ان المثقف نوع من المخلوقات الغريبة لان الطبقة المسيطرة قد كونت هذا المثقف لكي تستخدمه فيما بعد لصالحها .

يقول صاحب العمل لمن يعمل معه انني أنا رئيسك ويجب ان تنفذ ما اطلبه منك . والواقع ان صاحب العمل يستفيد من فائض القيمـة ويستفيد من جهود العاملين .

ان المثقف بعيد في تفكيره واهتماماته عن ان يعتقد بأنه أقـل من غيره ، لانه يريد ان يكون دائما فوق الاخرين . ان حقيقته الوحيدة هي ان التناقض الذي عرفه ليس تناقضا داخليا وانما هو يعكسالتناقض الموضوعي الذي يمزق المجتمعات .

والواقع انه يعاني هذا التناقض لان هذا التناقض يصور المجتمع.

في المجتمع الرأسمالي نجد ان الطبقات العاملة تقوم بعمل لكنـه لا ينفع الجميع بحكم طبيعة هذا المجتمع ، في الوقت الذي يجب ان يكون فيه العمل من اجل مصلحة الجميع .. في اسوان رأيت فيلمـا

شاهدت فيه عمال السد العالي والفرح يملأ قلوبهم ويشع البشر في نفوسهم عند تحويل مياه النيل . وقد سألت في المساء هؤلاء العمال ولم يعرفوا انني شاهدت هذا الفيلم ، سألتهم لماذا احسستم بهذه الفرحة ؟ فقال لي احدهم ان هذه الملايين من الفدادين التي ستصطلح وتزرع هي السبب . كانوا يشعرون بان عملهم يعود اثره للمجتمع كله. وان كل عامل منهم مع البلد كله سوف يستفيدون من هذا العمل . وهذا الفرح انما الداعي اليه هو الشعور بان ما يفعله الجميع سيستفيد منه الجميع . ولكن في البلاد الرأسمالية لا يمكننا ان نتصور ابدا مثل هذا السرور والفرح من جانب العمال لان اقامة خزان هي مجرد وقف تيار ماء فقط . قد يكون وسيلة من وسائل اثراء البلد ـ هذا في البلاد البورجوازية ـ ان مثل هذا البناء قد يؤدي الى نوع من البطالة والى تخفيض الاسعار ، فهذه كلها فوائد يستفيد منها الراسمالي لانه يستطيع ان يزيد السلع التي يعرضها في الاسواق ويستطيع ان يتوسع في مشروعاته الخاصة ، فالعامل يشعر هناك بان عمله انما هو للخارج ، ولذلك ينشأ هذا المجتمع الذي بني على اساس خاطىء والذي يعتبر اثراؤه وغناؤه قائما على اساس خاطىء ايضا .

والمثقف يعاني هذا التناقض ، ان التربية التي يتلقاها الانسان منذ طفولته ، هذه التربية تقول له انه يجب ان يقبل الحياة كما يعيش البرجوازيون ، ولهذا يجب ان يفهم الحيل التي يستطيع بها ان يصل ليعيش كما يعيش الجميع ولكي يخلص ايضا من الناحية العنصرية .

في فرنسا ارادوا ان يدخلوا في عقول المثقفين ان الجزائر اذا فقدت منهم فسوف يكونون هم الخاسرين ، ولقد اصبح العالم مليئا بهذه التناقضات ، والحقيقة انه في بلاد العالم الثالث التي تكافح ضد الاستعمار عندما يتصل المثقفون بهذه الصراعات التي يخوضها هؤلاء الناس في العالم الثالث او الذين يريدون ان يتحرروا من الاستغلال او الاستعمار في الوقت نفسه سواء في اوروبا او في افريقيا او في أي جهة من جهات العالم ، عندئذ يحاول المثقف ان يطالب بالاستقلال داخل نطاق السلام مهما كان الصراع ، لان الفرض من كل صراع هو السلام . ان المثقف في هذه الحالة عندما يجد ان حقيقته هي في الكفاح وهو لا يكف عن ملاحظة هذا التناقض وهو يعيه وعيا تاما ويراه رؤية واضحة . وحل هذا التناقض انما يكون في الكفاح وفي متابعة انواع الصراعات القائمة حوله . ان العامل يستغل .. ونحن شركاء في جريمة هذا الاستغلال ان لم نعمل على تخليصه منه .

ان هذا التناقض الذي يوضع فيه المثقف يجب ان ينتصر عليه عن طريق الصراع والكفاح والوعي التام بكل ما يدور حوله . ولا بد ان يخرج من هذا التناقض ، وسيظل عميلا للبورجوازية اذا لم يخرج من هذا الصراع .

عندما يضع المثقف وسائله في خدمة السلام يكون قد خدم البشرية، والغموض قد يتم بسبب اللغة وليس لان المثقف اعلى من العمال في ثقافته . عندما تجد هذه الطبقة ـ طبقة المثقفين ـ نفسها داخل الايديولوجية التي جعلتهم على مستوى الوضوح الكافي في هذا التناقض الموجود في داخل انفسهم عندئذ يستطيع المثقف ان يخدم العامل وان يساعده على التخلص بنفسه من بقايا الايديولوجية التي تحول دون مواصلة الصراع وذلك بتوضيح وبلورة هذه التناقضات على مستوى العقل والمنطق وبايصال العامل الى هذا المستوى من الوعي .

وهكذا ـ فان الاتصال بين المعرفة العملية وبين الثقافة النظرية انما تكشف ان العلم يمكن ان يكون شاملا وكذلك العمل ايضا يمكن ان يكون شاملا . فالعمال في اسوان يطالبون بعالمية انتاجهم وهكذا نرى كيف ان المثقف يستطيع ان يضيء السبيل امام العامل عندما يلتزم في كفاحه الطريق الذي يستطيع ان يعبر عما يريد باسلوب يمكن للعامل ان يستوعبه ويفهمه . ان الطبقات العاملة عندنا قد استخدمت اجهزتها في الكفاح الحقيقي . ان هذه الاجهزة تمارس الصراع الطبقي بحيث تصل الى تحرير العمل ـ وهذه الاجهزة هي الاجهزة النقابية او اجهزة الاحزاب لدينا . فالمثقف عندما ينخرط في طريق الطبقات العاملة يجد ان المشكلة المطروحة هي العلاقة بين المثقف وبين السياسة . ليست سياسة الطبقة المسيطرة ولكن سياسة الحزب او النقابة . ان المثقف ليس من رجال السياسة لانه يعاني التناقض الاجتماعي ولان وعيه يتطلب منه الخروج من هذا التناقض .

انه مثقف فقط اذا استطاع ان يصور التناقض الاجتماعي وان يصوره للناس في كامل اشكاله . فكل محاولة لاخفاء الحقيقة لا يمكن ان تكون من نصيب المثقف . لان المثقف ولد نتيجة الصراع تجاه التربية التقليدية فلا يستطيع ان يختار العالمية والشمول ولا يستطيع ان ينظر الا الى الحقيقة في جذريتها فهو مطلوب منه ان يصبح سيد نفسه بما ان هدفه هو هدف الناس جميعا الذين يعملون ، وهدف التحرير الانساني ان يقدم كل الحلول التي تساعد على تحقيق الهدف المباشر وان يتجنب كل ما من شانه ان يقود الى الانحراف فمهما كانت دقة الناس وامانتهم فلا بد من التصالح بين السلطة وبين الاحزاب والجماعات القيادية ، لا بد من ان يكون بين هاتين السلطتين نوع من التصالح والتفاهم لضمان وحدة العمل . لا بد من تنازلات من احد الجانبين او من الاخر وذلك تحقيقا للوحدة .

وهكذا يجب ان نقول اولا اذا كان على المثقف ان يقوم بدوره فلا بد ان يكون مجردا من السلطة ، واذا انخرط في حزب يكون واجبه الاول هو النظام والخضوع واذا تقاسم المسؤوليات وشارك فيها ، أي انه اذا دخل الحزب مثلا ليلعب دورا واضطر ان يصبح سياسيا مثلا ، أي ان يخطب ويدعو الى ما يدعو اليه الحزب ففي هذه الحالة يضطر الى ان ينفذ ما يؤمر به ، وان يخضع لكلمة الحزب ، ولكن ينبغي على المثقف في الوقت نفسه ان يرفض اذا رأى ان هناك انحرافا وان تكون له القدرة على المنافسة وعلى عدم قبول كل ما يفرض عليه . ان كلمة الحزب الاولى والهدف الاول يجب ان يكونا خطه الاول .

ولكن النظر الى المثقف على انه يجب ان يكون مجردا من السلطة يتطلب منا تصحيحا : على المثقف ان يعيش هذه العناصر كلها وان يتفهمها . اذن فهناك امكانيتان اذا تحققنا فانهما يسمحان للمثقف ان يؤدي واجبه : اولا ، ان يدخل في حزب جماهيري ثوري ويلتزم به ، في هذه الحالة يصبح هناك مثقفون داخل الحزب واخرون خارجه . لانه اذا لم يكن بالحزب مثقفون فان الحوار يدور بين ساسة ومثقفين وهو الامر الذي ينفي تماما امكانية وجود لغة مشتركة . وثانيا اذا كان هناك مثقفون داخل الحزب يفتقدون الحوار مع مثقفين خارج الحزب فانهم قد يخطئون الهدف في سبيل التكتيك ، وقد ينتج عن ذلك نوع من الانحراف . ولهذا فان وجود مثقفين خارج الحزب يحفظ القدرة على التغيير والتطور . اما اذا كان المثقفون داخل وخارج الحزب مجردين من السلطة تماما تكون مخاطرة بالوقوع في الغموض والتداخل بين هاتين الفئتين . فالفئة الاولى من المثقفين التابعة للحزب ستتبع خط حزبها ايا كان هذا الخط . وهؤلاء مثقفون لهم سلطة . اما الفئة الثانية من المثقفين الثوريين غير الحزبيين فيصبحون بلا تأثير .

والمجتمع يتطلب وجود النوعين لانه بدون ذلك لا يتم الحوار الصحي المؤدي الى استمرار التطور .

ان هذه الوحدة التي تمثل الثقافة تساعدنا على ان نفهم ما يحدث. وما قلته لكم في البداية بالنسبة لما يحدث في محكمة راسل . لماذا لا ننظر الى انفسنا كقوم مترفعين على الناس الاخرين ؟ لماذا كونا هذه المحكمة من الخارج وما علاقتنا مع المثقفين ؟

اولا ـ ان المثقفين في محكمة راسل مجردون عن السلطة اذن هم من هؤلاء الذين خارج الاحزاب فلم يدعهم احد ولم يكلفهم احد بشيء وهذه ميزة لانه اذا كانت حكومة او مجموعة من الحكومات قد كلفتهم بهذا ففي هذه اللحظة تستطيع الحكومات لمصلحتها السياسية ان تتدخل . وعندئذ قد يعارض الامريكيون اي حكم يفرض عليهم . وهذا

معناه ان انشاء مثل هذه المحكمة يجب ان يتفق عليه سائر الدول .

في نورمبرج حكم على النازيين لان الحلفاء قد هزموا النازي ، وقد نفذت فعلا الاحكام ، وحكم بالاعدام على كثيرين ذلك لان الحكم هو حكم المنتصرين على المهزومين .

انها ليست عملية بحث عن الحقيقة وكشفها ولكنها عملية تصفية فقط .. تصفية المهزومين عن طريق المنتصرين . ولكني لا اقول ان الذين حكم عليهم بالاعدام لم يكونوا مجرمين بيد ان قضاتهم كانت تسندهم جيوش . وكانت حكوماتهم المنتصرة تسندهم .

لهذا فان الحكم الذي نريد ان نصدره نحن لا نريد ان يكون مدعما بقوة خارجية ـ قوة مسلحة ـ انما هو حكم نابع من اعماق ضمائرنا . لا نريد ان نكون قضاة رسميين معينين بصفة رسمية . اننا لا تصلنا اموال من فيتنام ولا من امريكا . وفي هذه الحالة فان ضعفنا هو في عدم وجود اي سلطة في ايدينا ولكنه في نفس الوقت هو مصدر فاعلية هذه المحكمة لان المثقف الرجل الذي اراد ان يقف موقف الرجل العادي لا موقف الشخص المتميز ـ لهذا فان محكمتنا لها قيمتها ـ اننا لسنا في هذه المحكمة الا قوما نريد ان نجد حلا للجميع .

ولهذا فانه يجب ان نكون الجلسات عامة ، في هذه المحكمة . ولان هناك حقائق نقدمها بعملنا لجميع البشر سواء عن طريق الراديو او عن طريق الصحافة او باي وسيلة من وسائل الاعلام . ان نشر جميع الوثائق ونشر التقارير والاستقصاءات والبحوث التي نقوم بها كل هذا انما الغرض منه هو انه اثناء انعقاد الجلسات تستطيعون جميعا انتم ايها البشر ـ ان تشعروا بما يحدث هناك وان تصدروا انتم بانفسكم حكمكم اذا كانت هناك جريمة ام لا . اننا نحاول ان نتحدى كل هذه المخالفات . ثم نحن نريد ان نقوم بحملات للحصول على توقيعات المؤيدين والمناصرين . لهذه الحركة للصوت الذي ننادي به حتى يكون الحكم حكما عالميا ـ فلا نكون وحدنا القضاة ولكن نصبح وسطكم انتم جميعا حكاما اصدقاء لجميع الحكام . ان « لوثر » الذي يختلف دينه عن دينكم وديني ايضا قال ان جميع الناس العاديين في الحقيقة انبياء . اننا باختصار نحاول ان نسمع صوتنا بان من حق جميع الناس ان يكونوا قضاة ومن حقهم ان يحاكموا هذه الاعمال الاجرامية . ان عملنا لا معنى له الا اذا واصلته وتجاوبت معه الجماهير . اننا لا نريد ان نحدد عملنا في دائرتنا الضيقة ولكن يجب ان ينتشر هذا العمل وان تقوم الجماهير بمواصلته . ومع هذا فان هناك نقطة ثابتة جديرة بالذكر لا يعتقد ان مهمة المحكمة سهلة ولا يعتقد ايضا اننا نثير صعابا حتى امام اصدقائنا اننا في الوقت الحالي مثقفون مجردون من السلطة واننا قد اتخذنا هذه الخطوة بدافع من انفسنا .

والواقع اذا افترضنا ان عددا من الناس يجتمعون في قاعة ويقولون ان الامريكيين مجرمون ، اذا كان هؤلاء الناس يجدون تاييدا من الجميع ، هذا قد ينشىء صعوبة سياسية لانه ـ كما تعلمون ـ يمكن التعايش السلمي مع اناس قد يصبحون اعداء الغد ، ولكنهم في الوقت الحاضر لا يعادون بيد انه لا يمكن التعايش مع مجرمي حرب .

فاذا كان حقيقة ان الجماهير تتبنى حكما صدر ضد هؤلاء المجرمين، فهذه الجماهير انما تواصل بهذا الاسلوب سياسة التعايش. ان الراديكالية هي ان نقول انه لا يكفي ان نقاتل الاستعمار ولكن يجب ان نعرف اذا كانت حرب فيتنام جريمة ام لا . هذا ما نريد للجماهير ان تعرفه وهذا ما نريد ان نظهره هل هذه الحرب جريمة ام ليست جريمة ؟ هل هي نوع من الحروب المبيدة للجنس ام لا ؟ فاذا اردتم ان تتبنوا هذا الحكم استطعتم ان تحققوا فعلا وحقا ما نسميه التعايش .

والان دعوني اقدم القضية من زاوية اخرى فاتساءل : هل ينبغي لنا العدول عن هذه المحكمة ؟ كلا . لانه من ناحية قد خطينا تاييد العالم كله وتلقينا تشجيعات من جميع انحاء العالم . فنحن لم نسر في طريق قد يؤدي بنا الى رفض الوجود ولكننا على المستوى الذي نستطيع ان نقول فيه للناس الذين يكافحون ، اننا نبحث عن الوضع هل هو جريمة ام لا ؟

ان الصعوبة التي تواجه المثقف هنا هي في ان يكون راديكاليا اولا وان يتخذ موقفا في المشكلات السياسية .

وكما قلت لكم اننا قد وجدنا تاييدا ضخما من المثقفين ، ونستطيع ان نقول ـ نحن الذين نقف بدون سلطة ـ نستطيع ان نقول ان هذه الرابطة بيننا وبين الفيتناميين في المحكمة تسمح بان نسير في هذا الطريق رغم ما ينتج عنه من اجراءات قد نتخذها .

والواقع اني اريد ان اقول فقط انه من الممكن ان نطرح سؤالا يعتبر مطلقا : هل هناك جريمة ام لا توجد جريمة في فيتنام ؟

رغم كل الصعوبات التي ذكرتها فان الموقف محدد . اذا اصبح التعايش السلمي صعبا بسبب هذا ، فانه يدل على ان هذا التعايش السلمي قد ينفع الامريكان في بعض الاحيان اكثر مما ينفع السوفيات . ان جريمة الحرب اذا سمحت بجعل التعايش السلمي غير ممكن فلسنا نحن الذين سنفعل هذا . ان المطلوب منا هو المبادرة من بعض الاشخاص لانهم مثقفون ، لانهم يعرفون ما هي التناقضات التي تصطرع في العالم ثم هناك ايضا انتم ايها الشعوب ، وهناك الرابطة بيننا وبين الفيتناميين الذين يعتبرون ان الامر ضروري وهم يريدون شيئا واحدا وهو الاجابة على هذا السؤال وحده . ان هذه العناصر كلها تؤكد اننا لا نسير نحو راديكالية سخيفة .

ما هي انواع النشاطات التي يستطيع ان يمارسها المثقفون رغم تجردهم من السلطة . لقد اردت ان اقول لكم من قبل انهم ليسوا روادا فقط ولكنهم قوم يستطيعون ان يحققوا السلام بانفسهم . وهذا السلام لا يجدونه الا اذا سارعوا مشتركين مع الجميع في سبيل الاشتراكية والسلام في العالم . ليس لانهم مطالبون فقط بالقول ولكن يجب ان يفعلوا الى جانب الطبقات العاملة حتى يتم السلام . ففي ذلك يكمن الجواب .

ثماني قصائد من الشعر الزنجي

نقلها عن الفرنسية هنري فريد صعب

كلود روزمان
(مارتينيك)

معزول في الظهيرة

حين يسيح القمر على الجباه الذليلة،
حين يفسخ الليلَ عطشُ كلاب وردية،
مرة اخرى ينزف الدم في قلبي
وو — يو — يو — بي .
فالى اين ستحملني احلامي الزنجية
التي تخصي حتى الشمس .
من يستطيع ان يُسكتَ الملح الملح
وو — يو — يو — يي .
كل فجر تقودني قدماي
الى الافعى التي ترضعني
امرأة السيف الذي صار لي .
وبقوة الجراح
عرفت ان جوز الهند يولد
في الصمت المرعب لعظام الموتى ،
وان التماثيل بخجلها المجعد الصغير
في الظهيرة
تعيش في رضى ابدي .

مازوك

واستدار الصخر
مع البحر .
وبكى قلبي
قلبي الذي لا يعرف ان يحب .

***

في عيني حيث يرشح
الدخان والكحول ،
أبصرتُ غفوة السماء
وسقطة الشمس.
بينما الزبد كان يصفع الرمال ،
ويختبىء يختبىء
تحت الصخر .

***

محمَّص
مثل بشرة الفتيات ،
محمَّص
كالفستق والقهوة ،
محمَّص
ذلك الزفت الحار ،
وذلك القش لقبعة كبيرة ،
محمَّص
ذلك الرمل
الاسود
والابيض ،
في الشمس ،
في الريح .

***

وفوق الظلال حيث تتشاجر
حبات الزجاج ،
في الرمل الاسود ،
نبكي نفسي المهانة ،
على هوى الريح الشرسة ،
الريح الخبيرة بالرقص الذي
تحمل في شدقها ،
كي ترى دمي المكسو بالمشاعل .
كي تحرق الحيوانات في شعور
الجزيرة .
وتبا للغيوم السوداء في البعيد
التي تشبك ظلالها ،
وتصرخ الى الليل الآتي .
فالعصفور المسافر
يستشفها بوضوح ،
العصفور الذي كان يبحث
منذ زمن طويل ،
عن سرير جاف ،
حيث يسوق
« الروم » الاسود ،
(عبر الريح الشرسة ، الريح البعيدة)
عطية الابن ، اجرته الاولى ،
الابن الذي يتذكر
الحليب الاسود لتلك المزقة .
امرأة الظلال حيث تتشاجر
حبات الزجاج
لشهوانية الارض .
حبات الزجاج
قهقهات
الرمل الاسود .

— كلود روزمان —

رولان موريسو
(هايتي)

مفتاح الشمس

كذب ! كذب !
بلون الفجر وجدتُ الحجرَ
الطهور لم يمس .
الحجر الطهور الذي طعمه كالشعر
الحجر الطهور وماء المغارة .
وأقبلت العذارى بثياب العيد ،
وكان للرجال عيون ترى
وحولنا ، الافق ، لسان النار ،
كان يشعل المر الصافي
للاحلام المتخمة .
لسنا في مكان ما ، نحن اليوم .
دهشة الشمس صارت اسرع .
ايها الليل ، ايها المهابة الاولى !
الف مرة ، احتجت قلوبنا على
الديكور الاخير ،
والف مرة طوينا الطريق بالعكس .
وكانت ولادة أيدينا الغريبة ،
كي تضيء حركاتنا البشرية .

***

... والا ، فمن يخبرنا عن دم
القصيدة الاخضر ؟ اخرون
مضوا ولم يصغوا الى شيء .
من سيردد اغنية الطائر التي
تذخر طعم الثمار ؟
أشنة الريح ترقص في رؤوسنا .

هوذا ضجيج القطار في رحم الليل.
اي طائر يصرخ في عروقنا ؟ هل هو
الرسالة التي تذهب من القلب
الى القلب ؟
في وسط طريق الانتظار ...
كل الاصوات تتعالى وتتجسم .
كل الايدي تمتد في حركة
تتوسل .
الفجر ارجوان على جباهنا .
والنهار حزين ، حزين ،
في لوحة الغياب .

***

لطخة زيت على الصفحة البيضاء
مثل ملح الاوراق وماوية الشعور .
قطرة ماء في الرمال . الارض
لها مذاق اخر .
والليل اضاع حياءه ، يا الهة الذاكرة!
هي ذي اسطوانة الرعب تدور ،
تدور في اعماقنا بشدة
اسطوانة الرعب .
والشوارع العتيقة ترقد رقدة الموت.
والضجر يبسط حماقته على
سطوح المنازل .
ولكن الانتظار ليس باطلا .
انتم الذين عرفتم موعدي معالشمس
انتم احييكم :
وليكن لنا ، نحن ، الاخرون ،
الحق على اللغة .

***

في وسط طريق القصيدة ...
محطمة هي المرايا العتيقة التي
تعمي شهاداتنا .
لن نطيق بعد ، قناع الاحلام
اللابسة وجه ابليس ،
ولا نفثات المدفع ، والاجساد
المجهضة ،
ولا المصابيح المطفأة التي تلمع امامنا
كجسد امرأة .
نحن عرفنا باكرا كذب الملوك .
بلاهاتهم اغتصبت رؤانا .
لن نطيق بعد ، مزوري الذاكرة
الذين قدموا
لاثارة غنائم العار . ففي فناء الهيكل
الملتهب ، وجدنا الحجر الطهور ،
اغنية الطائر ، وانين القمر .
كانت العذارى هناك ،
فشربنا في ايديهن ماء المغارة .
وتذوقنا الفرح ،
نحن الذين لم ننس ابدا قوة الكلمة.
نحن الغيارى من مهابة الكلمة .
انتم ، يا من عرفتم بموعدي ،
سادعوكم الى الحب ...

***

... ونفتح الباب على
خرائب الزمان ،
والدهاليز المشدوهة للاجيال
الشرهة ،
والانساني الذي يتوسط القطبين
كنقش ناتىء
نحن فقأنا عين الليل ،
وطردنا اختناق المسافة .
الرياح المعاكسة استدارت .
نحن هنا ابدا ،
خرجنا من رحم الارض لتغذية
الارض .
نحن نسدل الستار ، لنستأنف
ادوارنا في وضح النهار .
هي ذي الورقة الفتية والزهرة
الطفلة . هي ذي اثداء الشمس .
هوذا
عضو القارة التناسلي .
الليل يتأخر ...
وطويلا سوف يتأخر الليل .
نحن نرجع من البعيد ،
محتفلين بنهار من الامال البارة .
حتى الزفت المسحوق تحت
خطواتنا يلهج بلغة الانسان .
وابتسمت لنا
الصحاري والغابات اللامجدية .
كنا نمشي ،
وقلب الجماد ينفت
في حرارة ايدينا ،
واصابع النبات تنحل
في قوة اجسادنا .

***

كذواتنا ، نحن نحبك .
حبنا الانساني ، نعني .
يا ابناء الارض والشمس ،
لقد فتحنا الباب على خرائب
الزمان ،
حيث الهياكل العظمية المخيفة
تثير الاغاني المهانة
في عروق الطريق .
نحن الان نشد الينا الفصول المعقدة.
ووحده الذي بيننا سيعرف
ولادة الفجر .

***

تعالوا انظروا ، تعالوا انظروا ،
يقول الشاعر .
ـ وتنفتح القصيدة على افريز
جميع الاشياء .

ـ رولان موريسو ـ

رينيه ديبيستر
(هايتي)

ديسالين

(زنجي من هايتي تسلم السلطة سنة ١٨٠٤ ، ونظم مذبحة ضد البيض ، ثم اغتاله منافسوه)

لي وحدي ان الفظ اسم ديسالين .
لي انا « ارزولي » الهة المياه العذبة.
لي انا ان ابعث هذا السيل من
اللهب الاسود .
فقديما ، في زمن اوراقي الخضراء ،
حمل ديسالين جسدي في مجراه .
وفي احدى العشايا ، في عشية
طريفة ،
كما كان دمي الانثوي ،
قذف ديسالين مياهه الراكضة
تحت شمسي الانثوية .
فلي وحدي الان ، انا « ارزولي »،
فينوس السوداء ،
جنية الحب والجمال ،
ان اطلق ديسالين في عروقكم .
لي انا ان اعرض جواهر
دمه الخفية ،
يوم اقبل وقد خاطت جسمه الجراح،
وادمى عينيه سيل مخنوق
من الدموع ،
برغم السوط والشتيمة .

كان مكتسيا بالاظفار .
وكالبحر حين يدحرج امواجه
في حضن العاصفة ،
جمحت عدالته نحو ايدينا المستعبدة،
وفجأة هدر صوته :
« ثوري ، ايتها الارض ، يا
احب الي من المي ،
يا احب الي من زبد فمي .. ثوري
وكوني نبعا فوارا يتهم ،
كوني حاصدة الرؤوس الغريبة ،
وكوني شعبا مسعورا ،
مدي حجابك الفوسفوري
نحو خشب بيوتهم ،
لن نلعق جراحنا بعد الان ،
لن نقلب الارض بركبنا .
هي ذي الساعة لنعلن موعدنا
الوحيد ،
موعد النار ،
وارادتنا الوحيدة : ارادة النار
في ليل
سواعدنا .

***

اقطعوا رؤوسهم ،
احرقوا بيوتهم ،
اجمعوا احقادهم في كومة واحدة ،
وعقائدهم في كومة واحدة ،-
واحضروا القطران ، وخشب
الصنوبر ،
وزيت المصابيح ،
ولتستيقظ كل مادة ملتهبة
لتقود خطانا .

ـ رينيه ديبيستر ـ

هنري كوربان
(غواديلوب)

فارس الريح

اين انت يا فارس الريح ؟
هوذا اله يتلفت على الرصيف
المهجور القبيح ،
والسكة المعتوهة تقلب الاراضي
الخصبة ،
اين انت يا فارس الريح ؟
هوذا مينوطور الدهاليز يحرم
السماء طعم الصيف ،
والغرب المشؤوم يكدس عظام
الموتى .
هيا ، اعتل حصانك . نجنا .
يا فارس الريح .
المدينة شعلة حمراء ، الكنوز رماد ،
ومملكة السيف تفرغ الرعب
في البحر ،
وتحت النير تجثو جزيرة قديسة .

سارق الغيوم

يا سارق الغيوم ، والنجوم ،
والفجر الصريح ،
حين تفاق الجبهة المتوجة بالسماء.
ايها السارق الضائع في دم القمح .
ايها السارق ذو الفم الشره
والاشارات المبهمة .
يا سارق النار ، وقبلات
الحب المتفتحة في الضوء .
يا سارق قوانا ، وافراحنا ،
واتعابنا .
يا من يغتصب حياتنا البحرية
البسيطة السماوية .
يا سارقا يخذلنا حتى في
شق موجة .
ويترك ايدينا في الصخور .
يا من يفترع النهار خلف مراوح
الضباب .
يا قاطعا رؤوسنا في
مستنقعات الغرب .
يا ذا العين القانعة التي تجر
عالم الانقاض .
ايها السارق المثلث الالوان ، انا
اعرفك جيدا .
الشمس تصطدم بوجهك المشوه ،
والصقور تحمل في مناقيرها
حروف اسمك الاولى .
انا اعرف تاريخك المظلم جيلا
بعد جيل .

ـ هنري كوربان ـ

هولوغودو
(داهومي)

حرية

كانت هياكل السفن
البيضاء ،
تبحث يائسة
عن الجزيرة المرئية وضبابها الذهبي،
الجزيرة ابنة الثورة .
وارسينا ، في عشية ، من امرئ
المغامرات المأساوية .
كانت تتقاذف بنا
امواج تعاسة واحدة .
لم ينقل الانشقاق الينا
رمال يقينه .
واستمر الفيضان في الخليج
السعيد ،
يوم قمنا بجنائز طويلة ،
للاشياء
التي كان يجب دفنها ...

تسبيح

قرب
الاسوار
التي تأوي الارواح الالفية ،
أغني
انتقال العذارى والشهداء ،
وجنون الماوية
تحت اعتاب ربيعنا ،
والشتاء الذي لا ظل له ولا ارتحال،
وحرائق القوة المتوهجة كالمصاهر .
ايتها الذكريات السابقة للطوفان
ايتها الحبة الصغيرة
المقدسة ثلاث مرات ،
ليقبل الانهيار الخلاق على
طول البحار الاطلنطيكية ،
ولتقبل
في قلب الصيف ،
الخطوة المزلزلة ...

ـ هولوغودو ـ

ترجمة : هنري فريد صعب

قرأت العدد الماضي من «الآداب»

الأبحاث

بقلم الدكتور عبد القادر القط

***

عرف ادونيس بين شعرائنا المجددين بأسلوب خاص يتسم بالميل الى ما يمكن ان يسمى بالرمزية احيانا او بالميتافيزيقية احيانا اخرى، معتمدا في ذلك على تخليص الالفاظ من كثير من مدلولاتها العادية واقامة علاقات جديدة بين الالفاظ قد لا تخضع لعرف الناس او منطق اللغة. ويبدو انه حين كتب مقالته عن السياب لم يستطع أن يتحرر من سيطرة اسلوبه في الشعر، فجاءت المقالة - على بساطة فكرتها - مثقلة بجو فلسفي لا تستدعيه هذه الفكرة البسيطة، مليئة بعبارات قد يتعذر فهمها الا عن طريق الحدس.

هذه الفكرة البسيطة التي تكاد تكون من مسلمات الادب والفن مع شيء من التحرز هي ان الشاعر الرائد - شأنه في ذلك شأن كل رائد - يتجاوز زمن الجماعة التي يعيش فيها ليستشرف آفاقا من المستقبل لم تحس بها هذه الجماعة بعد، لارتباطها بقوانين حياتها اليومية وعاداتها المألوفة التي تفرضها طبيعة الحياة الجماعية. وهو لذلك يشعر بالغربة النفسية، ولكن هذه الغربة لا تقهر قدرته على الابداع واحساسه بأنه يسعى لينتزع جماعته من عالمها الثابت الى عالم حي افضل. ومع ذلك فان قارىء المقالة يجد نفسه مواجها بأسلوب معقد بلا مبرر، وهو اسلوب يوشك ان يصبح «بدعة» في ابحاثنا، وكأنما أصبح الوضوح دائما قرين السطحية والتفاهة. ولنقرأ مثلا قول أدونيس في قصيدة «النهر والموت» يصور الموت حنينه الى الموت، الى ان يكون فعلا يرتبط بالارض كالنهر. كأنه يحن الى توكيد الحقيقة التي لم يستطع ان يؤكدها في ايامه بين الناس. فالموت من أجل الحقيقة أعمق ما يضيئها: يتلاقى الذاتي والموضوعي. يتوجد ما كان تصورا ويتجسد ما كان ممكنا. بل يصير الانسان كالنهر، كالماء حيا يولد من ذاته، يدخل في تكوين العالم، في نسيجه الكوني. الحياة الميتة تنقلب الى موت حي. لا يعود هناك غير الماء، غير الولادة المستمرة. الموت في النهر حياة تتجاوز الموت، تخلص، تبدىء وتعيد. والموت في النهر سفر مزدوج: في الذات وخارج الذات. في الكون. والموت في النهر نرجسية كونية تتحد بالماء الكونية. والماء امومة. فالموت في الماء عودة الى الامومة».

وقد يكون هذا الاسلوب الميتافيزيقي الغامض مقبولا لو ان الكاتب كان قد اورد نماذج من القصيدة التي يشير اليها تكون مفاتيح لما يرمي اليه والحق ان تناول الشعر بهذه الصورة العقلية دون عناية باختيار النماذج والامثلة يحيل الشعر الى مجرد ظواهر نفسية او فكرية ويغض من قدر الجانب الفني فيه الى حد بعيد. فليس من المعقول - مهما يكن قصد الكاتب من مقالته عقليا او فلسفيا - الا نصادف في هذه المقالة الطويلة بعضا من شعر السياب موضوعا في سياقه التاريخي ليبين تطور الشاعر في موقفه من الجماعة وما طرأ على زمنه النفسي من تحول في حياته الفنية، حتى لا تكون المقالة تعميما ينطبق على كل شاعر.

وليس من الممكن ان يكون السياب قد بدأ منذ مطلع حياته الفنية متمردا على حاضر الجماعة، منصرفا الى زمنه الداخلي. وقد فطن أدونيس الى هذا فقال «غير ان تجربة الشكل عند السياب لم تبلغ استقلالها الكامل. كانت طاقة مشدودة الى الوراء فيما هي تتطلع الى الامام. ومن هنا ظلت العادة مستترة في كثيرة من قصائده ... وهذا لا يعني أن شعر السياب ليس جديدا. انه طليعة الجدة في شعرنا ..»

وما دام الكاتب يعد السياب شاعرا طليعيا مجددا مشدودا الى الماضي منجذبا الى المستقبل، فقد كان ينبغي أن يدرس - من الناحية النفسية على الاقل اذا لم تكن تعنيه الجوانب الفنية - تطور الشاعر في مراحله النفسية والفكرية المتصلة بقضية التجديد وموقف الفرد من الجماعة. ولكنه اكتفى من كل هذا بأن قسم حياته الى مرحلتين اثنتين: اولاهما حين كان يمارس حياته وفنه قبل المرض، والثانية حين كان طريح الفراش يحس بأنفاس الموت الباردة تطفىء حرارة الحياة في دمه كل يوم. وطبيعي ان يكون لشعر الشاعر وموقفه في هذه المرحلة الثانية سمات خاصة، لا تنبع من تطور فكري او نفسي بقدر ما تنبع من الاحساس الطبيعي عند كل انسان بالعجز والقهر امام هذا المصير المحتوم. اما مجال الدراسة الحقيقية فكان ينبغي ان يتركز حول المراحل الاولى بكل ما فيها من نمو فني ونفسي قبل ان يصل الكاتب الى دراسة المرحلة الاخيرة.

واعود الى مناقشة رأي الكاتب في علاقة الشاعر بالجماعة حيث يقول: «التصاق الشاعر بالجماعة يؤدي الى ظاهرتين مترابطتين: تساهل الشاعر في اظهار خصوصيته، وتقعيد الشعر. الانسان في الجماعة يكبت ما يفرده، ويظهر ما يجمعه. الوعي ضمن الجماعة افكار ثابتة واضحة، قواعد، عادات. وهذا يستلزم الثبات في اشكال التعبير عن هذا الوعي ... زمن الجماعة خارجي تاريخي، زمن الشاعر داخلي وخارجي، روحي وتاريخي في آن.»

ومع تسليمنا بالصراع بين فردية الانسان وجماعيته، فان هذا الحكم المطلق الذي يقرره الكاتب لا يصح عادة الا حين يظهر الشاعر الرائد فلتة في مجتمع راكد قد استسلم الى المستقبل. هنا يحس الشاعر بهذه «الغربة التامة» كما يقول أدونيس ويدرك ان التصاقه بالجماعة - في حاضرها - يجني على خصوصيته ويفرض على شعره قوالب جامدة، ويحس أن هناك فرقا جوهريا بين زمنه الداخلي والخارجي معا وبين زمن الجماعة الذي يضم الخارج وحده.

اما حين تكون الجماعة في مرحلة من التطور الحاسم الواعي فلا يمكن ان يكون هناك هذا الانفصام الابدي الجوهري بين الفرد والجماعة، ولا يمكن ان يكون زمن الجماعة نفسها منحصرا في وجودها الخارجي، وهي تكافح عن وعي من اجل مصيرها وتخطط له. في تلك اللحظات من النمو الواعي لا يصبح دور الرائد القاء الاضواء على مستقبل لم يزل في ظلمات الغيب البعيد، بل التفاعل مع وعي اللحظة الحاضرة وجيشانها والتعبير عما قد يكون ما زال مستترا في ضمير الجماعة من هذه المعاني وان احست به احساسا مبهما. وهو في قيامه بهذه الرسالة الجليلة قد يحس شيئا من الغربة، ولكنها ليست «غربة تامة» كما يقول أدونيس، فكل رائد في مثل تلك اللحظات التاريخية يدرك انه يعبر عن جنين يتحرك في احشاء اللحظة الحاضرة - ان صح هذا التعبير، ويشعر انه ليس وحده في المعركة وان بجانبه اخرين ينتصرون لموقفه، وان لم يحسنوا التعبير عنه كما يحسنه فنان عظيم رائد. وكثيرا ما تحققت احلام رواد عظام اثناء حياتهم فزالت هذه الوحشة المؤقتة بينهم وبين الجماعة وعرف لهم المجتمع فضلهم. وقد كان المجتمع العربي - زمان السياب وقبل السياب بسنين طويلة - في مرحلة من التطور

الحاسم لا يمكن ان تقوم فيه هذه الغربة القائلة بين الجماعة والشاعر ـ الا اذا كانت لاسباب نفسية تخص شاعراً بعينه ـ وكان الشعر العربي نفسه قد بدأ تطورا جديدا بعد ركوده الطويل فتغير كثير من اساليبه وطبيعة تجاربه وطريقة استخدامه للالفاظ . ولكن أدونيس لم يتجاهل وعي اللحظة الحاضرة فحسب ، بل انكر كل تطور سبق السياب منذ ان بدأ المجتمع العربي يأخذ بأساليب الحضارة الحديثة . لذلك نراه يعد تجديد السياب تجديدا مفاجئا ((الكلمة فيه هي غيرها في معجم العادة ، تغيرت وتغيرت علاقتها بما قبلها وما بعدها . وتغيرت دلالتها ، وتغير الاطار والتركيب اللذان تندرج فيهما . كأنما صارت اللغة العربية لغة جديدة)) .

وبمناسبة الحديث عن ((لغة عربية جديدة)) احب ان ابدي ملاحظة اخيرة على اسلوب الكاتب ، الى جانب غموضه وتعقد عبارته دون مبرر . فهو يؤثر دائما القطع والفصل بين الجمل وحتى بين مقاطع الجمل الواحدة وكلماتها ، على طريقة اللغات الاوروبية . ولا شك ان القطع يكون احيانا اداة للبلاغة ، ولكن لكل لغة روحها . واللغة العربية ليست مطالبة بأن تتبنى كل سمات اللغات الاوروبية ، وحسبنا ما دخل اليها اخيرا من اسراف في ياءات النسبة ونحت لافعال جديدة واستخدام لمصطلحات اوروبية تبدو عليها مسحة الترجمة المباشرة . وفي رأيي ان هذا الاسلوب قد يغري الكاتب احيانا ان يستغني بما فيه من طرافة وشبهة بالفلسفة عما ينبغي له من احاطة جادة بموضوع بحثه . والحق ان احساسي بمقال ادونيس يمكن ان يلخصه بوجه عام قول لهمنغواي جاء في مقال بنفس العدد من الاداب : ((الكتابة بلغة واضحة عمل صعب ... ان كثيرا من المؤلفين يهتمون بأسلوب كتابتهم اكثر من اهتمامهم بالشخصيات التي يكتبون عنها)) .

نصائح الى الشباب

ملاحظات عن الحياة والادب كتبها ارنست همنغواي وترجمها الاستاذ ماهر البطوطي . وهي ملاحظات متقطعة السياق حتى عندما يتحدث الكاتب عن موضوع واحد بعينه ، وكثيراً ما ينتقل الكاتب من جزئية الى أخرى لا علاقة لها بالسابقة انتقالا مفاجئا كقوله مثلا ((وكتابة المسرحية أسهل من كتابة الرواية ، فهي بذلك أسهل الوسائل الادبية !.)) ثم ينتقل فجأة الى الحديث عن الشعر بعد العبارة السابقة فيقول ((لقد كتب على الشعراء الجدد ان يتجولوا في محيط قاحل وسط الملايين الذين لا يعنون بالشعر الجيد)) . وفي العبارة التي تتلو هذا الكلام نفس التفكك فهو يقول ((وكم اود لو استطيع ان اخرس القوم الماديين الذين يحاجون بأنه ليس للكاتب من رسالة بين بني الانسان . وافضل الكتب ما كان منها بسيطا مباشرا غير فكري)) فالجملة الاخيرة لا علاقة لها على الاطلاق ببقية العبارة . ويبدو ان هذا المقال الذي نشر بعد موت كاتبه كان مجرد خواطر مبعثرة ادلى بها الكاتب الى احد الصحفيين فجاءت متسمة بطابع الحديث المرسل على السجية دون قصد الى استغراق كل فكرة او التسلسل منها الى فكرة اخرى .

ومع ان المقال مليء بالنظرات الصائبة في النفس الانسانية والحياة والادب ، يعكس شعور قلب طيب محب للخير ولكل ما هو نبيل في الحياة ، فان معظم هذه النظرات تكاد تكون من المسلمات الشائعة كقوله مثلا ((الحب هو اعظم تجربة في حياة الناس والقلب هو اكثر نواحي الطبيعة البشرية نبلا والعواطف هي اسمى عناصر الطبيعة الانسانية . ولقد كنت استمع ذات مرة الى البعض يثنون على جمال سيدة شابة فسألت : فأي نوع من الجمال تعنون ؟ أهو مجرد جمال الجسد ام جمال العقل أيضا ؟ فالكثير من الفتيات مثل الزهرة التي يعجبون بها لمنظرها الجميل ويحتقرونها لرائحتها الكريهة)) .

وقوله بعد ذلك ((والانسان الحكيم لا يتزوج من اجل الجمال وحده ، فقد يكون للجمال جاذبية قوية في البداية ، ثم يثبت بعد ذلك عدم اهميته النسبية . فكما يحيل النفوذ المنظر الطبيعي الجميل الى شيء ممل ، كذلك يتحول الوجه الجميل ، الا اذا كانت هناك طبيعة جميلة تشرق من خلاله)) .

والحق ان هذه النظرات الفياضة بالطيبة والمحبة لا ترتفع في شمولها وكليتها والتعبير عنها الى المستوى الذي يتوقعه القارىء من كاتب عظيم مثل همنغواي . ولعل ما اشار اليه الاستاذ البطوطي من ان همنغواي قد كتب هذا المقال قبل انتحاره عام ١٩٦١ يبرر ما فيه من ضعف وتفكك .

اما الترجمة فانها على مستوى جيد لولا هنات صغيرة مثل قوله ((والناقد المزمن ! ان هو الا محكمة نصبت نفسها بنفسها)) . وقوله : ((وافضل استثمار لرجل في مقتبل حياته هو الكتب الجيدة)) وهي ترجمة حرفية للعبارة الانجليزية The best investment وقد استخدم الاستاذ البطوطي ـ فيما يبدو لي ـ كلمة التعليم مقابل الكلمة الانجليزية learning لا education فهو يقول مثلا : ((والانسان قادر على انواع مختلفة من التعليم)) واظن صحتها ((التعلم)). كما يسرف في التزام ترجمة good بكلمة جيد على حين يقتضي السياق احيانا بعض التصرف في ترجمتها .

ذكريات وحديث مع نجيب محفوظ

اعتذرت السيدة عايدة الشريف في اخر مقالها لان حديثها لم يجيء على المستوى الذي كانت ترجو فقالت : ((جاء هذا الحديث من غير ان اشعر حديثا صحفيا . والحقيقة اني كنت اريد ان انطلق منه لقضايا فكرية وادبية . ولكن انشغال نجيب محفوظ الشديد ، ومقاطعة الزملاء لنا ليوقع نجيب على اوراقهم ، كل ذلك جعلني أشعر بضيق وقته ، فحملت اوراقي وشكرته)) .

واذا كانت الحاسة الصحفية قد خانت السيدة عايدة في اختيار اللحظة المناسبة للحديث ـ حيث لا يكون هناك انشغال ولا مقاطعة ـ فانها لم تخنها في اجراء الحديث نفسه بما فيه من طلاوة ومن روح دعابة جميلة تعوض القارىء عن كثير مما افتقده من معالجة قضايا الفكر والادب على نحو اشمل واعمق . والحديث مع ذلك يتضمن حقائق طريفة جديدة عن حياة نجيب محفوظ وانعكاسها على اعماله الادبية ، اتيح للكاتبة ان تقف عليها بحكم صلتها القديمة بنجيب محفوظ وعملها معه مدة غير قصيرة في مؤسسة السينما . ومن ابرع ما التفتت اليه الكاتبة في الربط بين عادات نجيب محفوظ في وظيفته وبين آدبه تعليلها وعوفه في رواياته الى جانب ((البطل الدؤوب الذي يسعى سعي النملة)) . فهو ينتصر دائما لنماذجه العاملة ويمجدها . وقد ضربت الكاتبة لذلك امثلة واعية صحيحة من ((خان الخليلي)) و ((القاهرة الجديدة)) و ((بداية ونهاية)) . والكاتبة تعلل هذا الاتجاه عند نجيب محفوظ فتقول ((اما معرفتي به كموظفة فكانت شيئا اخر: ((لقد شاهدت بعيني كيف يكون الفنان منظما ودقيقا في عمله . ان نجيب محفوظ هو الصخرة التي حطمت ما يوصف به الفنان عادة بالاهمال والتحرر من القيود)) .

وقد رسمت السيدة عايدة صورة شائقة لاول معرفتها بنجيب محفوظ من خلال كتبه : ((ووجدت نفسي في هذه الفترة الوجيزة استعرض تاريخ معرفتي بهذا العملاق . ورجعت الى خمس عشرة سنة مضت ، بدأت بقراءة قصته زقاق المدق التي صحت بعدها (وكنت صغيرة) انا اكتشفت اعظم كاتب في العالم واسمه نجيب محفوظ !) . ولست ادري اذا كانت حاسة المرأة وذكاؤها وراء هذه الذكريات التي قدمت الينا ((الصغيرة)) عايدة طفلة جامحة الخيال في الوقت الذي كنا فيه نحن رجالا كبارا نلتقي مع نجيب محفوظ كل يوم جمعة ! على ان في العدد الماضي من الاداب شهادة لا تقبل النقض على نشاط الكاتبة وحيويتها . فقد كتبت الى جانب هذا المقال عرضا شاملا لاحداث

المؤتمر الذي عقده الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة لمناقشة شؤون الكتاب العربي ، كما قدمت عرضا طيبا لاهم الاحداث الثقافية في القاهرة فتحدثت عن كتاب الدكتور لويس عوض الاخير ((المحاورات الجديدة)) وعن زيارة سارتر للقاهرة وعن كلمة الجمعية الادبية للشاعر صلاح عبد الصبور لفوزه بجائزة الدولة عن مسرحيته الشعرية ((مأساة الحلاج)) .

على انها في حديثها عن مؤتمر الكتاب العربي قد اساءت - بدافع من حماستها للاصلاح - الى بعض من ادلوا بآرائهم في هذا المؤتمر وهم لا يبغون الا الحقيقة والوصول الى ما فيه خير الثقافة العربية . كقولها مثلا : وقد كان الهلع يجتاح بعض الافراد الذين يخافون ان يتهموا بالرجعية فدافعوا عن انفسهم دون ان يوجه احد لهم ادنى اتهام .. ولما خافوا ان يكونوا بهذا الدفاع قد لفتوا الانظار راحوا يبحثون عن قناع مشروع يخفون به وجوههم فوجدوا ضالتهم المنشودة في كلمة الدكتور عبد القادر القط عن التراث ، فأخذوا يوردون كلامه ثم ينقدونه)) .

وفي رأيي ان وزير الثقافة حين عقد هذا المؤتمر قد افترض مقدما ان هناك اراء مختلفة في قضايا الكتاب العربي ، وان هذا المؤتمر سيكون مجالا لالتقاء هذه الاراء لنخلص منها الى اسلم وضع يخدم الثقافة العربية . ولا ينبغي ان يسيء بعضنا في وقت تحتاج الامة العربية فيه الى وحدة صفوفها وبخاصة من المثقفين .

ومن الاراء الطيبة التي وردت في حديث الكاتبة عن كتاب الدكتور لويس عوض قولها ((ونحن اذ نأخذ على بعض النقاد هذه الهنات لا يسعنا الا الوقوف بجانبهم ، لانحراف تصوير الدكتور لويس لوضعنا الحالي . فلا نظن منصفا يصدق ان كل ما غيرته وما انجزته مصر على ارضها سياسيا واجتماعيا قد تم بدون حركة اصيلة وعريقة على الجبهة الفكرية منذ اكثر من قرن ونصف . ولا نظن انها قد انتهت الى هذا السيرك الذي يعرض علينا العابه بالفهلوة والنصب . انه بتصويره لكل هذه المواقف يكون قد سلك سلوك من ينقدهم)) .

فالحق ان هذا الكتاب قد قدم صورة غريبة لحياتنا الثقافية ليس فيها جانب واحد مشرق الا اراء ((المعلم العاشر)) الذي هو المؤلف نفسه ! ثم لجأ الى الاستتار وراء الاقنعة في وقت نحن في اشد الحاجة الى الحوار الفكري الصريح والمتابعة الدائمة الواعية لانتاجنا الادبي والثقافي . واذا كان الدكتور لويس قد رأى كل هذا الفساد في حياتنا الثقافية فلماذا لم يكشفه في اسلوب صريح وتحت يده صفحة ادبية اسبوعية في اكبر جريدة في الجمهورية العربية ؟ ولماذا تخلو هذا الصفحة دائما من أي حوار ثقافي حي وتقتصر على نشر المقالات لمحرريها الدائمين ؟

فضائح في ديوان ناجي

عرض الاستاذ نور الدين صمود في هذا المقال لقضية ادبية قديمة هي الخطأ الذي وقع فيه ناشرو ديوان الدكتور ابراهيم ناجي حين ادخلوا فيه بضع عشرة قصيدة للشاعر المصري الدكتور كمال نشأت . والجديد في المقال انه تحدث عن ((فضيحة اكبر)) هي نسبة بعض شعر لعلي محمود طه في قصته الشعرية ((أرواح واشباح)) الى ناجي اعتمادا على وجود هذا الشعر منسوبا اليه فيعدد من مجلة العمارة عام ١٩٤١ .

والحق ان هذا الجانب الجديد من القضية لم يسبق الى كشفه الاستاذ نور الدين صمود . فمنذ اربعة اشهر كتب الاستاذ حسن عبد الرسول في جريدة الاخبار مقالا نبه فيه الى هذه الحقيقة ، ثم رد عليه الاستاذ صالح جودت في مجلة المصور يسخر منه ويصر على نسبة القصيدة الى ناجي . وعاد الاستاذ عبد الرسول فنشر مقالا اخر نقل فيه بالزنكوغراف صورة لغلاف مجلة العمارة وعليه عنوان القصيدة منسوبا الى علي محمود طه (المهندس) . فليس صحيحا اذن ما يقوله الاستاذ صمود من ان ((جريدة الاخبار او غيرها من الجرائد والمجلات في مصر لم تتنبه الى وجود قصيدتين في هذا الديوان للشاعر علي محمود طه)) .

على اننا نشكر للاستاذ صمود غيرته على الحقيقة واثارته من جديد لهذه القضية الهامة التي يجب ان تدفعنا الى اعادة النظر في طريقة نشر تراثنا من القديم والحديث .

غادة السمان في ليل الغرباء

كشف الاستاذ عدنان بن ذريل عن سمات فنية هامة لأسلوب الكاتبة ورؤيتها ، فتحدث عما في اسلوبها من شاعرية وعما في رؤيتها من تأثر باللامعقول واورد نماذج طيبة لهذه الشاعرية وهذا التأثر . وقد حاولت عبثا ان احصل في القاهرة على نسخة من الكتاب سواء عند بائعي الكتب او عند الاصدقاء ثم علمت ان لدى الاستاذ محمود العالم نسخة منه رجوته ان يعيرني اياها فرحب بذلك ثم لم يستطع ان يهتدي الى مكانها الذي وضعها فيه بين مجلداته العديدة !

على ان لي ملاحظتين عامتين على المقال قد استطيع الحديث عنهما دون قراءة الكتاب . اولاهما مجاراة الكاتب للمؤلفة في أسلوبها الشعري مما قد يفسد أحيانا ما ينبغي للنقد من موضوعية كقوله مثلا : ((فالاسلوب صقيل كالمرمر ، مجلو كالماس ، مدروس كترجيع أنشودة وهذه الخصائص الاسلوبية هي التي تظل تكسب قصص غادة ومضامين قصصها قوتها ورونقها وسحرها)) . ولست ادعو الى ان يضن الناقد على العمل الفني الذي يتناوله بما يستحق من ثناء ، ولكني أؤثر ان يقتصد في التعبير عنه ، فلا شك ان في قوله ((صقيل كالمرمر مجلو كالماس)) جريا وراء شاعرية الاسلوب اكثر مما فيه من قصد الى التعبير عن الحقيقة . ولا شك أيرضها ان ((القوة والرونق والسحر)) ثلاثة الفاظ قد يغني احدها عن الاخر . ومن ذلك قوله ايضا ((لقد صار العطاء القصصي الشعري عندها الى عطاء ايحائي ، مستكشف . صار الى تداعيات بالاحرى لا شعورية ولا واعية ، صار الى عبث العاطفة المكبوتة ، ونزق التمرد المبحوح .. صار العطاء الى رؤي شعرية وقطاعات من الوجود الانساني الحي المندلع المنساب)) .

واما الملاحظة الثانية فهي تركيز الناقد على ما يعده ظاهرة جديدة في كتابات غادة السمان من اعتماد على تداعي الالفاظ والمعاني وتأثر باللامعقول . وقد احسن الناقد كل الاحسان في عرض لهذا الاتجاه واتجاه النماذج الصالحة فيه . ولكني احسست انه - لفرط اهتمامه بهذه الظاهرة - قد اغفل كثيرا من الجوانب الفنية التي ينتظر القارىء عادة من الناقد ان يعرض لها في حديثه عن عمل قصصي . فهناك طبيعة التجربة ورسم الشخصيات وبناء القصة وغير ذلك مما قد يدخل حقا في عرض الكاتب لاسلوب المؤلفة ، ولكنه يستحق مزيدا من العناية المفردة حتى تحيط المقالة النقدية بأغلب جوانب العمل الفني .

مأساة الحلاج

قدم الاستاذ محمد الحسناوي في هذا المقال تحليلا موفقا لمسرحية صلاح عبد الصبور الشعرية والتفت الى جانب هام يغفله كثير من النقاد عند تقييمهم للمسرحية الشعرية ، هو الشعر نفسه . فمهما تكن اهمية العنصر الدرامي فان الشعر قيمة اساسية من قيم المسرحية الشعرية تفرض عليها معالجة خاصة للموضوع وبناء خاصا للشخصيات واختيارا دقيقا للوقائع التي لا تثقل الشعر بالتعبير عن كثير من الحركة المادية على المسرح . ومع ذلك فان الاستاذ الحسناوي قد بين أن المسرحية تتضمن كثيرا من الشخصيات المختلفة النزعات بعكس ما قد يقال عن هذه المسرحية من انها تدور اساسا حول الحلاج وحده . فالحلاج فيها محور لفكرة يتعاون في ابرازها الحلاج نفسه - في المحل الاول بالطبع - مع شخصيات من انماط مختلفة تتطور مواكبة لنمو الفكرة في المسرحية .

القاهرة — **عبد القادر القط**

القصص

بقلم يوسف جوهر

• • •

مسألة اقتناع ـ لسميرة عزام :

نجحت الكاتبة في ان توصل لي ، بقدرة ملحوظة على التصوير ، ازمة حارس انفق شبابه في حراسة ثلاثة بيوت ، ثم جاء نور الكهرباء الى الشارع وبدأ اصحاب البيوت يفكرون في الاستغناء عن خدماته .. ولكي يقنعهم ان النور وحده لا يستطيع ان يحميهم من اللصوص دبر بليل سرقة محكمة من احد المنازل التي يتولى حراستها ، لكي يقتنع الجميع ان وجوده ضرورة من ضرورات الامن .

والكاتبة حاذقة في تعبئة الجو المشحون بالتوتر ، وتضع امامك الحارس السارق بعد ان ارتكب فعلته ، بحيث تحس انك تشاركه احساسه بالخطر وتوقعه افتضاح امره .. هذا التوقع الذي يعذبه ، ويعذبك معه ، ويثير فضولك .

واسلوب سميرة عزام قادر على التشويق ، ولكنه تشويق عجول يدفعها الى جمل محملة بالاستطراد ومحشوة بالشرح .. وهي لا تثق بقدرة القارىء على الاستنتاج وتتناول بالتعليق والايضاح الموقف الذي يستطيع ان يوضح نفسه بغير تدخلها .

وقد حاولت ان افهم ان الكاتبة البارعة لها رؤيا اخرى وراء الصورة المباشرة .. لعل الشارع الجديد الذي بدأ الاسفلت يكسوه وبدأت المصابيح تضيئه بقوة يرمز الى شيء .. ولعل الحارس القديم الذي يقصيه النور عن مكانه يرمز هو الاخر الى امر .. ولكن القياس قعد بي عن الوصول الى تطبيق سليم .. وفضلت البساطة الاخاذة التي تحكي بها الكاتبة حكايتها .

ولكن هناك خصومة يسيرة في ختام القصة بين البساطة وبين المنطق .. فالحارس الذي تعلم من مسلسلات التلفزيون اساليب الجريمة المحكمة والذي بلغت به الحيطة ان يزيف مفاتيح الابواب ويلبس في يديه القفاز هربا ببصمات يديه من العيون الفاحصة ، هذا اللص الحذر كيف فات ثقافته البوليسية ان السرقة التي تحدث وهو في نوبة الحراسة تدينه وتثبت عليه عدم الكفاءة وتدعو الى التخلص منه؟! .. لو ان السرقة تمت وهو غائب او بعد اقصائه عن عمله لاقنع ذلك اصحاب البيوت بانه لا امن بدونه .. اما ان يفعلها على هذا النحو وهو الحارس المسئول فكأنه يسعى الى حتفه بظلفه .

جنود في الظلام ـ لربيع مبارك :

صورة لحياة الجنود لا ينقصها الصدق.. تحسب من تنوع اسمائهم انهم يكونون فرقة اجنبية ، يجمعها شعار الاجر ، والخمر ، والنساء.. افراد مختلفون ولكن لهم سحنة واحدة .. كأنهم نسخ مكررة من كتاب.. كل الوجوه عليها مسحة من بلاهة بعد ان نقعت في الشراب .. وكل الكلمات تصدر من الشفاه بليدة ومعادة .. وكل العيون حمراء من الشهوة .. كلهم يجرون وفي جريهم لا يدرون هل يهربون من المصير المحتوم ام يقتربون منه .

لا توجد في القصة كلمة واحدة عن الحرب .. ولكنك وانت تتأمل هؤلاء الجنود تتذكر الحرب وانت ترى وقودها .. وتحس ان الحرب حانة وان الشعوب تدخلها لتعربد فيها بلا عقل وبنفس الحماقة التي تصدمك من هؤلاء الجنود السكارى .

ووصول هذا الشعور اليك هو فضيلة هذه القصة .

وتنتقل من هذا الشعور الى جندي يضل طريقه الى البيت الذي تنتظره فيه امرأة ليلته .. حانق لانه فقد الانتصار الذي سيباهي به زملاءه في الصباح ، وفقد المتعة .. ولكن امرأة عند باب بيتها تجذبه الى الداخل لتعوضه ما فاته .. ويحلو له الشراب والسمر .. الاصوب ان ينام هنا ويتخلف عن فرقته .. سحقا للنظام .

ولكن الباب يقرع في اللحظة الحاسمة .. قائده هو الطارق .. وهو يأمره باسم النظام ان يسلم نفسه تمهيدا لتوقيع العقاب .. ان يلبس حذاءه في الوقت الذي يحل فيه القائد الموقر حذاءه ليدخل في الفراش الذي كان يستعد منذ لحظة لاستقباله .

ختام منتظر للقصة عيبه الوحيد انك تتوقعه قبل حدوثه ، ولكنك لا تتوقعه في ملل ، بل وتستطيع ان تجد على شفتيك ابتسامة تنسيك ان الاسلوب عادي وان الكلمات لا تحفل بالاناقة .

الانسان والزمن ـ لعلي بدور :

قد تميل الى ان تسمي ((الانسان والزمن)) قصة .. وقد تكون على صواب اذا نسبتها الى نوع من الشعر القلق .. وقد يستهويك في هذا الشعر النفس الموسيقي وحسب .. ولكنك على اي حال ستمضي في القراءة حتى النهاية دون ملل .. وستقف عند عبارات جميلة .. وستزعجك ايضا جمل ركيكة وكلمات مكررة تكرارا ينأى بها عن الجمال الفني .

ولكنك ستجد دائما شيئا ما يعصر قلبك ، وستعايش في اكثر من لحظة ركاب السيارة العامة وتنسى نفسك ، وتخال انك واحد منهم وانك مضغوط في الزحام ، وان صاحب السيارة يستغلك ويذكرك وجهه بوجوه المستغلين الذين تدور في فلكهم .. الذين يبتزون عرقك ، او موهبتك ، او عاطفتك .. ويتداعى الى خاطرك اكثر من معنى .. انك واحد من مجموعة تسحقها قوة ، وتستطيع هي بدورها ان تسحق هذه القوة .. ناس تحجروا .. تحولوا الى تماثيل .. ولكن التماثيل تحلم وما يكاد الحلم يلفها في ردائه حتى تنصهر وتذوب وتود ان تصاغ من جديد وتسترد حياتها الضائعة .

واحساس الكاتب ((بالمجموع)) وبالحبل السحري الذي يربطهم جميعا احساس مرهف يستحق التحية .

يوسف جوهر



بقلم محمد ابراهيم ابو سنه

***

يضم العدد الماضي من الاداب عددا لا بأس به من النماذج الطيبة. ونلتقي مع عدد من اصدقائنا شعراء الشباب الذين يؤكدون كفاءتهم لحمل مسئولية التقدم بالتجربة الجديدة في الشعر العربي الحديث، والذين يطرحون كسلهم بعيدا من متابعي هذه الحركة سيدركون دون ريب الظواهر الجديدة التي تحمل التأكيد الحاسم على ان صرخات الياس والتشاؤم من بعض النقاد لم تكن اكثر من عجز عن التفاعل مع الطلائع الجديدة في حركة الشعر الجديد . وقد حكم النقاد بموقفهم من الشعر الجديد واتهامهم له بالجمود على انفسهم هم بالتخلف وتحجر اذواقهم. والظواهر التي تحملها قصائد العدد الماضي من الاداب لا تتسم كلها بالايجابية فهناك بعض الظواهر السلبية ايضا ولكن ذلك لا يؤخذ الا دليلا على ان كل مرحلة من مراحل التقدم تطرح مشاكلها في محاولة جادة لحلها . والظاهرة الاولى في هذه القصائد هي محاولة بعض الشعراء استحداث اشكال درامية وتفريغ اللحن الاساسي الى درجات منسجمة مع طبيعة التجربة . فهناك محاولة سعدي يوسف في حكاية في فصل واحد . ومحاولة ناجي علوش في قصيدة العاصفة المداهمة . وايا كانت درجة التوفيق في هاتين المحاولتين فهما تحملان بشيرا باخلاص الشعراء الشباب لاطار القصيدة الحديثة . والظاهرة الثانية هي الوصول بالتعبير الشعري عن القضايا القومية الى مرحلة المعالجة الفنية التي تحفل بالصورة واللفظ والايقاع وتامل الابعاد الحقيقية للموقف الانساني بدلا من التسطيح السياسي لمثل هذه القضايا ومن هنا يبدأ الفن عمله الحقيقي . والى جانب هاتين الظاهرتين تلوح ظاهرة سلبية ولكنها تأخذ في التناقص هي ظاهرة الاستطراد في القصيدة المحدودة الطاقة . مما يجعل النسيج مهلهلا قابلا للتمزق السريع . والان الى القصائد .

الصبار ــ فواز عيد :

تتفتح الصور الشعرية على مدار هذه القصيدة ذات الحركات الاربع متحالفة مع ايقاع متنوع لتعطي هذا الحس الذي يعذب الشاعر بالضياع وعبث الحركة الدائرة حول الهدف . ويتخذ الصبار رمزا عقيما لمأساة قائمة تقتات من دماء رفاقه . والحركة الثابتة كانت جديرة بأن تكون افتتاحية القصيدة لا سيما وانها تصور مشهد مفاجأة الفاتحين فلم يشعر الا بالخيول تموج في الممرات . ولو جاء المقطع الاول بعد الثاني لكان النمو في القصيدة طبيعيا صاعدا . وقد لا يحب القارىء قوله :

فاشرق الف جرح .. كنت ملقى للسيوف تنوشني

قد لا يحب القارىء كلمة « اشرق » هنا بالذات . لان الجراح التي تشرق اذا تقبلنا هذا المعنى هي جراح الشهيد الذي خرج للدفاع بحماسته الذاتية ولكن الجرح هنا جرح المداهمة الغادرة من الفاتحين فهو جرح العدوان لا جرح الشرف . ولكن القصيدة تنجح في اختيار رمز الصبار لهذا الجمود الذي تفصح عنه القصيدة وينجح اللحن المليء بالشجن ليعبر عن الاسى الذي يعصر فؤاد الشاعر وهو يرى رفاقه يعبرون فرادى .

مررتم من هنا . وجررت في الساحات اقدامي
فرادى عابرين تبعت خطوكم تبعتم خطوي
الدامي .

ولعل الشاعر صادق الرؤيا حين يصور ان ذهاب ريح رفاقه انما هو نابع من هذا التمزق وهذا العبور دون الاتحاد والمواجهة والاصرار. وان كان اختيار بحر الوافر اللين قد خفف كثيرا من حدة الشاعر التي تلوح وراء ابيات هذه القصيدة الموفقة .

ثلاث قصائد ــ محمد عفيفي مطر :

يحاول القارىء لقصائد الشاعر محمد عفيفي مطر ان يسر وسط هذه الغابة الكثيفة الملتفة الاغصان من الصور الشعرية على نبع تشرق فوقه الشمس . حتى يروي ظمأ الرحلة المجهدة احيانا مع هذا الشاعر والجميلة احيانا اخرى . وتتفاوت المناطق في هذه الغابة فهي حينا تصل في كثافتها الى حد الظلام المطبق وقد يعود القارىء غير المستعد للمخاطرة ولا يتابع الرحلة الا المغامر العنيد . وقد يفاجئه الشاعر بهذا السحر الذي تدخره الغابات عادة لعشاقها المغامرين ولكنه ايضا قد يعود بالعناء وحده وقد فقد حتى حماسته لمثل هذه المحاولات في مجاهل الشعر الحديث . والقصائد التي يقدمها الشاعر اليوم من تلك القصائد التي يجد فيها الضوء مكانا لخيوطه الذهبية . ففي القصيدة الاولى تنهمر صوره حادة قاسية لتصور نموذجا بشريا غريبا . انثى وصلت القروح الى مفاتيح الحياة في جسدها الرحم والثدي الرحم هذا المدخل الابدي للوجود والثدي الوعاء الطبيعي لغذاء الطفولة . انها صورة على جانب من القسوة التي يصعب المضي في تقبلها . هل انتهى الشاعر حقا الى فساد البذرة والارض وانتهى الى العقم الشامل في الوجود . ان الشاعر الذي التقط هذه الصورة من القرية والتي قد تكون جزئية في اطار التجربة الانسانية قد ابى الا ان يمنحها صورة الشمول الوجودي بهذه الصور المتعاقبة المليئة بالتوتر . ولكن القصيدة الثانية تفتح صدرها لمعنى اخر من معاني الوجود يتنافى تماما مع القصيدة الاولى . انه يستحث البشر ليدركوا امكانياتهم العظيمة لتصحيح اوضاع العالم . وهو يستخدم اسطورة بروميثيوس استخداما غاية في الجمال. وفي القصيدة الثالثة تعود الغابة الى الظلام بخيلة باسرارها ولكن هذه القصيدة الثلاثية من اكثر قصائد الشاعر توفيقا ودلالة على مقدرته الشعرية الكبيرة .

مقدمات ــ سيد احمد الحردلو :

يفصح الشعر في هذه القصيدة عن اولى دعائمه الخالدة الانسجام والتوافق . وكما اراد الشاعر لقصيدته ان تكون موضوعا لمقدمات الحياة التي تفاجئها حوادث القدر الغلاب فان القصيدة قد اتخذت من اسلوب التركيز الشديد اسلوبا موفقا لها . فهي متكاملة بشكل حقيقي. وهي صورة لتلك اللعبة القاسية التي تمارسها الحياة والتي قد تكون المصادفة هي سيف القدر المرهف في هذه اللعبة . المصادفة أو التدبير الاعمى الذي يوقع رسالة العاشق في يد خادم القصر فيدفنها في سلة المهملات والقصيدة التعيسة التي ظلت بلا نهاية لان شاعرها دهمه الموت . الحوار الذي يبدأ بين العشاق ثم تنفجر القنبلة . كل هذه المصادفات القاسية نجح الشاعر في تقديمها باداء شعري جميل .وكادت المقطوعة الثالثة ان تكون حدثا شعريا في القصيدة لولا هذا البيت :

وحين مد يده ليهتك الازار

والشاعر يسعى الى ان يعطفنا على موقف هؤلاء العشاق والشعراء الذين لا تمهلهم الدنيا ليتموا ما بدأوا . ولكن الشاعر في هذا البيت لا يحظى بعطفنا امام مشهد « هتك الازار » وهو كما يعلم مشهد غير مريح للقارىء . ان القصيدة كلها تنطوي على موقف صديق للحياة وكان الشاعر يستطيع لو تمهل قليلا ان يعثر على كلمات أخرى لهذا البيت لتكون قصيدته في النهاية جديرة بالاعجاب الذي تستحقه .

حكاية في فصل واحد ــ سعدي يوسف :

محاولة جديدة يؤكد بها الشاعر قدرة الشكل الحديث على نقل الحوار الدرامي ويؤكد قدرة الشاعر ايضا على اضافة شيء جديد . وهو يتواضع فيسمي مسرحيته حكاية من فصل واحد . ورغم ان القصيدة لا تقدم حدثا دراميا واضحا بل هي تصوير لموقف مليء بالحماس والصراع لا يلوح الا من خلال عبارات عامة عن التطور والمصادفة في

الحياة التي تضع خمسة اشخاص في خمسة امتار وتضع لصا في دار تسع خمسة ملايين . ولكن القصيدة حافلة بامكانيات شعرية هامة. والحوار يقدم عددا من الافكار ولكنه لا يبلور بلورة كاملة فكرة واحدة منها الا فكرة التضحية الى النهاية . والحكاية تبدأ باحتمال هو ان خمسة اشخاص يعيشون في خمسة امتار . ويتربع لص واحد في دار تتسع لخمسة ملايين . وهذه المفارقة الاحتمالية موجودة فعلا ولو انطلق منها الشاعر كواقع فعلي في العالم لاحسسنا بقدرة اللغة قد تضاعفت لتعطي الاحساس بالاصرار في مواجهة البطش والاضطهاد بدلا من ان يضع قد التقديرية كمقدمة لكل الامكانيات السعيدة لتغيير العالم . وقد توصل الشاعر بثقافته وحدسه الشعري الى ان العالم لا تسيطر عليه المصادفة وحدها بل القانون العلمي . يقول مخاطبا الطاغية :

قد ينقلب الكأس
قد ينقلب الرأس
فعلا قد تنقلب الصوره
فنراك وراء القضبان
تصفر امام السجان
وستنقلب الكأس
وستنقلب الصوره
فالعالم ليس بناعوره
غامرت ، ولكن العالم
علم ، لا اسطوره
تاريخ العالم لا يهزم
حتى لو شوهت الصوره
والمنبع لا يهرم

بهذا الادراك نفذ الشاعر الى الحقيقة . ولكن هناك هذا الصوت الغامض الذي تطلقه الجوقة تحكي قصة غصن صغير نزل الى الفرات يشرب من مائه فجرفه التيار . ولا ادري أن كان الشاعر يعني بهذا الغصن الاستعجال في تحمل مسئوليات الحياة ام يعني به هذا الرجل الطاغية الذي لن يلبث حتى يجرفه تيار الحباب ام يرمز بها الى تفاهة هذا السجان والطاغية . والمعنى يظل غامضا رغم ذلك . ويرفرف الشعر باجنحة الاحلام حين تنطلق الابيات لتحمل ذكريات هؤلاء المناضلين السجناء واما نيهم وخاصة هذا الصوت الثالث :

فوق قبري حمامه
تبتني عشها فوق قبري علامه
سعفة
يا حمامه
يا اغاني تهامه
حين يأتي الربيع باوراقه المزهره
فاتركي لي علامه
انقري فوق قبري وغني تهامه
واحملي يا حمامه
خوصه . احمليها اليها
واتركيها لديها علامه

وهذا المقطع يشير الى قرب رحيل هؤلاء المناضلين وتضحيتهم بالحياة من اجل الحياة ايضا ويختتم الشاعر قصيدته بهذا التساؤل .

لن نطيل الحكاية
فلنقل قد فهمتم
ولتقولوا[1] :
واين النهايه

والجواب في يد الشاعر ولكنه تركه في منتصف القصيدة حين قال ان العالم علم لا اسطورة . ومع هذا فلا يسع الانسان الا ان يسعد بهذه القصيدة وبامكانيات الشاعر الفنية .

العاصفة المداهمة ــ ناجي علوش :

يحاول الشاعر في هذه القصيدة ان يعبر في شكل غريب من الاوبريت عن احساس عميق بمأساة قضية فلسطين . وهو يلجأ الى زحمة الاصوات التي استعار لها الادوات الموسيقية مثل الدبكة والتويست ، ليؤدي في النهاية بهذه الحركة الفنائية الى تقديم حدث درامي بسيط . وتبدأ القصيدة بالحسرة ثم يعقبها الاسف والندم واللاجدوى . وتعود الحسرة ولكن المنادي يهتف بخلانه ان يهبوا ليحطموا الصخور ويحرروا النهر العظيم الذي يبحث عنهم ويتم النصر وتتجمع العزيمة في هذه الاهزوجة الشعبية :

جيناك يا باب الخليل
جيناك والدما تسيل
جيناك يا باب العمود
جيناك نذبح اليهود

ويرى الشاعر ان تحرير النهر وفتح الطريق امامه الى البيوت الغريبة سيقتل الخصب والنماء داخل هذا المعسكر الطاعوني المسمى اسرائيل . وتبدأ محاورة عقيمة تتحدث عن رحيل اليهود عن مدينة هجرتها المياه .

يا جان
قد يئست
فهذه المدينه
لم يبق فيها ماء
يا جان فلنشرب من السماء

ثم تعود الدبكة في آخر القصيدة محملة بالفرح والابتهاج بالنصر الدرويش . هذا الحائر بين ماض فارغ ومستقبل عقيم . لا يغني العالم والحدث في هذه القصيدة بسيط والقصيدة ناجحة على مستوى انها اوبريت غنائية وليست قصيدة تحمل معاناة كبيرة في استخدام الصورة الشعرية وتركيز العبارة وحشد الرؤية ولكنها تتالق في تعبير غنائي راقص .

الجذوع ــ حسب الشيخ جعفر :

تصور هذه القصيدة هذا العالم الاجوف الذي يدور في شواطئه الدرويش . هذا الحائر بين ماض فارغ ومستقبل عقيم . لا يغني العالم بوجوده ولا يفقره بعدمه . وربما كان الشاعر على وعي بان ظاهرة الدرويش هذه قد كانت انعكاسا مبتذلا لحالة الانحطاط الفكري التي مر بها مجتمعنا وهي مجرد انعكاس لا اكثر وليست ذات دور فعال في التقدم او التخلف وهذا بالضبط ما جعل الشاعر يصفه بانه مجرد جذع نخلة متجرد عقيم والشاعر ينكر نوره وتأثيره حتى ليقول :

لا شيء غير كومة العظام
وجرة مكسورة تفور بالظلام

ثم يعلن عدم تأثيره :

فليس من ثمالة في القدح
وليس من طعم على الشفاه واللسان
من فرح أو ترح
يا قاعدا مسافرا .

ثم يسخر منه :

ما نفع أن تمسك بالفرصة او تفوت
ما نفع ان تعيش او تموت .

وملاحظتي على هذه القصيدة انها مجرد تقديم من الخارج لشخصية الدرويش . هذه الشخصية الشرقية السمات دون محاولة لتفهم هذا النموذج من الداخل . انها لا تنسج لنا عالم الدرويش واحلامه ورؤاه وهي ظاهرة وان استخف بها الشاعر حتى كاد ان يلحقها بالهباء والعدم الا انها ظاهرة من ظواهر الانحطاط الفكري بمعنى انها تفرس جذورها في الواقع ولكن الشاعر يكتفي بالتعليق ومهاجمة الشخصية وان كانت

اللغة الجميلة التي استخدمها طيعة للنهوض بهذه المهمة . وكذلك فان القصيدة قد طالت بلا مبرر ولو حاول الشاعر ان يركزها في اداء شعري مؤثر لجاءت في نصف حجمها . ونفس الشاعر قوي ولغته سهلة وصوره جميلة ولولا هذه الهنات لجاءت القصيدة اجمل مما هي بكثير .

العقم ـ عبده عثمان :

تبدأ القصيدة بهذا التشبيه الثقيل ((كان النجم كمحتضر)) ثم يواصل الشاعر جهوده لرسم صورة رومانتيكية باهتة .

والافق جناز والليل ضريح
والشط يباب .. الخ .

هذه الصورة التي يضعها الشاعر كمقدمة واطار لحدثه يمكن التخلي عنها بل يجب التخلي عنها لانها لا تضيف الى القصيدة بل تعطل تأثيرها . اما حدث القصيدة او التجربة فهو تساؤل مسرف في الحزن والجزع :

خذني يا بحر الى منأى
هبني قطعة ارض لم تعرف

فهو الهرب اذن بدلا من تفهم الواقع الذي يعيش فيه ويرد البحر معتذرا عن تلبية هذا المطلب وينعى عليه قدره التعس الذي اخره حتى جاء مع القرن العشرين ثم يتساءل الشاعر ان كان يجب عليه ان يعض حسامه كبروتس . وليس ثمة شبه بينه وبين بروتس اصلا فبروتس بعض بنان الندم لا الحسام لانه قتل قيصر فماذا فعل شاعرنا ليندم وليست جريمته هو انه عاش في هذا القرن المشئوم . وينتهي الشاعر من تمزقه الى حقيقة يتوج بها قصيدته :

فالارض امرأة عاقر
راحت تشكر عقم الامطار .

والقصيدة مسرفة في التعميم الى حد يجعلها خالية من التأثير . وتعبيرها مألوف وليس به ادنى محاولة لخلق صورة جديدة كما يستعمل بعض الكلمات التي لا تخدمه بل تسيء اليه مثل كلمة الطين في هذا البيت :

اضرب لكن الماء ثقيل كالطين

فالطين هنا ثقيلة كمعناها تماما . والحقيقة ان الشاعر يملك القدرة على تنمية قدراته الشعرية ويستطيع ان يكتب القصيدة الجيدة لو تخلص من هذا التعميم في التجربة وفضل ان يبذل جهدا مخلصا من اجل الشعر . فالفن هو الشيء الوحيد الذي لا يضيع فيه الجهد عبثا ولا يبقى من الفن شيء اذا لم يمنح بسخاء وطواعية هذا الجهد وهذا الاخلاص .

السمك البني والجزر الملونة ـ يسرى خميس :

تورق الصور الشعرية في هذه القصيدة لا لتكون كساء زاهيا لتجربة نضيرة متماسكة وفنية بل لتنسج لحاء التجربة وتجري الالوان في عروق هذه الشجرة الناضجة . وتبدأ القصيدة بهذه الحركة النشيطة المرحة حيث تحل بالشاعر السعادة الغامرة وهو يستسلم للتيار الذي يجرفه : ليسلمه الى عالم يضج بالاسرار والالوان والملاعب الخضراء وفي الحركة الثانية تدخلنا القصيدة الى صميم هذه السعادة العميقة التي عرفها الشاعر والتي تلغي الحدود في عالمه لتغمره بها بزرقة داكنة عميقة حتى لتكاد السعادة تخيفه :

الزرقة الداكنة العميقة
الزرقة الداكنة العميقة
تحتي وفوقي زرقة داكنة عميقة

ان التكرار هنا مصدره رغبة الشاعر في الايحاء بالشمول الذي يغرقه ويحيط به شمول هذه الزرقة او هذه السعادة او هذه الحرية لاو هذا الانفساح السعيد ولكنه لا يلبث ان يقلق فهل ستفور به المياه بغوص الى الصخر والحقيقة ام ستندفع به الى جزر الطفولة والاساطير والللعب النادرة الثمينة . هل ستقدم له السعادة البريئة المجدولة من ضفائر البرسيم وسعف النخيل ام تجدد خواطره الملحة بالانتحار :

اهجر هذا الغاب . هذا الحزن هذا الخوف هذا الزيف
اغتصب النهاية .

ان خلاصه وامله ياتيه من هذا السمك البني الذي قد يكون رمزا للجنس او الحب بشكل عام :

لولاه
هذا السمك البني في عينيك
غذائي الوحيد ، خبزي وسط وحشة الجزيره
لمت جوعا يا عزيزتي

وهذه القصيدة تعد من القصائد التي لعبت فيها الصورة دورا اساسيا في خدمة فكرة الشاعر . ولولا ان تفعيلة الرجز مستفعلن قد عانت من القلق والتقلب والظهور والاختفاء والتشرد والمسخ في بناء هذه القصيدة لكانت نموذجا طيبا للغاية لبناء التجربة في القصيدة العربية الحديثة .

نحو ارم جديدة ـ فؤاد الخشن :

تعيد هذه القصيدة الى الوجدان تجربة الشوق المتصل للوصول الى المدينة الفاضلة ويوتوبيا طالما سعدت بالغناء لها احلام الشعراء الرومانتيكيين . وتستخدم القصيدة اسطورة ارم ذات العماد التي بناها شداد بن عاد في الزمن القديم من ذهب خالص وتقول الاسطورة بانها تطوف الدنيا وصاحب الحظ السعيد من تلقاه هذه المدينة الذهبية في طوافها . وهذا التمني الذي يبدأ به الشاعر القصيدة لا يخرج بالحلم عن منطقة المثال المجرد الغامض . وبدلا من تنمية دور الارادة البشرية ودور العلم في بناء مدينة جديدة فاضلة فان الشاعر يمضي في القصيدة الى النهاية شاعرا بالاسى من اجل رفاقه الذين يتحدون الابدية :

جيل يمزقه القلق
يتحدى بمدى العقل فضاء اللانهايه
يقرع الباب سؤالا يتحرق
في دجى النفس التهافا
يتمزق
في دروب الكشف

ولا تلعب الاسطورة الدور الاساسي في مثل هذا الموضوع فالشاعر يبني الموضوع والتجربة على الارادة البشرية بينما تنزع الاسطورة الى تصوير احلام الحظ السعيد . ومن ناحية اخرى فان الشاعر كان يستطيع ان يركز بصورة تمكن القصيدة من الاداء الفعال بدلا من الاستطراد الذي يريح الشاعر ويتعب الشعر وتؤكد اللغة والايقاع اللذان استخدمهما الشاعر قدرته على الوصول في شعره الى درجة اعلى بكثير مما وصل اليه في هذه القصيدة . واخيرا تحياتي لاصدقائي الشعراء متمنيا لهم حظا سعيدا مع تجاربهم المقبلة تحية للشعر والشعراء .

محمد ابراهيم ابو سنه

حركة التحرر الوطنــي اللبناني

- تتمة المنشور على الصفحة ١١ -

بطاقات ثورية عربية وعالمية ضخمة كانت فيها حركـات التحرر الوطني الافرو أسيوية تتعاظم وتحقق انتصـارات رائعة ، وكانت مصر قد خرجت من معركة قناة السـويس ظافرة ، حتى صارت مركزا من أهم مراكز الكفاح التحرري لا في بلاد العرب وحدها ، بل فـــي القارتين الناهضتين جمعاء . لذلك سجل المؤتمر الثالث هذا نجاحا باهرا في معالجة قضايا الثقافة والادب في ضوء الاحداث العربيـة والعالمية ذات الصـلة بكفاح شعـوبنا ضد الاستعمار والاستعمار الجديد .

وفي هذا المؤتمر شارك أدباء لبنان بمثل الحيويـة الكفاحية نفسها في ما سبق مـن مؤتمرات ، وشـاركت بابراز أهميته صحافة لبنان الادبية (مجلة «الاداب» للدكتور سهيل ادريس ، ومجلة « الثقافة الوطنية ») .

- ٨ -

أثناء معركة قناة السويس ضد العدوان الاستعماري الصهيوني المثلث (نوفمبر ١٩٥٦) ، فتح الكتاب اللبنانيون الوطنيون جبهة كاملة في لبنان تضامنا مع الشعب المصري وثورة ٢٣ يوليو وقيادتها المناضـلة . لقد تنادوا الـى اجتماعات في دار مجلة « الاداب » حضرها كتاب وفنانون من مختلف البلدان العربية ، ووجهوا الى جميع الكتـاب والمثقفين والفنانين في جميع أنحاء العالم نداء يطلبون منهم تأييد القضية العربية المتمثلة يومئذ بقضية مصر المكافحة ضد العدوان ببسالة مشهودة ، وتابـع الكتاب اللبنانيون الدعوة الى نصرة الكفاح المصري بكتاباتهم في الصحافـة اللبنانية السياسية والادبية .

- ٩ -

وثب الشعب اللبنــاني ، عام ١٩٥٨ ، وثبة وطنية تحررية مسلحة ضد مبدأ ايزنهاور والحكام الذين أرادوا يومئذ ربط مصير لبنان بارادة الاستعمار الاميركي وقواعده العسكرية واحلافه الحربية العدوانية . كان الادباء اللبنانيون الوطنيون ، طوال شهور الوثبة هذه ، في قلب المعركة مع شعبهم ، يشاركون بالسلاح والاقلام والاذاعة الخاصـة بالحركة الوطنية ، وكان بعضهم يكتب يوميا في الصحافة اليومية المؤيدة للوثبة ، يعكسون مطامح الحرية في جماهير المعركـة ، وينيرون أذهان المناضلين بالوعي ويشدون سواعدهم للثبات .

كانت جماهير المعركة تطالع كل صباح كلمات الوطنية الواعية من أقلام : سهيل ادريس ، منير بعلبكـي ، أحمد سويد ، أمين الاعور ، محمد النقاش ، كامل العبد الله ، محمد عيتاني ، محمد دكروب ، حسين مروة وغيرهم ، وكان الكاتب المفكر المناضل كمال جنبلاط على رأس جبهة مسلحة من جبهات المعركة في منطقته .

لا بد من القول اخيرا ان الاسماء الادبية التي ذكرت خلال هذا التقرير ، لم تذكر الا على سبيل المثال ، فهنـاك أسماء غيرها كثيرة يصعب حصرها .

- ١٠ -

في السنوات التي انقضت حتى الآن من الستينات ، دخلت حركة الادب في لبنان عوامل جديدة ، في ظروف التطور الجديد الذي بلغته حركة النضال التحرري العربي ، اذ تداخلت في هذا النضال مرحلتا التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي ، وحدثت تحولات أساسية في التفكير العربي تبعا للتحولات الثورية في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، والجمهورية الجزائريـــة المستقلة ، وجمهورية ١٤ تموز العراقية ، وثورة اليمــن الجمهورية ، بالاضافـــة الى تطور حركـــة التضامن الافرو أسيوي والبلدان النامية في القارتين الناهضتين ، وقضية فيتنام الباسلة في كفاحها العـدوان الاستعماري الاميركي السافر ، وتطور التضـامن العالمي في سبيـل مناهضة العدوان ومن أجل حرية الانسان وسلام العـالم وصيانة الحضارة البشرية .

لقد اتجه الادب في لبنان ، خلال هذا التطور كله ، الى الالتزام بقضايا الانسان المصيرية الكبرى ، وانضوى الى الدفاع عن هذه القضـايا كثير من الكتاب والشعراء الموهوبين والبارزين ، نذكر في طليعتهم الشاعر أدونيس .

لقد نال عقـــد المؤتمر الثالث للكتاب الاسيويـيـن الافريقيين في بيروت عاصمة لبنان ، نوعا من الترحيـب الاجماعـي لدى الكتاب والمفكـرين والمثقفين اللبنانيين ، ونالت اللجنة التحضيرية اللبنانية المعونة والتأييد مـن مختلف الاوساط الفكرية والادبية والثقافية والصحافية في لبنان . وليس تأييد الدولة اللبنانية ومساعداتها الهامة في سبيل عقد المؤتمر في عاصمتنا ، الا انعكاسا لهـذه الحقيقة التي نذكرها باعتزاز .

ان المؤتمر الثالث للكتـاب الافريقيين الاسيويين ، بانعقاده في هذه العاصمة الجميلة العريقـة ، سيزيد من توثيق اللحمة الروحية بين قضايانا المصيرية المشتركة ، وسيفتح آفاقا مشرقة لانتصارات أدبية وفكرية وثقافيـة مستمدة من انتصارات شعوبنا في سبيل الحرية والسلام والتقـدم .

حسين مروه

وقائع المؤتمر الثالث للكتاب الأفريقيين الأسيويين

- تتمة المنشور على الصفحة ٨٢ -

***

الاستعمار والصهيونية وحولاها الى قاعدة للبطش والعدوان والتوسع ومنطلقا للتغلغل الاستعماري الى قلب القارتين الافريقية والاسيوية ، عليهم ان يكافحوه في فيتنام ، وفي انجولا ، وفي عمان ، وفي البحرين ، وفي الجنوب اليمني المحتل .

ايها الاخوة

ان كفاحنا من عمان لا يهدف الى تحقيق الحرية السياسية وتصفية الوجود الاستعماري بركائزه وقواعده ومفاهيمه ، ولكنه يهدف ايضا الى تحقيق العدالة الاجتماعية الهدف الرئيسي لكل الشعوب ، وهو لن يتخلى عن واجبه هذا مهما كلفه من خسائر وتضحيات واننا لنعاهدكم بان نجعل من عمان مقبرة للاستعمار البريطاني وبقايا الامبراطورية الدموية العجوز.

وبهذه المناسبة يجب ان نتذكر شهداءنا الابطال ، شهداء الحرية والحق في كل افريقيا واسيا . واني لادعوكم بان نقف دقائق صمت حدادا على هؤلاء الشهداء واخص منهم بالذكر الابناء الثلاثة للسيد عبد القوي مكاوي ، امين عام جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل الذين فتكت بهم يد الغدر والخيانة والتآمر الرجعي في عدن .

وفي ختام كلمتي اوجه باسم الشعب العربي في عمان الشكر العميق الى اللجنة اللبنانية لمؤتمر كتاب افريقيا واسيا والى رئيسها المفكر ورائد الاشتراكية الاستاذ كمال جنبلاط والى لبنان حكومة وشعبا على تكريمهم لنا وحفاوتهم بنا متمنين للشعب العربي الشقيق في لبنان كل خير وتقدم وازدهار .

كلمة وفد الشارقة

ايها الاخوة كتاب اسيا وافريقيا ،

تحية طيبة وبعد ،

يسرني أن اجتمع معكم في هذا المكان المبارك بهذا البلد المضياف لنبحث سبل تحرير الانسان من قبضة الاستعمار والامبريالية ليحيا على هذا الكوكب حياة تليق بالانسانية جميعا .

ايها الاخوة كتاب اسيا وافريقيا ،

لقد جئت الى هنا ممثلا لبلدي الشارقة ، التي تقع على الخليج العربي والتي هي جزء من عمان والتي يجثم الاحتلال البريطاني على صدرها منذ سنة ١٨٢٠ ، عندما حشد اسطولا ضخما لتسلب به حريتنا بصورة انتقامية وحشية ، حتى ان هذا الاسطول حرق احدى مدننا ، واسمها « رأس الخيمة » ثلاث مرات .

ان بريطانيا بعد ذلك قامت بعزلنا عن العالم كله ، وقامت بتنفيذ مخطط رهيب استخدمت فيه : ارضنا ، وبحرنا ، وجونا ، كقواعد عدوانية ضد كل حركة تحرر في بلادنا ، أو في البلاد المجاورة .

ايها الاخوة كتاب اسيا وافريقيا ،

لقد تشرفت بحكم بلادي سنة ١٩٥١ ، وكانت بلادي وقتذاك يخيم عليها ظلام الجهل لان بريطانيا التي احتلت ارضنا منذ ١٨٢٠ لم تفتح مدرسة واحدة ولم تبن مستشفى واحداً ولم تقم باية خدمة اجتماعية للشعب .

ولذلك فقد وجدت ان واجبي الانساني يقتضيني القيام بنهضة شاملة للبلاد ، وبالفعل قمت - في حدود موارد بلادي - بانشاء المدارس ، والمستشفيات ، ومحطات التجارب الزراعية ، وبناء ميناء بحري ، وادخال الكهرباء ، والماء النقي ، الى المدن والقرى .

ولقد انزعجت بريطانيا كثيرا من برنامج الاعمار هذا ، فكشرت عن انيابها وبدأت تلقي في وجهي بالتهديد تلو التهديد بخلعي من الحكم أو نفيي من بلادي ، ولكنني لم أبال بتهديداتها ، لان الشعب كان محتاجا الى تلك الخدمات ، وكل تقصير في ذلك ، انما هو جريمة في حق الانسان وكرامته .

أيها الاخوة كتاب آسيا وافريقيا ،

لقد جاءت بعد ذلك قمة النزاع بيني وبين بريطانيا في سنتي ١٩٦٤ - ١٩٦٥ عندما ادركت جامعة الدول العربية ، وعلى راسها الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، ان تمد لنا يد العون المادي والفني ، وهنا ثارت بريطانيا ، وجاءني وزير الدولة البريطاني جورج طومسون في مايو ١٩٦٥ وهددني وهو يزورني في بيتي بالشارقة بالخلع والنفي ، اذا أنا لم أرفض المعونة الاخوية المقدمة من الدول العربية ، ولكنني رفضت انذاره هذا رفضا باتا وحاسما من وحي ضميري ، الذي كان يتألم من الصورة ، غير الانسانية ، التي كان عليها شعبي والذي هو في أمس الحاجة الى برنامج ضخم للاعمار المقدم من جامعة الدول العربية .

وبالفعل ، أيها السادة ، لم يمض سوى شهر واحد على تهديد الوزير البريطاني لي ، حتى ارتكبت بريطانيا أبشع جرائمها ، فلقد اختطفوني ، وفي وضح النهار ، وذهبوا بي على متن طائرة حربية الى البحرين ، ولقد استطعت أن أغادر البحرين الى القاهرة بعد ذلك ، لافضح ألاعيب الاستعمار ولكي أنادي بحرية بلدي وبكرامة الانسان في بلدي .

أيها الاخوة كتاب آسيا وافريقيا ،

لقد أقامت بريطانيا - بعد عزلي ونفيي - حاكما عميلا لها في الشارقة ليساعدها على تنفيذ ظلمها ، واضطهادها لشعب الشارقة ، بقوة الحديد والنار ، وبالفعل فان بريطانيا تمارس الان ابشع انواع القسوة والتعذيب ضد شعب الشارقة ، ولقد زجت بالكثيرين منهم في السجون ، كما انها كسرت أقلام الشعراء والكتاب الاحرار ، كما قامت بتوسيعات هائلة في قواعدها العدوانية البحرية والبرية والجوية وذلك على أرضي المقدسة في الشارقة وكل ذلك على حساب حرية المواطن العربي في الشارقة .

أيها الاخوة كتاب آسيا وافريقيا ،

انني من هذا المنبر المقدس اناشدكم ان تكرسوا أقلامكم الحرة في سبيل تحرير الانسان من الظلم ومن الفاقة ومن الجوع والمرض .

ان الانسان في بلادي يستحلفكم ان تتبينوا مدى الهوة التي ألقاه فيها الاستعمار البريطاني ، ان الانسان في بلادي لا يطالب بأكثر من حقه في الحياة الحرة الكريمة ، انه يطالب بحقه في الحرية ، وبحقه في الرغيف ، وبحقه في الدواء .

اخواني كتاب اسيا وافريقيا ،

وأخيرا وليس اخرا أشكركم لحسن استماعكم الى كلمتي وأرجو أن تظل صرخة الشارقة وقضية تحريرها حية في ضمائركم الحرة تبعث فيكم روح الكفاح من أجل حرية الانسان .

كما انني أكرر شكري للبنان شعبا وحكومة على اتاحته هذه الفرصة لمؤتمرنا والسلام عليكم .

كلمة رئيس وفد فيتنام الجنوبية للكتاب

اسمحوا لنا قبل كل شيء أن نعرب عن سعادتنا بان نكون هنا بينكم . وانني باسم الكتاب والشعراء اعضاء اتحاد الكتاب والفنانين في فيتنام الجنوبية ، أود أن أزجي اليكم أصدق تحياتنا وأعمق مشاعر التضامن القوي .

واسمحوا لنا كذلك بان نعرب عن تحياتنا القلبية الى الكتاب اللبنانيين الذين أسهموا بقدر كبير في التحضير لهذا المؤتمر ، ومن

ثم في خلق ظروف ملائمة لهذا الاجتماع الودي . واسمحوا لنا بواسطتهم ان نزجي الى شعب بيروت ولبنان المضياف التحيات القلبية من جانب كتاب وشعراء فيتنام الجنوبية الذين يناضلون كتفا لكتف مع مواطنيهم ضد المعتدين الامبرياليين الاميركيين .

ايها الاصدقاء الاعزاء ،

نحن هنا بينما لهيب الحرب التي اشعلها الامبرياليون الاميركيون تتأجج في وطننا . والامبرياليون الاميركيون يشنون كما تعلمون جميعا حربا عدوانية بشعة في فيتنام الجنوبية ، محاولين استعباد شعب فيتنام الجنوبية ، وتخليد تقسيم فيتنام ، وجعل فيتنام الجنوبية قاعدة عسكرية ونمطا جديدا للمستعمرة الخاضعة للاستعمار الجديد ، وقاعدة وثوب للهجوم على جمهورية فيتنام الديمقراطية والمعسكر الاشتراكي ، ولاكتساب الخبرة لقمع حركة التحرير الوطني في كل انحاء اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

ان الامبرياليين الاميركيين - منذ منتصف عام ١٩٦٥ على الخصوص - في محاولتهم انتشال انفسهم من حمأة الهزيمة ، ارسلوا قواتهم بالجملة الى فيتنام الجنوبية . وبالاشتراك مع جنود الحكومة العميلة ومتطوعي البلاد الدائرة في فلك الولايات المتحدة واشتبكوا في حرب دامية ضد شعبنا . ان ثمة الان في فيتنام الجنوبية ما يقرب من ٤٢٠,٠٠٠ جندي اميركي ، فضلا عن عشرات الالوف من جنود الاسطول السابع الذي يطوف بشواطىء فيتنام والقواعد الاميركية في تايلاند واليابان وجوام وغيرها . ان الامبرياليين الاميركيين وهم ماضون في تنفيذ خطتهم الخبيثة التي تهدف الى تعبيد طريقهم العدوانية بعظم ولحم الاخرين ، قد أجبروا حكومات تايلاند وكوريا الجنوبية واليابان واوستراليا ونيوزيلاند وغيرها على ارسال قوات وأسلحة الى فيتنام الجنوبية وعلى السماح باستخدام أراضي هذه البلاد للحرب العدوانية . وقد أصبحت تايلاند قاعدة عسكرية اميركية وقاعدة جوية استراتيجية تقلع منها يوميا الطائرات الاميركية من كل نوع . بما في ذلك الطائرات ب - ٥٢ حاملة القنابل لالقائها على فيتنام الجنوبية وفيتنام الشمالية ولاوس . كما ان اليابان - بما فيها من قواعد مثل اوكيناوا واجازاوارا - أصبحت كذلك قاعدة لحرب العدوان الاميركية في فيتنام الجنوبية .

ان الامبرياليين الاميركيين قد شنوا - بالاسلحة ووسائل الحرب الحديثة - حملات هجوم ارهابية في أنحاء فيتنام الجنوبية . وقد استخدموا الكيماويات السامة والغازات السامة التي يحرمها القانون الدولي . ولم تتلف هذه المواد السامة حاصلاتنا وخضرواتنا فحسب وانما كذلك حرمت عائلات كثيرة من الاطفال الرضع والامهات المسنات .

وقنابل النابالم ، وقنابل الفوسفور ، وقنابل المغنيسيوم قد أحالت حقول الارز ، وحدائق الفاكهة والادغال الى بحار من النار . فما من بوصة واحدة في أرض بلادنا تركتها القنابل الاميركية سليمة . وما من عائلة واحدة تركتها دون ضحية . ان جرائم الاميركيين ضد شعبنا قد تراكمت حتى اصبحت تشبه الجبال . ففي السنتين الماضيتين فحسب قتل وجرح أكثر من خمسين ألفا ، وراح الاف منهم ضحية الغازات السامة ، ومئات بقرت بطونهم وتمزقت اكبادهم . وكثير من المدن والقرى مع الاف من ساكنيها قد دكت دكا أو محيت من على الخريطة .

وخلال السنتين الماضيتين ادار الامبرياليون الاميركيون بواسطة قوتهم الجوية وبحريتهم ، حرب تدمير بشعة ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وهي بلد مستقل ذو سيادة ، واخيرا اتخذوا خطوة اخرى في خطتهم التدريجية ، مستخدمين المدفعية بعيدة المرمى من جنوب المنطقة المجردة من الجيوش وسفن الاسطول السابع الحربية لقصف أرض جمهورية فيتنام الديموقراطية .

وفي ذات الوقت كان الامبرياليون الامريكيون يمدون حربهم العدوانية الى لاوس وشنوا حملات متعددة يستفزون بها مملكة كمبوديا ويهددونها .

ان الامبرياليين الامريكيين - اذ يلقون ٤٢٠,٠٠٠ جندي امريكي والوسائل الحديثة للقتل بالجملة في بلاد تبعد عن الولايات المتحدة مسافة تبلغ نصف الكرة الارضية . ويرتكبون جرائم بشعة هناك - قد اظهروا انفسهم كأقسى الاستعماريين والمعتدين في عصرنا الحاضر . وهذه الحقيقة في ذاتها قد أدت كذلك الى الكذب والى الادعاءات التي كثيرا ما يلجأ اليها جونسون رئيس الولايات المتحدة متشدقا بكلمتي « السلام » و « المفاوضات » . واليوم يعلم الناس في كل انحاء العالم كل العلم انه في أي وقت تتحدث فيه الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة عن « السلام » تكون في الواقع عاملة على تشديد وطأة حربها العدوانية بجنون في فيتنام وتوسيع نطاقها . ان عناد حكومة جونسون في استمرارها في سياسة التدرج بالحرب في قسمي فيتنام ، في مواجهة النية الحسنة لحكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية كما بدا في حديث وزير خارجيتها السيد نجويين داي ترينه ، قد فضح الطبيعة الحمقاء المحبة للحرب للمعتدين الامريكيين . انها تظل المؤامرة التي لا تتغير للامبرياليين الامريكيين ليبقوا في فيتنام الجنوبية ليستخدموا القوة المسلحة وليقسروا شعب فيتنام الجنوبية على التخلي عن حقوقه الوطنية المقدسة ، وليقسروا شعب فيتنام الشمالية على النكوص عن واجبه المقدس في مساندة حرب المقاومة التي يخوض غمارها اخوانهم الجنوبيون . ان لندون جونسون نفسه ، في بيانه الذي القاه في مستهل هذا العام ، قد أعلن صراحة ان الولايات المتحدة مصممة على البقاء في فيتنام الجنوبية . فمن الواضح تمام الوضوح اذن ان الامبرياليين الامريكيين هم معتدون يتصفون بالمكر وقسوة القلب ، وهم العدو العنيد لشعب فيتنام ، والعدو الاول لشعوب اسيا وافريقيا والعالم بأسره .

ان السياسة العدوانية للامبرياليين الامريكيين هي الجذر العميق والسبب المباشر للحرب الدامية القائمة في فيتنام ، وهي تشكل خطرا على السلام والامن في اسيا وافريقيا والعالم . ولتحقيق السلام في فيتنام ، يجب أن ينهي الامبرياليون الامريكيون حربهم العدوانية ويوقفوا دون شرط غاراتهم الجوية وكل اعمال الحرب الاخرى ضد جمهورية فيتنام الديموقراطية ، ويسحبوا كل قوات الولايات المتحدة وحلفائها في فيتنام الجنوبية ، ويصفوا قواعدهم العسكرية في فيتنام الجنوبية ويعترفوا بالحقوق الوطنية المقدسة للشعب الفيتنامي ، ويتركوا الشعب الفيتنامي وشأنه ليتصرفوا فيما بينهم في شئونهم الداخلية ، ويعترفوا بجبهة التحرير الوطنية لفيتنام الجنوبية باعتبارها الممثل الحقيقي الوحيد لشعب فيتنام الجنوبية . هذه هي الطريقة الصحيحة التي تؤدي الى السلام الحقيقي . وهذا هو الاساس الصحيح الوحيد لحل المشكلة الفيتنامية ، كما بينه بوضوح بيان النقط الخمس لجبهة التحرير الوطني في فيتنام الجنوبية وقرار النقط الاربع لحكومة جمهورية فيتنام الديموقراطية .

ايها الاصدقاء الاعزاء ،

منذ سنوات عديدة لا يستطيع شعب فيتنام الجنوبية ان يعيش يوما واحدا في سلام حقيقي . اننا نشعر بالحنين الى حياة حرة حتى يمكن لصوت الاغاني والاشعار ان يتردد صداه تحت سماء يسودها السلام . ولكن الواقع قد اعاننا على ان ندرك أن السلام الحقيقي مرتبط ارتباطا كاملا بالاستقلال الحقيقي ، وانه لا يمكن ان يكون ثمة سلام تحت نير الاستعمار . وهذا هو السبب في ان شعب فيتنام الجنوبية وقد وقف بملايينه كرجل واحد مصمما على هزيمة المعتدين الامبرياليين الامريكيين وان يستعيد الاستقلال والحرية .

وتحت القيادة الواعية الذكية لجبهة التحرير الوطني بفيتنام الجنوبية يخوض الاربعة عشر مليونا لشعب فيتنام الجنوبية غمار حرب مقاومة شعبية طويلة الامد . وقد وجهوا ضربات قوية متكررة للمعتدين الامريكيين ، وسجلوا عدة انتصارات عظيمة . وقد شهد العامان الماضيان انزال قوات امريكية عظيمة الى فيتنام الجنوبية وتشديد وطأة حربهم المباشرة العدوانية هناك الى درجة بالغة القسوة . بيد ان الفترة ذاتها

قد شهدت كذلك تدعيم وتوسيع جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية الى درجة لم يسبق لها مثيل . وقد اشتدت الحرب الشعبية الى درجة لم يسبق لها مثيل . وقد اشتدت الحرب الشعبية الى درجة عظيمة في كل الميادين وأدت الى تعطيل ستمائة الف من جنود الاعداء ، منهم مائة وثلاثون ألفا من المعتدين الامريكيين ، وفي عام ١٩٦٦ وحده عطل عن النضال اكثر من مائة الف امريكي وهو يقرب من خمسة اضعاف العدد في العام السابق ونصف عدد الجنود الامريكيين الذين جلبوا الى فيتنام الجنوبية خلال عام ١٩٦٦ . كما تزايد عدد الفارين في الجيش العميل. ففي عام ١٩٦٦ وحده فر واحد من كل خمسة جنود في الجيش العميل.

وقد اظهرت الحقائق في ميدان القتال بفيتنام الجنوبية ، أنه على قدر ما يزداد عدد الجنود الامريكيين المجلوبين الى فيتنام الجنوبية ، على قدر ما تزداد الكوارث التي تلحق بهم ، وعلى قدر ما تزداد سرعة تشتت الجيش العميل . وفي ذات الوقت قد ازدادت قوات التحرير المسلحة بفيتنام الجنوبية عنفا وتقدما سريعا في مختلف الميادين ، من حيث التنظيم ، والخطط التكتيكية . وقد احتفظت بامتياز المبادأة وشنت هجمات متكررة على الاعداء ، بغض النظر عن الظروف ، فعلى قدر ما تحارب ، على قدر ما تتدرب وعلى قدر ما يكون نجاحها عظيما .

ولم تلحق بالامبرياليين الامريكيين الهزائم المريرة في ميدان القتال فحسب ، ولكنهم كذلك قد عزلوا سياسيا عزلة تامة . فان أنزال القوات الامريكية بأعداد ضخمة الى فيتنام الجنوبية قد زاد من حدة الخلافات بين الولايات المتحدة واتباعها من ناحية ، والفئات المختلفة لشعب فيتنام الجنوبية من الناحية الاخرى . وقد اصبحت الخلافات الداخلية داخل عصبة نجوين فان تيو ـ نجوين كاو تزداد ثم تزداد حدة . وفي الجانب المقابل ، كافح الفلاحون دون هوادة ضد كل خطط « التهدئة » التي يضعها الامريكيون واذنابهم . وهم لا يفتأون يدعمون ويوسعون نطاق المناطق المحررة دون توقف . وفي المدن ، رفعت الجماهير من مختلف الفئات عاليا علم الكفاح من أجل الحقوق الوطنية ، والحريات الديموقراطية ، وظروف معيشة أفضل ، وقد وجهت ضرباتها الى السياسة العدوانية الغادرة التي ينتهجها الامبرياليون الامريكيون واذنابهم . والى جانب الانتصارات المدوية في ميادين القتال سجل الشعب في الريف والمدن انتصارات عظيمة ، وهز حكومة الامبرياليين الامريكيين واذنابهم من اساسها .

واليوم حررت جبهة التحرير الوطنية بفيتنام الجنوبية ٨٠٪ من أرض فيتنام الجنوبية مع عشرة ملايين من السكان البالغ عددهم ١٤ مليونا . وتتضح حياة جديدة في المناطق المحررة بالرغم من كل القنابل المتساقطة والسنة النار المشتعلة . وقد وزع اكثر من مليوني هكتار من الارض على الفلاحين . وقد وجهت عناية عظيمة لتنمية الانتاج لتحسين الاحوال المعيشية للشعب ولمواجهة متطلبات حرب المقاومة . ويطرد تقدم الادب والفن على الخصوص بسرعة وقوة في المناطق المحررة وقد لعبا دورا ايجابيا في كفاح الشعب كله .

ان جبهة التحرير الوطني بفيتنام الجنوبية ـ اذ اهتمت بمختلف نواحي الحياة في المناطق المحررة وقادت النضال ضد العدوان الامريكي ومن اجل التحرير الوطني ـ تضطلع في الواقع بمهام حكومة شعبية . وهذه الحقيقة الساطعة تثبت بوضوح ان جبهة التحرير الوطني لفيتنام الجنوبية هي قائد ومنظم كل انتصارات شعب فيتنام الجنوبية ، وانها ممثله الحقيقي الوحيد .

أيها الاصدقاء الاعزاء ،

ان الكتاب والشعراء في فيتنام الجنوبية قد سقطوا كذلك ضحية سياسة العدوان الغاشم والسيطرة الفظة للامبرياليين الامريكيين واذنابهم . وقد فشل كثيرون من زملائنا بسبب جهرهم بالحقيقة ، وقد وصف كثير من الكتب والمقالات التي لا تتمشى مع خط المعتدين والطغاة بانها « شيوعية » وقد اعتقل المؤلفون وسجنوا وعذبوا وقتلوا . وقد القيت قنابل يدوية بواسطة عملاء الحكومة الموالية للولايات المتحدة على المسرح الذي عرضت فيه مسرحيات جرؤت على الكلام ـ وان كان في جزء بسيط منها ـ عن الحقائق الفاجعة للنظام الاجتماعي في فيتنام الجنوبية المحتلة . فهناك ، صوت المعتدين الامريكيين الفظ ، بمساعدة الحراب والسم ، يحتكر الادب والفن . ففي المناطق المحتلة يتسع في حرية نطاق الميول القذرة الباعثة على احط الشهوات والرغبات يتسع في حرية نطاق الى وحل الفجور حتى ينسوا كل شيء من البلاد والشعب . ويتحولوا الى مأجورين طيعين . وأي كاتب يرفض ان يؤجر قلمه يعتقل أو يسجن أو يصعب عليه ان يكسب عيشه .

وهذا هو السبب في أن الكتاب والشعراء ذوي الضمير سواء أكانوا في المناطق المحتلة أو المحررة قد احتشدوا في منظمة التحرير الخاصة بالكتاب والفنانين وقد ساهموا في المعركة المشتركة للخلاص الوطني .

ان كتاب وشعراء فيتنام الجنوبية يدركون ادراكا عميقا ان حياتهم وعملهم مرتبط ارتباطا وثيقا بمصير الوطن . ومن ثم فاننا نعتبر قلمنا ماضيا كحد الحربة التي يحملها المناضل في سبيل التحرير . واننا ـ وسلاحنا هذا في يدنا ـ مصممون على الانضمام للشعب كله في الكفاح لطرد المعتدين الامريكيين ، وتحرير فيتنام الجنوبية ، والدفاع عن الشمال ، والعمل على اعادة توحيد الوطن .

وقد أدت حرب المقاومة في مجموعها التي يخوض غمارها شعب فيتنام الجنوبية الى ايجاد محاربين بواسل ، عظيمي البطولة ، ومع ذلك عظيمو الانسانية ، وفيتناميون حقيقيون . ان نجوين تروا و « ليدو » قد واجها الشرذمة التي تطلق النار بشهامة عظيمة ، وناضلا حتى النفس الاخير . وقد وهب « نجويين فان بي » حياته ذاتها ليحطم دبابة امريكية . ونجويين فان ليشن الذي اصابته الجروح في قدميه كليهما ، استمر في القتال بالرغم من ذلك . هذه أمثلة مشرقة تمثل العزم الذي لا يلين ولا يستسلم للشعب الفيتنامي على النضال والنصر . وهكذا كان أبطال اعمالنا الادبية ، اولئك الرجال ذوو الطراز الجديد قد اعطوا أدب فيتنام الجنوبية مضمونا جديدا وحياة جديدة ، وأحالوه الى سلاح رهيب في النضال ضد الاستعمار الامريكي .

ولكن يصوروا الحياة الصاخبة البطولية لشعبنا ويصوروا كفاحه، حضر كتابنا وشعراؤنا في كل جبهات القتال . وقد وجدوا أنفسهم بجانب النساء اللاتي يصطلين بحربي العصابات في الخنادق المحيطة بالقواعد العسكرية الامريكية . وقد انضموا الى المحاربين في جيش التحرير في هجماتهم على معاقل العدو . وقد ضحى عدد من زملائنا بحياتهم في بطولة . وكثيرون اخرون قد أحرزوا انتصارات باهرة . وقد ساهم الجميع مساهمة عظيمة في ازدهار الادب والفن في المناطق المحررة.

وفي السنوات الست الاخيرة ، منذ انشاء جبهة التحرير الوطني ومنظمة التحرير للكتاب والفنانين ، ظهرت الاف من أعمال الفن والادب من مختلف الانواع . وقد منحت أربعة وخمسون منها مكافآت من اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني بفيتنام الجنوبية ، بأسم « نجويين دين شيو » وهو شاعر وطني شهير من القرن الماضي . وهذه الاعمال مثل « رسائل من فيتنام الجنوبية ، (وهي مجموعة لعدة مؤلفين)و « الطريقة التي عاش بها « لتران دين فان » و « جبل هوندات » لان ديوك و « الام ذات المسدس » لنجوين تي و « أمواج الميكونج » لتران ميومين وديوان اشعار لجيانج نام ولنان هاي ، هي مساهمات تمثيلية للادباء في فيتنام الجنوبية في قضية الشعب . وقد كان انشاء « جوائز نجويين دين شيو» خطوة واسعة الى الامام في مجال تقدم الادب الفني من اجل التحرير ، وهي تمثل مكافأة عن استحقاق للكتاب والفنانين الوطنيين والتقدميين .

أيها الاصدقاء الاعزاء ،

ان نجاح شعب فيتنام الجنوبية عموما ، وانجازات دوائر الادب والفن في فيتنام الجنوبية على الخصوص ، لا يمكن فصله عن التأييد الحار والمساعدة العملية لشعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية والعالم كله ، بما في ذلك الادباء . ونحن ندرك كل الادراك ، انه في الظروف

الدقيقة لبلادكم ، قد اشتركتم في النشاط الادبي كما اشتركتم في النشاط السياسي والاجتماعي لتأييد كفاحنا . وكثير من اعمالكم الادبية قد وصلت الينا في قرانا وفي اخاديد اشجار جوز الهند في ريفنا ، وحتى في خنادقنا وسراديبنا. ان اعمالنا النثرية والشعرية ايها الاصدقاء اقوى من المدافع الامريكية . ان القنابل الامريكية لن يمكنها ان تسكت نثرنا وشعرنا . وما من قاعدة عسكرية للامبرياليين الامريكيين يمكنها ان تمنع اعمالنا النثرية والشعرية من ان تتكاتف معا لتشكل نداء بالنفير ، مناشدة الشعوب المضطهدة ان تنهض وتندفع الى الامام .

اننا نقدر كل التقدير الاعمال الادبية للبلاد الاشتراكية كما نقدر الادب الوطني والتقدمي للبلاد الاسيوية والافريقية ، ونحن نعتبر هذه الاعمال مساهمة في الادب التقدمي للجنس البشري ، ولا سيما الادب القوي للشعوب الاسيوية والافريقية التي تكافح كي تلقي عنها احقاد الامبريالية والاستعمار وعلى راسه الاستعمار الامريكي . فاسمحوا لنا ان ننتهز فرصة اجتماعنا الاخوي اليوم لنعرب لكم جميعا ، كتابا وشعراء من البلاد الاشتراكية وكذلك الكتاب والشعراء من التقدميين من اسيا وافريقيا وانحاء العالم الاخرى ، عن شكرنا العميق لمعاونتكم ومعاونة الدوائر الادبية في بلادكم .

ايها الاصدقاء الاعزاء ،

ان نيران الحرب التي اشعلها الامبرياليون الامريكيون تتقد في فيتنام الجنوبية . وقد وصل « تدرج » القوة الجوية والبحرية الامريكية الى حد خطير . ان الحرب العدوانية الامريكية في لاووس واعمالهم الاستفزازية والتخريبية ضد مملكة كمبوديا لا تفتا تزداد عنفا . وقد اصبح الموقف في فيتنام خطيرا للغاية . واصبح الموقف في الهند الصينية وجنوب شرقي اسيا شديد التوتر . فنحن نناشدكم بحرارة ان تبعثوا الراي العام في بلادكم بصوتكم وكتاباتكم للتضامن مع الشعب الفيتنامي المناضل . وانه لاملنا القوي اننا جميعا سنشرع اقلامنا القوية الخلاقة لاستنكار الاستعمار الامريكي ، العدو المشترك لشعوب اسيا وافريقيا والعالم كله ، وفي ذات الوقت نشيد بالكفاح النبيل والتضامن الدائم لشعوب اسيا وافريقيا التي نهضت في بسالة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد بزعامة الاستعمار الامريكي .

وسيظل الكتاب والشعراء في فيتنام الجنوبية من جانبهم على الدوام معكم في ذات الجبهة ، متابعين ومؤيدين بعطف عميق قضية التحرير الوطني لكل شعوب اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

كلمة وفد نيبال

سيدي الرئيس ،
زملائي المندوبون ،
سيداتي وسادتي ،

اسمحوا لي في البداية ان اهنئكم على انتخابكم لصاحب المنصب المسئول ، منصب رئيس هذا المؤتمر التاريخي . وان وفدي لمقتنع بانه في ظل قيادتكم القادرة سينجح هذا المؤتمر في بلوغ الاهداف التي من اجلها نجتمع اليوم .

وقد كان من الامور الملائمة ان يعقد هذا المؤتمر في مدينة بيروت التاريخية ، ذات الماضي الثقافي العريق ، والتي اشتركت في تشكيل قدرها والرائه تاثيرات دولية مختلفة صادرة عن منابع متباينة ، اسلامية ومسيحية . لان الغرض الاقصى للمؤتمر الحالي ـ في اعتباري ـ هو في المقام الاول اكتشاف وتدعيم الباعث المشترك لدى الفنانين الخلاقين في اسيا وافريقيا ، الامر الذي يعلو جدا على المذهب السياسي ، والتجارب التاريخية ، والمضامين الثقافية ، والتطلعات الاقتصادية والموقع الجغرافي للبلاد المشتركين في المؤتمر .

اننا في نيبال ، يا سيدي الرئيس ، نعتقد ـ ربما مشتركين في ذلك مع مندوبين اخرين مبجلين ـ ان الادب لا حدود له . انه ينبع



مندوبا فيتنام الشمالية والجنوبية يتعانقان

***

من تدفق الحياة ذاتها . وهو يعرب عن أعمق دوافع الانسان . وبهذا الاعتبار يملك القوة المتفجرة والقدرة على ان يعلو على كل الصغائر والاعتبارات السطحية والسفسطية ، وبعبارة أخرى فان الادب يمد الانسان بلوحة القفز الى كل المبادىء والنظريات للغوص الى الاعماق بحثا عن الدرر التي في كل الحالات يمكن بوسيلة او باخرى تعريفها بالتعبير الهندي « ساتيام ، شيفانام ، سندارام ـ الحقيقة ، الخير ، الجمال » . انه يمد الانسان ، يجب أن يمده بمجال طليق لكل اتجاهات العقل وكل النوازع الفردية ، وكل الافكار وكل طرائق التعبير ، مع الرجاء والاقتناع بأن التناقض الظاهري لا يؤدي بالضرورة الى الفوضى. انه يمكن في الحقيقة أن يشكل أرضا صلبة للوحدة والتفاهم الدائمين الخالدين .

ان سياسة بانشايات التي تمثل الروح السياسية والحركة الانشائية في بلادي كان الملهم لها على الدوام هو مثل هذا الايمان بالفضيلة الذاتية للانسان . انها تؤمن بوسيلة المضاهاة والمقارنة ، وهي تؤمن بالنقاش اكثر من ايمانها بالتهجم والتجريح . وهي تعترف بالتحليل كمقدمة للاجمال . انها تعلم ان الطرق كثيرة كما انها تعلم ان الهدف واحد في كل مكان وكل زمان . وقد يمكن الجمع بين هذه الطرق بصورة ملائمة أو تصويرها في هيئة الاستقرار والاستمرار والانسجام والتناسق تحت طبقة سطحية عابرة من التناقض والاضطراب والشقاق والتنازع . ان السمو الذي تتطلبه هذه الفلسفة ، هو سمو التسامح واتساع الافق ، والرغبة في التعمق ، في رفع طرف من الستار واستراق النظر الى ما يوجد خلفه . انه لا يتطلب على الاطلاق الفضيلة السلبية للقدرية . وهو ليس على الاطلاق وصية بالحتمية . بل انه بالاحرى اعلان للانسان كعنصر حر قادر على الاختيار الحر بارادة حرة .

هذه الفلسفة الايجابية ، فلسفة الواقعية الديناميكية التي ينادي بها زعيمنا الوطني صاحب الجلالة الملك ماهيندرا بيربكرام شاه دية

والمثلة في نظام بانشايات الديمقراطي ، قد أثبتت انها أرض طيبة لنماء تقاليد صحية للادب الموجه نحو حركة التحرير الوطني ، ليس في صورة سيطرة سياسية ، وهي آفة كثير من بلاد اسيا وافريقيا . ففي الحالة الخاصة لنيبال ، التي لحسن الحظ ليس لها ماض استعماري ، تفهم الحرية الوطنية على الوجه الافضل بانها التجربة التقدمية للقضاء على الاقتصاد الاقطاعي الذي تخلف عن أوليجارشية رانا ، وعدم المساواة المفروض بمقتضى القانون على أساس الطبقة والعقيدة ، والنوم الفكري ، وهما كذلك ولدان توأمان لاوليجارشية رانا التي تحققت كثمن لاستبداد عائلة .

وفي التاريخ الحديث لادب نيبال ، تحققت انجازات مثل الاصلاح الزراعي ، والحرية الملحوظة التي كفلتها المجموعة الجديدة للقوانين والتقدم في جميع النواحي في ظل نظام مخطط ، فكان لذلك اثر باق. لقد كفل دستورنا الحرية الكاملة في التعبير عن الرأي . وقد كانت الاثار اللازمة لهذه الانجازات من شأنها رفع الادب النيبالي الى مستوى لم نكن نحلم به من قبل . وقد بدى ذلك في جيل جديد من الشعراء وكتاب القصة وكتاب الرواية وكتاب المسرحية . أما المحنكون القدماء ، فانهم لم يستطيعوا كذلك تفادي صدمة تقدم الزمن . والمثل على ذلك يتجلى في صاحب الجلالة الملك ماهندرا الذي هو نفسه شاعر قادر على التعبير عن أماني العصر ، وقد أضاف موردا من موارد الالهام والزعامة الى كتاب نيبال .

وفي الختام أزجي باسمي وفدي وأدباء بلادنا أصدق التحيات وأطيب التمنيات اليك يا سيدي الرئيس والى زملائنا المندوبين ، كما اننا مدينون للجنة الاتصال اللبنانية بالاستعدادات الرائعة التي أجريت لاقامتنا .

وشكرا لكم .

جويندا بامادور مالا

كلمة وفد داهومي

سيدي الرئيس ،

سيداتي ، آنساتي ، سادتي ،

اني لاهنىء نفسي على هذا الشرف غير المأمول الذي يسمح لي أن أتكلم امام هذا الجمع العظيم والمختار من أمراء الادب الافريقي الاسيوي . وأقدم شكري الحار الى اللجنة التنظيمية للمؤتمر الحالي الذي جعلنا نقدم من بلدنا الصغير والبعيد داهومي كي نشترك فيه .

لقد عرفت داهومي ، مثل جميع بلاد افريقيا ، السيطرة الاجنبية وناضلت الملوك كأبطال حقيقيين كلهم شجعان سنوات طويلة من اجل الاحتفاظ باستقلال الوطن . ولكن للاسف لم يتمكنوا من التغلب على الاجنبي بسبب نسب القوى .

ومع السيطرة أصيبت تقاليدنا وفولكلورنا وثقافتنا بصدمات عديدة . ولم تحدث أية مقاومة جدية وصريحة ضد هذه الدكتاتورية وهذا الجزع الذي أصاب حياتنا نفسها . هل يرجع ذلك الى ضعف او عدم وعي ، أو تعالي ، أو عدم شعور بالمسؤولية ؟ في الواقع هذا يرجع الى كل ذلك تقريبا .

ومع هذا حاول بعض الداهوميين أن يقاوموا بكتبهم ، مثل توفالو كنوم ، ودامانانسانت آنا ، وبول هازومي ... وكالمنتظر كتم الاستعماريون أصواتهم لانهم لا يتحملون أن يحدث اضطراب في منطقة نفوذهم .

هؤلاء الرجال الذين كانوا يفضحون أعمال الاستعمار منذ سنوات ١٩١٥ - ١٩٢٠ انما كانوا يفعلون ذلك كرجال واعين ، ليس بحمل السكاكين والبنادق وهي بالطبع أسلحة فعالة لطرد المغتصبين ، وانما باستعمال عقلهم ولغة المستعمر نفسها ، وبعملهم هذا استطاعوا أن يجعلوا الشعب والمسيطرين عليه يفكرون .

وهذا يدل ، سيداتي وسادتي ، على ان الكاتب الرزين الحقيقي هو بالفعل رجل سياسي . ولكن ليس على طريقة محترفي السياسة الذين لا يتراجعون أمام أي عمل دنيء من أجل السيطرة على الحكم . فالكاتب رجل سياسي بسبب واجبه ، بالرغم عنه ، لانه يعيش بين شعبه وينبض بما ينبض به شعبه ويشاركه أفراحه وهمومه .

ومع الاستقلال الاسمي ، ولا أستطيع أن أقول استقلال سياسي لان ذلك غير صحيح تماما ، نجد أنفسنا كل يوم أمام مشاكل جديدة . ولا يعنى القادة الذين وضعتهم القوى الاجنبية في الحكم عناية كافية بهذه المشاكل . فهم متورطون في متناقضات من جميع الاشكال ، ويهتمون بمسائل أولية لا تمت بصلة الى التطور الحقيقي للبلد .

وابتداء من هذا ، من ذا الذي يجب أن يحد من الخسائر ، ويغير من مجرى الاحداث ويشير للشعب الى طريق التقدم ان لم يكن المفكر الكاتب ، فالكاتب هو وحده الذي يستطيع أن يرسخ في عقل الشعب الافكار التي تسبغ على حركته معنى الواجب ، أن لم يشتريه الحكم القائم مما يؤدي الى نهايته وبؤسه . فالكاتب هو الموحي والدافع . ولهذا نقول ان قلم الكاتب التقدمي أقوى من القنبلة الذرية . ويقال بالطبع اننا شيوعيون ، لاننا نقول الحقيقة وهي ضوء يبهر ويضايق الصائدين في الماء العكر . وكأنما الشيوعية جريمة .

لو كان كل من يقول الحقيقة للشعب الذي يقاسي الظلم ويعاني البؤس شيوعيا ، ولو كان كل من يؤكد شخصيته ويعمل على النهوض بها شيوعيا ، ولو كان كل من يكافح من اجل السلام والرفاهية شيوعيا ، فسوف نرى ان عاجلا أو آجلا ملايين من الشيوعيين في جميع أنحاء العالم ، لا سيما في العالم الثالث . ويا لها من محاولة واهية لوضع الكاتب التقدمي ضد شعبه . ان العناصر الهدامة الحقيقية ليست هي الكتاب الافريقيين الاسيويين ، ان العناصر الهدامة توجد في المعسكر المقابل .

ان كتاب داهومي واعين ، ويميزون بين الادب التافه الرخيص والادب المكافح ذي الحيوية .

ان عملنا لا يقتصر على نشر كتبنا . ولقد استطعنا أن نحصل على فقرة مدتها ٢٠ دقيقة في البرامج الاسبوعية للاذاعة الوطنية أقدم خلالها شخصيا برنامجا يسمى « لذة القراءة » حيث اعلق على الادب الافريقي الاسيوي وأشرح قصائدنا لشعرائنا وشعراء افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية .

سيداتي سادتي ، كما تلاحظونه ، فان نشاطنا الادبي متواضع جدا . وان أعظم أمنية لنا ونحن قادمون الى بيروت هي أن نستفيد من تجاربكم وأن نناقش معكم ، لان من تصادم الافكار ينبع الضوء الذي ينير الطريق الى الرجال ذوي الارادة القوية .

ولكن يجب أن لا نخفي على أنفسنا بعض الحقائق :

ان الامبرياليين الاحتكاريين ، وأعداء استقلالنا وثقافتنا ، لم يستسلموا ، فانهم يعرفون القوة التي نمثلها ، ويبذلون كل الجهود للتسلل بين صفوفنا لافسادنا وذلك لاننا متخلفون وفقراء . سوف أندهش لو علمت انهم لا يتجولون في هذه اللحظة في دهاليز فندق الانترناسيونال . يجب أن لا نتهاون معهم والا نقبل أية مساومة معهم ، لان من مساومة الى مساومة ينتهي الامر حتما الى فرديات خطيرة تسيء الى الشعب وتهدد مستقبله . ان فقرنا قد يجعلنا نقبل عروضا مغرية لطبع مؤلفاتنا أو بالاحرى مؤلفاتهم ما داموا أشاروا لنا الى الطريق الذي يجب أن نسلكه وأثاروا الفوضى بين صفوفنا .

ولهذا يتمنى وفد داهومي أن تخلق دار نشر للكتاب الافريقيين والاسيويين حتى نتمكن أن ننتج ونظهر بكل طمانينة وفي استقلال تام .

ويجب كذلك أن نعرف الجميع بكل انتاج جديد حتى نقف كتفا بكتف لاننا نمثل حلقات من نفس السلسلة التي يريدون كسرها .

ان اعداءنا يتفقون دائما على قمعنا . فهم يلتقون ويتشاورون بانتظام كي يسحقونا . عوضا عن جبهة وحيدة فلنشكل جبهة متحدة . ولن يتحقق هذا الا بالعمل المشترك تدفعنا ارادة للوجود والحياة ولفرض شخصيتنا أمام العالم .

لقد كتب شاعر « اني موجود هنا ، والاخر في جبهة اخرى ، والصمت رهيب » . بفضل اللجنة التنظيمية ، ولمدة اسبوع ، سنقطع هذا الصمت كي نجد معا طرق ووسائل توجيه شعوبنا والعمل مع شعوبنا من أجل الاستقلال الحقيقي وتقدم بلاد العالم الثالث .

اوستناش برودنشيو

كلمة وفد منغوليا

سيدي الرئيس

سادتي الكتاب المبجلون

لقد جئنا الى هذه المدينة الجميلة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ذي المياه الزرقاء لمناقشة المشاكل الهامة ، مشاكل السلام ، والاستقلال الوطني ، والوحدة بين الكتاب الافريقيين الاسيويين . ان الوحدة في الحركة الادبية عزيزة علينا جميعا . ولا يقف حائلا دونها المسافات أو اختلاف الجنس او الدين . والان وقد أتيت الى هنا من بلاد بعيدة ، ورحت أجوب الشوارع الجميلة لهذه المدينة أجد تشابها بين السماء الزرقاء في بلادي والمياه الزرقاء في البحر الابيض المتوسط . ان شعب منغوليا يقول ان الرحمة في الانسان واسعة كالسماء وعميقة كالبحر .

ان الكتب هي التي يمكن للانسان – المقيم في كل مكان ولو تحت السيطرة الاستعمارية – أن يعلم منها كفاح وآمال زملائه وكل الشعوب في البلاد الاخرى . فما أكثر الكتب البديعة لكتاب معروفين أتلفتها الحرب مع المكافحين عن الحرية . ولكن الكفاح والادب متلازمان دائما . ونحن نعلم كم من شعب ملتهب حرض على الكفاح من اجل الاستقلال الوطني . وانني لاعلم ذلك من تاريخ بلادي .

والان يحمل الكتاب مسؤولية الماضي والحاضر والمستقبل .

واليوم ليس فقط شعوب القارتين ، وانما كل شعوب العالم تستنكر الحرب العدوانية التي يشنها الامبرياليون الاميركيون ضد الشعب الفيتنامي . وما من أحد يفكر في ان النار بعيدة عن بيته . ومن ثم فان الكتاب يجب أن يكرسوا أعمالهم للكفاح ضد المعتدين .

ان الكتاب المنغوليين وشعب منغوليا في مجموعه يؤيد كل التأييد الكفاح العادل لشعب فيتنام الباسل من اجل الحرية والاستقلال الوطني .

لقد مضت خمس سنوات منذ اجتماع القاهرة . وخلال هذه الفترة ترجم الكتاب المنغوليون عدة أعمال لكتاب افريقيين اسيويين الى اللغة المنغولية ، واحتفلوا بالذكرى السنوية للكتاب الكلاسيكيين من أمثال شوتا روستافيلي وطاغور ولوزين وغيرهم .

ان كتابنا يعتقدون ان من واجبهم دراسة الادب المعاصر الجيد .

كما اننا نعتقد اننا يجب أن ندرس التراث الثقافي للجنس البشري . وقد اعتنى الكتاب المنغوليون بالتراث التقليدي من الفولكلور والاقوال المأثورة . فضلا عن انهم يسعون دائما الى اقتناء الكتب الجديدة .

بعد مؤتمر طشقند والقاهرة وضع اتحاد كتابنا غاية له هي تنفيذ قرارات المؤتمرين وعقد ندوات لكتاب الاطفال وكتاب الدراما . ولا يفتأ اتصالنا بمنظمات الكتاب في البلاد الاخرى يزداد توثقا .

وفي نهاية يونيو من هذا العام سنعقد المؤتمر الرابع للكتاب المنغوليين ، ويسرني أن أدعو مكتب الكتاب الافريقيين الاسيويين .

انه ما من شك في ان الترجمة في غاية الاهمية لفهم حالة الادب الافرو اسيوي والعالمي وتبادل وجهات النظر . ان الترجمة هي جسر لنفهم بعضنا البعض ، كالجسر الذي نعبر عليه نهرا عريضا ، ومن ثم فان جمعية الادباء الافريقيين الاسيويين يجب أن توجه مزيدا من العناية للترجمة .

ان الشعب المنغولي يعلم بالتجربة ما هو الاستقلال وما هي

المساواة ، ووطني من أقدم البلاد في العالم . ان منغوليا التي اعتادت أن تكون بلادا للرعاة قد أصبحت اليوم بلادا زراعية وصناعية . ونحن اليوم نبني الاشتراكية في بلادنا ، وكل الشعب متعلم . وقد منحوا تعليما مجانيا ورعاية صحية . ولا أستطيع أن أقول اننا ليس لدينا كاتب لا يعبر عن كفاح شعب منغوليا في عزيمة واصرار .

اننا الان نناقش كلا من المشاكل السياسية والمشاكل الادبية التي تواجهنا ، وهذا ملائم رغم اختلافاتنا الايديولوجية . وان المهام التي على عاتقنا لتتطلب الوحدة والتعاون الوثيق .

ان الايديولوجية الامبريالية تدعو الى الكف عن الكفاح من أجل الحرية الوطنية ، والشعوب المتباينة تراودها نفس الامال .

وواجبنا أن نكافح ضد العبودية الروحية للجنس البشري ، ان الشباب يحتاج الى الاعمال التي تعبر عن الكفاح من اجل الحرية والاستقلال الوطني والانسانية ، وانني أود أن أؤكد اننا بحاجة الى الاعمال المكرسة للكفاح من أجل حقوق المرأة . فاسألوا أنفسكم لو تكرمتم ماذا فعلتم ككتاب حديثين ؟

اننا نحن الكتاب المنغوليين نعرب عن تأييدنا لحركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ونكرس مواهبنا لقضية السلام والامن العالمي والكفاح ضد الامبريالية والاستعمار ، والاستعمار الجديد ، وسنضطلع بدور ايجابي في أعمال منظمة الكتاب الافريقيين الاسيويين .

وانني آمل أن يكون هذا المؤتمر مثمرا في تحقيق الوحدة ليس فقط في نطاق حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ، وانما كذلك في حركة الكتاب التقدميين في العالم .

وأود أن أعرب عن شكري لاصدقائنا اللبنانيين من أجل الاستعدادات التي قاموا بها ومن أجل الفرصة التي أتاحوها لنا للاشتراك في المؤتمر .

سونومين يودفال
رئيس اتحاد الكتاب المنغوليين

كلمة الوفد الصومالي

سيادة الرئيس ،
اخواني الكرام ،

ان من دواعي سرورنا مشاركة اخواننا من وفود كتاب الشعوب الافريقية الاسيوية في هذا المؤتمر المنعقد في العاصمة اللبنانية التي كانت ولا تزال همزة وصل بين مختلف التيارات الفكرية وملتقى الحضارات الانسانية .

اخواني الكرام ، كلنا نعلم ان الادب في الشعوب الافريقية الاسيوية قد لعب دورا هاما في القضاء على الاحتلال الاستعماري الذي جثم على القارتين حقبات طويلة من الزمن ، ودور الادب في الصومال كسائر البلدان الافريقية لم يكن مقتصرا على التوعية وشحذ حماس الجماهير واحساسهم فحسب ، وانما كان في بعض الحالات مبعثا للحركة الوطنية نفسها ومشعلا لشرارات ثوراتها المتعددة . فأسد الصحراء السيد محمد عبد الله حسن الذي قاد الثورة ضد الانجليز والايطاليين والفرنسيين والاحباش زهاء ربع قرن هو السيد محمد عبد الله حسن شاعر الصومال الاول قبل ان يكون قائدها ورائد ثورة الدراويش . ولا اخال ان هناك من يعلم ان الصوماليين استغلوا جهل المستعمرين بلغتهم والالام في أعماقها البعيدة في اذاعات المستعمرين أنفسهم في برامجها الفنائية باللغة الصومالية .

فقد حدث في اكثر من مرة ان استمع الشعب من هذه الاذاعات الى أغاني وأشعارا يلقيها بعض الادباء والفنانين الصوماليين يدل ظاهرها على الغزل او مدح فتاة تتحسر من سوء حظها بجمالها .. بينما لم تكن هذه الاشعار وتلك الاغاني الا اغاني واشعارا وطنية تتجسم فيها كل الروح الوطنية وتبرز في طيها الاحابيل الاستعمارية .

واذا كان الشعر الكلاسيكي قد اتسم في مثل هذه الحالات بهذا المظهر المغلف الا انه في مجالاته الشعبية كان أكثر سفورا تتجلى فيه معالم الشجاعة والنخوة الوطنية .

وفي الصومال الفرنسي والحبشي وفي « انفدي » (N.F.D.) يحدث اليوم نفس ما كان يحدث في الجمهورية الصومالية أثناء الاحتلال الاجنبي .

اخواني ، اذا كانت معظم شعوب القارتين قد ابتليت بالغزو الاستعماري الذي طبع على أدب شعوبها وألبسها ثوب الحزن والتحسر ثم الحث على الجهاد وبالتالي تجسيم الامال في التخلص منه فان مؤامرة التجزئة وتقسيم الشعب الصومالي الى اقسام خمسة قد ضاعفت من مسؤولية الادب والادباء الصوماليين مما غطى على اي فكرة أخرى ، تلك التجزئة التي كانت نتيجة لمؤامرات دولية ضد شعب صغير .

واذا نظرنا الى الادب الصومالي نراه يتفاعل مع الصدمات السياسية التي كانت تتلاحق وتنزل عليه . وقد تعرضت المنطقة لسلسلة من المعاهدات تبلغ في مجموعها ٤٨ معاهدة أبرمت بين انجلترا وفرنسا وايطاليا والحبشة تتعلق كلها على تقسيم الحدود وتجزئة الشعب الواحد بل وأفراد العائلة الواحدة الى خمسة أجزاء .

أيها الاخوة ، ان هذا الشعب الذي تعود على هضم كل هذه المؤامرات التي تفوق طاقة أي شعب في القارة لم يفاجأ بالتآمر الفرنسي الحبشي الاخير ضد الشعب الصومالي في ساحله المحتل ، واليوم تقوم السلطات الفرنسية بابادة جماعية للقضاء على الشعب الصومالي في هذه المنطقة بعد تزويرها للاستفتاء الاخير في ١٩ مارس ١٩٦٧ ، هذا الاستفتاء الذي لم يكن عدد المؤيدين الحقيقيين له يزيد عن ٣ ٪ من المجموع الكلي للسكان الاصليين . ونفس ما يحدث في الصومال الفرنسي وفي الصومال الحبشي وفي « انفدي » (N. F. D.) يحدث أيضا في أرتيريا حيث يتعرض الشعب الارتيري هناك لوحشية تتضاءل أمامها حروب العصور القديمة بكل ما كانت تحمل من فظاعة وقسوة .

اخواني ، ان قضية الشعب الصومالي في مناطقه المحتلة ، وقضية الشعب الارتيري في حقوقه المهضومة ، وقضية الشعب الفلسطيني في أرضه المغتصبة ، وقضية الشعب الفيتنامي في صموده ضد أقوى قوى العدوان ، وقضايا جميع الشعوب في اسيا وافريقيا ، في عدن وانجولا وموزامبيق وفي روديسيا وجنوب افريقيا ، هي قضايا الانسانية جمعاء وقضايا التحرر والسلم الانساني ، ثم قضايا الاقلام الحرة التقدمية في كل مكان .

كلمة رئيس وفد مالطة

قد يكون من الافضل تقديم مالطة اليكم .

ان بلادنا جزيرة صغيرة .. مساحتها ١٢١ ميل مربع وعدد سكانها ٣١٦٠٠٠ .

ومنذ فجر التاريخ الى منتصف ليل ٢١ سبتمبر ١٩٦٤ كانت مالطة مستعمرة . ثم منذ منتصف ليل نفس اليوم أصبحت مالطة خاضعة للاستعمار الجديد .

وقد عشت في مالطة الخاضعة للاستعمار القديم والجديد ويؤذيني أن أرى الفارق .

ان الحارس الاستعماري المحلي القديم لا يزال يقوم بعمله في ظل الكلب القديم ، الذي قد يكون قد فقد بضعة أسنان وغير أساليبه ولكنه احتفظ بصلفه القديم .

منذ بضعة أيام مضت نبح هذا الكلب علينا مرة أخرى ونبح بصوت مرتفع يشبه صوت حارسنا القديم الفظ ولجأ الى الوسيلة الاستعمارية القديمة ، وسيلة القمع ، وقد أعطاه سلاحه ليلوكه .

والنتيجة الخالصة ستكون زيادة في المستوى الحالي للبطالة في الجزيرة ، وهي أرفع نسبة في أوروبا ، اذ تبلغ نحو ١٠ ٪ ومدخرات صافية تبلغ اثني عشر مليون جنيه استرليني في العام لبريطانيا في عام ١٩٧٢ مع استمرار حق بريطانيا في احتلال قاعدة مالطة .

ولم يرفع صرخة الاستنكار سوى حزب العمال المالطي ، لا لشيء الا ليجد مرة أخرى ذات العناصر المحافظة المذبذبة التي تساندها الصحافة الكاثوليكية وبعض الكهنة الكاثوليك المتنفلين ضده .

ولم يكن هذا بالشيء الجديد أو المدهش بالنسبة لحزب العمال المالطي ، وانما كان صورة طبق الأصل لاحداث الماضي التعيس الذليل .

بيد ان ذلك لم يعقنا أيها الاصدقاء ، وانما نعالجه بنفس الوسيلة التي عالجنا بها الموقف في الماضي . اننا نكافح لنهزمه ، ونحن نفهم من تجارب الماضي ، اننا حتى لو لم ننجح في قسره على التسليم بغير شرط ، سننجح في أن نكسر شكيمته ونحطم اسنانه ونوجه أغراضه نحو عمل حساب العمال المالطيين وآمالنا الوطنية في سبيل تحقيق استقلالنا الاقتصادي الناجز .

ومنذ عام ١٩٥٦ وجهت مطبوعات العمال المتوالية نحو هذه الغاية ، أولا للحصول على الاستقلال السياسي ، والحصول عن طريقه على الاستقلال الاقتصادي ، الذي يعني في الحقيقة والواقع هزيمة الاستعمار الجديد وتحقيق الاستقلال السياسي الحقيقي .

اننا مرة أخرى نعلم اننا سنجد تكتلات في مواجهتنا من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في مالطة مع كل العناصر المحافظة والمذبذبة ، والمستوطنين البريطانيين والرأسماليين المالطيين وكلب الحراسة البريطاني . اننا لن يعوقنا كل ذلك ، وانما سنجتاز كل عقبة .

ان حزب العمال أكثر استعدادا اليوم لمعالجة الموقف عما كان منذ بضع سنوات مضت . فللحزب مطبعته الخاصة التي تصدر صحيفة مالطية يومية ، ومجلة انكليزية شهرية ، تعمل على تصوير الموقف في مالطة أمام أنظار العالم ، ومجلة مالطية شهرية مخصصة للجيل الجديد .

وعن طريق هذه المطبوعات ، وعن طريق المؤتمرات والاجتماعات الشعبية ، وصوتنا في مجلس النواب ، نحن موفقون في القيام برسالتنا، وسننجح كما نجحنا في الماضي في احباط أغراض الاستعمار الجديد ، وهزيمته هزيمة حاسمة .

وقد علمتنا تجارب الماضي ان الوسائل التي استخدمناها قد نجحت . فقد يستبعد حزب العمال عن الحكم ، بصفة رئيسية بسبب ارتكابه الخطيئة المميتة تجاه كل الناخبين الكاثوليك الذين يعطون أصواتهم لحزب العمال ، ولكن الحزب ما زال يحتفظ بأقوى ادارة ، وتنظيم ، وهو ما يزال قوة سياسية لها وزنها .

ان ثمة علامات تدل على نجاحنا . فالحرمان الذي وقعه أساقفة مالطة على كل أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب العمال ، قد رفع من جانب واحد وبدون شرط . والخطيئة المميتة التي دفعت بها قراءة الكاثوليك لمطبوعات حزب العمال قد رفعت كذلك دون شرط . وفي خلال أربعة أعوام ازداد عدد ناخبي الحزب ١٠ ٪ وقد حصل على ٢٤ ٪ من أصوات الحزب الوطني المحافظ الحاكم ، الحزب الذي تسانده وتساعده الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في مالطه والرأسماليون البريطانيون .

وحتى في السياسة الخارجية ، يمكن لحزبنا ولو من مقاعد المعارضة أن يؤثر في سياسة الحكومة . ان حكومة مالطة المحافظة لا تتكلم بعد عن الاحلاف العسكرية مع بريطانيا وحلف شمال الاطلنطي . وهو يواجه بالرفض احتمال وضع القوات المالطية التي لا زال البريطانيون يدفعون أجورها ويقودونها تحت اشراف الامم المتحدة . وحكومتنا لم توجه سياستنا بعد نحو عدم الانحياز ، ولكنها تخاف من ان تنحاز صراحة لجانب أي كتلة عسكرية ، حتى كتلة حلف شمال الاطلنطي . وان كان ميلها لا يزال يتجه الى حلف شمال الاطلنطي .

وحزب العمال من الناحية الاخرى يصمم على سياسة عدم الانحياز . انه يسعى الى تقوية القوة الثالثة ، لانه يسعى لان يرى نهاية لسباق التسلح ، بحيث ان الاموال الطائلة التي تنفق على التسليح مع ما يترتب عليه من خطر نشوب حرب عالمية ثالثة ، ستوجه الى البلاد المتخلفة .. وستوجه في خدمة الانسانية ولصالحها . ان حزب العمال يفعل ذلك على أمل أن يحطم الحواجز القاسية الفاشمة بين الاجناس والفوارق بين المستويات الثقافية المختلفة . ان حزب العمال وحده في مالطة هو الذي يستنكر الحرب في فيتنام . ويعترف بحركة التحرير الفيتنامية وانهاء الاستعمار البرتغالي ، وكل استعمار اخر ، والقضاء على السياسة الحمقاء الشائنة ، سياسة التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا وجنوب غرب أفريقيا ، واستخدام القوة ما دامت كل الوسائل الاخرى قد فشلت ضد حكومة ايان سميث غير الشرعية في روديسيا ، وكل النظم الحمقاء التي تقيمها السياسة الفاشية في كل مكان .

وأخيرا فان حزب العمال في مالطة ، اذ يدرك تاريخ وأصل الشعب المالطي ولغته ، واذ يدرك الصعوبات الاقتصادية وصغر حجم الاقتصاد المالطي ، قد وعد الناخبين انه سيسعى - اذا وافقت الحكومة الليبية - الى تشكيل اتحاد جمركي ، مما يعود بالفائدة على البلدين .

وربما يكون أصدقائي غير عالمين أن الشعب المالطي ذو أصل سامي ولا يزال يتكلم لغة نمت في أصلها الى اللغة العربية الخاصة بفرع شمال افريقيا .

لقد جاء قومي منذ زمن بعيد جدا من لبنان ، ثم بالطبع الفينيقيون ، ولمدة سبعمائة عام عاش الفينيقيون والقرطاجنيون في مالطة . وحتى اليوم بعد مرور ألفي عام من الحرب البونية ، ستجدون اسماء الاماكن في مالطة مثل « هالباركا » اسماء قرطاجنية . وقد كان هاميلكار ، والد هانيبعل وهازوروبال يعيش في مالطة . وكونه هو أو ولداه الشهيدان هناك أمر موضع تخمين ولكن من المؤكد من المؤرخ الروماني ليفي ان هاميلكار كان لا يزال في مالطة حين احتل الرومان جزيرتنا .

ومن الحقائق كذلك ان الامراء حكموا مالطة اكثر من مائتي عام ، ولا زال تلدينا أقدم وأجمل مدينة في مالطة وهي التي تسمى « مدينة » وعاصمتها الجميلة (التي اتفق انني ولدت وعشت فيها) تسمى « رباط » .

قد أكون قلت ما فيه الكفاية . وسأختم كلامي بكلمة مالطية قد يفهمها أصدقاؤنا جيداً وهي « صحة » التي قد تعني « الى اللقاء » ولكن يمكن ان يكون معناها « القوة » .
ان الصحة في الاتحاد والتضامن أيها الاصدقاء ، فلنتذكر ذلك .

كلمة سول جواكو باندلوفو
رئيس تحرير « ذي زيمبابوي ريفيو »
الجريدة الرسمية لاتحاد الشعب الافريقي بزيمبابوي

أحييكم أيها الاصدقاء الاعزاء باسم الملايين الاربعة من شعب زيمبابوي لا يعتبر مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين هذا مجرد رمز زيمباوي لا يعتبر مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين هذا مجرد رمز ساطع للوحدة والتعاون بين اسيا وافريقيا فقط بل موردا فعالا لالهام يمكن القضاء به على القهر والاستعمار والاستغلال والظلم في هاتين القارتين العظيمتين .

وفي وطننا زيمبابوي يقوم المستوطنون البريطانيون بالتواطؤ مع بني جلدتهم في بريطانيا ارتكاب فظائع وحشية ضد الملايين الاربعة من الاهالي الافريقيين غير المسلحين . فقد اقاموا جهازاً سياسيا وعسكريا نازي الطراز يعجب أقرانهم من الفاشيين في جنوب افريقيا والبرتغال وألمانيا الغربية .

وارجو أن تغفروا لي أيها الاصدقاء لاني ادفعكم الى مجال سياسي في مؤتمر للكتاب . ولكن المكان الذي قدمت منه لا يوجد به شيء يكتب عنه اللهم الا السياسة في هذه المرحلة الدقيقة من نضالنا من أجل التحرر من العبودية الاستعمارية والرأسمالية .

أن الكتاب في زيمبابوي الذين يحاولون أن يسجلوا كتابة ما يشهدونه في وطنهم يحرمون من ذلك عن طريق الاجراءات التعسفية التي تتخذها حكومة الاقلية من المستوطنين الروديسيين . فالبريطانيون في روديسيا لا يشجعون الموهبة الافريقية ، اذ تشكل هذه الموهبة خطرا على احتكاراتهم وطريقة حياتهم . وعن طريق سلسلة من القوانين تم ويتم القضاء على هذه الموهبة في مهدها ، لان قاهرينا يؤمنون ايضا بأنه في ظل ظروف معينة يمكن للقلم أن يكون أقوى من السيف .

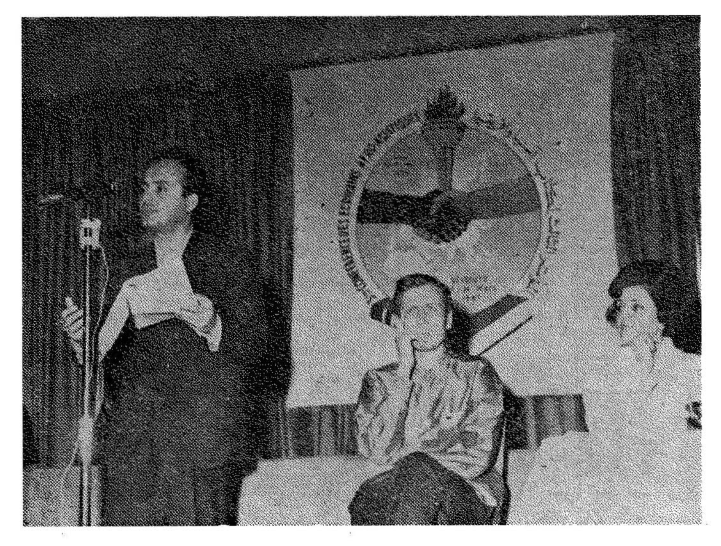
وقد منعت الكتب والمطبوعات التي يكتبها كتاب زيمبابوي ، وقد لقي مثل هذا المصير جريدة « الزيمبابوي » و « ذي زيمبابوي صن » . ان قضاء المستوطنين البريطانيين على ثقافة وموهبة شعب زيمبابوي جزء لا يتجزأ من المؤامرة غير الانسانية التي تتحكم في مصيرنا . ولا تتاح حرية التعبير في روديسيا الا لهؤلاء الذين يتفقون مع الفاشيين والعنصريين في بلادنا .

ويستخدم البريطانيون في روديسيا كل ما في وسعهم لاسكاتنا وكبتنا . فهم يسيطرون على الصحف عن طريق رقابة شديدة ، وهم يصادرون الكتب والمجلات والكتيبات .. الخ .. طالما انها تعارض السياسة الفاشية والتفرقة العنصرية التي تمارسها الديكتاتورية الروديسية .

ما هو الطريق الذي اخترناه ، نحن الضحايا التي تعاني ، من أجل تحرير أنفسنا ؟ لقد اخترنا الكفاح بلا هوادة حتى نحصل على الحرية الحقيقية والمساواة والحق في التمتع بخيرات بلدنا بلا عائق او مانع . اننا سوف نواصل استخدام القلم مهما حرمت كتاباتنا او لم تحرم . وسنواصل فضح القلم البريطاني في ارضنا ونحن نواصل القضاء على المستوطنين الطغاة وثرواتهم الضخمة التي حصلوا عليها بغير وجه حق .

وبمساعدة أصدقائنا سوف يتم القضاء على الخديعة والكبت والاستغلال البريطاني في روديسيا . وسوف يقوم كتابنا حقيقة بتنمية مواهبهم تنمية تامة وبدون تدخل . ان قدر الاسهام الذي يجب أن نقوم به في الثقافة الافريقية الاسيوية ، قدر كبير ، ولكن الكبت البريطاني وأد مواهبنا الخلاقة في المهد . ونحن نكافح ضد هذا الخنق المتعمد ، ولما كان أصدقاؤنا في الجزائر وغيرها قد نجحوا فلماذا لا ننجح نحن أيضا ؟ ان شعب فيتنام وعدن الذي يقاتل الان بلا هوادة ضد الكبت الاميركي والبريطاني غير مصنوع من معدن غير معدننا ، ولهذا فاننا سنقاتل بالقلم وبالسيف وبالمدفع . ونحن لن نستريح أو نأمن حتى يلقى الاستعماريون قاهرو افريقيا واسيا هزيمة تامة . وهم سوف يستخدمون كل تكتيك وتقنية للبقاء في قارتينا واستغلالهما . انهم سوف يصبحون اكثر وحشية ، وهم يلقون الهزائم المتتالية .

تعالوا أيها الاصدقاء الاعزاء الى جنوبي افريقيا واشهدوا البؤس الفاضح الذي حاق بأصحاب هذا الجزء من افريقيا الشرعيين لتدمى قلوبكم بالاسى والسخط وأنتم تخطون انطباعاتكم . ان البريطانيين وبني جلدتهم يرتكبون جرائمهم ضد الانسانية باسم المسيحية والمدنية . ونحن نكافح من اجل انقاذ الانسانية وحقوقها ، لاننا نؤمن بأن الانسان ـ لكي يكون انسانا حقا ـ ليس في حاجة من الصفات الا للانسانية . ونحن نعتقد ان شعوب افريقيا واسيا ما تضامنت مع بعضها البعض وعقدت الاواصر فيما بينها الا من اجل هذه القضية النبيلة . ولم يخطر على بالنا ولو للحظة واحدة ، أن نقلل من أهمية التضامن بين شعوب افريقيا وشعوب اسيا . فمن أجل هذا التضامن حيانا أصدقاؤنا اللبنانيون بهذا الكرم الفياض . ونحن نحييهم ونعدهم بأنهم سوف يتذوقون في يوم من الايام كرمنا في زيمبابوي ، فعلى أفريقيا واسيا



ادونيس يلقي ترجمة شعر افتوشنكو الذي يبدو الى يساره عايدة مطرجي ادريس

***

الا تترددا ، على تضامنهما أن ينمو ويقوى من خلال أقلامنا وكلماتنا وأفكارنا وأعمالنا . ولتبعث أقلامنا الوهج في شعلة الحرية المتقدة في جميع أرجاء العالم . ان أقلامنا مصوبة الى أهداف واضحة : الاميركيون المعتدون في فيتنام ، واللصوص الطغاة البريطانيون في زيمبابوي وعدن ، الخ .. والفاشيون السفاحون في جنوب افريقيا وموزامبيق وانجولا وغينيا « البرتغالية » وجنوب غرب افريقيا .

كلمة وفد اليابان

سيدي الرئيس ،
أيها الاصدقاء ،

يود الوفد الياباني أن يعبر عن شكره وتقديره القلبي للجهود الضخمة التي بذلها الاصدقاء اللبنانيون والسكرتارية الدائمة لاعداد هذا الاجتماع التاريخي للكتاب الافريقيين الاسيويين بعد التغلب على مختلف المصاعب .

ومنذ حوالي سبعين عاما قال الشاعر والفيلسوف الياباني الكبير تنشين اوكاكورا « ان اسيا واحدة » ، وفي ذلك الوقت كان معظم أجزاء اسيا وافريقيا تحت نير الامبريالية والاستعمار ، وكانت أمم هاتين القارتين مقسمة ومهددة . وكانت فكرة « اسيا واحدة » فكرة صادقة لان بلاد اسيا كانت تعاني من شيء مشترك هو استغلال الدول الاجنبية لها .

وقد نمت نضالات شعوب اسيا وافريقيا وأصبحت اكثر عددا يوما بعد يوم مع تطور التاريخ وبصفة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي النهاية تغير الموقف تغيرا كبيرا حتى وصل الى الوضع الحالي كما نشهد اليوم . بيد انه لا داعي للقول بأن النضالات من اجل التحرير والاستقلال ما زالت مستمرة بأبعاد مختلفة .

وأود أن أتحدث هنا عن موقف اليابان الخاص في اسيا . ففي الماضي قامت الحكومة اليابانية بأدوار رجعية في تاريخ الكفاح ضد الاستعمار . ولذلك فاننا نحن الكتاب والشعب الياباني مصممون تصميما حاسما على أن لا نسمح بمثل هذا المسلك مرة اخرى .

وفي رأينا أن الموقف الحاضر في اسيا وافريقيا اللتين تكافحان من أجل التحرير الوطني لا يسمح لنا بكثير من التفاؤل .

ففي ظل الاقنعة الجديدة المختلفة تحاول الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد انتهاز كل فرصة ممكنة لتحقيق أطماعها .

فلننظر الى الحرب الفيتنامية ، فهي خير مثال على ذلك .

وقد أبرمت حكومة اليابان والولايات المتحدة الاميركية الحلف العسكري ضد رغبة الشعب الياباني . وعلى سبيل المثال فانه طبقا لهذا الحلف أصبحت أوكيناوا ، وهي جزء من أرض اليابان ، تستخدم الان كقاعدة حربية اميركية . ولكنني أستطيع أن أقول لكم ان الشعب الياباني يواصل في عنف نضاله لمعارضة مثل هذه السياسة .

أيها الاصدقاء ،

كما تعلمون ، فان الصين من الناحية التاريخية هي أقرب الاصدقاء صلة باليابان . وقد كانت حقيقة تحول الصين لتصبح بلدا اشتراكيا بفضل ثورتها ودعمها لبنائها الاشتراكي سبب لوجوب أن تصبح اكبر سند لكل القوى التقدمية في العالم .

وليس من شك في انه في مواجهة الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية فان وحدة البلاد الاشتراكية هو الامر الاكثر الحاحا ، ولكن للاسف فهناك انقسام وخلافات في المعسكر الاشتراكي ، ونحن نأمل في اخلاص أن ياتي اليوم الذي تتحقق فيه وحدة البلاد الاشتراكية في أسرع وقت ممكن — ان الوحدة أمر لا يمكن الاستغناء عنه من اجل تحقيق انتصاراتنا في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار ، والاستعمار الجديد .

ونحن الكتاب اليابانيون نرغب رغبة شديدة في تنمية مزيد من التفاهم المتبادل عن طريق الاتصال الودي بين كتاب اسيا وافريقيا . ونحن نأمل أن يكون من نتائج هذا المؤتمر الباهرة أن يزداد الاقبال على قراءة أعمالنا الادبية بين شعوب اسيا وافريقيا ، وان تعكس الاداب الافريقية الاسيوية نضالات شعوبها بحيوية .

ورغم اننا ندرك ان هذا المؤتمر يطلق عليه المؤتمر الافريقي الاسيوي الثالث الا اننا نؤمن ان النتائج المحددة ستنبثق بصفة عملية ابتداء من مؤتمر بيروت هذا .

شكرا لكم .

شيروها سيغاوا

كلمة وفد تركيا

يعود استقلال البلاد الافريقية الاسيوية الى زمن بعيد . وسوف يتناول التاريخ في القرون المقبلة هذا الوضع الرهيب الشائن مستنكرا هذه الحقيقة التي مرت بها البشرية . وقد مهد الاستعمار ، الذي يواكب الامبريالية ، الطريق لاحداث بشعة كثيرة .

وأنا لا أشير الى هذه الاحداث هنا ، لان الحديث عنها لا يمكن أن يضمه مقال واحد . ان الامم الافريقية الاسيوية تناضل منذ سنين لتحقيق استقلالها الاقتصادي والسياسي . ورغم ان النتائج النهائية لم تتحقق بعد ، الا انه قد تم احراز تقدم ضخم في كثير من البلاد . وفي هذا النضال المقدس الذي يعني الدفاع عن الحقوق الانسانية والحرية ، من الطبيعي أن تنشأ مشاكل كثيرة . ولكن طالما ان هذه المشاكل لم تحل نهائيا فانها ستعرقل تحقيق الاهداف النهائية .

وطبقا لارائي الشخصية ، فان أضخم مشكلة هي الاختلاف في الاراء والافكار بين الامم الافريقية — الاسيوية .

ومما ينتقص من فعالية النضال انتقاصا شديدا ان هذه الدول التي يجب عليها أن تقاتل عدوا مشتركا تتردد في ان تتعرف على بعضها البعض ، وفي أن تجمع قواها معا ، وفي أن تتعايش في انسجام ووفاق .

واذا بحثنا عن الاسباب التي توضح الموقف واخترنا الحديث بلا قيود ، فاننا نستشعر دور الامبريالية والاستعمار الجديد في هذا الموضوع أيضا . وفي الحقيقة فانه يوجد في كل البلاد ، بما في ذلك بلدي ، أناس يتعاونون وعلى استعداد للتعاون مع الامبريالية والاستعمار الجديد . وعلي أن أقول ككاتب وكشاعر من بلد شن حربا من أمر الحروب ضد الامبريالية والاستعمار انه من الضروري صيانة وحماية الاهداف التي تكتسب أثناء الكفاح بكل عناية .

وفي البلد الذي لا تلقى فيه حماية مثل هذه الاهداف عناية كبرى ، فانني أعرف جيدا كيف يتطور الموقف وبأية وسائل تحقق الامبريالية والاستعمار الجديد أهدافهما ، اذا لم يستطيعا تحقيقها عن طريق الحرب .

وهذا أمر خطير ، لان البلد الذي قاتل مثل هذه الحرب سوف يجد نفسه بعد فترة من الزمن يواجه بلادا تقاتل نفس حرب التحرير .

ويجب علينا نحن شعوب البلاد الافريقية الإسيوية ان نكون يقظين تماما . فقد قطعنا كل خطوة من خطوات نضالنا بحذر شديد . أما اليوم فان أقوى أسلحة الامبريالية ، هو بث الفرقة بين الأمم الافريقية — الاسيوية .

ويتتبع الادب التركي موقف البلاد المستقلة تتبعا وثيقا . فقد كتب الكثير من النثر والشعر عن الكفاح الذي شن في مصر والجزائر وفي بلاد افريقية ، وفي فيتنام ، وفي أراضي اسيا التي تعاني من القهر والاستغلال . وقد استوحت هذه الكتابات والاشعار نفس الموضوع : معارضة الاستعمار والامبريالية ، ويعتبر ناظم حكمت الشاعر التركي الكبير أوضح مثال على ذلك .

ولكن هل يكفي هذا الجهد ؟ واني أسأل نفسي هذا السؤال رغم انني كتبت كثيرا عن هذا الموضوع . واجابتي على هذا السؤال هي بالنفي . فهذا الجهد لا يكفي لان عصرنا عصر تنظيم . فقد نظم الاستعمار والامبريالية نفسيهما بالوسائل الحديثة ، وانه لسلوك شريف أن يعارض الانسان ويناهض الاستعمار والامبريالية ، ولكن من غير المناسب أن يعارضهما الانسان كفرد . فنحن نعيش عصرا يجب أن تتحد فيه كل القوى . وينطبق نفس هذا الشيء على ميدان الادب . ويجب علينا أن نعرف بعضنا البعض معرفة وثيقة في ميدان الثقافة والادب . واذا زدنا من اتصالاتنا ، ووصلنا الى تفاهم بخصوص موضوع يتعلق بمسائل بلادنا ، واذا درسنا تركيبهما النفسي والاجتماعي ، واذا قيمنا الاحداث تقييما صحيحا فسوف تزداد انعكاساتها على ادابنا .

وهناك احتمال قليل في أن يحقق الفنان أو الشاعر نتائج بناءة ما لم يستطع تفهم مشاكل زماننا وتنظيم مسلكه ازاءها . ان مهمة الشاعر في زماننا اكثر أهمية مما يظن . ان الشعراء والكتاب والفلاسفة مسؤولون عن المواقف التي تقفها هذه البلاد . ان مسلك الكتاب أمر هام للغاية بالنسبة لشعوب اسيا وافريقيا . وعلينا نحن الشعوب أن نعرف كيف نوقف هؤلاء الكتاب الى جانب قضايانا . ان الكاتب الذي لم يمنح فكرة لفيتنام أو لاية أرض أخرى مستقلة لا يمكن اعتباره قد قام بواجبه .

ويجب على كتاب البلاد الافريقية الاسيوية من اجل القيام بواجباتهم ومن اجل حماية وانقاذ حرية الامم المغلوبة على أمرها ، أن يعرفوا المشاكل معرفة وثيقة ، وان يعرفوا بعضهم البعض معرفة جيدة ، وان يعملوا متضامنين ضد العدو المشترك .

نيفزات أوستون

كلمة وفد ايران

اسمحوا لي أن أعبر عن شكري الخالص لمنظمي هذا المؤتمر على الدعوة الكريمة التي وجهوها لي للاشتراك فيه . ان هذه هي المرة الاولى التي يشترك فيها ايراني في مؤتمر الكتاب الاسيويين الافريقيين . ومن دواعي الغبطة البالغة أن ينعقد مؤتمرنا هذا في مدينة بيروت التاريخية الجميلة ، عاصمة الجمهورية اللبنانية . وأود أن أنتهز هذه الفرصة لاقدم شكري الحار الى زملائي اللبنانيين المحترمين والى الشعب اللبناني على هذه الحفاوة البالغة وهذا الاستقبال الحار .

اننا جميعا ، نحن الذين اجتمعنا هنا ، قد وضعنا أقلامنا في

خدمة شعوبنا . وأهدافنا هي الاستقلال الوطني والحرية والديمقراطية والسلام . ولقد آتى حين من الدهر استطاعت فيه شعوبنا فرادى أن ترغم أعداءنا على الخضوع وهم صاغرون . واليوم فان الصناعة الحديثة والتكنيك الحديث ووسائل المواصلات العصرية واخيرا كتلة البلدان المعادية للاستعمار قد ربطت مصائرنا ربطا وثيقا الواحد مع الاخر . فحيثما تستعر نار وتنشأ بؤرة حرب في اي مكان في الارض فانها تهددنا في عقر دارنا . هل من الضروري أن نشير الى ان الحرب الاجرامية التي يشنها المستعمرون الاميركيون في فيتنام تهدد وجود الجنس البشري ؟ ألا يمكن للقنابل التي تدمر أكواخ الفلاحين الفيتناميين أن تدمر دورنا ومنازلنا أيضا ؟ وهل يستطيع أي منا الا أن يهتز أعنف الاهتزاز اذ يسمع بطعنات الخناجر القاتلة الغادرة التي يغرسها الغزاة في قلوب المناضلين الفيتناميين ؟ ألا نفكر بأطفالنا نحن عندما تحرق قنابل النابالم وجوه أطفال فيتنام وتمزق القنابل أجسادهم ؟

لقد آن الاوان لنا نحن الكتاب الذين نسعى جاهدين لتصوير آمال شعوبنا وأحلامها وللتعبير عن آلامها وأفراحها ، ولاحياء أمجادها التليدة ، ولوصف مستقبلها الوضاء الحافل بالنضال والجميل ، وصفا حيا .. آن الاوان لنا لنجمع صفوفنا ونتحد ازاء الخطر الذي يهدد الوجود الانساني وأن نقاوم جميع التهديدات والمؤامرات التي يدبرها الاستعماريون والاستعماريون الجدد ...

ان شعبنا الذي يناضل هو ايضا من اجل الاستقلال والديمقراطية يدعم من كل قلبه النضال من أجل استقلال جميع الشعوب . ان الشعب الايراني يستنكر الحرب الوحشية التي يشنها الامبرياليون الاميركان في فيتنام ويطلب السلام لهذا البلد . كما يأمل شعبنا بأن اقامة علاقات ودية مع البلدان الاشتراكية ، وخاصة مع الاتحاد السوفياتي ، سيساعدنا على التخلص من تحكم شركات البترول الاميركية ويؤدي بذلك الى تدعيم الديمقراطية في بلدنا .

لا ريب في ان هذا المؤتمر ، الذي يجمع صفوة كتاب اسيا وافريقيا ، سيتخذ قرارات هامة . ان هدفنا هو ان نكافح في سبيل قضيتنا المشتركة وأن نعزز الاتصالات بيننا وأن نوطد صداقتنا ، ونقوي تضامننا ، وأن نرسي دعائم التفاهم المتبادل بيننا ، حتى في الاحوال التي يكون فيها خلاف في الرأي بين حكوماتنا حول هذه القضية او تلك . ان واجبنا الاقدس انما هو دعم حركة التحرر الوطني بأدبنا الذي نكتبه .

ولذلك فانه من الاهمية بمكان ان نسعى للجم التغلغل اليومي المتزايد للثقافة الزائفة الاستعمارية الجديدة في ثقافتنا الوطنية . اننا نسمع بعض الاحيان ان الامبريالية قد قضي عليها وان الامم المتحدة قد نددت بالحكم الاستعماري وادانته فعلام جهودنا اذن ؟ وفي مثل هذه الحال فلا بد للمرء أن يسأل : واذن فما الذي يحدث اليوم في جنوب افريقيا ، في انجولا وفي الموزامبيق وفي روديسيا ، وماذا يمكن أن نسمي ذلك ؟ صحيح ان الزمن الذي كان فيه اعداؤنا يستطيعون ببضعة مدافع ان يقمعوا حركة الاستقلال الوطني دون رادع ، وهم بمنجاة من العقاب قد ولى وانقضى . وفي أثناء الاحداث التي جرت عند قناة السويس – على سبيل المثال – منيت قوات الاستعماريين المشتركة بهزيمة مجللة بالعار . بيد ان الاستعماريين الجدد أخذوا يتبعون وسائل جديدة . ان ما لم يستطع هؤلاء انجازه خلال مائتي سنة من سيطرتهم الاستعمارية ، يحاولون الان أن يتموه عن طريق التغلغل الثقافي . ان الاهتمام والحرص على التراث الثقافي ، والماضي الرائع والتقاليد الثمينة لشعوبنا استطاع في الماضي أن يضمن بقاء أممنا . ان الاستعماريين استطاعوا بقوتهم العسكرية ورؤوس أموالهم ودسائسهم أن يخضعوا شعوبنا لحكمهم لكن روحنا بقيت سليمة ، واليوم هم يوجهون هجومهم المباشر ضد كنز ثقافتنا . وقد بات هذا المصدر من مصادر قوتنا الوطنية معرضا للخطر . واسمحوا لي أن أشرح هذا الوضع بمثال من الحياة الثقافية في ايران . في عام ١٩٦٤ – ١٩٦٥ نشر في ايران ٨٢٦ كتابا ، منها ٢١٩ كتابا مترجما عن كتاب اوروبيين أو أميركيين أي بنسبة ٢٦٫٥ ٪ . ولا يدخل في هذا العدد من الكتب والمؤلفات العلمية المترجمة عن اللغات الاجنبية . وفي العام نفسه بلغ عدد كتب الاطفال التي كتبها ايرانيون ١٩ كتابا فقط . وعدد كتب الاطفال التي كتبها مؤلفون أجانب ٣٦ كتابا أي ٦٥٫٥ ٪ من مجموع كتب الاطفال . وفي كثير من مؤلفات هؤلاء الكتاب تروج افكار عنصرية واستعمارية جديدة . وأود أن ألفت النظر الى انه لا اعتراض لي على ترجمة الادب الانساني للمؤلفين الاوروبيين والاميركيين ، ومع ذلك فلا بد لي أن أتساءل لماذا لا يوجد بين الـ ٢١٩ كتابا هذه ولو خمسة كتب لكتاب عرب أو هنود أو افريقيين ؟ لماذا ؟ ان السبب هو التغلغل المتزايد لرأس المال الاجنبي في دور النشر ، هو ان الكثيرين من أصحاب دور النشر لا يستطيعون بسبب قلة المال أن يصونوا المصلحة الوطنية . وهذا خطر كبير لا بد من مواجهته . ان اكثرنا يعرفون من الصحف والاذاعات والتلفزيون عن أتفه الكتب التي تغرق السوق العالمية ، والتي يجني ناشروها منها أرباحا تفوق قيمتها الفنية مائة مرة . وفي الوقت نفسه نحن نسمع في بعض بلداننا الاخبار التي تمس صميم قضيتنا المشتركة بصورة مباشرة من وكالات الانباء الاجنبية. ان الطريق لمواجهة هذا الهجوم الواسع النطاق ينبغي أن يكون صيانة تقاليدنا وتقدمنا . ونحن نستطيع بل وينبغي علينا أن نرعى الادب الذي يخدم قضيتنا المشتركة ، وأن نطوره بالاستناد الى القيم الانسانية ، والى المحتوى القيم الحق لادبنا الكلاسيكي . ان الثورة الثقافية لا تعني تدمير وابادة الفن والادب الكلاسيكي الذي اثار في القرون الماضية حميتنا لمقاومة الغزو الوحشي للاستعماريين . اننا لا نستطيع ولا يجوز لنا أن نتخلى عن الفردوسي والخيام وسعدي وحافظ . انهم ما يزالون اليوم مصدرا من مصادر القوة لنا . ونحن بالدراسة الدقيقة لوسائلهم الفنية نستطيع أن نسترشد بهم الى السبيل الذي نستطيع به أن ننير شعبنا بالافكار الانسانية وأفكار الحرية والتقدم والسلام وان نثير حماسته لهذه الافكار .

أيها الاصدقاء والزملاء ، ليس بيننا نحن الذين نمد يد الصداقة واحدنا الى الاخر ، من خلاف في الرأي . ان هدفنا هو ان نناضل سويا ضد الاستعمار والاستعمار الجديد في بلادنا وفي العالم بأسره . واذا ما نشأت خلافات بين دولنا فيترتب علينا أن نسعى الى تأكيد ما يجمعنا ، وتجنب ما يفرقنا . فما اكثر ما يكمن وراء هذه التناقضات صوت العدو .

ان الاستعماريين استطاعوا ان يقهروا كفاح شعوبنا في يوم من الايام . لكن اولئك الذين هزموا بالامس في يدهم سلاح سري ، وبهذا السلاح استطاعوا أن يحطموا نير العدو . ان هذا السلاح السري هو تاريخنا المجيد والقوة التي لا ينضب لها معين لثقافتنا . وحملة هذا السلاح هم الذين هزموا بالامس وانتصروا اليوم . واذا ما نجحنا في أن نستخدم هذا السلاح بصورة اكثر فاعلية ، واذا ما استطعنا بالاستناد الى تراثنا الثقافي أن نبدع أدبا جديدا صالحا لعالم اليوم فنكون قد أدينا واجبنا ، حتى في هذا العصر المضطرب ، عصر الذرة . ان هذه الفترة ، بمثلها العليا الجديدة ، يمكن ان تكون نقطة الفصل بين الماضي والمستقبل ، وبداية لعصر جديد .

كلمة وفد شعب جنوب غرب افريقيا

سيدي الرئيس ،

الزملاء المندوبين ،

اسمحوا لي أن أعبر باسم شعب ناميبيا (جنوب غرب افريقيا) المغلوب على أمره ، ومنظمة شعب جنوب غرب افريقيا ، وكتاب جنوب غرب افريقيا ، عن شكرنا للجنة التحضيرية ، وحكومة وشعب لبنان على اتاحة الفرصة للمؤتمر ليعقد هنا .

ومنذ بدء كفاحنا من أجل الحرية والاستقلال فشلت الامم المتحدة في تنفيذ قراراتها الخاصة ببلدنا . ان معظم القرارات التي اتخذتها هذه الهيئة العالمية قد أحبطتها مناورات اصدقاء جنوب افريقيا مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرهم من اعضاء حلف شمال الاطلنطي .

وقد كنا نأمل دائما في الوصول الى حل سلمي معقول بدون اراقة مزيد من الدماء . ولكن على العكس من ذلك ، فقد أظهرت لنا الامم المتحدة بوضوح متزايد أنها عاجزة عن اتخاذ خطوات فعالة ضد نظام جنوب افريقيا . وبذلك فانها خذلتنا خذلانا شديدا . وقد أدى هذا الفشل الى تعرض شعبنا لمذبحة يوم ١٠ ديسمبر ١٩٥٩ والاعتقال الجماعي الاخير الذي قامت به هذه الحكومة . ولم تكن هذه بالطبع أول أعمال وحشية من هذا النوع ترتكب ضد شعب ناميبيا (جنوب غرب افريقيا) اذا تذكرنا الكبت والانتهاك الفاشيين الالمانيين المتعمدين للحقوق الاساسية لشعب بلدنا في القرن التاسع عشر ، ولكن هذه الاعمال الوحشية في الواقع هي اخر جملة في فصل تقوم به الامم المتحدة من التراخي والمساومة وتكتيكات العرقلة . أن البلاد الاستعمارية لا تؤيد استخدام التدخل المسلح طالما انه يضر مصالحها الاقتصادية .

وفي الواقع فان سياسة المماطلة والمساومة تظهر ايضا في مسألة زيمبابوي حيث لم تؤد العقوبات الاقتصادية الى أية نتيجة رغم مرور عام ونصف عام على فرضها ، فما زالت بريطانيا ترفض التدخل المسلح.

ويعقد هذا المؤتمر في وقت تواجه فيه افريقيا واسيا نضالا مريرا من أجل الحرية والاستقلال ، والتحرير والسلام ، وحق تقرير المصير وحق الامم في الاستقلال .

ونحن نناشد الكتاب الافريقيين الاسيويين أن يزيدوا من فضح مناورات الامبرياليين والاستعماريين الجدد اكثر من ذي قبل حتى يعرفوا العالم بالنضال الوطني الذي يشن في فيتنام وفلسطين وموزامبيق وناميبيا وجنوب افريقيا وزيمبابوي وانجولا وغينيا المسماة بالبرتغالية . ونحن نعتبر هذا تحديا على كتاب افريقيا واسيا حتمية مواجهته ، ونؤمن بأن هذه المواجهة ستقدم خدمة كبرى لروح المناضلين الثوريين في افريقيا واسيا .

ان « سوابو » يدين بشدة حرب العدوان التي يشنها الاستعماريون الاميركيون ضد شعب فيتنام ، كما ندين حكومات فورستر وسميث وسالازار الفاشية . ونحن منظمة شعب جنوب غرب افريقيا ، طليعة الشعب ، مصممون وعازمون على تحرير ناميبيا بالكفاح المسلح .

بيتر كاتا جافيفي

كلمة رئيس الوفد الجزائري

باسم اتحاد الكتاب في الجزائر نحيي جميع المشتركين في هذا المؤتمر ونؤكد لهم اسهامنا الكامل والتام من أجل تحقيق الاغراض التي تستهدف التحرر القومي وتحقيق الاماني الشعبية الثورية .

نحن نشعر جيدا بالثقة والتقدير الذي تحمله البلاد الشقيقة والصديقة في ثلاثة ارباع العالم المسمى بالعالم الثالث نحو شعبنا . ونحن اذ نعتز بهذا الشرف من ناحية ندرك من ناحية اخرى الصعوبة التي تصاحب ، لا الحصول على الشرف وانما الحفاظ عليه ، دون أن يوجد من الظروف الفجائية او من الاخطاء المحتملة ما يقلل من شانها .

ومع ذلك فقد بذلنا وسوف نبذل جميع ما هو في استطاعتنا وفي امكاننا للحفاظ على هذه الثقة وعلى هذا التقدير . ولذا فنحن نؤمن ان الاستمرار في الثورية وان الوفاء في اختيار لمبادىء السياسية يجب أن يظلا المبادىء الاساسية لكل عمل يستهدف اساسا التحرر وارتقاء الانسان .

ولقد قلنا مبادىء المسألة بالفعل مسألة مبادىء كما أضفنا سياسات ولم نصف أدبا ـ لماذا ؟

أولا لان العنصر السياسي كما تعلمون جميعا لا يفترق عن العنصر الادبي والعنصر الثقافي . وانه ما لم يوجد في الظروف الحالية ثقافة فلن توجد ثقافة لا سياسية . ان أية ثقافة تحمل هذا المعنى هي بالضرورة سياسية وملتزمة ويوجد خلف العمل الثقافي دائما العمل السياسي والعكس صحيح .

كذلك وكما تعلمون جميعا أيضا فانه لا يمكن أن تتحقق فعلا أية ثورة الا اذا اتخذت لها ثلاث أبعاد : سياسية واقتصادية وثقافية .

لذا يهمنا ان نرى في انعقاد هذا المؤتمر الخاص بالكتاب الافريقيين والاسيويين ـ لا عملا أدبيا بالمعنى الادبي للكلمة وأنما وقبل كل شيء عملا سياسيا أي اجراء هاما يستهدف تحويل حالة وربما ـ ولم لا ، بعض المفاهيم لان الامر قد يعني ـ بل يعني بالفعل وعلى وجه الخصوص ـ بعض المفاهيم بالنسبة للكفاح .

ونحن نريد هنا أن نذكركم بذكرى تكاد تكون بطاقة أحوال شخصية تستخرج من دولاب الملاحم . وقد رأينا أناسا كانوا قديما أتباعا مستعمرين ومستغلين ومنهوبين ومحرومين وحافي الاقدام ، ينحدرون من شعوب بدائية ، يتزايد سكانهم بصورة رهيبة كتب عليهم الاستجداء المستديم ، رأينا هؤلاء في يوم يجتمعون في باندونغ بعد مسيرة طويلة عبر التاريخ وجحيم ممتد عبر الظلال الاستعمارية .

هؤلاء قدموا من جميع الانحاء ، أي من اسيا وافريقيا أي من ثلثي سكان العالم ، ومع ذلك فقد وجدوا انفسهم هناك . وبغض النظر عما اتخذ هناك من قرارات فهناك تفصيلا غاية في الاهمية جديرا بان يسترعي انتباهنا : هؤلاء الناس لم يكن احدا منهم يعرف الاخر . ان بعضهم ربما كان يكره البعض الاخر ، ذلك ان الاستعمار قد علمنا كيف نكره أشقاءنا ومع ذلك فهؤلاء وجدوا أنفسهم مجتمعين يوما ما لوجود عامل مشترك يجمعهم : ضغط القيود الثقيلة للاضطهاد الاستعماري وازدراء الشأن الذي عانتها هذه الجموع أي بعبارة اخرى نفي شخصيتهم أي كرامتهم كبشر . كان هذا يوما حاسما لان هذه الجموع بدأت تدرك تفوقها على الفرد وتفوق الاغلبية المستقلة على الاقلية وتفوق العدل على الظلم ، وقد دقت باندونغ الناقوس الذي ايقظ الجماهير واطاح بنظام بال .

وقد انعقد فيما بعد عدد من المؤتمرات الشبيهة بباندونغ سواء في كلكتا أو القاهرة أو أكرا أو كولومبو .

كما وجدت أيضا أعلام عديدة تعلو الرياح وبدأت الشعوب الافرو اسيوية ـ ذات الجماهير التي يتزايد عددها بطريقة رهيبة ـ سيرها الذي لا يتحول نحو الحرية . ان العالم الثالث قد كشف عن نفسه وصار التضامن الافريقي الاسيوي الذي يواجه الامبريالية والاستعمار عنصرا فعالا في عديد من المناسبات في حصول بعض البلاد على سيادتهم القومية .

ان التضامن دخل المعركة على الجبهات السياسية والعسكرية والاقتصادية وأيضا ـ ولا يصح أن ننسى ذلك ـ على الصعيد الثقافي . ولا يسعنا هنا الا أن نذكر فضل جنود الكلمة هؤلاء الذين استطاعوا أن يبرزوا الكفاح ويتولونه بضراوة ومرارة ضد الامبريالية والاستعمار .

بعض الصحفيين اشادوا بكفاح التحرر ، كما كرس الكتاب والشعراء خير ما تمخضت عنه مخيلتهم ـ نثرا وشعرا ـ وهكذا نبذ الكاتب ذلك المضمون البرجوازي لثقافة مزخرفة ، ثقافة الفراغ ، واستبدلوها بثقافة الكفاح التي تعبر عن الحقائق اليومية والمشاغل والاماني المتعلقة بالشعوب .

وأخيرا بدأ الكاتب يبرر وجوده قبل التاريخ وقبل الشعب . وفي نفس الوقت الذي كان الكاتب يكتشف شعبه كان ايضا يكتشف اخوته في النضال اي باقي الكتاب .

ونحن كتاب الجزائر نؤمن بأن عمل هذا المؤتمر سوف يكون فعالا بالقدر الذي تجري فيه المناقشات في جو من الوضوح التام . نحن هنا نمثل عددا كبيرا من شعوب افريقيا واسيا التي تشترك في نفس الصراع ضد الشعوب الامبريالية والاستعمارية وقوى الاستعمار الجديد .

ان الفرقة في صفوفنا لن تخدم سوى القوى التي تعادينا وقد تجمعت وتضامنت كي تسيطر علينا وتستغلنا . ولذا فنحن نقرر انهدف هذا المؤتمر وما يتبعه من مؤتمرات هو اقامة وحدة شعوب العالم الثالث مثنى وثلاث .

ولا نعني بذلك البلاد المثلة اليوم في بيروت وحسب وانما نعني ايضا البلاد التي ليست ممثلة هنا اليوم بسبب انشقاقات حدثت في المعسكر الاشتراكي .

ومهما كانت اوجه الخلاف التي تفرق – على الصعيد السياسي – ما بين الدول الكبرى في المعسكر الاشتراكي ، فنحن نعتقد ان هذه الخلافات لا تستفيد منها سوى الدول الاستعمارية التي لا زالت تستعبد جزءا من افريقيا ، كما نعتقد انها تزيد بهذا القدر الالام التي تعانيها شعوب فيتنام وانجولا وموزامبيق وجنوب افريقيا ، وان مهمتنا نحن كتاب اسيا وافريقيا لدى منظمتنا هو ان نفعل كل ما في استطاعتنا لكي يمهد هذا المؤتمر لاعادة توحيد حركة الكتاب الافرو اسيوية .

وفي الوقت الذي يضرب فيه شعب فيتنام يوميا بالقنابل ...

وفي الوقت الذي ما زالت فلسطين تعاني فيه من مشكلة شعبها في المنفى ...

وفي الوقت الذي تستمر فيه قوات سالازار في قمع انجولا والموزامبيق ...

ليس لنا الحق في أن نشغل انفسنا في خلافات داخلية في الوقت الذي يسقط فيه يوميا رجال واشقاء في ميدان الكفاح من اجل الحرية.

لذلك فان الوفد الجزائري ، اذ يأمل ان اشتراكه في هذا المؤتمر – وهو اشتراك واع ومقصود – سوف يسهم في توثيق عرى التضامن الافرو اسيوي ، يعبر عن امله في الاتي :

ان يكون هذا المؤتمر مؤتمرا بمعنى الكلمة تتمخض عنه – ليس قرارات طنانة او برقيات تأييد – وانما اعمال ملموسة تصلح للتطبيق والتنفيذ ونحن على تمام الاستعداد للاسهام فيها .

ويجدر ان تضم الى شعوب اسيا وافريقيا ، وقد جمع بينها قدر مشترك نتيجة لما عانته من السيطرة الاستعمارية منذ وقت ليس بالبعيد ، يجدر ان تضم اليها بلاد اميركا اللاتينية نظرا لتشابه حالتها وحالتنا من جوانب عديدة وحيث انها تواجه في الخارج عدوان نفس القوى التي تعادينا وفي الداخل حدة نفس المشاكل التي نعاني منها . ان الفروق الطفيفة الناتجة عن اختلاف احوالنا لا تستطيع الا وأن تفيد معرفتنا ببعضنا البعض وأن تعزز تجاربنا المتبادلة . ولا شك انه يجب دراسة الأسس التي يقوم عليها مثل هذا التعاون .

ونحن نعتقد في الواقع انه مهما كانت النتائج التي حصلنا عليها في المؤتمرين السابقين المنعقدين في طشقند والقاهرة ، فانه يتعين على مؤتمر بيروت أن يأتي بمرحلة جديدة بالنسبة لهما . والواقع ان غالبية الشعوب الاسيوية والافريقية قد تحررت اليوم من نير الاستعمار وان البلاد التي يحارب فيها الاستعمار حرب مؤخرة يائسة ترى انميعاد تحررها قد اقترب ، ويبدو أن شعارات الكفاح ضد قوى العدوان والتخلف قد قبلت وان سبقتها الاحداث ، وقد سبقتها الاحداث لانها قبلت .

ويجدر ان نعد تعريفا جديدا لمهام مؤتمر الكتاب الافرو اسيويين بوجه عام ولوظيفة الكاتب بوجه خاص . اما ان نكرر توصيات المؤتمرين السابقين ، دون ان يتم تطبيقها ، فهذا يبدو لنا انه وسيلة قليلة الجدوى . ان الكتاب الجزائريين يقترحون الا نفترق – نحن اعضاء هذا المؤتمر الثالث – بمجرد اتخاذ قرارات وحسب ، وانما بعد أن يكون تنفيذها او تحقيقها قد بدأ ، كلما كان ذلك ممكنا .

ونحن نرى ان النضال من أجل التحرر لا يقف الا بعد التحرر السياسي من نير الاستعمار . وان عمل مؤتمر الكتاب الافرو اسيويين لا ينتهي عندما يحصل اخر بلد على حريته ، ذلك ان التحرر السياسي ليس سوى تمهيد ، لان هدفنا هو مساعدة التحرر – ليس بالنسبة لمن هم مستعمرين وحسب – وانما بالنسبة لجميع البشر ، اذ ان قوى السيطرة لا تزول بانسحاب اخر جندي من جيوش الاستعمار .

كل هذا معناه وضع مشكلة التحرر في الادب الافريقي والاسيوي في اطارها الحقيقي .

ان الكاتب الافريقي يتعين عليه أن يحدد لنفسه تعريفا جديدا طبقا لمفهوم جديد . وتحديد تعريف معناه تعرية الرجل الذي تتدفق منه الحيوية وذلك يعني اساسا حل سلسلة المفارقات التي كانت نصيبه حتى الان ، فهو يتكلم بلغة افريقية ويكتب بلغة اجنبية هي بالاضافة الى ذلك لغة مستعمريه القدامى . وهو يريد – بل يجب عليه – أن يحدث جمهورا افريقيا هو جمهوره الطبيعي ، غير أن الاغلبية الساحقة لقرائه هم من الاوروبيين . وعليه فانه يمكن أن نقرر ان تحررنا – نحن الكتاب – تأخر عن تحرر شعوبنا .

وان كان كل أدب بالطبيعة تحرري فقد كان من السهولة نسبيا القيام بمهمة الكاتب في نطاق التنويه المتعلق بالوضع الاستعماري . ففي الماضي كانت العقبات التي تواجه التحرر عقبات خارجية وقاطعة . أما اليوم والافريقيون والاسيويون أحرار في تحديد مصيرهم ، فان العقبات التي تواجه تحرر الافريقي أو الاسيوي تكمن فيهما . وبالتالي فقد أصبحت الحاجة ماسة الى تحديد المهمة الجديدة للكاتب الافرو اسيوي بالنظر الى انه اسهل على المرء أن يرفض الاخرين من أن يحرر ذاته .

وحتى الان كانت عناصر المقاومة والرفض هي التي تحظى بالاهمية . أما بعد الانتهاء من عملية التطهير هذه فقد أمسى من الواضح أن عمل أكثر ايجابية ينتظرنا وان هذا العمل يتضمن الدفاع عن القيم التي سوف تحكم من الان فصاعدا شعوب اسيا وافريقيا . ان المرحلة السابقة قد شرعت في انتهاج هذا المنهج ، وبقدر ما هو احتجاج على نظام واستعادة ذاتية معا فهو يفترض التبني الصريح أو الضمني لمثل أعلى يتعين علينا تحقيقه الان .

واخيرا فان خير السبل لمكافحة الاستعمار الجديد أو أي شكل اخر يتخذه الاستعمار منذ وقت غير بعيد يتمثل في تخطيط الثقافة الحقيقية التي تعنيه القيم الجديدة التي اقترفتها الشعوب الاسيوية والافريقية من كنوز الماضي السحيق وفي دروس كفاح قريب العهد من أجل تحقيق ذاتها . هذه المهمة التي تنتظر الان كتاب اسيا وافريقيا هي اخر وأروع أشكال النضال من أجل التحرر الذي قاموا به حتى الان .

وختاما فان الوفد الجزائري يرى انه يجب – عند انعقاد الاجتماع القادم للكتاب الافرو اسيويين – تحديد ٣ مهام ضمن مهمات اخرى : العمل على اعادة توحيد منظمة كتاب اسيا وافريقيا ودراسة سبل التعاون مع كتاب اميركا اللاتينية وتعريف مهمة واجبات الكاتب الافرو اسيوي – بشكل ايجابي وتقدمي – بالنسبة لعالم ثالث تحرر سياسيا من نير السيطرة الاجنبية .

مولود معمري

حركة التحرر الوطني في الادب السينهالي

بقلم : ك. جاياتيليك

ان سيلان بلد محب للسلام . وهي ذات تاريخ طويل جدا يمتد لاكثر من الفين وخمسمائة عام . وخلال هذه الفترة الطويلة من الزمن لم تعمد الى العدوان على أي امة أخرى ، بالرغم من ان التاريخ قد سجل حالات كثيرة لجنود سيلانيين قد عبروا البحار لمعاقبة امة اجنبية غزت شواطئها .

وسيلان من اسعد البلاد حظا ، ان لم تكن الوحيدة السعيدة الحظ ، لان لها تاريخا طويلا مسجلا بصورة منتظمة . وهذا التاريخ المكتوب باللغة البالية وهي لغة التعليم الرهباني القديم في الهند

وسيلان – ويسمى « ماهافمسا » أي « التاريخ العظيم » ، وقد أشاد به كثير من الادباء الاوروبيين لصحته وحيدته . وهذا التاريخ في أغلبه يتضمن وصف العشرة حروب البطولية التي شنها السنهاليون ، وهم الجنس الوطني الغالب في سيلان ، ضد اولئك الاعداء الذين جاءوهم لغزوهم . وقد جاء أولئك الغزاة ليس من البلاد المجاورة فحسب ، ولكن ايضا من البلاد البعيدة كالبرتغال وهولندا وانكلترا . فمنذ عام ١٩٠٥ الذي نزل فيه البرتغاليون في سيلان ، كان النضال مستمرا بين أولئك المستعمرين الاوروبيين والسنهاليين الوطنيين . وهذا النضال دفاعا عن الوطن قد تولد عنه نمط جديد من الشعر السنهالي يسمى « هاتان كافيا » أو « شعر الحرب » . حقا ان هذا النمط من الشعر يستمد أصله من نوع خاص جدا من الابيات الشعرية يسمى « برازاستي » ، ولكنها على خلاف البرازاستي ، لم يقصد بها على الاطلاق مديح معبود المؤلف فحسب ، فلم يكن أولئك المؤلفون عظيمي الاطلاع ، وانما كانوا في أغلب الحالات رجالا بسطاء عاديين في القرى مثل أطباء القرى (قيدا ماهاتاياس) والمنتجون والفلاحون . ولا شك انهم كان لهم أبطالهم المثاليون ، وفكرة اضفاء المثالية عليهم ، والاهم هنا ان عبادة الابطال هذه لم تقتل وطنيتهم . وهذا واضح حتى في شعر البلاط الذي وضع خلال هذه الفترة .

ان الشعراء السينهاليين – منذ القديم جدا – قد نشأوا في رعاية البلاط ، وكما هو متوقع ، قد انشدوا المديح لاولئك الذين أعانوهم . ولكن شعر الحرب الذي كتبه حتى هؤلاء لم يكن خلوا من المشاعر الوطنية . ومن أمثلة هذا الشعر قصيدة « ماها هاتانا » أي « الحرب العظمى » ، وهي تصف هزيمة القاضي البرتغالي قسطنطين داسا وأتباعه على يد الملك مراجا سينغ ملك كلندي .

وقد بدأ الشاعر قصيدته بوصف كيف ان هذا الشعب الاجنبي القادم من أرض بعيدة جاء الى سيلان وخدع الملك في مكر ودهاء بتوسلاته ثم وطد أقدامه في البلاد ، ثم يلي ذلك وصف طويل لفظائع البرتغاليين . وقد تبخرت أوهام الملك الان ، ولكنه كان هو وأتباعه عاجزين عن طردهم . ثم جاء بعد سنوات عديدة من الطغيان ، بطل القصيدة ، الملك – راجا سينغ . وقد جمع جيشا وهزم الاعداء في حرب ضارية وثمة قسم كبير يتضمن المديح في هذه القصيدة ، ولكنه جاء بصورة عارضة . وليس البطل فيها الا تجسيم لرغبات وآمال الشعب المضطهد .

وبالرغم من ان سيلان قد دافعت عن نفسها في شجاعة ضد الغزاة ، فقد فقدت استقلالها على أيدي البريطانيين عام ١٨١٥ ، مما أدى الى ان نشاطها الادبي والثقافي قد أصيب بنكسة عظيمة . وقد قضى على موجة الاحياء الاولى الذي كان قد بدأ منذ سنوات قليلة على يد الراهب البوذي العظيم فلفيتا سارانانكارا .

فلم يصبح المكان الاول للغة الانكليزية فحسب ، وانما أصبح موضع الازدراء كل شيء وطني أو يمت الى الاهالي الاصليين ، وقد اغتصب التعليم من أيدي رجال الدين البوذيين وأعطي للارساليات الكاثوليكية . وأولئك الذين نالوا تدريبهم وتربيتهم في مدارس هذه الارساليات قد أصبحوا عبيدا فكريين للامبريالية الغربية .

وقد استمر ذلك نحو قرن دون انتاج أي عمل أدبي هام ، الى أن بدأ أخيرا « اناجيريها دارمايالا » الزعيم البوذي المعروف حركة جديدة للتحرير الوطني . وقد بدت هذه الحركة من الخارج كأنها نهضة دينية . ولكنها في جوهرها لم تكن كذلك . لقد كانت تهدف الى الحصول على الاستقلال الضائع ، السياسي والثقافي ، وقد وصم من جانب الحكام بانه خائن ، كما أساء فهمه الساهيليون السمر بدورهم . ولكنه مضى في كفاحه غير عابىء . ولم يكن دهامايالا كاتبا مبتدعا يستحق الكلام عنه في هذه الناحية ، ولكن موضوعاته ومقالاته الصحفية ، وكلماته التي تقرأ في المدارس اللاهوتية ، جعلته يستحق أن يسمى كاتبا . وفي هذه كلها نجد المشاعر المعادية للاستعمار في العصر الجديد . ان هذا الرائد لحركة التحرير الوطني قد جاء بعده كاتب خصب الانتاج يسمى بياواسا سيريزينا . وقد كان تلميذا من تلاميذ انا جاريكا وارما يالا في سنواته الباكرة واستمر فيما بدأه أستاذه ولا سيما عن طريق التبشير بالقول او الكلمة المكتوبة . وهو الذي جعل الرواية صورة شعبية للادب بين قراء السنهالية . انه لم يأل جهدا في أن يشرب كل كتاباته بروح الوطنية : سواء أكانت شعرا أم قصصا . وما من شك في انه بالنسبة للادب الجيد تعتبر أعماله دون المستوى العام ، بل يقل مستواها عن أعمال اضعف الكتاب، ولكنه كمحرض ضد السيطرة الاجنبية ، ولا سيما في مجال الثقافة ، لا يمكن الاقلال من شان خدماته .

في أي لغة يمكن التعبير عن المشاعر الحارة نثرا وشعرا . ولا يستثنى من ذلك السنهالية . وقد كان س. ماهيندا راهبا من التيبت وقد هزه الفرار الفاجع للسيلانيين في ذلك الوقت . وبالرغم من لغة أمه كانت هي لغة التيبت ، فقد كتب الاف الاشعار باللغة السنهالية ، العظيمة السلالة ، وهي لغة الاغلبية من أهل سيلان . ان لغة شعره في غاية القوة . وهي زاخرة بالمشاعر وعامرة بالافكار لدرجة انه لم يكن ثمن الا قليلين من السنهاليين أنفسهم من يمكن أن يضارعونه . ومرة أخرى من وجهة المستوى الادبي قد يكون ثمة نواح من القصور في شعره كذلك . ولكننا في سيلان لم نتقدم في ادب البروليتاريا حتى لا يمكن للمرء أن يتوقع الكمال من شاعر اختار أن يتكلم بلسان المظلومين .

وثمة راهب بوذي اخر كرس حياته لحركة التحرير وحملة السلام. ولم يكن ذلك سوى آوا كنداويل سارانانكارا الذي توفي في العام الماضي . لقد كان صديقا عظيما لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين ، وفي الحقيقة ، أسس لكل المنظمات التقدمية في بلادنا ، وكان مؤسس ورئيس تحرير جريدة « نافالوكايا » (العالم الجديد) التي كانت دائما في مقدمة حركة التحرير الوطني . ومساهمته في قضية الكتاب الافريقيين الاسيويين معروفة جدا بحيث لا داعي للاطالة في الكلام عنها هنا .

وكان ثمة بعض الكتاب الاخرين الاقل مرتبة من ذلك ، الذين استخدموا موهبتهم في هذه المغامرة ، ولكنني لا أستطيع الحديث عنهم هنا لضيق المجال . ويكفي هنا أن أقول ان حصول سيلان على استقلالها عام ١٩٤٨ يرجع الى حد غير قليل الى جهود أولئك الكتاب .

وبالرغم من أن سيلان اليوم بلد مستقل ، لم تنقطع بعد الحركة الخبيثة لجعلها على الدوام تحت السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية . بيد انه مما يثلج الصدر ان نسجل ان كتاب اليوم قد فهموا ذلك .

ومن أوائل أولئك الكتاب كاتبنا العظيم الذي لا زال على قيد الحياة السيد مارتن ليدرماسينغ ، انه كاتب واقعي ذو فهم عميق للمشاكل الانسانية وله طريقة رائعة في تصويرها . وأعماله من هذه الناحية بمثابة استمرار للاتجاهات الادبية التي كان أسلافه مسؤولين عنها .

ك . جاياتيليك
وفد سيلان

***

وقد اقيمت لوفود الكتاب الى المؤتمر عدة حفلات واستقبالات . وكانت الامسية الشعرية التي دعت اليها مجلة الاداب للاستماع الى الشاعر السوفياتي الكبير ايفجيني افتوشنكو من انجح أمسيات المؤتمر ، وقد قدمت السيدة عايدة مطرجي ادريس الشاعر في مجموعة من قصائده ترجمتها المستشرقة السوفياتية ايلينا ستيفانوفا وراجع الترجمة والقاها الشاعر اللبناني المعروف أدونيس .

وقامت الوفود بزيارة دمشق بناء لدعوة من الحكومة السورية

رسالة تحية من الرئيس

جمال عبد الناصر

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباسمي اتقدم الى مؤتمركم بأخلص التحية مع اطيب تمنياتي بأن يوفق مؤتمركم في تأدية المهمة الكبيرة الملقاة على عاتقه .

ان كتاب اسيا وافريقيا والمفكرين في القارتين العظيمتين اللتين يربطهما تراث حضاري عريق في الماضي ، وكفاح مرير من اجل تحقيق الحرية وصيانتها في الحاضر ، وعمل جاد من أجل بناء المجتمع وتنميته ورخائه في المستقبل : هؤلاء الكتاب الذين يجتمعون اليوم في ارض لبنان الشقيق ليحملوا مسئولية ضخمة في اضاءة الطريق امام شعوبهم المكافحة من اجل الحرية والعدالة والمساواة : انهم لقادرون ، بالانفعال الصادق بواقع مجتمعهم والتعبير المخلص عن آلام شعوبهم وامالها ، على المشاركة بهذا الانفعال والتعبير والتأثير في تغيير هذا الواقع الى حياة اكثر كفاية ومجتمع اكثر عدلا وعالم اكثر امنا وسلاما .

وان اجتماعكم في هذه الظروف التاريخية التي تصل بمعركة الحرية والعدالة والبناء في العالم الى ذروتها بين قوى الشر الباغية وقوى الخير المدافعة عن حق الانسان في حياة حرة كريمة ، ان اجتماعكم هذا ليحمل في طياته معنى كبيرا لالتقاء قوى الخير التي تؤمن ايمانا عميقا بالقيم الانسانية الفاضلة ، قيم الحرية والعدالة والسلام وتؤكد وقوف الصفوة الممتازة من المفكرين والمثقفين الى جانب الشعوب المكافحة في معركتها المريرة ضد قوى الاستعمار والعدوان .

ان شعوبكم لتنتظر منكم الكثير . انها تنتظر منكم في ابداعكم الخلاق ان تشاركوا به في معركتها الكبرى ضد كل قوى الشر وان تحققوا به امالها في مستقبل مشرق يتوفر للانسان فيه كل ما يهفو اليه من حرية ورخاء وعالم تسود فيه المحبة والسلام .

وزارت أحد معسكرات اللاجئين الفلسطينيين هناك ، كما زارت صيدا وصور في لبنان .

هذا وننشر فيما يلي أسماء أعضاء الوفود التي حضرت المؤتمر :

الجزائر : مولود معمري ، مصطفى التومي .
الشارقة : الشيخ صقر بن سلطان القاسمي ، قريب أحمد .
انغولا : ماريو دواندراد ، فرانسيسكو باروس .
شبه الجزيرة العربية : ناصر السعيد .
البحرين : ابراهيم العريض ، محمد حسن الانصاري ، تقي البحارنة .
الرأس الاخضر : أونسيمو سيلفيرا .
سيلان : و. ابيسانغ ، ك. جاياتيليك .
قبرص : الدكتور ليساريدس ، جورج بياريدس .
داهومي : برودانسيو اوستاش ، بولان جواشيم .
الهند : دكتور راياشكان ، ملك راج اناند ، سجاد ظهير، سبحاس موكهوباديهاي ، س. بالوبيري ، م. كلام الله ، اخطرول ايمان ، راجي دوسا .
اندونيسيا : فيرغا بيلان .
العراق : د. عبد العزيز الدكتوري ، د. سليم النعيمي ، السيدة صبيحة الشيخ داوود ، د. يوسف عز الدين ، سامي مهدي ، شاذل طاقة ، عبد الرزاق الهلالي ، آمنة مراد ، عبد الله الجبوري ، عبد الوهاب السلوم .
ايران : بوزوغ الاتي .
اليابان : شيروها سوغاوا ، يوشيو هوتا ، أيشيرو هاريو ، بيكان كيناءورا ، ياشيرو تاكوشي ، ميشيهيكو سوزوكي .
الاردن : فدوى طوقان ، راضي صدوق .
كامرون : فانسان تسونفي نفونو .
كينيا : جون موانغي ، جيمس اغوغي ، جون نديسي .
ملاوي : دافيد روباديري .
مالطة : بول كزوريب .
جزر موريس : ي. مونبوده .
مانغوليا : ن. تسيراندميل ، س. اودفال .
المغرب : عبد الرحمن اليوسفي ، علي امليل ، محمد برادة ، عثمان بنـاني .
المغرب : د. عزيز الحبابي ، بن جلون .
موزامبيق : مارسلينو دوس سانتوس ، ارماندو اوكتيوبوزا .
نيجيريا : ابيولا ايريل .
نيبال : ج. مالا ، شريستا ، برازاي .
عمان : محمد أمين عبد الله .
فلسطين : عبد الكريم الكرمي ، غسان كنفاني ، محمود الحوت .
غينيا البرتغالية : جوزيه اوراجو .
السنغال : اليون سيني ، دياقات لامين ، د. دود .
الصومال : عبد العزيز الشيخ اسماعيل .
الصومال الفرنسي : مبارك أحمد مبارك .
السودان : عبد الله حامد الامين ، أبو بكر خالد ، كمال شنتير .
افريقيا الجنوبية : ريمون كونيني ، لويس نكوسي ، اليكس لاغوم، الانسة كايرون لاتا ، السيدة روك فيرست ، ا. ماكيواني .
افريقيا الجنوبية الغربية : بيتر كاتجافيفي .
سوريا : سليمان الخش ، صدقي اسماعيل ، سليمان العيسى ، د. بديع الكسم ، صلاح دهني ، علي كنعان ، صابر فلحوط .
الجمهورية العربية المتحدة : يوسف السباعي ، الدكتور سهير القلماوي ، مرسي سعد الدين ، احمد بهاء الدين ، يحيى حقي ، د. زكي نجيب محمود ، امينة السعيد ، د. عبد القادر القط ، عبد الحليم عبد الله ، احسان عبد القدوس ، آمين يوسف غراب ، د. مصطفى محمود ، صلاح عبد الصبور ، رجاء النقاش ، سعيد عبد الستار حسن ، فاروق عبد السلام حسن .
أوغندا : راجات نيوغي .
الاتحاد السوفياتي : عظيموف ، ايتماتوف ، ابراهيموف ، طورسن زاده ، مسروبوف ، حمزاتوف ، ماكافارايانى ، افتوشنكو ، سوفرونوف، روريكوف ، كوزمانكو ، ماجاييف ، تشوغونـوف ، اسكندروف ، رومياننزوف ، طوبتشيان .
فيتنام الشمالية : هوانغ تونغ ، تو هواي ، ترويانفيا نهان .
فييتنام الجنوبية : هوياه فون لي ، فان تو ، فام فان شونغ .
اليمن : عبد الله العلوي ، ابراهيم الخضراني .
لبنان : د. سهيل ادريس ، كامل العبد الله ، حسين مروة ، رئيف خوري ، أحمد سويد ، اميلي نصرالله ، أدونيس ، خليل رامز سركيس .
زيمبابوي (روديسيا) : سول ، غواكويا ندلوفو .
الضيوف : د. كلوفيس مقصود (الجامعة العربية) ، السيدة ايفون شتيرك (بلجيكا) ، فاساييف (بلغاريا) ، كولوان (شيلي) ، الادار توماس (هنغاريا) ، زبيفييه ، كوبروفسكي (بولونيا) ، الينا برنسكوفا ، بافل بوتكاك (تشيكوسلوفاكيا) ، فرناندو بنيتز ، اركليو زوبيدا (المكسيك) ، ايان بروغمان (هولندا) ، ادوار كلوديوس ماكس وولتر شلوز (المانيا الديمقراطية) ، غيدو بيوفيني ، جيورجيو (ايطاليا) ، سامي الكيالي (سوريا) ، ثروت اباظة ، حنيفـة فتحي ، صبري موسى ، عباس خضر (ج.ع.م.) .